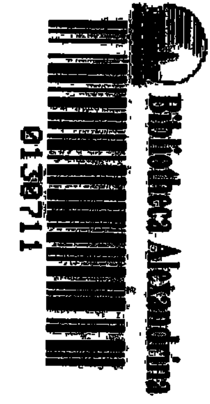
الدكتور علي الوردي
استاذ متمرس
بجامعة بغداد

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث

الجزء الخامس

حول ثورة العشرين

القسم الأول



الدكتور علي الوردي
أستاذ متمرس
بجامعة بغداد

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث

الجزء الخامس

حول ثورة العشرين

مقـــدمة

ان هذا الجزء يبحث في الثورة العراقية التي حدثت في عام ١٩٢٠ ، وهي التي سميت بـ « ثورة العشرين » • والواقع ان هذه الثورة صدرت حولها دراسات ومؤلفات كثيرة تفوق بكثرتها ما صدر حول أي حدث آخر من تاريخ العراق الحديث ، والملاحظ أن معظم الدارسين لهـــذه الثورة من الكتاب العرب اتخذوا في كتاباتهم اسلوب « التمجيـــد » و « الحماس » ، حيث رأيناهم يميلون الى التأكيد على الجوانب الحسنة من الثورة ، ويبالغون فيها ، بينما هم يغضون النظر عن الجوانب السيئة أو يحاولون تبريرها •

ان المنهج الذي أسير عليه في هذا الجزء هو نفسه الذي سرت عليه في الاجزاء السابقة ، والذي سوف أسير عليه في الاجزاء اللاحقة ، وهو ذكر الاحداث كما وقعت من غير تحيز لها ، أو عليها ، مع الاخذ بنظــر الاعتبار طبيعة المجتمع الذى وقعت فيه تلك الاحداث •

لا أكتم القارىء اني ترددت طويلا في اصدار هذا الجزء لاني أعلم ان هذا المنهج سوف يثير امتعاض الكثيرين من القراء الذين اعتادوا على منهج « التمجيد » و « الحماس » ، فليس من الهين عليهم ان يروا منهجا آخر يُتّبع في دراسة ثورة العشرين ، وربما اتهموني بخيانة الوطن أو التحيز للاستعمار ، وهي تهمة فظيعة كما لايخفى !

لا أنكر ان ثورة العشرين تستحق التمجيد ، وتستحق أن يفتخر بها العراقيون ويطنبوا فى الثناء عليها والتغني بمحاسنها ، ولكني مع ذلك أعتقد أن ليس من المصلحة الوطنية أن نظل نواصل التمجيد للثورة دون ان نقف قليلا لنستخلص مافيها من عبر اجتماعية •

ان ثورة العشرين هي كأي حدث بشري آخر لابد أن تحتوي

على المحاسن والمساويء معاً • وقد آن الأوان ـ فيما أرى ـ لأن نضع هذه الثورة على منضدة التشريح العلمي فندرسها دراسة موضوعية من مختلف جوانبها الحسنة والسيئة •

اننا أدركنا الكثيرين من رجال الثورة وقادتها ، وخالطنا بعضهم ، وقد صار معظمهم وزراءاً ونواباً وأعياناً وموظفين في العهد الملكي الغابر، فوجدناهم لايختلفون عن غيرهم من العراقيين اختلافا كبيرا • وقد يصح أن أقول انهم كانوا كغيرهم من الناس يسعون وراء مصالحهم في هذه الدنيا ، وتغريهم مغرياتها • وليس من المعقول انهم كانوا في ايام الثورة من طبيعة أخرى •

أرجو من القاريء ان لايعد هذا القول انتقاصا من قيمة رجال الثورة • والواقع ان جميع الذين قاموا بالثورات في تاريخ العالم كانوا أمثالهم في طبيعتهم البشرية ، فلم يحط ذلك من قدرهم • وقد كشفت الدراسات الحديثة عن الكثير من أسرار الثورات وأسرار رجالها ، فوجدناهم بشرا لهم مناقبهم كما أن لهم مثالبهم • ولم يخلق الله بشرا معصوما من النقائص والاخطاء على أي حال !

مناقشة مع ناقد :

قرأت مؤخرا في مجلة « الجامعة » التي تصدرها جامعة الموصل مقالة لأحد النقاد يشجب فيها المنهج الذي أسير عليه في دراسة المجتمع العراقي بوجه عام • فهو يعتبره مضرا بالجماهير اذ هو يؤدي الى تثبيط عزيمتها وفتور همتها • وهو يقول في ذلك مانصه : « ان المواطنين في معظم البلدان يتعصبون لأوطانهم بصورة مبالغ فيها ، بل أن قسما كبيرا منهم يتعصب لوطنه أو لجماعته التي ينتمي اليها حتى وان كانت قضيتهم باطلة » • وبعد أن يأتي الناقد بمثلين على ذلك من الانعزاليين اللبنانيين ومن الصهاينة يقول : « وفي ظروف عصيبة كالتي نعيشها في الفترة الراهنة

وملاحظة التراخي الذي يسود المنطقة العربية امام المؤامرات المتلاحقة للامبريالية ، ألا يتطلب منا ذلك أن نتعصب لحب الوطن الذى يتعرض لابشع أنواع الاستعمار الاستيطاني ؟ فهل سنكون بدويين إن نحن تعصبنا في ردع تلك المؤامرات • ان هذا التعصب ـ وهنا لم يعد من المناسب تسميته بالتعصب ـ سواء كان على شكل كلام أو فعل • انه سوف لا يكون من باب خداع النفس او المغالطة على جماهير الشعب • انه بمثابة المحرك والموقظ لها • ففي كثير من الاحيان تحتاج الجماهير الى من يبادر بتوعيتها • وحينئذٍ تأخذ هي بنفسها زمام المبادرة » •ويستند الناقد في رأيه هذا على ما قاله نديم البيطار عن طبيعة الجماهير وهو : ان « قابلية الادراك في الجماهير محدودة جدا ، والانفتاح الفكري فيها معدوم وهي تتميز بميل الى النسيان الشديد » • ثم يضيف الناقد الى ذلك قائلا : « وان كان هناك نوع من التحدث بصراحة أمام الجماهير فيجب أن لا يكون ذلك على حساب تثبيط عزيمتها وفتور همتها • ان القائد أو المثقف عندما يتحدث بصراحة أمام الجماهير يجب أن لايركز على السلبيات فقط بحيث يبدو الهدف من صراحته هو الطعن أو النيل من شعبه • ان تلك الصراحة المرة تشبه قضية الطبيب الذى يفاجيء مريضه باصابته بمرض مستعصي ، فالطبيب في هذه الحالة يعرض المريض الى انتكاسة نفسية تزيد حالة المريض سوءاً •• »(١)

اني اتفق مع الناقد في اننا يجب أن لانركز على الجانب السلبي في دراستنا الاجتماعية ، ولكن الذى يبدو من مقالته أنه يريد أن نركز على الجانب الايجابي فقط بحيث نترك الجانب السلبي تركا تاماً ، وهذا هو ما أخالفه فيه • فاذا كانت الجماهير كما وصفها البيطار ذات قابلية

---

(١) مؤيد الياس بكر (حول لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) ـ مجلة « الجامعة » ـ في عددها الصادر في تشرين الاول ١٩٧٦ •

محدودة جدا للادراك وانفتاحها الفكري معدوم ، فهل يجوز لنا أن نثير الحماس فيها ثم نتركها لتأخذ بنفسها زمام المبادرة • أعتقد ان ذلك سيؤدي بنا الى أوخم العواقب • ولدينا من تاريخنا القريب شواهد على ذلك مازالت ذكراها حية في أذهاننا •

اذا جاز للناقد تشبيه منهجي بالطبيب الذى يصارح مريضه بأمر مرضه المستعصي فيعرضه بذلك الى انتكاسة نفسية تزيد مرضه سوءاً ، فانه قد يجوز لي كذلك تشبيه منهجه « الحماسي » بالطبيب الذي يترك مريضه جاهلا مرضه ويسمح له بالحركة والأكل كما يشاء قائلا له : « ان صحتك على خير مايرام » • لا أنكر ان هذا الاسلوب قد ينفع المريض اذا كان مرضه وهمياً أما اذا كان المرض حقيقياً فان ذلك قد يؤدي به الى الهلاك •

اني لست أدعو الى ترك منهج « الحماس » تركاً مطلقاً ، ولكني لا أحب ان يكون هو المنهج الوحيد الذى نتبعه بحيث نهمل المنهج الآخر الذي هو قوام الحياة الحديثة • فكل من هذين المنهجين له وظيفته في الحياة • وأود في هذه المناسبة أن أعيد ما كنت قد قلته في الجزء الاول من هذا الكتاب وهذا نصه :

« اننا في هذه المرحلة المتأزمة من تأريخنا في أشد الحاجة الى التوازن بين دافع الحماس ودافع الموضوعية في أنفسنا ، فليس من الخير أن يسيطر الحماس على تفكيرنا دوماً ، كما أنه ليس من الخير أن تخلو قلوبنا من الحماس ! » (٢) •

---

(٢) علي الوردي (لمحات اجتماعية) ـ بغداد ١٩٦٩ ـ ج١ ص ٣١٨ •

الفصل الاول

حـول تعليل الثورة

دأب بعض كتابنا عند شرحهم أسباب ثورة العشرين أن يؤكدوا على أمرين اثنين : أولهما ان الاحتلال الانكليزي كان ظالماً قاسياً الى درجة لاتطاق ، والثاني ان الشعب العراقي شعب أبيّ لا يقبل الضيم ولا يحب الخضوع لحكم الاجانب • ثم يستنتجون من ذلك ان ثورة العشرين هي اذن محتومة ولابد أن تحدث من جراء تفاعل هذين السببين •

والملاحظ في هؤلاء الكتاب انهم صاروا « يتزايدون » في وصـف الظلم الذي حل بالعراق في عهد الاحتلال ، كل منهم يريد أن يبز الآخر في وصف فظاعة الظلم وتمديد صوره • ولعلي لا أعدو الصواب اذا قلت ان المبالغة في وصف الظلم الانكليزي أصبحت عندهم من امارات الوطنية، فالكاتب الذي يحب وطنه يجب في نظرهم أن يصب اللعنات على الانكليز ويطنب في وصف ظلمهم « الفادح » على العباد ، أما من لا يفعل ذلك فلابد أن يكون من عملاء الاستعمار ـ والعياذ بالله !

نماذج :

أنقل فيما يلي نماذج من هذا النوع من الكتابة اقتطفتها من كتابات رضا الشبيبي وعبدالرزاق الحسني وكاظم المظفر وعبدالشهيد الياسري ، لكي يطلع القارىء على المنهج الذي سار عليه هؤلاء الكتاب في تعيـين أسباب الثورة • واني حين أذكر هؤلاء الاربعة لا أقصد أنهم وحدهم الذين اتبعوا هذا المنهج ، فالواقع ان معظم الذين كتبوا عن الثورة مـن العرب ساروا عليه قليلا او كثيراً • ولكني انما اقتصرت على ذكر أربعة منهم لأني اعتبرت كتاباتهم نماذج تمثل الآخرين •

يقول الشبيبي :

« ... من رأيي آن الثورة العراقية الكبرى في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٢٠ وليدة عاملين خطيرين أولهما الضغط والاستغلال الاقتصادي واستنزاف جهود العاملين في ميدان الزراعة خاصة ـ والعراق قطر زراعي قبل كل شيء ـ والاستيلاء على مواردها بأبخس الاثمان وردها بعد استخدامها في الصناعة الحديثة لتصريفها في أسواق هذه البلاد بأغلى الاثمان ، وهذا هو جوهر الاستعمار الحديث . من هذه الناحية أدرك العراقيون ان حياتهم الاقتصادية مهددة بضرب من الضنك والفقر المدقع والاعواز ، ولهذا تأثرت بهذا العامل طبقة الزراع والفلاحين قبل غيرها حتى حفزها هذا التأثير البليغ لأن تكون في طليعة القائمين بتلك الثورة المجيدة بل كانت في مقدمة من بذل وضحى في سبيل مقاومة ذلك الضغط والاستغلال . ولم يكن لهؤلاء الثوار الريفيين البواسل بدّ من ملاذ يلوذون به ويفزعون اليه في سبيل تسويغ الانتفاضة واقامة الحجة على شرعية هذه الحركة ، فوجدوا ذلك العون والملاذ في عدد غير قليل من العلماء الأعلام المجاهدين وخصوصاً علماء النجف وكربلاء في ذلك الحين وفي مقدمتهم الشيخ المجاهد محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ مهدي الخالصي تغمدهم الله برحمته ، تؤازرهم طبقة مثقفة من شباب الأسر العلمية المعروفة في النجف ، فأفتوهم بضرورة الدفاع عن الشرف والكرامة وعن الحقوق العامة وعن حوزة الفضيلة والدين .

« أما العامل الثاني في اندلاع الثورة فهو ذلك الضغط السياسي أو الحجر على الافكار والحيلولة بين ابناء البلاد وبين التعبير عن آرائهم والمطالبة بحقوقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم واختيار حكامهم وحكوماتهم بملء ارادتهم ، ثم للمحاولات التي بذلتها السلطة لفرض نوع من السيطرة

الاستعمارية المباشرة على العراق • وقد تأثر بهذا العامل الثاني ابنـــاء المدن والحواضر أكثر من غيرهم • ولذلك بادر قادة الرأي في جملة من أمهات المدن الى تنسيق جهودهم وتنظيمها لمقارعة الاستعمار في أعقـــاب الحرب العالمية الاولى والمطالبة بحقوقهم الطبيعية في تقرير المصير •• » (١)

ويقول الحسني :

« ••• ولما تم للانكليز الاستيلاء على العراق ، وظهرت بـــوادر سياستهم الخرقاء ، وأنزلوا بالعراقيين ضروب الظلم والارهاق ، بـــث العراقيون شكاواهم من سوء سياسة السلطة المحتلة الى العلماء ، وأشعروهم بأنهم يفضلون الموت على الحياة ، تحت هذا النوع من سيطرة المحتل • وما زالوا يراجعون العلماء ، ويؤكدون لهم على قدرتهم على مكافحـــة الجيوش البريطانية ••• حتى اتفق الطرفان وأيد كل منهما الآخر على الشروع في مقاتلة الغاصبين • أضف الى ذلك ان العرب مطبوعون عـــلى الاخلاق الكريمة ومن جملتها الشمم والاباء وعدم الصبر على الظلم وعلى تعسف الحكام ، فكانوا يستهونون الموت في ساحة الشرف والنضال على حياة الذل والهوان • فجاءت فتاوي العلماء الاعلام بامتشاق الحســام في وجه هـــذا الظلم ومحـــاربة الاستبدداد محفـــزاً لهممهم ومهيـــجاً لشعورهم ••• » (٢) •

ويقول المظفر :

« ••• ما إن استقر المقام بسلطات الاحتلال البريطاني في العراق ، حتى تولت ادارتها السياسية اصدار البيانات والاوامر التي هيمنت بواسطتها على مقدرات البلاد الاقتصادية لتعويض ما فقدته بريطانيا من الخسائر في

---

(١) عبدالله فياض (الثورة العراقية الكبرى) ــ بغداد ١٩٧٤ ــ ص ٦ ــ ٧ •

(٢) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ــ صيدا ١٩٧٢ ــ ص ٨٧ •

الارض العراقية • فأستنزفت جهود الفلاحين المدقعين ، وهم أكثرية الشعب الكادح ، وأثقلت كواهلهم بأنواع الضرائب والرسوم • ثم استولت على موارد البلاد الزراعية ، وتولت نهبها نهباً حثيثاً جائراً الى الحد الذي بلغت فيه الضرائب ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل الاحتلال ••• واحتكرت الادارة الانكليزية في الوقت نفسه أقوات الشعب العراقي فكانت تشتري هذه الاقوات في زمن الموسم بأثمان بخسة ، ثم تعود تبيعها بعد الموسم بأثمان عالية ، الأمر الذي ادى الى حدوث مجاعة عامة • اما احتياجات الجيش الانكليزى المرابط في أرض العراق فكانت سلطات الاحتلال تؤمّنها عن طريق المصادرة والسلب في كثير من الاحيان ، أو فرض الاسعار المخفضة ، باستصدار الاعلانات والتشريعات ، وما أهون اصدارها • يضاف الى ذلك أعمال السخرة التي تفرض على جموع الشعب الكادح من أفراد العشائر وسكان المدن البؤساء • وتقوم أعمال السخرة على تنظيف الجداول وحفر الانهار وتعبيد الطرق ومد خطوط السكك الحديد • ومن القيود التي فرضتها الادارة الانكليزية على البلاد الاستيلاء المباشر على وسائط النقل بلا تعويض ، واشغال العقارات ببدل ايجار ضئيل ، أو بلا بدل في بعض الاحيان ، ثم تقييد حريات الناس كمنع السفر وعقد الاجتماعات وأصدار الصحف ونحو ذلك من الحريات العامة • وأخيراً التعديات المتواصلة التي يقوم بها الجنود الانكليز على السكان الآمنين ، وسوء تصرف الحكام السياسيين الذين نصبتهم الادارة البريطانية والسياسة الخرقاء التي تسير عليها هذه الادارة في اشاعة الفرقة بين العشائر من جهة ، واثارة الاحقاد والضغائن بين الطوائف الدينية من الجهة الاخرى ••• واذا أضفنا الى كل هذا سياسة الارهاب والبطش التي سارت عليها الادارة البريطانية ، واستعمال القوة الغاشمة في كل صغيرة وكبيرة ، وامتهان الحكام السياسيين لكرامات الناس ، لم يساورنا

العجب اذا ما رأينا لهيب الثورة يندلع في شتى أنحاء العراق ... » [٣].

ويقول الياسري :

« ... وفي أثناء هذه الحرب دخل الانكليز العراق ، وأعلنوا انهم جاؤوا محررين لا فاتحين ، جاؤوا ليطردوا الاتراك من هذه البلاد ، ويحرروها من سيطرتهم ، ويمنحوها الاستقلال ، ولما ثبتت أقدامهم وتوطدت أركانهم ، وحكموا البلاد حكما تاماً ، قلبوا للعراقيين ظهر المجن ، وعاملوا أحرارهم وزعماءهم بكل قسوة وشدة وفظاظة ، وأخذوا يسلطون عليهم موظفيهم العسكريين المتهورين الجهلة الذين لا يعرفون العراقيين الا أنهم أعداء للانكليز يجب اخضاعهم واذلالهم والازدراء بهم والتنكيل بزعمائهم وقادتهم . فأمعن هؤلاء الحكام المستهترون بالاستهانة بحقوق المواطنين والتلاعب بمقدراتهم وفرض الضرائب الثقيلة عليهم ، وأصبحوا لا يتورعون من أعمال العنف والبطش، متوخين بذلك أذلال الشعب العراقي واحتقاره وان يستسلم للحكم البريطاني العسوف ، ولكن هذا الشعب لم يطق الاستمرار على هذا الذل، فقد خُلق حراً ، وعاش على حب الحرية ، فضاقت نفسه الابية ذرعاً بهذه الوحشية الانكليزية وراح أبناؤه يقومون بالاتصالات ويعقدون الاجتماعات ، بتوجيه من العلماء والمراجع الدينية ، ولا يخفى ماهم عليه من نفوذ كلمتهم في الاوساط العشائرية واحترامها لفتاواهم ، فأخذ كل واحد منهم حسب امكانياته واختصاصاته يقوم بما يحتمه عليه الواجب الديني والوطني والقومي ، لبث الدعوة للقيام بالثورة وطرد الانكليز الغاصبين من البلاد ، فألهبوا النفوس حماساً وملأوا القلوب على الانكليز حقداً وغيظاً وانتقاماً ، ولم يمض على هذه الحال بضعة أشهر الا والتهبت

---

(٣) كاظم المظفر (ثورة العراق التحررية) ـ النجف ١٩٧٢ ـ ج١ ص ١ ـ ٣ .

أول شرارة للثورة في بطاح الرميثة ... » (٤) .

اسلوب خطابي :

قد يصح القول إن هذا الكلام المذكور آنفاً هو أقرب الى أسلوب الشعر والخطابة منه الى الموضوعية والمنهج العلمي .. اني لا انكر أنه أسلوب حسن اذا كان المقصود منه اثارة الحماس الوطني في أفئدة الناشئة الجديدة ، انما هو لا يصلح ان يكون اسلوباً للبحث العلمي الذي ينبغي أن يكون من نمط آخر .

يستطيع أي كاتب او شاعر اذا امتلك ناصية البيان أن يأتي بالمناقب والمثالب كما يشاء . وهذا ما كان يفعله الكتاب والشعراء عندما يحبون شيئاً أو يبغضونه ، اذ تراهم يقلبون المثلبة الى المنقبة ، أو المنقبة الى مثلبة ، حسبما توحي به عواطفهم الجياشة . ولهذا كان من السهل عليهم تفسير أحداث التاريخ حسب رغبتهم ، اذ هم يختلقون الاسباب او يبالغون فيها بأسلوبهم « الرنان » ويحسبون أنهم جاؤوا بالقول الفصل الذي لا يجوز أن يختلف فيه اثنان .

اني أعجب حقاً حين أقرأ ما كتبه الكتاب عن مظالم الاحتلال الانكليزي ومثالبه ، كالحجر على الافكار وتقييد الحريات العامة والمصادرة والنهب واستنزاف جهود الفلاحين والسخرة واذلال العراقيين واضطهادهم. والواقع اني أدركت في طفولتي عهد الاحتلال ، وكنت أسمع الناس يتحدثون عنه ويقارنون بينه وبين العهد التركي . ولست أدري كيف أوفق بين هذا الذي كنت اسمعه من الناس وما كتبه هؤلاء الكتاب .

لست أريد ان ادافع عن عهد الاحتلال ، فهو لم يكن خالياً من المظالم والمثالب ـ كما سنأتي اليه ـ ولكن الذي أعرفه معرفة وثيقة ان الاتراك هم

---

(٤) عبدالشهيد الياسري (البطولة في ثورة العشرين) ـ النجف ١٩٦٦ ـ ص ١١ ـ ١٢ .

الذين لجأوا الى المصادرة والنهب ، أما الانكليز فكانوا على العكس من ذلك يشترون الحبوب وغيرها من المواد المحلية بأسعارها السائدة في السوق ويدفعون أثمانها نقداً ، وقد أدى ذلك الى ظهور تضخم نقدي هائل لم يشهد العراق مثله من قبل ـ كما سنأتي اليه •

أما من حيث الحجر على الافكار وتقييد الحريات العامة فلو قارنا في ذلك بين ما فعله الانكليز وما فعله الاتراك ـ ولا سيما في العهد الحميدي ـ لرأينا فرقاً كبيراً • وهذا أمر معروف لا حاجة بنا الى ذكره أو التوسع فيه •

ان عداءنا للانكليز يجب ان لا يكون سبباً لتشويه الحقائق • فلقد ذهب الانكليز ولكن الحقائق تبقي ، وأصبح من الواجب علينا ان نسجل الحقائق كما هي لكي نستمد منها العبرة • أما اذا بقينا نصطنع الحقائق لأنفسنا كما نشتهي فان ذلك قد يؤدي الى أفدح الضرر في نهاية المطاف •

تعليل آخر :

في الوقت الذي يحاول فيه بعض كتابنا تعليل الثورة بأسلوبهم الخطابي على النحو الذي ذكرناه ، نرى كتاباً آخرين ، وهم في الغالب من خصوم الثورة من البريطانيين وغيرهم ، يحاولون تعليلها بأنها امتداد للمعارك التي كانت العشائر العراقية تقوم بها ضد الحكومة التركية بين كل حين وآخر • فهم يعتبرون الثورة كالمعارك السابقة نوعاً من التمرد على النظام والقانون والحضارة ، فالعشائر العراقية في رأيهم تعادي كل حكومة مهما كان نوعها ، اذ هي بطبيعة تراثها البدوي تميل الى الغزو والنهب وفرض الاتاوة ، وهي حين تجد الحكومة تحول بينها وبين ما تريد لابد أن تشعر بالعداء لها وتحاول التمرد عليها كلما سنحت لها الفرصة بذلك !

عبّر الكابتن لايل عن رأي هؤلاء الكتاب بصراحة حيث قال :

ان الطبيعة الفوضوية المشاغبة التي اتصف بها أهل العراق معروفة تماماً لدى المطلعين على شؤون الشرق الاوسط من الساسة الاوربيين وان عدم رغبة العراقيين فينا ليس بالأمر الجديد فهم لا يحبون أي شكل من أشكال الحكومة يمنعهم من مواصلة غرائزهم الموروثة في التمرد على القانـون واقتراف الجرائم العنيفة (٥) •

في رأيي ان هؤلاء الكتاب الحانقين قد جانبوا الصواب كما جانبه اولئك الكتاب الخطابيون • كل منهما يحاول ان يخرج الثورة من اطارها الطبيعي ليدخلها في اطار من صنعه • وقد ضاعت الحقيقة بـــين هذين الفريقين كما ضاعت لحية الزوج المسكين بين زوجتيه « حانة » و « مانة » ــ كما تقول به القصة الشعبية الشائعة •

لا شك عندي ان التراث البدوي كان عاملا مهماً من عوامل ثورة العشرين على نحو ما كان في المعارك العشائرية السابقة ، وقد يصح أن أقول أن الكثير من العشائر حاربت في أثناء ثورة العشرين بنفس الروح التي كانت تحارب بها الحكومة في العهد التركي • ولكننا مع ذلك يجب أن لا ننسى ان ثورة العشرين تميزت بخصائص جعلتها تختلف اختلافـاً كبيراً عن المعارك السابقة • وأقصد بذلك أن العامل البدوي لم يكن العامل الوحيد في ثورة العشرين ، على نحو ما يقول به خصوم الثورة ، بل ان هناك عوامل اخرى كان لها أثرها الفعال في تلك الثورة • وفيما يلي أذكر أهم الخصائص التي تميزت بها ثورة العشرين :ــ

اولا : لم يشهد العراق في العهد التركي أية معركة اشترك فيهـــا أهل المدن مع العشائر • فقد كان هناك نوع من النفور أو الاحتقار المتبادل بين العشائر وأهل المدن ، ولكن هذا النفور اختفى في أثناء ثورة العشرين ،

---

(5) Lyell (Ins and Outs of Mesopotamia) - London 1928 - p. 193 - 194.

ولاسيما في الفرات الاوسط ، وقد تعاون الفريقان في الثورة تعاوناً يلفت النظر ـ كما هـو معروف •

ثانيا : لم يكن للمعارك السابقة أية صبغة دينية الا نادرا ، ولم يحدث أن أفتى علماء الدين بتأييد تلك المعارك على وجه من الوجوه • أما في ثورة العشرين فقد أفتى العلماء بتأييدها واعتبروها جهاداً في سبيل الله ، وأنفقوا عليها كثيراً من الحقوق الشرعية التي كانت تردهم • وقد ساهم بعض العلماء في الثورة فعلاً حيث رأيناهم بـين المحاربين في جبهة القتال يحثونهم على الجهاد •

ثالثا : لم تكن مفاهيم « الوطنية » و « الاستقلال » وأمثالها مألوفة لدى العراقيين في الماضي ، غير أنها أصبحت متداولة بينهم في أثناء ثـورة العشرين يلهجون بها ويهتفون لها • ومن الممكن اعتبار ثورة العشرين المدرسة الشعبية الاولى التي علمت العراقيين تلك المفاهيم ، وكانت البداية للوعي الوطني الذي أخذ ينمو بعد ذلك بمرور الايام •

رابعا : لم يحدث لاية معركة من المعارك السابقة ان امتدت في انحاء العراق بمثل ذلك النطاق الواسع الذي امتدت به ثورة العشرين • يقول عنها أمين الريحاني ما نصه : « ••• انه لأعجب ما حدث في العراق بعد الاحتلال الانكليزي • • هو ذا بلد لاصحافة فيه تذكر، ولا طرق مواصلات حديثة صالحة ، ولا قيادة ، تعمه الثورة فتربط أطرافه بعضها ببعض في أقل من شهر ، ثم تستمر أشهراً وهي تزداد قوة وهولاً • حتى أن العاصمة بغداد كادت تسقط في حوزة الثائرين(٦) ••• » •

يمكن القول على أي حال ان ثورة العشرين هي أول حدث في تاريخ العراق يشترك فيه العراقيون بمختلف فئاتهم وطبقاتهم ، فقد شوهدت فيها العمامة الى جانب الطربوش ، والكشيدة الى جانب اللفة القلعية ، والعقال الى جانب الكلاو ، وكلهم يهتفون : « يحيى الوطن ! » •

---

(٦) أمين الريحاني (ملوك العرب) ـ بيروت ١٩٥١ ـ ج٢ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ •

الفصل الثاني

من اسباب الثورة

يمكن القول ان معظم العراقيين ـ ولا سيما أهـــل المدن منهم ـ استقبلوا الاحتلال الانكليزي عند أول دخوله عليهم بالابتهاج والترحيب ، وذلك لشدة ما عانوه من الحكومة التركية خلال فترة الحرب من مشاق وبلايا وآلام • حدثني أحد المسنين عن تلك الايام فقال : اننا كنـــا في بداية الحرب نجتمع في المساجد ندعو الله انينصر المسلمين على الكفار ، فقد كنا حينذاك تحت تأثير حركة الجهاد التي كانت في إبانها ، ولكننـــا في أواخر الحرب صرنا ندعو الله ان يهلك الاتراك وينصر الانكليز عليهم استناداً على القول المأثور : « الكفر يدوم والظلم لا يدوم » •

قد يواجهنا هنا سؤال : اذا كان معظم العراقيين قد استقبلوا الاحتلال الانكليزي بالابتهاج والترحيب ، فكيف تحولوا الى التذمر منه خـلال فترة قصيرة لا تتجاوز السنتين أو الثلاث حيث قاموا بتلك الثورة الكبرى !؟

لكي نستطيع الجواب على هذا السؤال يجب أن نعلم ان التحول من الابتهاج الى التذمر ليس بالامر النادر في تاريخ الشعوب ، وقد يصح القول انه أمر طبيعي يقع للفرد في حياته اليومية كمثل ما يقع للشعوب • فالانسان قد يشكو أحياناً من وضع هو فيه حتى اذا أتيح له ان ينتقل الى وضع آخر يجد أن الوضع الجديد ليس خالياً من العيوب كما كـــــان يتصوره ، انما هي عيوب من نوع آخر غير النوع الذي كان يعانيـــه في وضعه القديم •

ان هذا هو ما حدث فعلا في العراق في عهد الاحتلال البريطاني • فان الكثيرين من الذين ابتهجوا بالاحتلال في اول أمره أخذوا بمـــرور الايام يدركون ان الحكم الجديد الذي أنقذهم من مظالم الحكم التركي

وأسوائه لا يخلو هو أيضا من مظالم وأسواء خاصة به ، وبذا أخذ التذمر ينتشر بينهم تدريجيا • يقول لونكريك : « ان الاشهر التي تلت الهدنة ساد فيها الارتياح والثقة • وسرعان ما أعقبها تجمع عوامل التذمر والاضطراب، وكان ذلك بشكل خفي في البداية ثم أخذ يظهر علانية » (١) •

مما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الظلم هو كغيره من الظواهـــر الاجتماعية ليس أمراً مطلقاً بل هو نسبي له ارتباط وثيقٌ بالظــــروف الاجتماعية والنفسية التي يعيش فيها الناس • فرب عمل يُعتبر في زمن ما عادلا بينما هو في زمن آخر قد يُعتبر ظالماً ، ورب حاكم يعده مجتمعه من أعدل الحكام ، فاذا انتقل الى مجتمع آخر وقام بنفس الاعمال التي اعتاد أن يقوم بها في مجتمعه الاول نفر الناس منه وكرهوه ، وربما ثاروا عليه •

سنحاول في هذا الفصل ، وبعض الفصول التالية ، دراسة العوامل التي ساعدت على نشوء التذمر من الاحتلال الانكليزي ، وعلى نموه وانتشاره تدريجيا ، حتى أدى أخيرا الى نشوب الثورة المسلحة • ولست أدعي ان هذه الدراسة قد أصابت كبد الحقيقة ، بل هي محاولة مني قد تخطىء وتصيب • وكل ما أرجوه هو ان تكون هذه الدراسة حافزاً لدراســـات أخرى يقوم بها باحثونا بأسلوب غير الاسلوب الذى عهدناه •

الفرق بين نظامين :

من أهم عوامل التذمر في رأيي هو ان العراقيين شهدوا في عهـــد الاحتلال نظاماً للحكم لم يكونوا قد تعودوا عليه من قبل فضجروا منه وصار ضجرهم يزداد بمرور الايام •

الواقع اننا لو قارنا بين نظام الحكم التركي ونظام حكم الاحتلال لوجدنا فرقاً كبيراً • فلو استثنينا فترة الحرب ـ وهي فترة قصيرة نسبياً ـ

---

(1) Longrigg (IRAQ, 1900 to 1950) - London 1956 - P. 99.

لوجدنا الحكومة التركية طيلة المدة التي حكمت فيها العراق تسير علـى أسلوب في الحكم يمكن أن نسميه بـ « الحكم السائب » ، اذ هي اعتادت أن تترك الناس يفعلون ما يشاؤون ولا تتدخل في شؤونهم الا فيما يخص جباية الضرائب ، وكان لسان حالها يقول : « ادفعوا لي الضريبة وافعلوا ما شئتم فلا شان لي بكم » • ولهذا خربت البلاد واندثرت ترع الري وتكررت الاوبئة وشاعت الغزوات والمعارك القبلية كما شاع قطع الطرق وفرض الاتاوات ، مما أدى الى انتشار قيم البداوة بين الناس وذبـول الحضارة لديهم •

اعتاد العراقيون على هذه الحياة وألفوها حتى أصبحت في نظرهم كأنها هي الحياة الطبيعية التي لايمكن أن يكون هناك شيء آخر غيرها • فكانوا يحلون مشاكلهم بأنفسهم دون اللجوء الى الحكومة ، فاذا قُتـل منهم أحد عمدوا الى الاخذ بثأره على الطريقة البدوية ، واذا تنازع منهم اثنان ذهبا الى مختار المحلة او عالمها الديني لكي يفصل بينهما • وقد وصل الحال بالناس الى درجة أنهم كانوا يستنكفون من الشكوى الى الحكومة عند وقوع اعتداء عليهم ، فالشكوى الى الحكومة تُعتبر في نظرهم دليلا على الضعف ، باعتبار ان القوي الشجاع هو الذي يأخذ ثأره بنفسـه ولا يعتمد على غيره فيه • أعرف شخصاً مات عن عمر طويل ناهـز التسعين ، وكان قبل موته يفتخر بأنه لم يدخل السـراي ـ أي دار الحكومة ـ طيلة عمره •

أضف الى ذلك ان الموظفين في العهد التركي كانوا متساهلين في تطبيق الانظمة والقوانين تحت تأثير الرشوة والوساطة ، وكان النـاس يحمدون للموظف قبوله للوساطة ويعدون ذلك من مناقبه ، وكثيراً مـا كانوا يمدحون موظفاً لأنه أنقذ مجرما من العقاب على أثر رجاء مـن وسيط • فتلك شهامة تقدر في نظرهم •

فلما جاء عهد الاحتلال شهد الناس فيه نظاما للحكم غير مستساغ • انهم وجدوا فيه صرامة شديدة في تطبيق القوانين والانظمة ، وقل تأثير الرشوة والوساطة وحلت محلهما الخشونة وقلة المبالاة بمشاعر الناس ومكانتهم الاجتماعية • يحدثنا عبدالعزيز القصاب في مذكراته عما شاهده في عهد الاحتلال حيث قال : انهم يهينون المراجعين بصورة لم يسبق لها مثيل في العهد التركي ، فكانوا يضربون كل شخص يخالف نظام السير في الشوارع ، وفي الجسر بوجه خاص ، بصورة قاسية جداً • ويذكر القصاب أسماء نفر من أعيان بغداد نالهم ضرب الجنود الانكليز كعبدالرحمن أفندي الجميل وياسين باشا الخضيري وأمين القصاب ، كما يذكر القصاب قصة شاهدها بنفسه على الجسر وهي ان قافلة من الزوار الايرانيين كانوا يعبرون الجسر على أقدامهم وهم يقودون خيولهم اطاعة للاوامر التي صدرت بمنع الركوب ، ولكن واحداً منهم ظل راكباً لأنه كان مقطوع الساقين ، وعندما رآه الجندي الانكليزي أخذ يضربه بعصاه الغليظة بشدة فصاح رفاقه : « ناخوشا » ، أي مريض ، غير أنه لم يكف عن الضرب حتى ألقاه عن ظهر البغلة ، واضطر رفاقه ان يحملوه على اكتافهم وعبروا به الجسر ، وصار المارة يبدون أسفهم من فعل هذا الجندى الشرس(٢) •

وكذلك يحدثنا محمد طاهر العمري عما شاهده في عهد الاحتلال فيقول : ان عهد الاحتلال أحدث انقلاباً عجيباً في الطبقات الاجتماعية حيث أصبح المحترم ذليلا والذليل محترماً ، ذلك ان الانكليز قربوا بعض الاشخاص من العوام فقلدوهم المناصب الحكومية ، وصارت الدوائر غاصة بالهنود والارمن وبعض الأذلاء من الناس • ولما كان العراقيون قد تعودوا منذ زمن بعيد على احترام الاشراف وذوي النسب الرفيع فقد ساءهم

---

(٢) عبدالعزيز القصاب (من ذكرياتي) _ بيروت ١٩٦٢ _ ١٩٨ _ ١٩٩ •

جلوس الأذلاء على الكراسي وتقلدهم المناصب • فأذا أردت ان تراجع الحاكم لحاجة لك يجب أن تنتظر مدة غير قليلة ، وقد لا تسلم آنذاك من اهانة القواسين والشرطة • واذا سُمح لك بالدخول الى غرفة أحد الموظفين الهنود وجدته ينقر بأصابعه على آلة كاتبة لم تشهد مثلها من قبل ، فتقف أمامه دون أن يرفع رأسه ، وهو حين يرفع رأسه لا يفهم كلامك ، فتحتاج الى مترجم ، وقد تحاول افهامه بالاشارات ، فيصرفك بقوله : «گون» • أضف الى ذلك ان حكومة الاحتلال استخدمت زمرة من صعاليك العرب والعجم في أمور الشرطة وألبستهم السراويل القصيرة التي لم يألفها العراقيون ، وأقامتهم في الشوارع والازقة ، كما فرضت على المارة أن يسيروا في الجهة اليسرى من الشارع ، فاذا سار أحد المارة في الجهة اليمنى سهواً فوجىء بلكمة ينزلها عليه شرطي أو بضربة سوط يلفحه بها أحد جنود الانضباط العسكري • وقد يُضرب بالسياط كذلك بعض المراجعين للدوائر من جراء عدم قيامهم عند مرور الحاكم بهم ، أو عدم ادائهم التحية له كما ينبغي • وكثيراً ما يسمع المراجعون شتائم لم يعرفوها من قبل مثل « بلاد فكن » و « بلاد فول » (٣) •

ومن الطرائف التي رواها لي أحد المسنين عن عهد الاحتلال ان الناس اعتقدوا بأن الغرض من القبعة التي يلبسها جنود الاحتلال هو لكي تحجب عنهم السماء ، أما السراويل القصيرة فهي لاشاعة الفحش بين الناس •

نتائج التضخم النقدي :

حدث في عهد الاحتلال ـ وخاصة في بدايته ـ تضخم نقدي عجيب لم يشهد العراق له مثيلا من قبل • وقد نشأ هذا التضخم من جراء ما بذله

---

(٣) محمد طاهر العمري (مقدرات العراق السياسية) ـ بغداد ١٩٢٥ ـ ج ٣ ص ٣ـ٧ •

الانكليز من أموال في شراء ما تحتاجه اليه جيوشهم من أطعمة وفي بناء الثكنات والقناطر وتعبيد الطرق ومد السكك الحديدية وغير ذلك •

يقول الشيخ رضا الشبيبي : « كان الانكليز كلما تقدموا شبراً في العراق وتغلغلوا فيه تزداد كمية النقود لأن جنودهم وعمالهم ينفقون عن سعة ••• هذا فضلا عن ان الانكليز ومستخدميهم السياسيين كانوا ينثرون الاصفر الرنان على قبائل العرب لاغراض معلومة »[٤] • •

انتفع من هذا التضخم كثير من الناس حيث جنوا اجوراً وارباحاً لم يكونوا يحلمون بها من قبل ، فقد كان يكفي أحدهم أن يحمل مقداراً من السلع البسيطة او المواد الغذائية على وعاء في يده ويدور به في أماكن تجمع العمال او الجنود ليحصل من ذلك على الربح الوفير ، وقد نال شيوخ العشائر واصحاب البساتين والتجار والمتعهدون والمضاربون من ذلك حصة الاسد ، وظهر بينهم عدد كبير من أغنياء الحرب الذين صاروا يلعبون بالمال لعباً ويبذرونه في شهواتهم تبذيراً يلفت النظر • وكثرت المراقص والحانات ودور القمار والمباغي لتبتلع القسط الاكبر من هذا المال•

ولكن هذه المنافع التي جناها قسم من الناس تقابلها مضار أصابت القسم الآخر منهم • فقد ارتفعت أسعار الحبوب ارتفاعاً فاحشاً كاد يؤدي الى مجاعة في بغداد • فقد كان سعر طغار الحنطة في الحلة في العهد التركي يتراوح بين ٨ و ١٠ ليرات ، فارتفع في عهد الاحتلال الى مائة ليرة[٥] • وفي بغداد ارتفع سعر الطغار الى ١٢٠ ليرة[٦] • وحدثني أحد شيوخ المشخاب : ان طغار الشلب كان سعره في العهد التركي يتراوح بين الليرة الواحدة والخمس ليرات ، فصار في عهد الاحتلال يتراوح بين ٣٥ و ٥٠ ليرة •

---

(٤) مجلة « البلاغ » الكاظمية ـ العدد التاسع ـ السنة الخامسة •
(5) Atiyyah (IRAQ) - Beirut 1973 - P. 220.
(٦) مجلة « البلاغ » الكاظمية ـ العدد التاسع ـ السنة الخامسة •

حاول الانكليز مساعدة الفقراء في بغداد ، ففتحوا ثلاثة مخازن لتوزيع الطحين على الناس بالبطاقات : أحدها في الرصافة ، والثاني في الكرخ ، والثالث في الكاظمية • وكانت تلك أول مرة يشهد الناس فيها نظاما للتموين بالبطاقات • وصار الفقراء يتهافتون على مخازن التوزيع في زحام شديد وتكالب ، وشوهد بعض الاغنياء يتزاحمون معهم • وكانت الشرطة تدفع المتزاحمين لتنظيمهم وتضربهم بالعصا وهم يتصارخون •

كتبت المس بيل فى رسالة لها عقب اعلان الهدنة في شهر تشرين الثاني ١٩١٨ تقول : لست أدري ماذا يفكر أصدقائي المسلمون بعد انتصارنا على الاتراك • أعتقد أنهم يشعرون في أعماق قلوبهم بالارتياح لمراهنتهم على الحصان الرابح ، أما علماء الدين فلابد أنهم يشعرون بالمرارة لما أصاب سيف الاسلام من انكسار ، ولكن الجميع يشاركون في الامل بأننا سوف نعطيهم الرفاه في المستقبل •

ثم تروي المس بيل في هذه المناسبة ماذكره لها البستاني البغدادي الذي يعمل في حديقتها حيث قال لها : « صاحب ، في أيام الترك كان هناك رخص في الاسعار ، ولكننا لم يكن لدينا نقود • أما الآن فقد أصبحت الاسعار غالية ، ولكن انظري الى الاجور التي نحصل عليها » • وتعلق المس بيل على كلام هذا الرجل قائلة : « وهكذا أدركوا ان مستوى الاجور قد زاد كثيرا على مستوى تكاليف المعيشة »(٧) •

تظن المس بيل ان ما قاله البستاني لها على سبيل التزلف يمثل رأي الناس جميعا ، وهذا خطأ منها يدل على جهلها بطبيعة البشر ، وبطبيعة العراقيين بوجه خاص • فمن طبيعة الناس انهم اذا نالوا الخير والشر في عهد من العهود تناسوا الخير وركزوا اهتمامهم على الشر وصاروا يجأرون بالشكوى منه • وهذا هو ما حدث فعلا في عهد الاحتلال ، فان اكثر الناس

---

(7) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, P. 100.

نسوا ضخامة الاجور او الارباح التي صاروا يجنونها وأخذوا يصبون جام غضبهم على الغلاء وعلى من جاء بالغلاء !

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان محصول الضرائب في عهد الاحتلال زاد ثلاثة أضعاف عما كان عليه في العهد التركي كما أشارت اليه جريدة « المانجستر غارديان » البريطانية(٨) • ولا شك ان هذه الزيادة تثير التذمر لدى دافعي الضرائب ، ولا سيما شيوخ العشائر • فهم ينسون الارباح المفرطة التي جنوها بسبب ارتفاع أسعار الحبوب ، بينما هم يتذمرون من زيادة الضرائب عليهم • انهم يعتبرون الارباح رزقا ساقه الله اليهم ، أما الضرائب فهي تؤخذ منهم ظلما واعتسافا •

وهناك ناحية أخرى من التضخم أدت الى زيادة التذمر بين الناس ، هي أن التضخم أغرى التجار أن يزيدوا من استيراد البضائع الاجنبية زيادة مفرطة ظناً منهم ان حالة الازدهار ستدوم لهم • ولما حل عام ١٩٢٠ تبين لهم ان ما استوردوه كان اكثر مما ينبغي، حيث كان السوق متشبعا بالبضائع، كما أن الحكومة أخذت تقلص من نفقاتها على أثر تقليص جيوشها في العراق، فأدى ذلك الى افلاس الكثير من التجار(٩) •

السياسة العشائرية :

ان العداء بين الحكومة والعشائر كان في العهد التركي شديدا وكثيرا ما كانت المعارك الدامية تنشب بينهما ، فيكون النصر للحكومة تارة وللعشائر تارة أخرى • ولهذا سارت الحكومة التركية على سياسة تشجيع النزاع والتنافس بين العشائر لكي لا يتفقوا ضدها ، على طريقة « فرق تسد » • وكان من نتائج هذه السياسة أن كثرت المنازعات والمعارك بين العشائر ،

---

(٨) هنري فوستر (تكوين العراق) ـ ترجمة عبد المسيح جويدة ـ بغداد ١٩٤٦ ـ ص ١٦٣

(9) Atiyyeh (op. cit.) - P. 222.

واضطرب الأمن ، وشاع قطع الطرق وفرض الاتاوة . ولما قامت الحرب الاولى وتراخت سيطرة الحكومة عن بعض المناطق أصبح المسافرون والتجار مضطرين ان يدفعوا الاتاوة لدى كل مسافة قصيرة يقطعونها والا تعرضوا للنهب أو القتل . ففي منطقة صغيرة على الفرات بالقرب من أم البعرور لايتجاوز طولها العشرين ميلا كانت هناك سبعة مواضع لجباية الاتاوة من السفن[١٠] ، اذ كان كل موضع مخصصا لعشيرة معينة ، وكانت كل عشيرة تفرض الاتاوة لقاء السماح للسفينة بالمرور .

عندما احتل الانكليز العراق ساروا على سياسة أخرى تجاه العشائر ، هي سياسة توحيد العشائر بدلا من تشتيتها . وقد اتبعوا في ذلك الطريقة التي اتبعها السر روبرت ساندمان في بلوجستان عام ١٨٧٥ . ومؤدى هذه الطريقة اختيار شيخ واحد في كل منطقة من مناطق العراق ، أو كل عشيرة كبيرة فيه ، وتدعيم هذا الشيخ بالمال وبالنفوذ ، وبالسلاح عند الحاجة ، لكي يكون مسؤولا عن الأمن والنظام في منطقته . وبذا تنشأ منفعة متبادلة بين الانكليز وهذا الشيخ المختار ، فهم من جانبهم يحصرون السلطة في يده ، ويفضلونه على منافسيه في المعاملة ويخففون عنه عبء الضرائب ، وهو من جانبه يقوم بتنفيذ ما يأمرونه به ويحمي مصالحهم[١١] .

ان هذه السياسة العشائرية أفادت الانكليز من ناحية وأضرت بهم من ناحية أخرى . فهي وطدت سيطرتهم على الريف العراقي ، وزادت من الانتاج الزراعي ، انما هي من الناحية الاخرى جعلتهم مكروهين من قبل عدد كبير من شيوخ العشائر . فهم قد أرضوا بهذه السياسة شيخا واحدا في كل منطقة ، بينما هم أغضبوا الكثيرين فيها . فليس من الهين على شيوخ

---

(10) Lyell (Ins and Outs of Mesopotamia) - London 1923 - P. 221 - 222.

(١١) زكي صالح (مقدمة في دراسة العراق المعاصر) ـ بغداد ١٩٥٣ ـ ص ١٥ .

المنطقة أن يروا واحدا منهم قد أصبح السيد المطلق فيها يأمر وينهى من غير رادع • ولا بد لهم من أن يتساءلوا ممتضين : لماذا فُضّل هذا الرجـــل عليهم ، وبأي شيء هو أحسن منهم ؟!

ومما زاد في الأمر سوءاً ان الانكليز في اختيارهم بعض الشيوخ لـم يراعوا القواعد المتعارف عليها في وراثة المشيخة • فالرئاسة العامة في العشيرة الكبيرة تنحصر حسب العرف العشائري في سـلالة الرئيس الاكبر ، ولا تذهب الى أخوته أو أبنائهم الا نادرا ، ولكن الانكليز اختاروا للرئاسة العامة من أبدى لهم امارات الصداقة والولاء ، أو كانت له سابقة اتصال بهم في العهد التركي ، بغض النظر عن مقامه الحقيقي في عشيرته •

ولقد اتضح للانكليز ضرر سياستهم هذه عند اندلاع ثورة العشرين• يقول آيرلاند : ان الكثيرين من الشيوخ الذين شاركوا في الثورة كانـت خصومتهم موجهة نحو الشيوخ المقربين الى الانكليز أكثر مما كانت موجهة نحو الانكليز أنفسهم ، فهم قد وجدوا في الثورة أملا يرفع عنهم كابوس أولئك الشيوخ وكابوس الحكومة التي تؤيدهم(١٢) •

العدالة المكروهة :

كان بعض الحكام البريطانيين يفتخرون بأنهم يتوخون العدالة والمساواة في أحكامهم فلا يفرقون بين الصغير والكبير أو بين الرئيس والمرؤوس • يقول الكابتن مان الذى كان معاون حاكم سياسي في أم البعرور في رسالة الى صديقة له مؤرخة في ١٨ حزيران ١٩٢٠ : ان الادارة البريطانية أضعفت تعسف الشيوخ الى حد كبير جدا ، فأن أفقر فرد في العشيرة يستطيع الآن ان يقدم عريضة ضد شيخه لقاء فلوس قليلة وهو واثق ان شكواه سيُنظر

---

(١٢) آيرلاند (العراق) ــ ترجمة جعفر خياط ــ بيروت ١٩٤٩ ــ ص ١٩١ •

فيها ، ان الفلاحين لاينظرون الآن الى شيوخهم كما كانوا ينظرون اليهم في الماضي(١٣) .

كان الانكليز يظنون ان هذه السياسة تؤدي الى زيادة حب الناس لهم ، وما دروا أنها قد تؤدي أحيانا الى عكس ما يظنون . وقد أدرك الاتراك ذلك منذ زمن قديم فكانوا يتحيزون في أحكامهم نحو رئيس العشيرة لانهم يعلمون أن رضا رئيس العشيرة عنهم أنفع لهم من رضا أفرادها الصغار . فاذا غضب الرئيس عليهم غضبت العشيرة كلها معه . أما الفرد الصغير فلا يؤثر غضبه الا ضمن نطاق محدود .

يقول محمد طاهر العمري في هذا الشأن : ان الحكام البريطانيين كانوا يعتقدون ان الملاكين يظلمون الفلاحين وأهل القرى الذين يعملون في أراضيهم ، فكانوا يسمعون شكوى الفلاحين دون ان يهتموا بأقوال الملاكين، مع العلم ان الفلاحين كثيرا ما كانوا يظلمون الملاكين ويغصبون حقوقهم . ولهذا صارت طبقة الملاكين في مقدمة المستائين من الحكم الانكليزي ، بينما لانجد أحدا من الفلاحين أو من الطبقتين السفلى والوسطى راضيا عن هذه الاحوال(١٤) .

رعونة بعض الحكام :

ان الحكام السياسيين ومعاونيهم الذين تولوا مناصب الحكم في ألوية العراق وأقضيته كانوا من الضباط الشبان ، فكان معظمهم برتبة « ميجر » او « كابتن » أي رائد او نقيب . ولم يكن سوى القليل منهم من اجتاز الاربعين من عمره ، وكان الكثيرون منهم يقل سنهم عن الثلاثين(١٥) .

(13) Mann (Administrator In The Making) - London 1921 - P. 286 - 287.

(١٤) محمد طاهر العمري (المصدر السابق) ـ ج ٣ ص ٦ـ٧ .
(١٥) آيرلاند (المصدر السابق) ـ ص ١٩٤ .

لاننكر ان بعض هؤلاء الشبان كانوا مؤدبين مجاملين ، ولكن البعض الآخر منهم كانوا على درجة غير قليلة من الرعونة او الفظاظة . ويجب أن لاننسى أن بعضهم كانوا قبل مجيئهم الى العراق يعملون في الهند وقد اعتادوا هناك على اسلوب في معاملة الرعية يلائم طبيعة المجتمع الهندي انماهو لا يلائم طبيعة المجتمع العراقي . ومن يقرأ ما كتبه أحدهم وهو الكابتن لايل يجد واضحا أنه وأمثاله كانوا يؤمنون بما يسمونه « رسالة الرجل الابيض » في تمدين الشعوب ، فالعراقيون في نظرهم متوحشون وهم في حاجة الى أن يحكمهم البريطانيون مائة سنة على الاقل لكي يتعلموا كيف يحكمون انفسهم(١٦) .

تروى عن هؤلاء الحكام قصتان متشابهتان لهما دلالة في هذا الشأن ، احداهما حدثت في بعقوبة والثانية في عفك . وخلاصة القصة الاولى كما رواها طالب مشتاق في مذكراته : أن أحد شيوخ العشائر كان جالسا ذات يوم عند الحاكم السياسي في بعقوبة ، وبينما كانا يتجاذبان أطراف الحديث دخل كلب الحاكم الى الغرفة واقترب من الشيخ وأخذ يتشمم طرف عباءته ، فوثب الشيخ مذعورا وصاح : « عوذة ، عوذة ! » فاستغرب الحاكم من ذلك وسأل الشيخ : « ماذا جرى ؟ لماذا جفلت ؟ انه كلب مؤدب لايؤذي أحدا بحضوري » . فأجابه الشيخ : « أنا لست بخائف منه ، ولكنه نجس ياحضرة الصاحب ... » . فازداد استغراب الحاكم وصاح في وجه الشيخ : « لا ، لا ، هذا ليس نجس ، أنه أنظف منك ... »(١٧) .

أما القصة الثانية فقد رواها لي عبود الهيمص ، وخلاصتها ان صكبان أبو جاسم رئيس عشيرة البدير كان جالسا في أحد الايام عند الكابتن ويب

---

(16) Lyell (op. cit.).

(١٧) طالب مشتاق (أوراق أيامي) – بيروت ١٩٦٨ – ج١ ص ٩١ .

حاكم عفك ، فدخل الى الغرفة كلب ويب واقترب من صگبان وصار يتشمم طرف عباءته ، فانتهره صگبان وأبعده بخشونة ولما سأله ويب عن سبب هذه الخشونة أجابه : « انه نجس » ، فرد ويب عليه قائلا « انه أنظف منك لاني أغسله بالصابون في كل يوم مرتين » • فغضب صگبان من هذا القول غضبا شديدا ونهض يريد الخروج وهم يشتم ويب قائلا : « ألعن أبوك وأبو الانكريز كلهم ! تريد تمپجر بجبي ! » • ولم يتحمل ويب هذه الاهانة منه وأمر بتوقيفه • ولكن القصة أصبحت من بعد ذلك متداولة على افواه الناس ، واتخذها خصوم صگبان نبزاً له ، وقال شاعرهم في ذمه بيتاً اشتهر بين العشائر هو : « خل چلبه ويب تلگ شيبه » •

يبدو ان بعض الحكام البريطانيين لم يكونوا يدركون مغبة بعض العبارات التي يخاطبون بها شيوخ العشائر ، أو لعلهم كانوا لطيشهم لايهتمون بذلك • فالكلب لديهم حيوان عزيز مدلل ، وهم لايدرون ان من ابشع الشتائم التى تُوجه الى الفرد العراقي أن يقال له « كلب » أو « ابن كلب »•

ان الفرد العراقي بوجه عام ، والفرد العشائري بوجه خاص ، يعتز بكرامته الشخصية اعتزازا مفرطا ، وهو لايتردد ان يجازف بحياته ويتعرض للموت ثأرا لكرامته • وتلك احدى القيم التي ورثها الفرد العراقي من البداوة • وقد كان الحكام الاتراك يعرفون ذلك فيه ويدارونه ، خصوصا في معاملة شيوخ العشائر • فهم كانوا يعلمون ان الشيخ قد يعلن العصيان عليهم لمجرد اهانة تُوجه اليه • ان الاهانة في المجتمع العشائرى تصم بالعار الرجل وأولاده من بعده كما تصم عشيرته أيضا •

الميجر ديلي :

في رأي الجنرال هالدين ان المعاملة الفظة التى كان الحكام البريطانيون يعاملون بها العشائر ، وقلة الخبرة في الحكم لديهم ، كانت من أهم أسباب

ثورة العشرين[١٨] • ولكن المس بيل لاتوافق هالدين على رأيه هــذا ، وهي تقول ان هذا الرأي لايصدق الا على اثنين من الحــكام فقط[١٩] ، أحدهما الميجر ديلي الذي كان يحكم الديوانية ، والثاني الكولونيل ليجمن الذي كان يحكم الموصل ثم تحول الى الرمادي •

تعترف المس بيل ان الميجر ديلي قد ساعد بمعاملته الفظة على اشعال نار الثورة[٢٠] • وقد أيد ويلسون هذا الرأي في ديلي من بعض الوجوه ، فقد كتب في رسالة له مؤرخة في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ يقول مانصه : « ان ديلي يسبب لي بعض القلق ، فهو قدير للغاية ولكنه صلب وصلابته أكثر ممـا يتحملها العرب الذين هم في حاجة الى معاملة أقل عدالة واكثر وداً »[٢١]•

الواقع ان القصص التي تروى عن فظاظة ديلي كثيرة ، وهي لاتخلو من مبالغة طبعا ، غير أنها لاتخلو من حق أيضا • يروي فريق المزهر الفرعون : ان ديلي أصدر أوامره بأن كل خيال يأتي الى الديوانية يجب أن يترجل عن ظهر حصانه قبل وصوله الى البلدة بخمسمائة متر ، وان يخلع عقاله ويسير مشيا على الاقدام • وقد غضب ديلي مرة على أحد رؤساء عفك فحكم عليه بغرامة مقدارها ٢٥ كيلو من الروبيات ، فاضطر الرجل أن يذهب الى السوق ويأتي بكيس الروبيات يحمله على كتفه • وكان ديلي اذا استدعى اليــه بعض رؤساء العشائر الكبار لامر من الامور تركهم ينتظرون مقابلته يوما او عدة أيام ، واذا سمح لاحدهم أخيرا بالدخول عليه تركه واقفا بينما هــو ينظر في الاوراق التي بين يديه• ثم يرفع عينه متسائلا : « انت شاسمك ؟

(18) Haldane (Insurrection In Mesopotamia) - Edinburgh 1922 - P. 20 - 21.

(19) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 168.

(20) Loc. cit.

(21) Atiyyah (op. cit.) - P. 348.

لويش جاي ؟» (٢٢) •

اتبع ديلي في ادارة منطقته نظاما شديدا جدا لم يكن الناس قد ألفوه من قبل • فهو مثلا قد منع التبول والتغوط في طرقات الديوانية ، وفرض الغرامة على من يخالف أمره • حدثني مكي السيد جاسم : ان رجلا معمما من الذين يحترفون قراءة التعزية الحسينية كان يعيش في الديوانية في تلك الايام اسمه الشيخ هادي ، وكانت له حديقة صغيرة ملاصقة لبيته لها سياج منخفض • وحدث في أحد الايام ان ديلي مر بالقرب من الحديقة راكبا حصانه ، فشاهد الشيخ هادي يتبول في الحديقة ، فلما عاد الى دائرته أرسل حاجبه يستدعي اليه الشيخ هادي ، ولما دخل الشيخ عليه قال له معنفا : « أنت شيخ هادي ليش تصير شيخ مطي » ، ثم فرض عليه غرامة قدرها عشر روبيات ، فدفع الشيخ الغرامة صاغرا •

ومن الجدير بالذكر ان الميجر ديلي نُقل بعد انتهاء الثورة الى البحرين ، ولكنه لم يترك عادته القديمة حيث صار يعامل الناس هناك بمثل ماكان يعاملهم في العراق • وقد زار أمين الريحاني البحرين في عام ١٩٢٢، بعد زيارته للعراق ، فكتب يصف ديلي بأنه من الذين يسودون صحيفة بريطانيا في الشرق، ومن الضباط الذين لايصلحون لغير الخدمة العسكرية، اذ هم لا يفهمون العرب ولا يحبونهم ولا يعطفون أقل العطف على قضيتهم • ويذكر الريحاني أنه عندما كان في العراق حدثه أحد الموظفين البريطانيين عن ديلي وسوء طريقته ، فلما ذهب الى البحرين تحققت لديه صحة ما قاله هذا الموظف البريطاني ، حيث سمع الناس يتحدثون عنه ، بما فيهم الوطني والاجنبي والصغير والكبير ، وكلهم مجمعون على أن ديلي كان يقاوم كل فكرة اصلاح في البحرين غير التى تكون له فيها الكلمة

---

(٢٢) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ٤٥٥ •

الاولى والاخيرة ، ولا يرى حقا في غير القوة ولا عدلا في غير سياسة العسف والاستبداد[٢٣] . ومما يلفت النظر ان الريحاني كان قد ذكر اسم ديلي صراحة في الطبعة الاولى من كتابه « ملوك العرب » ، ولكنه حذف الاسم في الطبعة الثانية معتذرا بان الحكومة البريطانية قد عينت رجلا آخر في البحرين بدلاً عنه ، فانتفى الغرض من ذكر اسمه .

الكولونيل ليجمن :

لايقل الكولونيل ليجمن عن زميله ديلي في الفظاظة ، وربما زاد عليه في حدة الطبع وسرعة الغضب . يحدثنا عبدالعزيز القصاب في مذكراته عن اول مقابلة له مع ليجمن وذلك في ١٢ كانون الاول ١٩١٨ ، وكان القصاب يومذاك قائمقاما من قبل الاتراك في قضاء الزيبار . وقد وصل ليجمن الى مركز القضاء ومعه ١٥ خيالاً من الجنود الانكليز ، ولما ترجل عن حصانه قال للقصاب : « امسك حصاني » . فرفض القصاب أن يفعل ذلك ، فوكزه ليجمن بالعصا على ظهره وقال له : « ياخائن » . فصاح القصاب في وجهه : « اني لست خائنا ، اني القائمقام » . فقال ليجمن : « كلكم خونة » . ويقول القصاب : ان ليجمن عند اجتماعه به في المرة الثانية اعتذر له عما بدر منه وكلفه بأن يبقى قائمقاما في القضاء[٢٤] .

تصف المس بيل ليجمن بان الناس كانوا يبغضونه بعمق ، وتروي عن صديقها « فتوح » أنه كان متأكدا من ان ليجمن سوف يُقتل ، وهي قد أخبرت ويلسون بذلك[٢٥] .

لقد قُتل ليجمن في ١٢ آب ١٩٢٠ على نحو ما تنبأ به فتوح ، فقد

(٢٣) أمين الريحاني (ملوك العرب) ـ بيروت ١٩٥١ ـ ج٢ ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

(٢٤) عبدالعزيز القصاب (المصدر السابق) ـ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(25) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 168.

وجه الى ضاري شيخ زوبع اهانة لم يتحملها فأوما الى ابنه أن يقتله ـ كما سنأتي اليه في فصل قادم •

وتذكر المس بيل ان ليجمن كان قد وجه الاهانة كذلك الى عجيل الياور شيخ شمر ، مما دفع الشيخ عجيل أن ينضم الى الثورة على الانكليز بعد ماكان مواليا لهم • كتبت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ٢١ آب ١٩٢١ ـ اي بعد مرور سنة على الثورة ـ تقول : ان عجيل الياور زارها عدة مرات ، وقد سألته ذات مرة عن السبب الذي جعله ينضم الى الثورة ، فكان جوابه ان السبب هو اهانة ليجمن له ، وذكر لها كيف ان ليجمن استدعاه الى دائرته في الموصل ، ولما اراد الكلام أمره ليجمن بالسكوت وقال له انه يشبه المرأة ، وانه ـ أي ليجمن ـ سوف لايعترف له بأية رئاسة في عشيرته • ثم قال عجيل للمس بيل : « خاتون ، انا شيخ عرب ، وقد عدتُ الى عشيرتي ، وماذا يمكن ان أفعل غير ذلك ؟ » • وتعلق المس بيل على هذا الجواب قائلة : « اني صدّقت بما قال ، وهذا هو الكولونيل ليجمن بالضبط »(٢٦) •

(26) Ibid vol. 2, P. 237.

الفصل الثالث

دور الموجهين

ان للموجهين تأثيرا كبيرا جدا على الجماهير من الناحية السياسية ، ففي مقدورهم اثارة الجماهير على السلطة ، وفي مقدورهم تهدئتهم نحوها . ونقصد بالموجهين اولئك الذين يملكون زمام توعية الجماهير وتلقينهم عن طريق وسائل الاعلام المختلفة ، او عن طريق الاشاعات وأحاديث المجالس وغيرها ، ويمكن أن نعد منهم : رجال الدين والوعاظ والخطباء والشعراء والمؤلفين والكتاب والمعلمين والقصاصين والمنكتين وكل ذي مقدرة على تنميق الكلام . وقد أدرك السلاطين القدامى أهمية الموجهين ، ولاسيما رجال الدين والشعراء والمؤلفين ، فكانوا يقربونهم ويبذلون لهم العطاء والجوائز المغرية ، فنشأت بذلك منفعة متبادلة بين الفريقين : أولئك يبذلون الاموال ، وهؤلاء يدعون للسلطان بدوام البقاء ، ويعدونه ظل الله في الارض ، وينشدون في مدحه القصائد « العصماء » !

عندما احتل الانكليز بغداد في آذار ١٩١٧ حاولوا بكل جهدهم اجتذاب الموجهين اليهم ، وبذلوا لهم الاموال . فنجحوا في بعضهم وأخفقوا في البعض الآخر . فمن أوائل الاعمال التي قاموا بها في هذا السبيل أنهم أصدروا جريدة « العرب » وناطوا تحريرها بالباحث اللغوي المعروف الأب انستاس ماري الكرملي ، وخصصوا الاجور المغرية لكل شاعر أو كاتب ينشر فيها شيئاً . فأقبل الشعراء والكتاب المعروفون ينظمون وينشرون لها ، ولكنهم كانوا ينشرون نتاج قرائحهم بتواقيع مستعارة لأنهم كانوا يخشون من عودة الاتراك الى بغداد فينتقمون منهم . كتبت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ٢٧ تموز ١٩١٧ تقول : انها حائرة من وضع الادباء الذين هم الآن من أعز أصدقائها ، فهم كانوا في عهد الاتراك يكتبون

المقالات العنيفة ضد الانكليز ، وهم الآن يكتبون المقالات العنيفة ضد الاتراك، وهي لاتجد تفسيرا مقنعا لذلك ، فالكلمات عند الشرقيين هي مجرد ألفاظ لاتعني شيئا ، فقد يقولون اليوم شيئاً وينقضونه غدا ، وهم لايتركون هـذه العادة أبداً .(١)

المشكلة التي واجهها الانكليز في عهد الاحتلال هي أنهم لم يتمكنوا من اجتذاب فئتين من الموجهين هما : الملائية والافندية . وهؤلاء كانـوا أقدر على اثارة الجماهير من الشعراء والكتاب .

الافنديـة :

نعني بالافندية الاشخاص الذين كانوا موظفين أو ضباطا في العهـد التركي .فهم في الغالب فقدوا مناصبهم في عهد الاحتلال ، وصـار الكثير منهم بلا مورد ، واضطروا الى رهن بيوتهم أو بيع ما يملكون ، كما أصبحوا من رواد المقاهي يبثون فيها الدعايات والاشاعات المناوئة للاحتلال ويبشرون الناس بقرب عودة الاتراك الى العراق .

أعطتنا المس بيل وصفا للافندية في عهد الاحتلال حيث قالت مانصه :

« ... كانت شروط الهدنة التي عُقدت مع القائد التركي تنص على ان جميع الاشخاص الذين ولدوا في البلاد العربية وكانوا فى خدمة الدولة العثمانية ، سواء أكانوا مدنيين أم عسكريين ، يجب أن يُسمح لهم بالعودة الى أوطانهم . وكان عدد من هؤلاء رجالا رافقوا الاتراك عند تقهقرهم أمام جيوش الجنرال مود المظفرة بمحض اختيارهم، وكان المفروض أن لايحمل هؤلاء شعورا ميالا الى استمرار السيطرة البريطانية مهما كان مقـــدار التساهل الذي تبديه في الحكم » . يضاف الى ذلك أن جهاز الادارة التركي كان مبنياً على تعدد الوظائف الصغيرة التى كانت تستوعب جماعة كبيرة من الموظفين الصغار نسبيا الذين لا يليقون لها مطلقا . وكان عدد من هؤلاء

---

(1) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, P. 62-63.

قد فر مع الجيش التركي بعد احتلال بغداد ، فاعطوا وظائف من دون عمل في ولاية الموصل ريثما يتم استرداد العاصمة • ولذلك وجدنا الدوائر العامة في الموصل مشحونة بأشخاص يتقاضون رواتب حكومية من غير أن تكون لهم وظائف معروفة • وعندما ظلوا عاطلين عن العمل ، واكثرهم غير لائق للوظيفة ، عادوا الى بغداد فكوّنوا نواة للتذمر والعداء »[٢] •

الواقع ان الافندية كانت لهم مقدرة غير قليلة على اثارة الناس واشاعة التذمر فيهم ، فهم كانوا يطالعون الصحف ولهم اطلاع سابق على شؤون السياسة العالمية وعلى بعض المعلومات الجغرافية والتاريخية • لاشك ان معلوماتهم كانت سطحية محدودة ولكنها كانت تُعد في ذلك الزمان علماً عظيماً بالمقارنة الى ما كانت عليه جماهير الناس من أمية مستفحلة • ولهذا كان الناس يفتحون أفواههم اعجابا عندما يتحدث الافندي اليهم عن الثورة الفرنسية ونابليون ، أو عن جبال الألب ونهر الدانوب ، أو غير ذلك من المعلومات الحديثة • وقد استغل الافندية هذه الميزة التي يملكونها فأخذوا يصولون ويجولون في بث الدعاية المناوئة للاحتلال وفي تحريض الناس على الثورة •

كان الانكليز يعلمون بما يجري في المقاهي من نشاط للافندية معادي لهم • ومن يقرأ رسائل المس بيل يجد أنها كانت كثيرة الاهتمام بأحاديث المقاهي ، فقد كان لها صديق « عربنجي » من أهل حلب اسمه « فتوح » يرتاد المقاهي وينقل للمس بيل مايدور فيها من أحاديث مثيرة •

يبدو على أي حال ان الانكليز لم يكونوا يدركون مبلغ الضرر الذي سيصيبهم على أيدي الافندية ، فهم كانوا ينظرون الى الافندية نظرة ازدراء واستخفاف ، ولهذا تركوهم يفعلون ما يشاؤون • ولم يكتشف

---

(٢) المس بيل (فصول من تاريخ العراق الحديث) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ •

الانكليز مغبة خطئهم هذا الا بعد انتهاء الثورة ، حيث صاروا يغدقون عليهم الوظائف ، فاسكتوهم • لقد كان الواجب عليهم أن يفعلوا ذلك منذ بداية الاحتلال ، ولو فعلوه لازالوا به عاملا مهما من عوامل الثورة •

الملائية :

نعني بالملائية رجال الدين ، وهم فريقان : شيعة وسنيون • وقد أشرنا في الجزء الثالث من هذا الكتاب الى بعض الفروق الاجتماعية بين هذين الفريقين ، فالملائي السني يشبه أن يكون موظفا حكوميا اذ هو يعتمد في معاشه على الحكومة ، ويُنقل من مكان الى آخر بأمر منها ، وقد تُزاد وظائفه ومخصصاته أو تقلل حسب رغبة الحكام أو مبلغ رضائهم عنه • أما الملائي الشيعي فهو يستمد معاشه من جماهير الناس ، وكلما ازداد اقبال الناس عليه واعجابهم به ازدادت بذلك موارده • وهو لذلك يكون وثيق الصلة بالعامة يتحسس بأحاسيسهم ويميل الى الوقوف الى جانبهم ضد حكامهم • انه قد يضطر الى مجاراة العامة في خرافاتهم وعاداتهم الموروثة ولكنه في الوقت نفسه لايسمح بوقوع الظلم عليهم(٣) •

حاول الانكليز في عهد الاحتلال اجتذاب الملائية اليهم بكل وسيلة ممكنة ، فنجحوا مع السنيين نجاحا غير قليل ، ولكنهم اخفقوا مع الشيعة • يعزو ويلسون في مذكراته عداء الملائية الشيعة للانكليز الى نفورهم من أية حكومة منظمة ، فهو يقول في ذلك : « ان ملائية كربلا والنجف والكاظمية هم باستثناء البعض منهم يعادون جهرا أية حكومة دنيوية منظمة مهما كان نوعها ••• انهم يدركون بجلاء أن وجود ادارة قديرة ومنظمة تنظيما جيدا يؤدي الى تحسين معيشة الجماهير ، وان هذا التحسين مع التربية الحرة سوف يؤدي خلال مدة غير طويلة الى هدم نفوذهم والى تهديد ما يحلمون به من اقامة حكومة دينية• فهم لا يملكون من النظر البعيد ما يجعلهم يدركون

---

(٣) علي الوردي (لمحات اجتماعية) ـ بغداد ١٩٧٢ ـ ج٣ ص ٨١ •

ان هذا هوالاتجاه العام الذي يشمل العالم كله والذي لا مفر منه. انهم حالفوا الحركة الوطنية في أشد صورها رجعية ، وأيدوها بنفوذهم في أوساط الجماهير الجاهلة . فقد وجدوا فرصتهم في الضرب على أوتار التعصب الديني .... »(٤) .

اني أخالف ويلسون في رأيه هذا ، فالملائي الشيعي لايملك مثل هذا التفكير المستقبلي الذي ينسبه ويلسون اليه . ان الملائي هو كغيره من الناس صنيعة الظروف التي يعيش فيها ، وهو لاينظر في الأمور الآ من خلال المفاهيم والقيم السائدة في محيطه .

حاول الانكليز اجتذاب الملائية اليهم عن طريق التحبب اليهم ومنحهم مبالغ كبيرة من المال سرا ، ولكنهم وجدوا ان معظم الملائية رفضوا قبول تلك المبالغ ، ولم يقبلها منهم سوى نفر قليل هم الذين كان العامة يحتقرونهم ويطلقون عليهم اسم « علماء الحفيز »(٥) .

يقول الشيخ رضا الشبيبي في مذكراته حول مجيء السر رونالد ستورز وأصحابه الى النجف في أيار ١٩١٧ ما نصه : « وقد حمل هؤلاء قدرا جسيما من الدراهم ناوين توزيعه على جماعة المعممين المتصدرين في النجف ، ولكنهم كانوا يرسلون بعض أعوانهم الى القوم طالبين بالحاح أن يزورهم المعممون ، ولو بأن يتنازل الانكليز الى زيارتهم أولا ، فما أجاب أحد من المعممين الى ذلك ، ولا وصل اليهم أحد ... وكانت معهم أوراق أرادوا ختمها من المعممين الذين يصطنعونهم ، بعضها في الاوقاف وتعيين الولي عليها وغير هذا ، فلم يتهيأ لهم ما أرادوا... »(٦) .

---

(4) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, p. 258.

(٥) ان لفظة الحفيز مأخوذة من لفظة أوفيس الانكليزية التي تعني الدائرة الحكومية . وكان العامة يشيرون بهذه اللفظة الى الصلة الوثيقة بين علماء الحفيز والحكومة ، أي أنهم كانوا يعتبرونهم عملاء للحكومة أو جواسيس لها .

(٦) مجلة البلاغ الكاظمية ــ العدد التاسع ــ السنة الخامسة .

ان الملائي يعلم علم اليقين ان قبوله أي مبلغ من الانكليز سوف يؤدي الى هبوط سمعته بين الناس ، ومعنى هذا ان خسارته في الامد البعيد ستكون اكثر جدا من الربح العاجل الذي يجنيه من الانكليز • ومن الجدير بالذكر ان التضخم النقدى الذى حدث في تلك الايام جعل الاموال تنصب بغزارة على الملائية ، فأصبحوا بذلك في غنى عن الاموال «الخبيثة» التي تأتي من الانكليز •

الواقع ان الملائي كان في تلك الايام يشعر بأنه كلما ازداد في ابتعاده عن الانكليز وفي اعلان بغضه لهم ازدادت مكانته بين الناس ارتفاعا وكثر المعجبون به والمقلدون له • ان الاحتقار الذي كان العامة يكنونه لعلماء « الحفيز » جعل معظم الملائية يتجنبون كل ما يُشم منه رائحة التقرب الى الانكليز أو التعاون معهم • ولعلني لا أغالي اذا قلت ان بعض الملائية صاروا يتظاهرون بشدة العداء للانكليز لكي يثبتوا للناس أنهم بعيدون كل البعد عن « الحفيز » ، وأنهم علماء دين حقيقيون لاتغريهم الدنيا بمغرياتها •

ومما يلفت النظر في هذا الصدد ان العامة في الوقت الذي كانوا فيه يحتقرون علماء « الحفيز » كانوا لايحتقرون الرؤساء والوجهاء الذين يتقربون الى الانكليز ، وربما ازدادوا لهم احتراما • فالعامة كانوا يميزون بين رجل الدين وغيره من الناس ، اذكانوا يفترضون في رجل الدين أن يكون منهمكا في أمور دينه وعبادته فلا يدنس نفسه بأقذار الدنيا ، أما غيره من الناس فله حكم آخر •

مما أذكر من أيام طفولتي في الكاظمية أن رئيس بلديتها السيد جعفر عطيفة كان شديد الولاء للانكليز قوي الصلة بهم ، وكثيراً ما كانت المس بيل تزوره في بيته أو في بستانه كما أشارت اليه في رسائلها • وقد لوحظ أن مكانته الاجتماعية كانت تزداد ارتفاعا كلما ازدادت صلته بالانكليز وثوقا • ولكن الناس كانوا في الوقت نفسه ينبذون أي عالم

ديني يسمعون أن له صلة بالانكليز ولو كانت بريئة • ففي ١٣ آذار ١٩٢٠ قامت المس بيل بزيارة للمجتهد المعروف السيد حسن الصدر في بيت ابنه السيد محمد في الكاظمية ، وكانت زيارة مجاملة جرت فيها أحاديث عابرة عن المكتبات والبلشفية ومناخ سامراء كما ذكرته المس بيل في احـــدى رسائلها(٧) • ولكن الناس ما كادوا يسمعون بتلك الزيارة حتى صاروا يتقولون عنها الاقاويل ، وانتشرت الاشاعات تقول بان السيد حسن قبض من الانكليز أموالا طائلة • وانتهز الخصوم الفرصة فأطنبوا في ذلك وبالغوا كما هو ديدن الخصوم دائما • وندم السيد حسن على قبوله لتلك الزيارة المنحوسة !

تعاون الافندية والملائية :

حصل في عهد الاحتلال تعاون وثيق بين الافندية والملائية ، وكان لهذا التعاون أثره الكبير في التقارب الطائفي الذي ظهر بوضوح في أيـام الثورة • فقد كان من الظواهر الاجتماعية المألوفة في عهد الاحتلال حضور الافندية الى مجالس الملائية ، وتقبيل أيديهم ، والجلوس بين أيديهم باحترام وخشوع • ان الافندية أدركوا ما للملائية من نفوذ قوي وكلمة مسموعة في أوساط العامة ، وشعروا بأنهم يجب أن يتعاونوا مع الملائية لكي تكون دعايتهم المناوئة للاحتلال أشد تأثيرا وأوسع نطاقا •

يحدثنا علي البازركان ــ وهو من أفندية بغداد ــ عن صلاته الوثيقة بعلماء الكاظمية وكثرة زياراته لهم ، فيقول : « والحقيقة انني في تلـــك الايام كنتُ كثير التردد على قصبة الكاظمية لزيارة بعض الاخوان أمثال السيد محمد مهدي الصدر نجل حجة الاسلام السيد اسماعيل الصـــدر وبقية اخوانه الحجة الشيخ عبدالحسـين آل ياسـين وأنجاله الفضــلاء وغيرهم من العلماء والفضلاء • وفي ذات يوم قال لي السيد محمد مهدي

(7) Bel' (Letters of Gertrude Bell) - London 1947 - P. 393-394.

الصدر ـ اثر كلمة لي في مجلسهم أحثهم فيه على المطالبة في انهاء الاحتلال وتأسيس حكومة وطنية ـ أن الشيخ محمد رضا نجل المرزا تقي الشيرازي جاء من سامراء أمس الى الكاظمية للاطلاع على الحركة الوطنية في بغداد والكاظمية وقد زاره بعض اخواني فكاشفهم برغبته في الاتصال بزعماء الحركة ودعاتها والقائمين بها والمشرفين على نشاطها ، فقلت للسيد الصدر : سأحاول زيارته غدا . وفي اليوم الثاني استصحبت معي السيد باقر السيد احمد سركشك وذهبنا الى الشيخ محمد رضا نجل آية الله الشيرازي لزيارته ولتزويده بالمعلومات التي جاء من اجلها لمعرفة نواياه فعلمت منه أنه جاء للاطلاع على أعمال البغداديين الوطنية وهي الاجتماعات والقاء الخطب والمطالبة بالاستقلال وانه سيعود الى سامراء ليخبر والده بالأمر . وبعد عشرة أيام قدم الى الكرخ السيد محمد علي بحر العلوم فذهبت لزيارته وقد زودته بمعلومات كافية حول نشاط أهل بغداد ... »[٨]

كان الافندية يلتقطون الاخبار السياسية من الصحف العراقية والخارجية ، أو من بعض المصادر الاخرى التي هم أقدر على الاتصال بها، فيوصلون تلك الاخبار الى الملائية ، ويقوم الملائية من جانبهم بنشرها في اوساط الجماهير بغية اثارتهم على الانكليز .

وهنا يجب أن نذكر أن هذا التعاون بين الافندية والملائية لم يدم بعد الثورة طويلا . فلما تأسست الحكومة العراقية جاء الافندية الى الملائية يرجون منهم أن يتركوا النضال قائلين ان الغاية من النضال قد حصلت وزال السبب الذى كانوا يناضلون من أجله ، ولكن الملائية أبوا ان يستجيبوا لرجاء الافندية . ومن هنا بدأ الخلاف بين الفريقين ، وهو الخلاف الذى انتهى بنفي المجتهدين من العراق في عام ١٩٢٣ ـ كما سنأتي اليه بتفصيل في الجزء القادم من هذا الكتاب .

---

(٨) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ـ بغداد ١٩٥٤ ـ ص ٧٧ ـ ٧٨ .

تأثير الوعود البريطانية :

المعروف عن السياسة البريطانية انها أغدقت الوعود الخلابة على العرب خلال الحرب ، وكان من أشهر تلك الوعود بيان « مود » الذى صدر عقب احتلال بغداد والذى تضمن العبارة المشهورة : « اننا جئناكم محررين لافاتحين » • والواقع ان هذه الوعود لم تكن الا اسلوبا من أساليب الدعاية السياسية التى استخدمتها بريطانيا في الحرب قاصدة بها اجتذاب العرب الى جانبها وتنفيرهم من الاتراك • وما درت أن هذه الوعود ستُستخدم سلاحا ضدها بعد الحرب •

كان بعض السياسيين والعسكريين البريطانيين قد أدركوا ما ينتج عن تلك الوعود من عواقب سيئة لهم ، وعارضوا اعلانها، ولكن معارضتهم لم تلق آذانا صاغية ، لان الحكومة البريطانية كانت في أثناء الحرب تريد أن تكسب النصر بأي ثمن ، أي انها كانت كالغريق الذي يتشبث بأي شيء يتيسر له من أجل النجاة ولا يبالي بما يحدث بعد ذلك •

آخر تلك الوعود هو التصريح البريطاني الفرنسي الذي صدر في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ ـ أي بعد انتهاء الحرب بفترة قصيرة ـ وفيه العبارة التالية : « ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق من جراء أطماع المانيا هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت أعباء استعباد الاتراك تحريراً تاماً نهائياً ، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة السكان الاصليين ومحض اختيارهم ••• » •

كان هناك هدفان سياسيان من اصدار هذا التصريح ، أولهما تهدئة السوريين الذين امتعضوا من حركات فرنسا في بيروت ، والثاني احداث تأثير على الوفد الامريكي في مؤتمر الصلح وخاصة الرئيس ودرو ويلسون(٩) • ومعنى هذا ان بريطانيا عند اصدارها التصريح كانت مهتمة

(9) Atiyyah (IRAQ) - Beirut 1973 - P. 173.

بأمور بعيدة عما يجري في العراق ، وهي بذلك غفلت عما يمكن ان يكون للتصريح من تأثير في داخل العراق .

كتبت المس بيل حول تأثير التصريح على الرأي العام العراقى تقول :

« ان نشر التصريح البريطاني الفرنسي ، مهما يمكن ان تكون له من أهمية سياسية في خارج العراق ، كان ضرورة يؤسف لها في العراق . فمع أنه جاء مكررا للنوايا التى كانت قد اذيعت على العراقيين عند احتلال بغداد فانه تميز عنها بميزة هامة واحدة ، هي أن البيان الاول جاء في وقت كانت مصائر الحرب محفوفة بالشك الى الدرجة القصوى ، ولهذا فقد اعتبره الناس حيلة عسكرية . أما هذا التصريح فقد جاء بعد انتصار الحلفاء ، مما أدى الى تصديق الناس به . لقد كان العراقيون قبل نشر التصريح قد أيقنوا بأن البلاد ستبقى خاضعة للسيطرة البريطانية المباشرة ، وكانوا بوجه عام قانعين بما يمليه عليهم حكم السيف بعد أن شهدوا نجاحنا في الحرب . ولكن التصريح كشف لهم عن احتمالات اخرى كان يُنظر اليها في كل مكان تقريباً بقلق وتلهف ، وأتاح للعناصر التي هي أقل استقرارا من غيرها واكثر تعصبا فرصة للدس السياسي ... » .

وتعترف المس بيل ان التأثير الذى أحدثه التصريح في الرأي العام العراقي قد حصل بواسطة الافندية . فهي تقول : ان تأثير الافندية المباشر كان فيما يبدو منحصرا في بغداد والكاظمية . غير أن المتطرفين منهم قصدوا بعقوبة والنجف ومنطقة الشامية فكان لهم بعض التأثير فيها . وتضيف المس بيل الى ذلك قائلة : ان تأثير التصريح ازداد شدة حينما نشرت وكالة رويتر أن الشريف فيصل ذهب الى مؤتمر الصلح ممثلا عن الدول العربية[10] .

---

(10) Wilson (op. cit.) - vol 2, P. 880.

انا نتفق مع المس بيل في أهمية الدور الذى قام به الافندية في اثارة الجماهير ، ولكن أمرا واحدا غفلت عنه المس بيل في هذا الشأن وكان الاولى بها أن لاتغفل عنه ، هو ان الافندية ماكان في مقدورهم التأثير في الجماهير لو لم يؤيدهم الملائية في ذلك ويعاونوهم فيه • فمن الواضح ان الملائية كانوا أقوى نفوذا في أوساط العامة من الافندية ، ولو كان الافندية يعملون وحدهم في هذا المجال لما كان لهم ذلك التأثير الواسع النطاق •

تقلب الشعراء :

كان بعض الشعراء قد ايدوا الاحتلال الانكليزي في بدايته وأطنبوا في مدحه ، كما أشرنا اليه ، غير أنهم لم يستمروا على ذلك طويلا ، فان اتجاه الرأي العام الذي صار ينمو ضد الاحتلال جعلهم يرون مصلحتهم في مسايرة هذا التيار • فقد وجدوا ان الاجور التي يحصلون عليها من جريدة « العرب » لاتكفي للتعويض عن الخسارة المعنوية التى تصيبهم من جراء مدحهم للاحتلال • ولهذا أخذوا ينظمون القصائد في مدح « الوطن » وفي الشكوى من ظلم الانكليز •

كان الشاعر المشهور جميل صدقى الزهاوي قد ضرب الرقم القياسي في هذا التقلب • فهو كان قد مدح الانكليز قبل الحرب ، وعندما قامت الحرب أخذ يذمهم ويمدح الاتراك ، وفي عهد الاحتلال صار يذم الاتراك ويمدح الانكليز ، ولما نشبت الثورة نظم قصيدة في رثاء شهداء الرميثة ، ولكنه عند مجيء كوكس الى العراق نظم قصيدة يرحب به فيها ويذم الثورة ذماً قبيحاً(١١) •

---

(١١) يصح القول ان معروف الرصافي لم يكن أقل من زميله الزهاوي تقلبا، غير أنه كان في تلك الايام خارج العراق • ولما عاد الى العراق سار في تقلبه سيرة زميله • وسنأتي الى ذلك بتفصيل في جزء قادم من هذا الكتاب •

ليس هذا بالامر العجيب ، فهو ديدن الشعراء منذ بداية أمرهم • ان الشاعر كصاحب أية مهنة يريد أن يكسب رزقه بها او ينال المكانـــة الاجتماعية • ولا لوم عليه في ذلك اذ هو بشر يريد أن يعيش • وليس من الانصاف أن تتوقع منه خلاف ما تتوقعه من غيره من البشر • فالناس جميعا يركضون وراء الدنيا ، ولا يُلام الشاعر حين يركض معهم • ولكن الذي يستحق اللوم هم اولئك المتحذلقون الذين يصفون الشاعر بأنه شمعـــة تحترق لكي ينير السبيل للناس ، أو أنه الانسان المثالي الذى يذوب في سبيل الحق والحقيقة •

وهنا يجب أن لاننسى ان الشعراء على الرغم من تقلبهم لهم أثرهم الذي لايستهان به في أحداث التاريخ سلبا وايجابا • فهم في عهد السلاطين يخدّرون الشـعوب بقصائدهم ، وهـم في عهـد الشعوب يثيرونهـا على السلاطين • وقد رأينا ذلك واضحا في ثورة العشرين اذ ان الشعراء ساهموا فيها مساهمة فعالة ، فالقصائد الثورية التي أُلقيت في أيام الثورة كانـت كأنها القنابل موجهة على الانكليز ـ كما سنأتي اليه في حينه •

الفصل الرابع

دعايات من الخارج

في الوقت الذى كان فيه الافندية والملائية دائبين في بث الدعاية المناوئة للانكليز كانت هناك دعايات مناوئة أخرى تأتي الى العراق من الخارج فتتلاقح معها وينمي بعضها بعضاً •

من الجدير بالذكر أن الاقطار المجاورة للعراق كانت في تلك الفترة زاخرة بالثورات أو الاحداث المثيرة ، ولهذا كانت منبع دعايات مناوئة تأتي الى العراق عن طريق الصحف والمنشورات المهربة ، او المسافرين والزوار ، أو الدعاة المتسللين أو غيرهم •

الدعاية من سوريا :

أهم تلك الاحداث من حيث تأثيرها على العراق هي التي حدثت في سوريا ، فقد كانت في سوريا حينذاك حكومة عربية يرأسها الامير فيصل بن الحسين ويتولى العراقيون الكثير من مناصبها العالية • وكان هؤلاء العراقيون يشعرون ان ليس لهم مستقبل في سوريا لان السوريين بدأوا ينادون بمبدأ « سوريا للسوريين » فأخذ العراقيون يوجهون أنظارهم نحو وطنهم العراق يسعون للحصول على استقلاله ونيل المناصب فيه ، وكان فيصل يؤيدهم في مسعاهم هذا ويساعدهم بالمال •

صارت جهود العراقيين في سوريا تتسلل الى العراق بوسائل وصور مختلفة ، وكان الكثير من الافندية في العراق يعاونونهم في ذلك • وأخذت الاشاعات تنتشر في العراق وهى تؤكد على قوة العرب في الحجاز وسوريا، وضخامة الجيوش التى لديهم ، وأنهم قادرون على اخراج الانكليز من العراق والحصول على استقلاله •

ومما يلفت النظر ان هذه الاشاعات كانت تركز على دور الولايات المتحدة ورئيسها ودرو ويلسون فى مساعدة العرب في مؤتمر الصلح ، وتصف الرئيس ويلسون بانه نصير الشعوب المستعبدة[1] • ولما ذهب فيصل الى مؤتمر الصلح في فرساى ، أخذت الاشاعات تؤكد على ان الرئيس ويلسون سوف يقف الى جانب فيصل في المؤتمر ، وأنه اكبر نصير له على تحقيق مطاليب العرب العادلة • ونشطت في العراق من جراء ذلك حركة سرية لتنظيم المضابط وارسالها الى فيصل تخوله المطالبة بحقوق العراق نيابة عنهم[2] •

كان حزب العهد في سوريا يصدر جريدة اسمها « العقاب » تتميز باسلوبها الحماسي المثير ومبالغاتها في أخبار العرب وانتصاراتهم ، وكانت هذه الجريدة تُهرب الى العراق مع بعض الجرائد السورية ، فتسد حاجة العراقيين الى الاخبار المثيرة •

لم يكن فى العراق آنذاك سوى بعض الجرائد التى تصدرها السلطة، ولهذا كان العراقيون لايميلون الى قراءتها ، بل يميلون الى قراءة جريدة « العقاب » والجرائد السورية الاخرى • واصبحت قراءة تلك الجرائد في المجالس والمضائف من الامور المألوفة لدى الناس ، لاسيما فى الفرات الاوسط ، حيث يقوم « الملاّ » بقراءة الجريدة فيصغي اليه الحاضرون ويعلقون عليها •

ذكرت التقارير البريطانية السرية : ان الرسائل كانت متبادلة بين العراقيين في سوريا وزعماء العتبات المقدسة ، وان الجرائد والمنشورات كانت تُهرب بانتظام من سوريا الى العراق عن طريق النجف ، كما وصلت

---

(١) محمد طاهر العمري (مقدرات العراق السياسية) ـ بغداد ١٩٢٥ ـ ج٣ ص ٩٨ •

(٢) محمد المهدي البصير (تاريخ القضية العراقية) ـ بغداد ١٩٢٣ ـ ص ٧٦ •

رسائل من حلب الى الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمد مهدي الصدر[3] .

وحينما نشبت الثورة المصرية في آذار ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول جاءت جريدة « العقاب » من سوريا وهي طافحة بأخبار تلك الثورة وأخبار زعيمها وكيف جرى فيها تخريب السكك الحديدية والمحطات ، وكيف كان المصريون يهاجمون مدافع الانكليز بالعصا والحجارة . فصارت هذه الاخبار متداولة بين الناس يلهجون بها في كل مكان . يقول مهدي البصير: ان أخبار سعد زغلول والشعب المصري من جهة ، وأخبار الملك حسين وأنجاله في الحجاز وسوريا من الجهة الاخرى ، كانت حديث الخاص والعام في العراق وقلما خلا مجلس من ذكرها[4] .

بلغت الدعاية الآتية من سوريا قمتها في آذار ١٩٢٠ . ففي ٨ من هذا الشهر بويع فيصل في دمشق ملكا على سوريا ، وقد انتهز العراقيون الذين كانوا في دمشق تلك الفرصة فاجتمعوا وأعلنوا استقلال العراق وبايعوا الامير عبدالله ملكا عليه . ثم أرسلوا مع سعاة من البدو رسائل الى علماء الفرات الاوسط وشيوخ عشائره يخبرونهم بهذا النبأ . كما أرسلوا اليهم العلم ذا الالوان الاربعة الذى اتخذوه شعارا للعراق المستقل ، فكتب هؤلاء العلماء والشيوخ أجوبة لتلك الرسائل فيها تهنئة لفيصل وعبدالله على انتخابهما ، وفيها ترحيب بعبدالله من رعاياه الموالين ، ولكن هذه الاجوبة وقعت في يد السلطة[5] .

يعتقد أمين الريحاني ان الدعاية المناوئة للانكليز التى جاءت الى العراق من سوريا كان يؤيدها الضباط الانكليز الذين كانوا مستخدمين

---

(3) Atiyyah (IRAQ) - Beirut 1973 - P. 329.

(٤) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ـ ص ٧٧ .

(٥) آيرلاند (العراق) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٤٩ ـ ص ٢٠١ .

لدى الحكومة السورية ، كما انها كانت مدعومة بالاموال الانكليزية • فهو يقول حول ما جرى في العراق في عام ١٩٢٠ : « فقد قام العراقيون ••• ينادون بالاستقلال ويطالبون به ، وكان يحرضهم على ذلك الضباط العراقيون في الجيش العربي في سوريا ، ومن عاونهم من الموظفين الانكليز في الحكومة السورية ، أولئك الذين كانوا ناقمين على اخوانهم في العراق « خطتهم الهندية » في ادارة شؤون البلاد • فالضباط العراقيون اذن ، والموظفون الانكليز في الشام ، شجعوا العراقيين في نهضتهم ، وبثوا تلك الدعاية ••• وقد كانت هذه الدعاية من الوجهة الانكليزية جد محزنة ، اذ أن الفريق الواحد من سياسيي الانكليز لم يكن يعلم بما يفعل الفريق الآخر • بل كانوا في حقيقة الحال يحملون بعضهم على بعض ، وكان العرب وحدهم الغانمين • ومن فواجع الانكليز ، وبعضها يضحك ، ان الحكومة السورية ، التي كانت تستمد قوتها المالية من لندن ، أمدت الوطنيين العراقيين بالمال • أجل ، قد استخدم « الخيال الانكليزي » - يقصد الباون الانكليزي - لطرد الانكليز من العراق »[٦] •

الدعاية من تركيا :

كانت الدعاية الآتية من تركيا تلي الدعاية السورية في قوتها واتساع نطاقها • ويجب أن لا ننسى في هذا الصدد ان العراق كان فيه كثيرون يحبون الاتراك ويتمنون عودتهم ويبثون الاشاعات المؤيدة لهم ، وهم الذين أُطلق عليهم لقب « كليورلر » أي عائدون • وقد حدث في النصف الثاني من عام ١٩١٩ أن قام مصطفى كمال باشا بحركة انقاذ في تركيا ردا على الهزيمة العسكرية التي حلت بها ، فأنعشت هذه الحركة الآمال لدى الاتراك ولدى العراقيين المحبين لهم • وتسلل بعض الدعاة من تركيا الى العراق يبشرون الناس بان تركيا حية لن تموت وانها قادمة الى العراق

---

(٦) أمين الريحاني (فيصل الاول) - بيروت ١٩٥٨ - ص ٧٣ •

قريبا لانقاذه من ايدى « الكفار » وقد لقيت هذه الدعاية رواجا في العراق تحت تأثير التذمر العام الذى انتشر بين العراقيين آنذاك •

كانت الدعاية العثمانية خلال الحرب وقبلها تحارب الدعوة القومية وتعتبرها دسيسة من الكفار لهدم الخلافة الاسلامية والتفريق بين المسلمين، ولكنها الآن أصبحت تتعاون معها ، ولهذا رأينا دعاة الاتراك يعملون جنبا الى جنب مع دعاة الاستقلال والعروبة واعادة مجد الاجداد ، على أساس انهم جميعا يحاربون في جبهة واحدة ضد عدو مشترك •

زار النجف وكربلا في آذار ١٩٢٠ أحد الوجهاء العراقيين من الذين كانوا يتعاونون مع الاستخبارات البريطانية ، وعند عودته الى بغداد كتب تقريرا سريا عما شاهده في زيارته ، حيث قال : « خلال زيارتي لكربلاء قمت بزيارة العلماء الكبار والوجهاء فيها ، فكان معظم حديثهم يدور حول عودة الاتراك القريبة الى العراق ، ولكن ليس على الطريقة القديمة ، بل أن يكونوا مستشارين لحكم عربي حقيقي • ان كل العلماء والوجهاء مشغولون الآن في بث الدعاية المؤيدة للاتراك والعروبة معا »(٧) •

كان العراقيون في أواخر العهد التركي قد أبغضوا ذلك العهد بغضا شديدا وتمنوا زواله ـ كما رأينا من قبل ـ ولكنهم الآن صاروا يبغضون العهد الجديد ويتمنون أن يأتي الاتراك لانقاذهم منه •

الدعاية من ايران :

ان حركة الجهاد المناوئة للانكليز التى قامت في العراق خلال الحرب كان لها أثرها البالغ في ايران ، فان الفتاوى التي أصدرها المجتهدون للجهاد لابد أن ينتقل تأثيرها الى ايران ، وقد بذل الالمان من جانبهم جهودا واموالا طائلة لترويج دعوة الجهاد فى تلك البلاد ، وأشاعوا بين الايرانيين

(7) Atiyyah (op. cit.) - P. 330.

ان الشعب الالماني كله اعتنق الاسلام وان قيصر المانيا قد اعتنق الاسلام أيضا وسمى نفسه « الحاج وليم »[(٨)] . وظهر في ايران حينذاك مغامر الماني اسمه (فاسموس) قام بدور فيها يشبه الدور الذى قام به لورنس في البلاد العربية[(٩)] .

ولما انتهت الحرب ظل العداء لبريطانيا قائما في ايران ، وحل البلاشفة محل الالمان في العمل على تنمية ذلك العداء . وقد اشتد العداء لبريطانيا عندما ألغى البلاشفة في كانون الثاني ١٩١٨ الامتيازات القيصرية التي كانت لهم في ايران ، اذ ان ذلك جعل الايرانيين يطالبون بريطانيا بأن تفعل مثلما فعله البلاشفة من الغاء امتيازاتهم ، غير أن بريطانيا رفضت ان تفعل ذلك مما ادى الى سقوط الوزارة الايرانية في تموز ١٩١٨ ، فحلت محلها وزارة جديدة برئاسة رجل معروف بصداقته لبريطانيا هو « وثوق الدولة » ، وأخذ هذا الرجل يعمل جاهدا لتدعيم الروابط بين بريطانيا وايران مما جعل الشعب الايراني يتذمر منه ومن بريطانيا تذمرا شديداً[(١٠)] .

عند انتهاء الحرب فتحت الحدود التى كانت مغلقة بين العراق وايران، فانثال الزوار الايرانيون يفدون الى العراق بأعداد كبيرة كأنهم ارادوا التعويض بذلك عن الحرمان الذى عانوه طيلة سنوات الحرب . ولا حاجة بنا الى القول ان الدعاية المناوئة لبريطانيا أخذت تأتي معهم الى العراق . ورد في تقرير للاستخبارات البريطانية في العراق مؤرخ في ٧ آذار ١٩٢٠ ما يلي : ان اخبار الازمة فى ايران كانت تصل الى العتبات المقدسة عن طريق المطبوعات أو طريق الافواه ، وفى الحقيقة ان الاشاعات حول المقاومة

---

(8) Sykes (History of Persia) London 1958 - vol. 2, P. 448.

(٩) صدر في بريطانيا في عام ١٩٣٦ كتاب عنوانه « فاسموس لورنس الالمان » لمؤلفه كريستوفر سايكس ، لم أعثر عليه مع الاسف .

(10) Banani (Modernization of IRAN) - Stanford 1961 - P 85.

الوطنية في ايران كانت تروج في مختلف مناطق العراق[١١] •

الدعاية البلشفية :

في ٧ تشرين الثاني ١٩١٧ قامت الثورة البلشفية في روسيا بقيادة لنين• وكان من جملة الاهداف الرئيسة التى ركز البلاشفة جهودهم عليها هو محاربة الاستعمار ، فصاروا يساعدون كل حركة مناوئة للاستعمار فى كل قطر في العالم ولا سيما في الاقطار المجاورة لهم • ولهذا رأيناهم يساعدون الحركة الكمالية فى تركيا ، كما ساعدوا الحركة المعادية لبريطانيا في ايران ، وأخذوا يرسلون دعاتهم ومنشوراتهم الى العراق وسوريا والحجاز وغيرها من الاقطار العربية والاسلامية •

جاء دعاة البلشفية الى العراق في زى زوار وطلبة ايرانيين • فقد ورد فى تقرير للاستخبارات الانكليزية فى العراق : ان اخبار البلاشفة ومنشوراتهم متداولة فى العتبات المقدسة من بينها كتاب « مبادىء البلشفية » المطبوع في حلب ، وهي تلقى لدى السكان عطفا وتأييدا لما فيها من عداء لبريطانيا • وأشار التقرير كذلك الى ان المجتهد الكبير المرزا محمد تقي الشيرازي أصدر فتوى مفادها ان البلاشفة يجب اعتبارهم أصدقاء الاسلام[١٢] •

وكتب حاكم السليمانية الميجر صون في أوائل ١٩٢٠ يقول : ان اسم البلشفية ومبادءها أصبحت معروفة لسوء الحظ في منطقته ، وان جريدة كركوك هي أهم من يروج لهذه المبادىء[١٣] • وقد ورد فى تقرير للشرطة مؤرخ في ٢٠ آذار ١٩٢٠ : ان جمعية تأسست في العراق باسم « الجمعية البلشفية »[١٤] • وتقول المس بيل : « هناك أدلة تبرهن على أنه

---

(11) Atiyyah (op. cit.) - 328 - 329.

(12) Atiyyah (op. cit.) - 329.

(13) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 155.

(14) Atiyyah (op. cit.) - P. 311.

كانت هناك جمعية متآمرة ، أسسها البلشفيك بالتعاون مع الوطنيين الاتراك ، وكانت منذ مدة طويلة تتصل بالجمعيات العراقية السياسية المتطرفة لاستغلال الرابطة الدينية المشتركة بين الاتراك والعرب واحراج وضع البريطانيين في الشرق الاوسط » .(١٥)

ومن الجدير بالذكر ان ربيع ١٩٢٠ شهد احداثا ساعدت على رواج الدعاية البلشفية في العراق . ففي نهاية نيسان من ذلك العام استطاعت القوات البلشفية أن تدخل المدينة النفطية المهمة « باكـــو » ، وطردت الانكليز منها . وفي منتصف أيار احتلت القوات البلشفية ميناء « انزلي » الايراني الواقع على بحر الخزر . فكانت هذه الانتصارات في نظر العراقيين دليلا على ضعف الانكليز تجاه البلاشفة(١٦) .

وفي الوقت نفسه انتشرت في أقطار الشرق الاوسط نسخ من « البيان البلشفي » وهو يتضمن نداءاً الى العرب بأن ينهضوا باسم الاسلام ، وفيه كذلك اشارة الى ان روسيا تعمل بكل طاقتها لمساعدة سكان الشرق من أجل ان يستعيدوا تقاليدهم الدينية وحريتهم . وقد جاء في البيان مانصه : « فيا ايها المسلمون في الشرق أتراكا وعربا وهنودا وايرانيين ، يجب أن تساعدوا روسيا ، كما هي تساعدكم ، لكي يكون في مقدورها الحصـــول على حقوقكم »(١٧) .

اضف الى ذلك ان مجموعة من العصابات ظهرت في تركيا آنذاك وهي خليط مؤلف من القرويين والمجرمين والجنود الفارين والوطنيين المتحمسين ، بقيادة رجل اسمه « أدهم » كان قد اتخذ مقره في كوتاهيه

---

(١٥) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٤٣٩ .

(16) Atiyyah (op. cit.) - P. 311.

(17) Ibid, P. 311 - 312.

واصدر جريدة مشحونة بالافكار البلشفية غير المهضومة[١٨] • وصارت هذه العصابات تشن الغارات المتلاحقة على الجيوش اليونانية التى تغلغلت في تركيا حينذاك ، كما اخذت تهاجم الانكليز في العراق عبر الحدود الشمالية ، وقد أطلق الانكليز عليها اسم « البلشفيك » نبزاً لها •

دور الموصل :

لعبت مدينة الموصل دورا بالغ الاهمية في تلك الفترة ، وذلك للاسباب التالية :

اولا : كانت الموصل تضم بين سكانها نسبة عالية من الافندية ، وذلك لكثرة ماكان فيها من المدارس في العهد التركي ، فهي تأتي من حيث كثرة الافندية فيها بعد بغداد مباشرة •

ثانيا : ان موقع الموصل القريب من تركيا جعلها زاخرة بالدعاية التركية ، كما انها كانت تضم جماعة كبيرة من محبي الاتراك ، وقد تأسست في الموصل جمعية سرية تعمل لحساب الاتراك كان من مؤيديها مصطفى الصابونجي الذى اشترى خمسمائة قطعة من السلاح استعدادا ليوم الثورة على الانكليز[١٩] •

ثالثا : كانت الصلات بين الموصل والعراقيين في سوريا قوية جدا لان كثيرا من اولئك العراقيين كانوا من أصل موصلي • وفى ٢٤ أيار ١٩١٩ ظهر فى الموصل فرع لحزب العهد برئاسة رؤوف الغلامي ، وصار هذا الفرع واسطة فعالة بين العراق وسوريا ، فكانت جريدة « العقاب » وبعض الجرائد الاخرى تسلل اليه عبر منطقة الجزيرة ، ومن هناك تهرب الى بغداد وبعض مناطق العراق الاخرى •

يمكن القول على اي حال ان الموصل كانت في تلك الآونة ملتقى

---

(١٨) ارمسترونج (مصطفى كمال) ـ القاهرة ـ ص ١٤٣ •
(١٩) قحطان أحمد عبوش التلعفري (ثورة تلعفر) ـ بغداد ١٩٦٩ ـ ص ٢٧٤ •

ثلاثة انواع من الدعاية هي الدعايات التركية والعربية والبلشفية، وقد اخذت هذه الدعايات تتعاون فيما بينها لمحاربة العدو المشترك • ونستطيع أن نتبين هذا التعاون بين هذه الدعايات فيما كتبه رؤوف الغلامي معتمد حزب العهد في الموصل الى مركز الحزب في دمشق في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩ • والى القارىء نبذة مما قال :

« ••• والذى نتصوره ان لاخلاص للعرب خاصة ولا للاسلام عامة بعد ان كشف الحلفاء عن مكنوناتهم ••• الا باتفاق العرب والترك مع البلشفيك والمانيا والنمسا ••• وعند وقوع حرب عامة في المستقبل فتُشكل حينذاك من اتحاد العرب والترك قوة لايستهان بها تحيى الامل في قلوب كافة المسلمين ••• ولا يخطر ببالنا ••• واسطة أخرى لحياة العرب والاسلام الا ما نتصوره من الاتحاد الاسلامي البلشفي الجرمني • ولا نقصد بالاتحاد مع البلشفيك قبول أصولهم وتطبيقها في محيطنا فاننا نعده مضرا ببلادنا ولكننا نقصد بذلك الاستمداد من قوة الروس والاستفادة من هذا الاسم الجديد وتهديد الناكثين للعهود ••• »[٢٠] •

تقول المس بل : في ٢١ نيسان ١٩٢٠ وصل الى الموصل أول دفعة من العراقيين الذين كانوا في سوريا ، فدشن وصولهم حلول فترة مليئة بالشغب والفتن في الموصل ، فقد عقدت الاجتماعات الوطنية وعلقت على الجدران في الليل الاعلانات المناوئة للبريطانيين وهي تحمل ختم جمعية العهد العراقية ، كما ازدادت الغارات على خطوط مواصلاتنا •••[٢١] •

---

(٢٠) جريدة « صدى الاحرار » ــ في عددها الصادر في ٣ نيسان ١٩٥٣ •
(٢١) المس بيل (المصدر السابق) ــ ص ٤١٨ •

الفصل الخامس

ثلاث شخصيات

بينما كانت العوامل التي أسلفنا ذكرها تعمل عملها في زيادة التذمر من الانكليز واثارة الناس عليهم حدثت أمور ثلاثة يمكن اعتبارها عوامل اضافية في هذا السبيل ، هي : (١) انتقال كوكس الى طهران وحلول آرنولد ويلسون محله في ادارة الحكم في العراق ، (٢) انتقال الجنرال ماكمون الى الهند وحلول الجنرال هالدين محله في قيادة القوات الانكليزية في العراق ، (٣) موت السيد كاظم اليزدي وحلول المرزا محمد تقي الشيرازي محله في المرجعية الدينية لدى الشيعة •

ويلسون يخلف كوكس :

كان السر برسي كوكس يتولى منصب الحاكم السياسى العام في بداية الاحتلال ، ولكنه نُقل الى طهران في شهر نيسان ١٩١٨ ليكون وزيرا مفوضا لبريطانيا هناك ، فقام مقامه بالوكالة آرنولد ويلسون •

كان ويلسون حينذاك ضابطا في الرابعة والثلاثين من عمره ، وقد تساءل الناس في حينه : لماذا اختار الانكليز هذا الضابط الشاب ليخلف كوكس في حكم العراق مع وجود من هو أكبر سنا منه وأعلى رتبة بين الضباط البريطانيين في العراق ؟ !

يمكن القول ان ويلسون كان رجلا فذا من حيث نزاهته واخلاصه ودأبه على العمل ، ولما تولى الحكم في العراق صار يعمل ليل نهار لايبالي بحياة الترف[١] • وفي خلال سنتين استطاع ان يؤسس في العراق جهازا

---

(1) Mann (Administrator In The Making) - London 1921 - P. 148.

اداريا يُعد أفضل من الجهاز التركي من وجوه عديدة • ولكن عيب ويلسون أنه لم يفهم المجتمع العراقي كما فهمه كوكس ، كما انه لم يفهم روح الزمن الذى عاش فيه •

قد يصح القول ان ويلسون عاش في غير زمانه ، فهو لوعاش في القرن التاسع عشر حين كانت الامبراطورية البريطانية في أوج عزها لربما صار من أبطالها العظام ولكنه لسوء حظه عاش في وقت كانت فيه الحرب الاولى قد هزت العالم وقلبت الكثير من مفاهيمه الفكرية والسياسية • ومشكلة ويلسون انه لم يتمكن من ادراك طبيعة هذا التحول بل ظل قابعا في قوقعته الذهنية التى نشأ عليها ، وأصر على البقاء فيها لا يريد أن يخرج منها •

كان ويلسون قد تخرج من الكلية العسكرية في عام ١٩٠٣ ، فعين موظفا سياسيا في الهند ، وهناك شاهد الفرق الشاسع بين الهنود والانكليز من حيث المستوى الثقافي والحضاري وصار يؤمن ايمانا قويا بما يسمى بـ « رسالة الرجل الابيض » في تمدين الشعوب • انه أصبح متحمسا لمبدا « ملتون » الذى يقول « لا تدع بريطانيا تنسى رسالتها في تعليم الامم كيف تعيش » • وعندما تولى الحكم في العراق صمم أن يكون ممدنا لهذا البلد ومنقذا له حسب وجهة نظره • فهو كان يطمح ان يكون فى العراق كما كان اللورد كرومر في مصر[٢] وهو الرجل الذي كان ويلسون يعتبره مؤسس الجهاز الادارى الحديث في مصر ومنقذها من الديون والتفسخ •

كان ويلسون يشمئز من سياسة الوعود والتملق التي اتبعتها بريطانيا مع العرب ، ويستهين بدعاتها من أمثال لورنس اذ يعتبرهم من المثاليين الذين يغلب عليهم الخيال والعاطفة ولا يفهمون الواقع • ان العرب في رأي ويلسون : « عندهم الشعر بلا ريب وليس عندهم العمل »[٣] •

---

(2) Atiyyah (IRAQ) - Beirut 1973 - P. 170 - 171.

(٣) أمين الريحاني (ملوك العرب) ــ بيروت ١٩٥١ ــ ج ٢ ص ٣٦٨ •

رأي ويلسون في العراقيين انهم كغيرهم من الشعوب المتخلفة غير قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم ، ولهذا وجب تدريبهم على حياة الحرية قبل منحهم اياها(٤) . ان من الافضل للعراق في نظر ويلسون أن تؤسس فيه ادارة بريطانية حازمة من طراز الادارة القائمة في الهند ، ولا يسمح لاهل البلاد بالاشتراك في الحكم الا بتدرج بطيء جدا يستغرق سنوات عديدة . أما اذا تسلم أهل البلاد زمام الحكم بأيديهم حالا فان ذلك يعني شيوع الفوضى وانهيار نظام الحكم في البلاد(٥) .

كان ويلسون في بداية الامر يعتقد أن حكومته في لندن توافقه على آرائه هذه وتؤيده عليها ، بينما الواقع ان حكومته كانت حائرة في أمرها لاتدري ما تصنع اذ كان يتقاذفها اتجاهان أحدهما يدفعها نحو تحقيق الوعود للعرب ، والآخر يدفعها الى العكس من ذلك .

ولما وصل الى ويلسون التصريح البريطاني الفرنسي في تشرين الثاني ١٩١٨ أصابه الرعب منه واعتبره اساسا غير صالح لنظام الحكم في العراق(٦) . وفي ١٦ منه أبرق ويلسون الى لندن ينتقد التصريح ويهاجمه حيث ذكر ان التصريح سيورطهم في مشاكل جسيمة كالمشاكل التي سببتها وعود مكماهون الى الشريف حسين ، ووصف التصريح بأنه نوع من الرياء السياسي الذي سيضع سلاحا ماضيا في أيدي الذين هم أقل الناس لياقة للسيطرة على مصائر شعب من الشعوب(٧) .

وفي الوقت الذي كان فيه ويلسون يعمل في العراق على هذا الاساس كان لورنس في لندن يعمل على أساس مناقض له اذ كان يدعو الى انشاء

---

(4) Wilson (Loyalties) - London 1935 - vol. 2, P. 193 - 194.

(٥) آيرلاند (العراق) - ترجمة جعفر خياط - بيروت ١٩٤٩ - ص ٩٨ - ١٠٣ .

(6) Longrigg (IRAQ, 1900 to 1950) - London 1956 - P. 116.

(7) Wilson (op. cit.) - vol. 2, P. 104.

ثلاثة دول عربية هي : (١) العراق الجنوبي برئاسة الامـــير عبدالله ، (٢) العراق الشمالي برئاسة الامير زيد ، (٣) سوريا برئاسة الامير فيصل، على أن يكون لابيهم الملك حسين مركز معنوي في هذه الدول حيث يدعى باسمه في المساجد • وقد ابرقت الحكومة البريطانية بهذا الاقتراح الـــى ويلسون تسأله عن رأيه فيه • فأجاب ويلسون في ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٨ ببرقية ذكر فيها : أن شيوخ ووجهاء الديوانية والرميثة والناصرية وقلعة سكر والحي والكوت كلهم قد أبدوا رغبتهم في الحكم البريطاني المباشر لايريدون غيره • وفي اليوم نفسه ارسل ويلسون برقية أخرى قال فيها : أن تتويج أبناء الشريف ليس في مصلحة بريطانيا ولا مصلحة أهل العراق، وان تقسيم العراق الى قسمين جنوبي وشمالي لا تبرره الاحـوال السياسية والاقتصادية • ثم ختم برقيته بقوله : ان الحكومة البريطانية اذا كانـــت ترغب في رفاه أهل العراق وتقـدر الروحية التي ينطوي عليهـا التصريح البريطاني الفرنسي فاني استحثها أن تستثني العراق ، تماما والى الابد ، من أي مشروع شريفي أو أي مشروع آخر يتصل به ..[٨] •

في صيف ١٩١٩ بدأت الحكومة البريطانية تشعر ان ويلسون لم يعد يصلح لحكم العراق ، وأخذت تفكر باعادة كوكس الى العراق ، ولـكن كوكس لم يكن في ذلك الوقت قد انتهى من اداء مهمته في طهران فأرجأت الحكومة نقله الى فرصة اخرى • وقد أحس ويلسون من جانبه ان حكومته غير راضية عنه ، ففي ١٥ ايلول كتب الى صديق له في لندن يقول : « يجب أن أعلم الآن اني غير محبوب لدى المسؤولين ، وان نظرتهم لي ستكون قريبا اكثر سوءاً ، ويبدو انهم مصممون على الانحطاط بهذه البلاد عـن طريق بعض الترتيبات السياسية ، واني لا أنوي أن اتركهم يفعلون ذلك بكل وسيلة ممكنة »[٩] •

---

(٨) آيرلاند (المصدر السابق) ــ ص ١١٦ •
(9) Atiyyah (op. cit.) - P. 171.

ومن الجدير بالذكر ان المس بيل التي كانت تتولى انذاك منصب السكرتير الشرقي لويلسون كانت تخالفه في آرائه هذه وتميل الى تأييد الدعوة الشريفية • وقد أدى هذا الخلاف بينهما الى شيء من التوتر والشجار • كتبت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ١٤ حزيران ١٩٢٠ تقول : ان ويلسون غضب عليها في الاسبوع الماضي لانها أعطت بعض المعلومات الى أحد اصدقائها العرب ، ولم تكن تلك المعلومات مهمة ولكن ويلسون انفجر غاضبا وقال لها : ان حماقتها لايمكن احتمالها ، وانها يجب أن لا تنظر في أية ورقة في الدائرة بعد الآن • فاعتذرت المس بيل مما فعلت، غير انه واصل انتهارها : « ان ضررك يفوق ضرر أي شخص آخر في هذه الدائرة • واني لو لم يكن قد تقرر نقلي من العراق لطلبت اخراجك من الدائرة منذ شهور ـ أنت وأميرك ! » وتقول المس بيل ان ويلسون عندما وصل الى هذه النقطة اختنق صوته من شدة الغضب(١٠) •

هالدين يخلف ماكمون :

كان القائد العام للقوات الانكليزية في العراق في عام ١٩١٩ هو الجنرال ماكمون ، غير أنه نُقل الى الهند في أواخر العام ، وعين في محله الجنرال هالدين ، وقد وصل هالدين الى بغداد في ٢٥ آذار ١٩٢٠ ـ أي قبل اندلاع الثورة المسلحة بثلاثة أشهر تقريبا •

كتب هالدين بعد انتهاء الثورة كتابا حاول فيه أن يضع اللوم في اندلاعها على ويلسون وموظفيه • فهو يقول : انه عند مجيئه الى العراق لم يقدم له ويلسون واعوانه من الحكام السياسيين صورة حقيقية عن الوضع في العراق ، وأنهم كثيرا ما أعطوه تقارير متناقضة • ويقول هالدين أيضا : ان معظم الحكام السياسيين كانوا صغارا في السن ومن ذوي الخبرة القليلة مما ادى الى تذمر الناس منهم ، وكان ذلك من أهم اسباب ثورة

(10) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. P. 140.

العشرين[١١] .

ويتهم هالدين ويلسون بأنه كان ضعيفا متسامحا مع المهيجين ، ففي رأي هالدين ان الاجراءات التي اتخذها ويلسون تجاه المهيجين لم تكن صارمة بدرجة كافية ، وهي أيضا جاءت بعد فوات الأوان ، فلو ان قـادة الحركة كانوا قد أُلقي القبض عليهم في اللحظة الحاسمة وأعدموا لمـا قامت الثورة . ويروي هالدين ان شيخا كبيرا من شيوخ العشائر أكد له والدمع يترقرق في عينيه قائلا : ان الاجراءات الرادعة لو كانت قد اتُخذت في الوقت المناسب لما اضطر هو الى حمل السلاح بوجه الحكومة تحت تأثير عشيرته . ويعلق هالدين على كلام هذا الشيخ فيقول : « اني أعطف على رجال يضطرون الى ركوب المركب الخشن والوقوع في مثل هذه المآزق الحرجة ، وقد عمدت فعلا الى معاملتهم بالحسنى أخيرا »[١٢] .

لم يسكت ويلسون تجاه هذا الاتهام من هالدين ، فانه حين كتب مذكراته ملأها بانتقاد هالدين وكال له الصاع صاعين . فهو يصف هالدين بأنه كان عند مجيئه الى العراق في الثامنة والخمسين من عمره ، وان صحته لم تكن على ما يرام ، وانه كان قبل تعيينه في العراق على وشك أن يحال على التقاعد بنصف الراتب ولكن صديقه تشرشل اختاره لقيادة العـراق لما له من فضل سابق عليه . ثم يقول ويلسون : انه وضع في متنـاول يـد هالدين كل الرسائل والتقارير التى لها صلة بالوضع من الناحية السياسية والعسكرية ، غير أنه لم ينتفع من الخبرة المتجمعة له من أسـلافه ، ولـم يستطع أن يقابل سوى عدد قليل من الحكام السياسيين في المراكز النائية ، وكانت مقابلاته معهم لاتستغرق سوى دقائق .

---

(11) Haldane (Insurrection In Mesopotamia) - Edinburgh 1922 - P. 21.

(12) Ibid, P. 58.

ويشير ويلسون الى ما فعله هالدين من تقليص قوة الجيش في العراق حيث سمح للكثيرين من الجنود والضباط بالسفر مع عائلاتهم الى مصيف كرند في ايران تاركا العراق في فراغ نسبي بينما كان العراق في أشد الحاجة الى قوات عسكرية كبيرة • ويقول ويلسون انه أعطى هالدين تقريرا عن الوضع السيء في العراق ، فلم يأخذ هو بهذا التقرير واعتبره متشائما أكثر مما ينبغي • فهو كان غير راغب في البقاء في بغداد خلال فصل الصيف لشدة الحر ، ولهذا غادر بغداد الى كرندفي ٢٤ أيار ١٩٢٠ ، أي قبل نشوب الثورة بستة أيام (٣١) •

حين ندرس هذا الاتهام المتبادل بين ويلسون وهالدين نستطيع أن نقول ان كلاً منهما كان محقا في اتهامه لصاحبه الى حد ما • فان كلاً منهما يقع عليه جزء من مسؤولية التقصير تجاه قيام الثورة من وجهة النظر البريطانية •

والواقع ان ويلسون كان ليناً متساهلا تجاه قادة الحركة في بداية الامر مما أدى الى تماديهم في الحركة ، وقد اعترف هو بذلك واعتبره خطأً كبيرا منه • أما هالدين فكان متفائلا اكثر مما ينبغي تجاه هدوء الوضع في العراق ، ولهذا أرسل جزءا كبيرا من قواته للاصطياف في ايران ظنا منه ان الجزء الباقي قادر على قمع أية ثورة عشائرية عند قيامها • وقد تبين له اخيرا أنه كان مخطئاً في تفاؤله هذا •

كتبت المس بيل في ٧ حزيران ١٩٢٠ الى أمها تقول : « أخبرك الآن بأمر هائل ، فمنذ أيام بعدما وصلتنا أخبار تلعفر غادرنا هالدين الى طهران ومعه الجنرال ستيوارت والجنرال هامبرو • وبعد زيارتهم لطهران سوف يقيمون في كرند ، ولا يعودون الى بغداد الا في تشرين الاول ••• لقد تغديت مع هالدين في اليوم الذى سافر فيه ••• وعندما افترقت عنه قلت

---

(18) Wilson (op. cit.) - vol. 2, P. 271 - 277.

له : اعتقد انك لو سمعت لدى وصولك الى كرند نبأ استيلاء العشائر على بغداد ، فسوف تغادر كرند الى كرمانشاه . فكان جوابه لها : آه ، انــــي لا أشعر بأية مسؤولية عن ما يجري في غيابي »(١٤) .

ويقول أمين الريحاني ان ويلسون أبرق الى لندن يشكو من هالدين فجاءت برقية من وزارة الحربية تسأل هالدين : « ماذا يعمل في جبال العجم » ، أجل ماذا يعمل في الجبـــال ونيران الثورة تشتعـــل في السهول ؟(١٥) .

وقد نشر أحد الضباط البريطانيين قصيدة في هذه المناسبة يتهكـــم فيها على هالدين ، كان مطلعها :

نصف «لك» نصف «لك» من المال لايعود
والقيادة تتنزه في الجبال والجنـــود(١٦)

الشيرازي يخلف اليزدي :

كانت المرجعية الشيعية في عهد الاحتلال قد استقرت في السيد كاظـم اليزدي والمعروف عن هذا الرجل ان علاقته بالانكليز كانت حسنة ، وقد وردت عنه في تقرير بريطاني سري هذه العبارة : « اننا نستطيع ان نعتمد على مساعدته دائما بشرط أن لانذكر اسمه رسميا »(١٧) .

كان المرزا محمد تقي الشيرازي يلي اليزدي في المكانة الدينية . وكان يسكن سامراء ، غير انه انتقل الى كربلا في ٢٣ شباط ١٩١٨ . ويقال ان خصوم اليزدي هم الذين شجعوا الشيرازي على الانتقال الى كربلاء لكي يجعلوه ندا لليزدي ومنافسا له . وقد كانت نيتهم في بداية الامر ان

---

(14) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 189.

(١٥) أمين الريحاني (المصدر السابق) ــ ج٢ ص ٣٦٥ .

(١٦) فؤاد جميل (ثورة العراق) ــ بغداد ١٩٦٥ ــ ٧٥ (حاشية)

(17) Atiyyah (op. cit.) - P. 288.

ينتقل الشيرازي الى النجف ، ولكنهم غيروا رأيهم في اللحظة الاخيرة وفضلوا له السكنى في كربلاء •

كان يوم وصول الشيرازي الى كربلاء يوما مشهودا ، حيث خرج أهل البلدة لاستقباله مرحبين به ، واشترك في ذلك الرجال والنساء(١٨) • وكان الشيرازي يومذاك في الثمانين من عمره ، والمعروف عنه انه كان قبلئذ يتجنب السياسة ويؤثر العزلة غير أنه أصبح بعد انتقاله الى كربلاء ذا نشاط سياسي ، واتخذ تجاه الانكليز خطة مخالفة لخطة اليزدي • وفى منتصف ١٩١٩ استدعى الشيرازي اليه من الكاظمية الشيخ مهدى الخالصي ليستعين به في بعض الامور الدينية ، والمعروف عن الخالصي انه كان شديد العداء للانكليز • وقد مكث الخالصي في كربلاء حتى أواخر حزيران ١٩٢٠ حيث عاد الى الكاظمية •

في ٣٠ نيسان ١٩١٩ مات اليزدي ، وقد تألم الانكليز لموته ، فقد ورد في تقرير بريطاني سري عنه : « ان نفوذه كان يستخدم بلا انقطاع في مصلحتنا ، وموته خسارة جدية لنا »(١٩) •

كان الانكليز يعلمون ان الشيرازي سوف لايكون كسلفه اليزدي من حيث علاقته معهم • ففي ٥ أيار ـ أي بعد خمسة ايام من موت اليزدي ـ كتب نائب ويلسون الكولونيل هاول رسالة الى الشيرازي يعزيه فيها بوفاة اليزدي ويذكر بعض التلميحات ذات المغزى ، وهذا نص الرسالة :

الى حضرة آية الله العالم العلامة الحبر الفهامة الميرزا محمد تقي الشيرازي دام ظله العالي •

تحية وسلاما وبعد • نعت الينا الاخبار بمزيد الاسف انتقال المرحوم الطيب الذكر حضرة آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي فأكبرنا المصيبة وتغلب علينا الحزن لفقدان ركن من أهم أركان حضرات العلماء

---

(١٨) عبدالرزاق الوهاب (كربلاء في التاريخ) ـ بغداد ١٩٣٥ ـ ج٣ ص ٢٤ •

(19) Atiyyah (op. cit.) - P- 880.

الاعلام وحجج الاسلام دامت بركاتهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وانا لله وانا اليه راجعون ، هذا قضاء الله لامرد له .

نعم ان الرزء أليم والخطب جسيم ولا سيما وان الراحل الكريم كان تقيا ورعا ، عالما علامة ، وحبرا فهامة ، مطاع الامر والنهي فى كل ماله تعلق بالامور الدينية والدنيوية ، محبا للخير والوطن ، عاملا على تسكين الخواطر ، ناصحا عاقلا ، رشيدا حكيما ، حازما هماما ، محرضا للناس على التزام جانب السكينة ، هاديا لهم الى طريق الخير والصلاح ، ناهيا لهم عن ارتكاب الهفوات والغلطات ، على أن لنا في أشخاص حضرات آيات الله العلماء الاعلام وحجج الاسلام دامت بركاتهم اكبر معزي عن فقده ، ولنا في تحليهم بصفاته واتباعهم خطاه الحكيمة خير سلوان يخفف عنا وطأة فراقه . فنسأل الله ان يتغمد الراحل الكريم برضوانه ، ويسكنه فسيح جنانه ، وان يعوضنا بكم خيرا . ونطلب من المولى أن يطيل بقاءكم ، ويسعد أيامكم ، ويعلي من قدركم بين الانام ، بما انتم أهل له من رفعة المقام ـ آمين .

وقد أوفدنا من جانبنا حضرة النواب محمد حسين خان (البوليتكل أتاشيه) لدولة الحاكم الملكي العام بالعراق الى كربلاء المعلى والنجف الاشرف لتقديم واجب التعزية الى حضرات أنجال وأعضاء عائلة الراحل الكريم ، والى حضرات العلماء الاعلام وحجج الاسلام دامت بركاتهم ، فنرجوكم أن تشملوه بعناية خاصة . هذا واسمحوا لنا بالتعبير لكم عن تقدير الحكومة البريطانية العظمى لخدمات حضرات العلماء الاعلام دامت بركاتهم ، واستعدادها لقضاء ماترونه فيه خير العباد ، ولكم منا السلام أولا واخيرا .

آ . ب . هاول

القائمقام القائم بأعمال الحاكم الملكي العام في العراق[٢٠]

---

(٢٠) عبدالرزاق الوهاب (المصدر السابق) ـ ص ٥٧ ـ ٥٨ .

وفي شهر حزيران ١٩١٩ ذهب ويلسون بنفسه الى كربلاء لـزيارة الشيرازي في بيته • وكان ويلسون يتقن اللغة الفارسية فأخذ يتحدث اليه بها • وكان أول موضوع تطرق اليه هو منصب كليدار سامراء ، وقد طلب ويلسون من الشيرازي ترشيح رجل من الشيعة ليحل محل الكليدار الحالي الذي هو سني ، وكأنه أراد بذلك استرضاء الشيرازي ولكن الشيرازي فوت عليه الفرصة حيث أجابه بقوله : « لافرق عندي بين السني والشيعي ، وان الكليدار الموجود رجل طيب ولا أوافق على عزله » • فانتقل ويلسون الى موضوع آخر هو موضوع المعاهدة التى كان كوكس في طهران يسعى لعقدها بين بريطانيا وايران ، وأخذ ويلسون يذكر فوائد المعاهدة لايران راجيا من الشيرازي أن يساعد على تصديقها ، فقال الشيرازي له : « نحن الآن في العراق ونتكلم عن العراق وان حكومة ايران وشعبها أعـــرف بشؤونهم منا فلا يحق لنا والحالة هذه التدخل في أمور لاتعنينا ولا نعرف عنها شيئاً » • ثم تطرق ويلسون الى مايجرى فى جنوب ايران من قتال بين القوات الانكليزية وبعض القبائل الايرانية ، وطلب مـن الشيرازي الافتاء بالكف عن القتال حقنا للدماء ، فأجابه الشيرازي : « لايسوغ لي الافتاء بشيء لاعلم لي به سيما وان لتلك القبائل حكومة فحكومتهم أعرف بذلك المحيط وما تقتضيه » • وعند هذا خرج ويلسون من عند الشيرازي وهو يجرجر أذيال الخيبة(٢١) •

أدرك الانكليز أنهم غير قادرين على التأثير على الشيرازي بأيـــة وسيلة • ولهذا أبغضوه وذموه ذما قبيحا • يصف ويلسون الشيرازي فـي مذكراته بانه مثل البابا ليو التاسع قديس بسيط ذو مزاج ميال لتضليـــل نفسه والعالم ، وأنه كثيرا ما يفعل باسم التقوى والدين افعالا بعيدة كل البعد عن حقيقة الدين(٢٢) • وأرسل ويلسون في ١١ حزيران ١٩١٩

---

(٢١) المصدر السابق ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ •
(22) Wilson (op. cit.) - vol. 2, P. 299.

سالة الى لندن يصف فيها الشيرازي بقوله : «ان المجتهد الرئيس في كربلاء مرزا محمد تقي الشيرازي في سن الخرف ومحاط بعصابة من طلاب المال الذين ليس لديهم ضمير والذين يأملون ان يكسبوا الثروات قبل موته ... وهم يعملون ضد الانكليز»(٢٣) .

وقد سارت المس بيل حذو ويلسون فى ذم الشيرازي ، فهي تصفه بأنه عجوز واقع تحت سيطرة ابنه الاكبر المرزا محمد رضا في كل الامور، وهي تصف المرزا محمد رضا بأنه يقبض المال من الاتراك وأنه ليس له أية منزلة دينية ولكن نفوذه عند ابيه هو الذى جعله مرجعا أعلى للرأي . وتضيف المس بيل الى ذلك قائلة : ان اسم ابن الشيرازي ورد في برقية صدرت من البلاشفة في رشت تذكر عنه بانه يشتغل للدعوة البلشفية في كربلاء(٢٤) .

---

(23) Atiyyah (op. cit.) - P. 386 - 387.

(٢٤) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٤٤٠ ـ ٤٤٣ .

الفصل السادس

الاستفتاء

في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ وصلت الى ويلسون برقية من لندن ورد فيها ما يلي : « ان القصد من التصريح البريطاني الفرنسي هو في الدرجة الاولى لازالة الريبة التي أثيرت لدى سكان سوريا تجاه نيات فرنسا ، وليكن معلوما للجميع ان مؤتمر الصلح سوف يبت في مصير البلاد العربية . وان المطلوب من التصريح ان تساعد بريطانيا من جانبها على تأسيس حكم محلي في المناطق التي حررتها دون ان تفرض على السكان حكومة لايرتضونها ... ونحن نرغب بوجه خاص أن تزودونا ببيان موثوق يعرب فيه سكان العراق عن رأيهم في هذه النقاط الثلاث : (١) هل يفضلون دولة عربية واحدة تحت ارشاد بريطانيا تمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج ؟ (٢) وهل يرغبون في أن يرأس هذه الدولة رجل عربي من أولي الشرف ، (٣) ومن هو هذا الرئيس الذى يريدونه ». وقد جاءت في ختام البرقية هذه العبارة : « في رأينا ان من المهم جدا أن يكون التعبير عن آراء السكان حقيقيا بحيث يمكن اعلانه للعالم بصفته التعبير النزيه عن رأي أهل العراق »[١] .

يُلاحظ هنا أنَ الحكومة البريطانية أرادت من ويلسون أن يكون التعبير عن آراء السكان حقيقيا نزيها ، ولكن ويلسون لم يطع أمرها بل أراد أن ينتهز فرصة الاستفتاء لكي يثبت لحكومته صحة رأيه في الحكم الملائم للعراق ، كما اراد أن يثبت لها ان العراقيين يرغبون من تلقاء أنفسهم في الحكم البريطاني المباشر .

---

(1) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 110 - 111.

أبرق ويلسون الى الحكام السياسيين في الالوية نص البرقية التي وصلته من حكومته مع تعليمات منه اليهم يذكر فيها كيف يمكنهم ان يحصلوا من سكان مناطقهم على الآراء المطلوبة • وكان فحوى تعليماته لهم ان كل واحد منهم يجب أن يتداول في الموضوع مع الشخصيات البارزة في منطقته بصورة سرية لكي يتأكد منهم ما قد يكون عليه اتجاه الرأي العام في تلك المنطقة فاذا ظهر له ان الاتجاه سيكون ملائما عقد اجتماعا كبيرا يضم جميع الوجهاء والرؤساء في المنطقة ، وعليه عند ذاك أن يجمع منهم أكبر عدد من التواقيع ، أما اذا ظهر ان الرأي العام في المنطقة منقسم أو انه ذو اتجاه غير مرغوب فيه ، فيجب عليه أن يؤجل عقد الاجتماع ثم يتصل ببغداد لأخذ التعليمات المناسبة(٢) •

الاستفتاء في النجف :

كان العراق في تلك الآونة مقسوما الى تسع مناطق أو ألوية ، وكانت النجف تابعة لما يسمى بـ « منطقة الشامية والنجف » التى كان يحكمها الميجر نوربري • وقد كان الانكليز يظنون ان الاستفتاء في هذه المنطقة سيجري حسب رغبتهم لسببين : أولهما وجود السيد كاظم اليزدي فيها وهو الذي كان مواليا لهم ، والثاني ما جرى فى النجف في ربيع ١٩١٨ من ثورة فاشلة على الانكليز وما اعقبها من انزال عقوبات رادعة بالقائمين بها ، وقد ظن الانكليز ان هذه العقوبات قد أرهبت أهل النجف ومن جاورها من العشائر وانهم سوف لا يجرأون على القيام بأية حركة معارضة للانكليز بعد ذلك •

ارتأى ويلسون ان يجعل هذه المنطقة من أولى المناطق التي يجري فيها الاستفتاء لكي تكون النتيجة المعلنة عنها قدوة للمناطق الاخرى • وأخذ

---

(٢) آيرلاند (العراق) ـ ترجمة جعفر خياط ـ بيروت ١٩٤٩ ـ ص ١٢٠ •

الميجر نوربري ينشط للعمل وفق التعليمات التي أرسلها ويلسون اليه ، فاجتمع سرا بالوجهاء والرؤساء الذين يثق بهم ، وقد أكد له هؤلاء ان الاستفتاء سيجري على المرام بلا معارضة •

كان يعمل في دائرة الميجر نوربري في ذلك الحين رجل بيروتي من أولي الشعور القومي اسمه مصطفى أفندي خرمه(٣) • ولما علم هذا الرجل بما كان يفعله نوربري من الاستعداد للاستفتاء أسرع هو الى بعض معارفه من النجفيين يخبرهم بالامر ، وطلب منهم الاستعداد له من جانبهم •

تقرر ان يجري الاستفتاء في النجف في ١٣ كانون الاول ١٩١٨ • وقد وصل ويلسون الى النجف بالطائرة في عصر ١١ منه • وفى صباح اليوم التالي ذهب ويلسون لزيارة السيد كاظم اليزدي في بيته فى الكوفة ، واختلى به ، ودار الحديث بينهما بالفارسية التى يتقنها ويلسون • وقد ذكر ويلسون ، في تقرير سري له ان السيد كاظم قال : « أني أتكلم بالنيابة عن اولئك الذين لايستطيعون أن يتكلموا عن أنفسهم • ان الحكومة مهما فعلت فانها ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار مصالح الشيعة وخصوصا الجماهير التى لاتحسن التعبير عن نفسها والتى لامعين لها • فهؤلاء الناس ليسوا متمدنين ، واذا نُصب عليهم موظفون عرب أدى ذلك الى الفوضى • انهم لم يتعلموا النزاهة بعد ، والى أن يحين الوقت الذى يتعلمون فيه النزاهة يجب أن يظلوا تحت سلطة الحكومة • وليس هناك رجل يمكن أن يقبل به الناس أميرا »(٤) •

وفي اليوم المحدد للاستفتاء ـ أي ١٣ كانون الاول ـ تم عقد اجتماع

---

(٣) محمد علي كمال الدين (معلومات ومشاهدات) ـ بغداد ١٩٧١ ـ ص ١٠٥ •

(4) Atiyyah (Iraq) - Beirut 1978 - P. 278.

في دار الحكومة خارج سور النجف حضره ويلسون ونوربري وعبدالكريم الجزائري ومحمد جواد الجواهري ومحمد رضا الصافي وعبدالرضا الشيخ راضي ورضا الشبيبي وباقر الشبيبي وعباس الكليدار وهادي النقيب وهادي زوين ومحسن أبو طبيخ ونور الياسري وعلوان الياسري ومجبل الفرعون وعبدالواحد الحاج سكر ومحمد العبطان وشعلان الجبر وعبادى الحسين وعلوان الحاج سعدون ولفتة الشمخي ومرزوق العواد وسرتيب المزهر وفريق المزهر وغيرهم •

افتتح ويلسون الجلسة بذكر قصة أراد أن يثبت بها ان بريطانيا معروفة في العالم بأنها دولة العدل والانصاف ، وخلاصة القصة أن رجلين كانا يسيران في طريق ايران في اثناء الحرب ، فقال أحدهما ان خصائص الدول فى الحرب ثلاث : الشجاعة في تركيا ، والاستعداد الحربي في المانيا، العدل والانصاف في بريطانيا ، فاذا انتصرت احدى هذه الدول دل ذلك على ان الصفة التى اختصت بها تلك الدولة هي العنصر الفعال في الحرب وان الصفتين الأخريين لا اهمية لهما ولا معول عليهما • ثم ختم ويلسون القصة بقوله : لما كانت هذه هي صفات بريطانيا المعروفة في العالم اجمع ، فهي بعد بذلها الاموال والنفوس فى الحرب ، ودحر الاتراك ، تريد أن تسألكم : هل ترغبون فى حكمها أم تريدون حكومة وطنية عربية ؟ عرفونا رأيكم النهائي (٥) •

انبرى السيد هادي النقيب للجواب على سؤال ويلسون اذ قال : « نحن لانريد ولا نرضى بسوى بريطانيا لانها عادلة ومنصفة وقد كثرت الفلوس عندنا » • فرد عليه عبدالواحد الحاج سكر قائلا : « بل نريد حكومة عربية وطنية » • فوجه ويلسون سؤالا الى عبدالواحد : « هل هذا

---

(٥) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص٧٥ •

رأيك أم رأي الجميع ؟ »• فأجابه عبدالواحد : أنه رأيه الشخصي ولابد أن اكثر الحاضرين يؤيدونه • فأيده في ذلك الشيخ رضا الشبيبي قائلا :«أن العراقيين يرون من حقهم أن تتألف حكومة وطنية مستقلة استقلالا تاما ، وليس فينا من يفكر فى اختيار حاكم اجنبي » • فظهرت امارات الغضب على وجه ويلسون ، والظاهر أنه فوجيء بهذا الجواب الذى لم يكن يتوقعه، فالتفت نحو الحاضرين يسألهم عن رأيهم ، فتكلم السيد علوان الياسري قائلا : « لما كان المدعوون غير مسبوقين بالموضوع فهم يرجون امهالهم الى الغد لدرس الاسئلة الثلاثة وتوحيد الاجوبة عليها ، وذلك بعد الاتصال بالعلماء وبقية الرؤساء » • فوافق ويلسون على رأي الياسرى ، وقال لهم انه مزمع على العودة الى بغداد ، وطلب منهم ان يرسلوا جوابهم اليـــه بواسطة الميجر نوربري •

على أثر انفضاض الجلسة ذهب عبدالكريم الجزائري ومحمد جواد الجواهري وعبدالواحد الحاج سكر وعلوان الياسري الى السيد كاظـم اليزدي في الكوفة يطلبون منه الرأي • ولما كلموه في الموضوع قال لهم : « عجيب ، لقد كان عصر أمس عندي ـ يقصد ويلسون ـ ولكنه ما كلمني بهذه الصراحة ، وعلى كل حال فالقضية مهمة ، ولكل عراقي حق فيها ، فيجب أن تعقدوا اجتماعا عاما يحضره الجميع من جميع الطبقات »[٦] • وذكر لهم ان كل فرد له الحق في ابداء الرأي سواءاً أكان تاجرا أم بقالا ، زعيما أم حمالا[٧] •

وبناءا على أقتراح اليزدي عُقد اجتماع عام في بيت الشيخ محمد جواد الجواهرى حضره أكبر عدد ممكن من الناس بمختلف طبقاتهم ،

---

(٦) المصدر السابق ـ ص ٧٦ •

(٧) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ـ صيدا ١٩٧٢ ـ ص ٤٣ •

وقام الجواهري فتكلم قائلا : ان الحاكم العام ألقى عليهم ثلاثة اسئلة ـ وقرأ الاسئلة عليهم ـ وانهم قالوا له بأنهم يجب أن يسألوا حجة الاسلام السيد كاظم اليزدي قبل اعطائهم الجواب ، ولما قابلوا السيد اليزدي أمرهم بعقد هذا الاجتماع العام . فما هو رأيكم ؟ فلم يكد الحاضرون يسمعون هـذا السؤال حتى نشب الاختلاف والجدال بينهم ، وانقسموا الى فئات شتى كل فئة تطالب بما ترى فيه مصلحة لها ، فقد طالبت فئة منهم بالالتحاق بايران ، وطالبت فئة ثانية بأمير غير عربي ، وطالبت فئة ثالثة بالجمهورية، وطالبت فئة رابعة بأمير عربي ، وطالبت فئة خامسة بالحكم البريطـــاني المباشر .

وعند انتهاء هذا الاجتماع ذهب نفر منهم الى اليزدي يسألونه عن رأيه ليكون الحكم الفصل في هذا الاختلاف ، فاعتذر اليزدي عن ابداء أي رأي وقال : « انا رجل لا أعرف السياسة ، بل أعرف هذا حلال وهـــذا حرام » . وبعد الالحاح عليه قال لهم : « اختـــاروا مافيه صـــلاح للمسلمين »[٨] .

ويبدو أن موقف اليزدي هذا أيد موقف الموالين للحكومة . وقـد تمكن السيد هادي النقيب من تنظيم مضبطة تحمل ٢١ توقيعا من وجهاء النجف وتجارها ، بالاضافة الى توقيعه ، يطلبون فيها الحكم البريطانـــي المباشر . ولكن المعارضين للحكومة استطاعوا بعدئذ أن ينظموا مضبطـــة ثانية تحمل تواقيع عشرة اشخاص يطلبون فيها اقامة حكومة مستقلة تحت رئاسة أمير عربي[٩] .

---

(٨) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٧٨ .

(9) Atiyyah (op.cit.) - P. 272 - 273.

قصة الدجيلي :

حدثت للشيخ كاظم الدجيلي في أثناء استفتاء النجف قصة جديرة بالذكر في هذه المناسبة • فهذا الرجل كان قد ذهب الى النجف قبيل الاستفتاء بغية تحريض الناس على رفض الحكم البريطاني ، ونزل في دار عبدالمحسن شلاش ، وقد احترمه عبدالمحسن وأحسن ضيافته ، ولكنه تغير عليه فجأة على أثر سماع شيء عنه يدعو الى الريبة • ويروي الدجيلي قصته على النحو التالي حيث يقول مانصه :

« علمتُ من الحاج محسن شلاش أن اجتماعاً سرياً سيعقد في بيته في تلك الليلة للمذاكرة في بعض الشؤون ، وانه من الخير ان يشارك الدجيلي في هذا الاجتماع ، وخرجتُ عصرا الى الحرم الشريف ، وصليت في الحرم صلاة المغرب والعشاء وعدت الى بيت الحاج محسن شلاش ، هذا والبيت مفتوح الباب على مصراعيه للزوار والضيوف على الدوام ، ولكني وجدته مقفلا فطرقت الباب ففتح لي الحاج رؤوف شلاش الاخ الاصغر للحاج محسن • لقد فتح الباب نصف فتحة وسألني : « ما الذى تريد ؟ » قلت : « أنا ضيفكم وأنا على موعد مع أخيك الحاج محسن » • قال : « ليس لاخي موعد مع أحد واننا لن نقبلك ضيفا ! » • قلت : « لكنك على علم بذلك ، ولقد كنت حاضرا ماجرى بيني وبين أخيك عصر هذا اليوم وقبيل خروجي الى الحرم » • قال « لنكن صريحين ياشيخ كاظم •• ان الجماعة يتهمونك بالتجسس لحساب الانكليز فليس لك بعد هذا عندنا مقام » • قلتُ : « ومن هم هؤلاء الجماعة ؟» • قال : «يكفي أن يكون الشيخ باقر الشبيبي واحدا منهم » • قلت : « دعني أراه وأرى أخاك الحاج محسن !» • وهنا أغلق الحاج رؤوف الباب في وجهي وطردني ، فحرتُ في أين أقضي سواد هذه الليلة ، وأين يجب أن اتوجه•• ورحت أجر أذيال الخيبة • ولكني ماكدت أخرج من شارع آل شلاش

حتى قبض علي (الشبانات) وهم جلاوزة السلطة ، وأودعت السجن •
وفي اليوم التالي ساروا بي مخفورا الى بغداد وأنا أضحك من سخرية القدر التي تصورني جاسوسا وطنيا على الانكليز وجاسوسا انكليزيا على الوطنيين ••• »[١٠] •

أشارت المس بيل في تقرير لها الى السبب الذي جعل الانكليز يلقون القبض على كاظم الدجيلي ، فهي تقول : ان الذين حضروا الاجتماع مع ويلسون في النجف كانوا كلهم مجمعين على تحبيذ استمرار الحماية البريطانية على العراق ، ولكن أحد الشبان الشيعة من بغداد ـ وتقصد به الدجيلي ـ زار النجف بعد يومين بحجة الاشغال الخاصة وشرع بتنفيذ خطة مقصودة هدفها اقناع اهالي النجف والشامية بالعدول عن التوقيع على المضبطة المتفق عليها ، وذلك باللعب على شعورهم الديني وعلى كرامة بعض الشيوخ الشخصية • وتصف المس بيل الدجيلي بانه ذو شهرة لايستهان بها ككاتب وأديب ، وانه كان مستخدما لدى الانكليز في دائرة الشرطة فأخرج بسبب خشونته قبل مايقارب السنة الواحدة[١١] •

وعلى أي حال فقد اعتقل الدجيلي في خان دلة ببغداد نحو أربعين يوما ، نظم خلالها ست قصائد[١٢] ، ثم أفرج عنه بلا محاكمة • وأصبح من بعد ذلك صديقا مقربا للمس بيل ، ويقال انه هو الذى اقنع السيد حسن الصدر في الكاظمية بقبول زيارة المس بيل له بعد ان كان السيد حسن قد رفض محاولاتها المتكررة لزيارته[١٣] •

---

(١٠) جعفر الخليلي (هكذا عرفتهم) ـ بيروت ـ ج٣ ص ١٦٥ ـ ١٦٦ •
(١١) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٤٦٢ •
(١٢) انظر بعض هذه القصائد في كتاب : رفائيل بطي (الادب العصري) ـ القاهرة ١٩٢٣ ـ ج١ ص ١٩٨ ـ ٢٠٦ •
(١٣) جعفر الخليلي (المصدر السابق) ـ ج٣ ص ١٦٤ •

الاستفتاء في كربلاء :

كانت كربلاء آنذاك تابعة للحلة ، وكان يحكمها معاون حاكم سياسي اسمه الميجر بوفل ، وقد استعد هذا الحاكم لاجراء الاستفتاء فدعا عددا كبيرا من وجهاء كربلاء ورؤساء عشائرها الى اجتماع يُعقد في السراي في ١٦ كانون الاول ١٩١٨ • وفي الوقت المعين تم عقد الاجتماع وحضره من الحلة الحاكم السياسي للمنطقة الميجر تيلر • وتكلم الميجر تيلر فقال للحاضرين مامعناه : ان بريطانيا قررت أن تبر بوعدها للعرب ولهذا فهي تريد أن تتعرف الى رأيكم في نوع الحكم الذى ترغبون فيه وفي الشخص الذى تختارونه للامارة عليكم • فانبرى السيد عبدالوهاب الوهاب يتكلم بالنيابة عن الحاضرين حيث طلب مهلة ثلاثة أيام لكي يتداولوا فى الامر مع غيرهم من أهل كربلاء • فوافق الميجر تيلر على ذلك وغادر كربلاء عائدا الى مقره فى الحلة •

عُقد اجتماع آخر في دار السيد محمد صادق الطباطبائي للتداول في الامر ، ثم عُقد بعدئذ اجتماع ثالث في دار المرزا الشيرازي ، وقد حصل جدال واختلاف بين الحاضرين على نحو ما حصل في اجتماعات النجف، حيث اقترح بعضهم اختيار أحد أفراد الاسرة القاجارية أميرا للعراق ، واقترح آخرون اختيار أمير عثماني • ولكن الاكثرية منهم أعلنوا عن رغبتهم في اختيار عبدالله أو زيد من أنجال الشريف حسين • وقد استقر الرأي أخيرا على ذلك ، ونظموا مضبطة وقعها أكثر الحاضرين ، هذا نصها :

بمنّه تعالى

حسب تبليغ حضرة حاكم الحلة لنا عن الدولة المفخمة البريطانية العظمى انها قد تفضلت على العراقيين بطلب انتخاب أي أمير يختارونه وقد أُمرنا ان نجتمع ونتداول الرأي في ذلك ثم نقدم النتيجة الى حاكم كربلاء

فتلقينا أمره بتمام الرغبة ... وقد اجتمعنا نحن أهالي كربلا امتثالا لامركم وبعد مداولة الآراء وملاحظة الاصول الاسلامية وطبقا لها تقرر رأينا على أن نستظل بظل راية عربية اسلامية فانتخبنا أحد انجال سيدنا الشريف ليكون ملكا علينا مقيدا بمجلس منتخب من أهالي العراق لتسنين القواعد الموافقة لروحيات هذه الامة وما تقتضيه شؤنها . تحريرا فى اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الاول سنة ١٣٣٧ هـ .

لم يهن على بعض الاشخاص الموالين للانكليز تنظيم هذه المضبطة ، فنظموا مضبطة مضادة لها طلبوا فيها الحكم البريطاني المباشر . وهذا نصها :

لحضرة الاجل الاكرم الحاكم الملكي بكربلاء المحترم

معروضات عموم أهالي كربلاء المقدسة هو أنه حسب الامر الصادر علينا من حكومتنا العادلة البريطانية العظمى دامت عدالتها بالانتخاب بأختيارنا أميرا للعراق من خليج فارس الى موصل فأطعنا الامر المذكور وقد اجتمعت أفكارنا عموما وصار نظرنا على مافيه صلاح العموم بأن نكون تحت ظل حكومتنا العطوفة الرؤوفة البريطانية العظمى مدة من الزمان لترقي العراق خصوصا ممالكنا وتعمير بلادنا ويكون بذلك مصلحة العموم والامر لمن بيده الامر – ٢١ ربيع الاول ١٣٣٧ هـ .

ولما قُدمت المضبطة الاولى الى الميجر بوفل رفض تسلمها بحجة انها لم تقدم في الوقت المعين . أما المضبطة الثانية فاحتفظ بها ، ولكنه اعادها بعد يومين الى السيد عبدالحسين الددة وقال له : " لاحاجة لي بها افعل بها ما شئت "(١٤) .

---

(١٤) عبدالرزاق الوهاب (كربلاء في التاريخ) – بغداد ١٩٣٥ – ج٣ ص ٥٣ .

الاستفتاء في الكاظمية :

اختصت الكاظمية بصفتين رئيستين اولاهما كونها بلدة مقدسة تضم عددا كبيرا من رجال الدين ، والثانية قربها من بغداد[١٥] . وقد كان لهاتين الصفتين أثرهما في تدعيم المعارضة للانكليز في أثناء الاستفتاء .

عندما تقرر اجراء الاستفتاء في الكاظمية نشط بعض افندية بغداد للعمل وصاروا يترددون على الكاظمية للتعاون مع رجال الدين على معارضة الانكليز . وكان رجال الدين من جانبهم مستعدين لهذا التعاون ، وكان في مقدمتهم السيد محمد مهدي الصدر ، والمعروف عن هذا الرجل انه كان ذا جرأة أدبية ولباقة في المنطق .

عُقد اجتماع الاستفتاء في ٨ كانون الثاني ١٩١٩ في دار أغا حسن النواب ، حضره الكولونيل بلفور من الجانب الانكليزي ، وحضره علماء الكاظمية ووجهاؤها من الجانب العراقي . وقد أعطانا الشيخ محمد الخالصي صورة لما جرى في الاجتماع حيث قال مانصه :

« ... جاء بلفور الحاكم العسكرى الى الكاظمية ليحمل الاهلين على ما يطلب الانكليز ، فأُعد له مجلس كان مشحونا بأهل الكاظمية ، وكان آية الله ــ يقصد والده الشيخ مهدى الخالصي ــ حاضرا بنفسه ذلك المجلس . فأظهر بلفور ان العراقيين يرغبون في بقاء الانكليز حكاما للعراق، وكان الى جانب آية الله الخالصي السيد محمد مهدي نجل المرحوم السيد اسماعيل الصدر فقال آية الله الخالصي له : قل لبلفور اذا كان الامر كما تقول فكف عن منع مخابراتنا مع العراقيين لنرى رأيهم . وكان الانكليز قد منعوا المخابرات البرقية والمكاتبات في العراق لئلا يعلم العراقيون بكذب الانكليز ، وكانوا يذيعون في كل مكان ان العراقيين صمموا في جميع

(١٥) سنحاول دراسة المجتمع الكاظمي على شيء من التفصيل في جزء قادم من هذا الكتاب .

البلدان على انتخاب الانكليز يريدون اغراء كل بلد بهذه الدسيسة على اختيارهم ، ولذلك منعوا المكاتبات والمخابرات • ولما سمع بلفور هـذا الاقتراح تلجلج ولم يستطع الكلام • فصرخ من كان في المجلس اننا لانريد الانكليز ولا نرغب الا في حكومة وطنية لاترتبط بالأجانب • فخرج بلفور من ذلك المجلس مغضبا ••• »[16]

وعلى أثر خروج بلفور من الاجتماع اتفق أكثر الحاضرين على تنظيم مضبطة يطالبون فيها بتشكيل حكومة عربية اسلامية يرأسها أحـد أنجال الملك حسين على ان يكون مقيدا بمجلس تشريعي • وحين بدأ العمل بتنظيم المضبطة أعلن رئيس البلدية السيد جعفر عطيفة مخالفته لها ، وأيده في ذلك حسن السهيل من رؤساء بني تميم ، وعمه محمد سهيل ، والحاج حسين الصراف ، ثم خرج السيد جعفر ومعه الثلاثة الذين أيدوه احتجاجا على تنظيم المضبطة •

تم تنظيم المضبطة وكان في مقدمة الموقعين عليها : الشيـخ مهدى الخالصي والسيد حسن الصدر والسيد محمد مهدى الصدر والشيـخ عبدالحسين آل ياسين والسيد أحمد الحيدري والمرزا ابراهيم السلماسـي والحاج عبدالحسين الجلبي • ثم حملت المضبطة بعدئذ الى الصحـن الشريف لملئها بالتواقيع فبلغ عدد التواقيع عليها أخيرا ١٤٣ توقيعاً •

وحين رأى السيد جعفر عطيفة تنظيم هذه المضبطة المناوئـة للانكليز أخذ يسعى لتنظيم مضبطة مضادة لها ، وتمكن من جمع تواقيع عدد غـير قليل من وجهاء البلدة وتجارها ورؤساء محلاتها •

تعلق المس بيل على ماجرى في الكاظمية فتقول : « وقد وصلـت قصص مبالغ فيها عما كان يجري في النجف وكربلاء الى اهالي الكاظمية

---

(١٦) نقلا عن كتاب (بطل الاسلام) المخطوط للشيخ محمد الخالصي •

المدينة الشيعية المقدسة الثالثة حيث كان الشعور الوطني آخذاً في الطغيان. وهناك أدلة تثبت ان الكاظمية كان يشتغل فيها وكلاء من اسطنبول بعد أن وجدوا فيها مادة تناسب أغراضهم . وعلى هذا عندما طُلب الى بلدة الكاظمية أن تعطي رأيها حول النقاط الثلاث التي مر ذكرها هدد العلماء أي شخص يصوت للاحتلال البريطاني بالمروق من الدين والطرد من الجوامع . وبالرغم من التحريم الوشيك صمد عدد من المواطنين البارزين والشيوخ المحليين ، ولم تكن شجاعتهم تلك شيئاً هينا . وقد أخذت المضبطة المناوئة للبريطانيين الى الجامع الاكبر في الليل فكُسب عدد من المحجمين عنها ، لكن الفصاحة والبيان المتناهي لم يغيرا من رأي رئيس البلدية ، وهو أبرز تجار البلدة في الوقت نفسه ، ولم يحولا دون اشتغاله في تهيئة مضبطة مقابلة في صالح الحكم البريطاني . فقد استحصل لها تواقيع التجار الآخرين ومعظم الشيوخ المحليين ورعايا الهند البريطانيين . وينتمي الأخيرون الى أسر كانت تقيم في الكاظمية منذ مدة طويلة وتتمتع بسمعة طيبة . واذا أُعتبر هؤلاء من الاجانب بالنسبة لوجهة النظر العراقية فان العلماء الايرانيين الذين أصدروا الفتوى لايمكن ان يتملصوا من نقد كهذا أيضا »(١٧) .

الاستفتاء في بغداد :

كان ويلسون يعتبر بغداد أهم مركز للمعارضة في العراق ، وذلك لكثرة الافندية فيها من جهة وكثرة المتعلمين الواعين فيها من الجهة الاخرى . يقول آيرلاند : ان المشكلة التى واجهت ويلسون في بغداد أعظم مشكلة واجهها في العراق كله ، ولهذا أجل اجراء الاستفتاء في بغداد الى ما بعد الانتهاء من المناطق الاخرى اذ كان يأمل أن يحدث ظهور النتائج

---

(١٧) المس بيل (المصدر السابق) ـ ص ٤٦٤ ـ ٤٦٥ .

المرضية في تلك المناطق أثرا حسنا في الرأي العام البغدادى ، ولكن سرعان ماتبين له ان سكان بغداد ليس من السهل التأثير عليهم أو ضبطهم على منوال ماجرى في المدن الاخرى أو في المناطق العشائرية[١٨] .

في ٩ كانون الثاني ١٩١٩ أوعز ويلسون الى النقيب عبدالرحمن الكيلاني ، والى القاضي الجعفرى الشيخ شكر ، أن يختار كل منهما خمسة وعشرين مندوبا من أبناء طائفته لتوجيه اسئلة الاستفتاء اليهم . وكذلك أوعز ويلسون الى الحاخام الاكبر ان يختار عشرين مندوبا عن اليهود ، والى رؤساء الطوائف المسيحية أن يختاروا عشرة من المسيحيين .

رفض النقيب تلبية الطلب ، واقترح أن يقوم مقامه القاضي السني الشيخ علي الآلوسي . وكانت تلك اول خيبة واجهها ويلسون فى بغداد . وتعلل المس بيل رفض النقيب بأنه فعل ذلك جريا على عادته التى لايمكن أن يشذ عنها في الامتناع عن التدخل في الشؤون السياسية العامة[١٩] .

وقد واجه ويلسون خيبة اخرى حين امتنع القاضيان الجعفري والسني عن القيام باختيار المندوبين بأنفسهما ، ولعلهما لم يشاءا أن يتحملا هذه المسؤولية تجاه الرأي العام ، فوجه كل منهما الدعوة الى وجهاء طائفته طالبا منهم الاجتماع لاختيار المندوبين عنهم . وقد جرى اجتماع أهل السنة في التكية الخالدية ، واجتماع الشيعة في المدرسة الجعفرية . وكان الجو مشحونا بروح المعارضة في كلا الاجتماعين ، وأُلقيت فيهما الخطب الحماسية . وقد ابدى جعفر ابو التمن وحمدى الباچچي نشاطا ملحوظا في تشجيع روح المعارضة فيهما .

وعندما تم انتخاب المندوبين من كل طائفة استقال سبعة من المندوبين

---

(١٨) آيرلاند (المصدر السابق) ـ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .
(١٩) المس بيل (المصادر السابق) ـ ص ٤٦٥ .

السنيين وواحد شيعي . وليس لدينا معرفة بأسماء المستقيلين السنيين غير ان المس بيل أشارت في مذكرتها السرية الى ان موسى الباچچي كان احدهم ، كما اشارت الى أن اثنين منهم كانا من أسرة النقيب واثنين من أسرة جميل زاده[٢٠] . أما الذي استقال من الشيعة فهو الحاج ملا رضا كما ورد اسمه في أحد المصادر الانكليزية [٢١] ، وتصفه المس بيل بأنه من الملاكين المعروفين في بغداد وأنه كان يعتبر تأسيس حكومة وطنية في العراق وتسليمها بأيدي العرب أمرا سخيفا وقد ذكر للحاكم العسكرى أنه قرر الانسحاب دون أن يعطي تفسيرا لعمله هذا لانه لم يكن يستطيع مجابهة التعنيف الديني [٢٢] .

اختار الشيخ علي الآلوسي خمسة مندوبين من أهل السنة ليحلوا محل السبعة المستقيلين . أما الشيخ شكر فلم يختر أحدا . ولهذا أصبح عدد المندوبين السنيين ثلاثة وعشرين ، والمندوبين الشيعة أربعة وعشرين . وهذه هي أسماؤهم :

المندوبون السنيون : سعيد النقشبندي ، ابراهيم الراوي ، أحمد الشواف ، عبدالرحمن الحيدري ، عبدالوهاب النائب ، اسماعيل الواعظ ، عبدالله الشاوي ، طاهر محمد سليم ، سليمان السنوي ، عبدالله سليم الحيدري ، ملا قاسم ، مزاحم محمد نوري باشا ، خالد الشابندر ، ظافر الزهاوي ، أحمد منير ، محمد صالح الباججي ، محمد مصطفى الخليل ، عبدالباقي الاعظمي ، محمد ياغلمچي بن سلطان أغا ، محمد نافع الاورفلي ، عبداللطيف المدلل ، علي البازركان ، حمدى الباچچي .

---

(٢٠) المصدر السابق ـ ص ٤٦٦ .

(21) Atiyyah (op. cit.) - P. 244.

(٢٢) المس بيل (المصدر السابق) ـ ص ٤٦٦ .

المندوبون الشيعة : عبدالكريم الحيدري ، جواد المسيباوي ، أحمد الظاهر الحاج عباس ، مهدي الخناق ، كاظم الحاج داود ، محمد حسين ، عبدالوهاب السيد يحيى ، حسين السيد عيسى ، عبدالامير الحيدري ، عبدالحسين كبة ، صادق السيد جعفر ، أحمد الجرجفجي ، محمد حسن الجوهر ، عبدالرضا يحيى ، عبدالغني كبه ، جعفر أبو التمن ، حميد بن عبدالرضا ، حميد بن موسى ، محمد رشيد السيد عيسى ، علي السيد حسين شكاره ، محمد السيد حسين ، درويش علي حيدر ، حسين الحاج علاوي ، عبدالحسين البحراني(٢٣) .

عيّن موعد اجتماع المندوبين في صباح الاربعاء ٢٢ كانون الثاني ١٩١٩ ومحله في الحديقة العامة « ملت باغجه‌سي » التي كانت على شاطئ النهر في جانب الرصافة قرب المربعة . ولما كان الوقت شتاءا فقد أعدت باخرة بحذاء الشاطئ ليجتمع فيها المندوبون . ويحدثنا علي البازركان ، وهو احد المندوبين ، عما جرى آنذاك فيقول :

« ... بعد أن وصلنا صباح يوم الاربعاء في الساعة التاسعة الى محل الاجتماع في حديقة الملة (ملت باغجه‌سي) شاهدت في الباب أربعة عمالقة من الانكليز يرتدون لباس الشرطة ويحمل كل منهم مسدسا في جنبه وفي يده رزمة من البطاقات ، وهم يوزعونها على الداخلين . وقد أعطوني عدة بطاقات منها حينما دخلت . ولما أخذت مقعدي قرأت البطاقات المذكورة فاذا هي تحتوي على أجوبة اهالي النجف والبصرة والشامية والمنتفك والحلة والموصل وكربلاء بخصوص الاسئلة الثلاثة التي وجهها الحكام السياسيون ومضمونها جميعا هو ابقاء الحكم البريطاني في العراق مع بيان محاسن الادارة البريطانية وان يكون ملك العراق هو السر برسي كوكس ... »(٢٤)

---

(28) Atiyyah (op. cit.) - P. 888 - 889.

(٢٤) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ـ بغداد ١٩٥٤ ـ ص ٦٦ .

حضر الاجتماع الكولونيل بلفور يصحبه المستشرق المعروف مرغليوث ، وكان هذا المستشرق حينذاك في بغداد لمساعدة القيادة العامة في بعض الامور[٢٥] . وقد افتتح بلفور الاجتماع بأن قدم للحاضرين مرغليوث ، وقام هذا فأخذ يخطب فيهم باللغة العربية ، ومن جملة ماقاله لهم : « ان العراق قد تعود على حكم الاجانب منذ القديم ، فقد حكمه المغول ، وحكمه الاتراك وحكمه الايرانيون ، وهو لايستطيع أن يحكم نفسه . وعلى هذا يجب على العراقيين أن يختاروا الانكليز أوصياء عليهم أو تحت انتدابهم أو حمايتهم »[٢٦] .

ولما انتهى مرغليوث من خطبته قال بلفور انه سيخرج هو ومرغليوث من الاجتماع ، وطلب منهم أن يسجلوا اجوبتهم ويأتوا بها اليه فيما بعد . والظاهر انه كان يظن ان الاجوبة ستكون حسب رغبته ، ولكنه لم يكد يخرج من قاعة الاجتماع حتى أسرع المندوبون فأخرجوا مضبطة كانت معدة سابقا وأخذوا يوقعون عليها . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

لما عُلم ان الغاية التي ترمي اليها كل من دولتي بريطانيا العظمى وفرنسا في الشرق هي تحرير الشعوب وانشاء حكومات وادارات وطنية وتأسيسها تأسيسا فعليا بكل من سوريا والعراق حسبما يختار السكان الوطنيون ، فاننا ممثلو الاسلام من الشيعة والسنة من سكان مدينة بغداد وضواحيها بما أننا أمة عربية واسلامية قد اخترنا ان تكون لبلاد العراق الممتدة من شمالي الموصل الى خليج العجم دولة واحدة عربية يرأسها

---

(25) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, P. 108

(٢٦) علي البازركان (المصدر السابق) ـ ص ٦٧ .

ملك عربي مسلم هو أحد انجال سيدنا الشريف حسين مقيـــدا بمجلس تشريعي وطني مقره عاصمة العراق بغداد • حرر يوم الاربعاء ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ٢٢ كانون الثاني ١٩١٩[٢٧] •

وبعد ان تم التوقيع على المضبطة حملها اثنان ، أحدهما يمثل السنة هو عبدالرحمن باشا الحيدري ، والثاني يمثل الشيعة هو جعفر ابو التمن ، وذهبا بهاالى بلفور،وحين دخلاعليه سألهما «من اخترتم؟» فأجابهأبو التمن: « أخترنا حليفكم ! »[٢٨] ـ يقصد بذلك انهم اختاروا أحد انجال الملك حسين الذى كان حليفا لبريطانيا في الحرب • وكان جوابا مسكتا •

نزاع في بغداد :

لم يشارك مندوبو اليهود والنصارى في التوقيع على المضبطة الآنفة الذكر بل نظموا في السر مضبطة خاصة بهم طالبوا فيها بالحكم البريطـاني المباشر ، أو بالحماية البريطانية في حالة تأسيس الحكم الذاتي • ويعزى سبب ذلك الى اشاعات راجت بينهم مفادها ان المسلمين يريدون تكويـن حكومة اسلامية بحتة وابعاد اليهود والنصارى عن العراق • والمظنون ان عملاء الانكليز كانت لهم يد في ترويج هذه الاشاعات بينهم •

ولم يقتصر الامر على اليهود والنصارى فقط بل أخذ بعض المسلمين يفعلون مثلهم حيث صاروا ينظمون مضابط يطالبون فيها بالحكم البريطاني، وكانت النتيجة ظهور ثلاث مضابط في هذا الاتجاه اثنتان منها سنيتان وواحدة شيعية •

يروي علي البازركان أنه شاهد قاسم الخضيري واقفا عند رأس الجسر في جانب الكرخ وهو يحمل بيده مضبطة تطالب بان يكون العراق

---

(٢٧) محمد مهدي البصير (تاريخ القضية العراقية) ـ بغداد ١٩٢٣ ـ ص ٨٦ •

(٢٨) المصدر السابق ـ ص ٨٦ •

تحت حماية بريطانيا وان يكون كوكس ملكا عليه ، وهو يصيح : « من يريد الحرية فليوقع هنا » . فسأله البازركان عن السبب الذى دفعه الى ذلك ، فأجابه الخضيري « أما تعرف ان الاتراك كيف عاملوني وأنت الذى أطلقت سراحي من السجن » . فقال البازركان له : « ان الاتراك قد ذهبوا وهذا عملك لايمس الاتراك مطلقا ولكن يضر في مصالحنا نحن العراقيين » . ثم انصرف عنه(٢٩) .

الواقع ان الاستفتاء في بغداد لم يقف عند حد تنظيم المضابط المتضادة بل تعداه الى أبعد من ذلك . فقد أثار الاستفتاء في المجتمع البغدادي جوا من التوتر والصراع حيث انقسم البغداديون الى فريقين يشتم كل منهما الآخر ويوجه اليه التهم القبيحة .

كانت مقاهي بغداد بؤرة لمعارضة الحكومة ، بينما كانت دواوين بعض الاسر البغدادية المعروفة بؤرة للتذمر من المعارضة وللدعوة الى تأييد الحكومة . تقول المس بيل ان أحاديث المقاهي كانت تُنقل الى الحكومة من قبل الاهالي انفسهم بلا حاجة الى جواسيس . وتنقل المس بيل في هذه المناسبة قولا للنقيب هو : « ان الحومة البريطانية تستطيع أن تستغني عن الجواسيس في هذه البلاد لان طبيعة كل عربي أن ينقل الى السلطات ما يفعله جميع العرب الآخرين »(٣٠) .

وتقول المس بيل أيضا ان سبعة من اشراف بغداد وهم الذين وقعوا على احدى المضابط الموالية قابلوا ويلسون وذكروا له ان دعاية عنيفة مازالت تُبث في المقاهي من قبل الجماعة المناوئة للبريطانيين ، واسترحموا منه تسفير بعض زعماء تلك الجماعة لانهم خطر على استقرار العراق وعلى

---

(٢٩) علي البازركان (المصدر السابق) ـ ص ٦٩ .

(٣٠) المس بيل (المصدر السابق) ـ ص ٤٦٧ .

الحكومة البريطانية في آن واحد ، وقد استجاب ويلسون لرغبتهم فأوقف عدداً من المناوئين (٣١) • ان المس بيل لم تذكر اسماء الاشراف السبعة الذين قابلوا ويلسون ، ولكن أسماءهم وردت في احدى الوثائق البريطانية السرية وهم : عبدالرحمن جميل زادة ، فخر الدين جميل زادة ، جميل صدقي الزهاوي ، عبدالمجيد الشاوي ، ، موسى الباچچي ، صالح الملي ، عبدالكريم چلبي (٣٢) •

الاستفتاء عموما :

اقتصرت المعارضة في الاستفتاء على المدن الاربع التى ذكرناها فقط ، أي النجف وكربلاء والكاظمية وبغداد • أما فى المدن الاخرى فقد جرى الاستفتاء عموما وفق ما أراده ويلسون واعوانه ، ولم يقع فيها أي خلاف او ضجة ، وقد اجمع الوجهاء والرؤساء في المدن كلها على المطالبة بالحكم البريطاني المباشر ، ومنهم من طلب أن يكون كوكس حاكما عليهم • وليس هذا بالامر الغريب بالنظر الى ما اعتاد عليه الوجهاء والرؤساء من موافقة السلطة على كل ماتريده منهم •

حين نطلع على التقارير السرية التى كتبها الحكام السياسيون حول الاستفتاء في مناطقهم نجد فيها كثيرا من الامور الطريفة ، فقد ذكر الحكام في تقاريرهم آراء بعض الوجهاء والرؤساء الذين تكلموا معهم على انفراد في شأن الاستفتاء ، وهي آراء تدل بوضوح على ما اعتاد عليه اولئك الوجهاء الرؤساء من تزلف ومصانعة •

ففي حديث أدلى به أحمد باشا الصانع الى حاكم البصرة السياسي قال مانصه : « أنا لا أريد سوى الحكم البريطاني البحت •• وارجو

---

(٣١) المصدر السابق ـ ص ٤٧٠ •

(32) Atiyyah (op. cit.) - P. 309.

أن لاتتركوا البلاد بل أحكموها بأنفسكم بيد قوية ولكن عادلة • ولا تعقدوا اجتماعا لتوجهوا السؤال الى الناس فان الناس ربما صوتوا لكم بدافع الخوف ولكن من المحتمل ان يتفقوا ويقولوا : نحن لانريدكم ، اتركوا البلاد • ان فلانا يسعى لكي يكون اميرا في العراق ـ يقصد الشيخ خزعل ـ وقد أرسل لي رسلا وقال انه يعد مضبطة لهذا الغرض • انه صديق كبير لي ، ولكنه ليس الرجل الملائم لنا • ان ما أقوله لكم أمر سري بالطبع ، ولو اني سئلت فياجتماع عام عن هذا الرجل : هل يليق لامارة العراق ؟ لقلت : نعم ! »•

وقال وجيه آخر هو الحاج محمود باشا لحاكم البصرة السياسي : « نحن العرب كما تعلمون منشقون وانانيون ، ننظر لمصالحنا الخاصة أولا ، واذا اعطيتمونا الحرية وتركتمونا نفعل ما نشاء فان ذلك سيؤدي بنا الى الافلاس • ان الحكم البريطاني يجب أن يبقى على وضعه الحالي ، وان من الحكمة ان تسألوا كل شخص عن رأيه على انفراد وبصورة سرية • صدقوني انكم اذا عقدتم مجلسا كبيرا فلن تحصلوا من أي شخص على رأيه الحقيقي • انكم ايها الانكليز لاتفهمون أوضاعنا • فحين يقوم شخص كبير في مجلس ويقترح أمراً من الامور نشعر أننا ملزمون بالموافقة على اقتراحه تحت تأثير نوع من المجاملة مع شيء من الخوف • وبسبب الخجل الطبيعي لا يستطيع سوى القليلين أن يجرأوا على ابداء آرائهم »(٣٣) •

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان الاستفتاء كان في نظر العامة مفاجأة غير مفهومة ، اذ هو كان أول مرة في تاريخ العراق يسأل الحكام فيها رعاياهم : ماهو نوع الحكم الذى ترغبون فيه ، ومن هو الحاكم الذي

---

(33) Ibid, P. 270 - 271.

تريدونه ؟ فهم لم يستطيعوا ان يصدقوا آذانهم عندما قيل لهم ان حكومة فتحت بلادهم بحد السيف تتنازل لهم لتسألهم : ماذا تريدون ؟! وقدأخذت الاشاعات تنتشر بينهم مضمونها ان الحكومة انما قامت بالاستفتاء لـكي تختبر به الناس وتعلم من هم اصدقاؤها ومن هم أعداؤها فتثيب هـؤلاء وتعاقب اولئك(٣٤) • وكان لهذه الاشاعات تأثيرها في الناس ولهذا وجدنا الكثيرين من الرؤساء والوجهاء يتهافتون على تنظيم المضابط الموالية لـكي يثبتوا للحكومة أنهم من أصدقائها •

ورد في أحد التقارير الانكليزية قول تفوه به أحد السادة المحترمين هو السيد محمد بركات يخاطب به الحاكم السياسي حيث قال : « في رأيي ان سؤالكم لنا وأنتم الحكومة : ماهو نوع الحكم الذي نريده ، يدل على شيء غير اعتيادي ، وهو أمر لم نسمع به من قبل • فما شأني أنا في هـذا الموضوع ، فأنتم لو عينتم علينا حاكما نصرانيا او يهوديا او عبدا زنجيا ، كان ذلك بالنسبة لي حكومة على حد سواء »(٣٥) •

ان هذا القول الذى فاه به هذا الرجل يمثل لنا مستوى التفـكير السياسي لدى اكثر الناس في تلك الايام • ونحن اذ نريد ان ندرس احداث تلك الايام لا يجوز لنا أن ننظر فيها بمنظار ايامنا الراهنة • ومن المؤسف أن نرى الكثير من كتابنا ومؤرخينا يتجاهلون هذه الحقيقة حيث نجدهـم يدرسون أحداث الماضي ويقيمونها كما لو كانت قد حدثت في زمانهم •

راي النقيب :

فرح ويلسون بنتائج الاستفتاء وظن انها ستدعم موقفه في لنـدن ، وقرر ان يرسل المس بيل الى لندن لكي تشرح للمسؤولين فيها وضـع

---

(٣٤) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ـ ص ٨١ •

(35) Atiyyah (op. cit.) - P. 272.

العراق ونتائج الاستفتاء بالتفصيل • وتقرر أن تغادر المس بيل الى لندن في ٨ شباط ١٩١٩ •

رغبت المس بيل أن تقابل النقيب الكيلاني قبل مغادرتها بغداد لكي تتعرف على رأيه في الاستفتاء وفي وضع العراق بوجه عام • فذهبت اليه في داره في محلة باب الشيخ في ٦ شباط • وقد كتبت فيما بعد مذكرة ضمنتها ماجرى بينها وبينه من أحاديث متنوعة • وفيما يلي ننقل نبذا من أقوال النقيب كما روتها المس بيل في مذكرتها •

كان رأي النقيب في الاستفتاء أنه حماقة وسبب للاضطراب والقلاقل، فهو يقول : ان كوكس لو كان موجودا في العراق لما كانت هناك حاجة الى استفتاء الناس عن رأيهم في مستقبل البلاد • ويطنب النقيب في مدح كوكس ويلوم الحكومة البريطانية لتعيينها اياه سفيرا لها في طهران ، اذ يقول : « خاتون ، هناك ألف ومائة رجل في انكلترا بوسعهم أن يشغلوا منصب السفارة في ايران ، لكنه ليس هناك من يليق للعراق سوى السر برسي كوكس ، فهو معروف ومحبوب وموضع ثقة أهالي العراق ، كما انه رجل حنكته السنون ••• أضف الى ذلك ، انه رجل ذو اعتبار كبير في لندن ، وسيكون محامينا المتكلم باسمنا فاذا أرادت الحكومة هناك أن تعرف أفكارنا سيكون بوسعه تزويدها بالمعلومات الضرورية وستكون كلمته مقبولة ••• » •

ويشرح النقيب رأيه في الاستفتاء فيقول : « انه كان سبباً للاضطراب والقلاقل ولم تخمد سورة الفتن في المدينة بعد • وأنت تعلمين أني لـــم اشترك فيما جرى ، وقد منعت افراد أسرتي من التدخل فيما لايعنيهم من هذه الامور • فكان ولدي السيد محمود أول من استقال من مندوبيـــة المجلس ، فقد أشرتُ عليه أن يبتعد عن هذا الامر • لكن الكثيرين من الناس جاؤوا الي طالبين مشورتي وملحين عليّ بقبول وجهة نظرهم •

فأجبتهم ان الانكليز فتحوا هذه البلاد وبذلوا ثروتهم من أجلها كما أراقوا دماءهم في تربتها ، حيث ان دماء الانكليز والاستراليين والكنديين ومسلمي الهند وعبدة الاصنام قد خضبت تراب العراق ولذلك فلا بد لهم من التمتع بما فازوا به . ان الفاتحين الآخرين فتحوا البلاد وتنعموا بها . وكما وقعت البلاد فريسة بيدهم كذلك وقعت بأيدى الانكليز وسوف يوطدون حكمهم فيها . خاتون ، ان أمتكم أمة عظيمة وثرية قوية ، فاين قوتنا نحن ؟ وانني اذ أقول مثل هذا القول أريد أن يدوم حكم الانكليز ، فاذا امتنع الانكليز عن حكمنا فكيف أجبرهم على ذلك ؟ واذا مارغبت في حكم أمة أخرى وقرر الانكليز البقاء فكيف أخرجهم منه ؟وانني أعترف بانتصاراتكم، واتم الحكام وانا المحكوم ، وعندما أُسأل عن رأيي في استمرار الحكم البريطاني أجيب أني من رعايا المنتصر . انكم ، أيتها الخاتون ، تفهمون صناعة الحكم ... » .

ثم قال النقيب للمس بيل : انك حين تذهبين الى لندن يجب ان تذكري للمسؤولين فيها بوجوب عودة كوكس الى العراق وأننا نرغب في أن يحكمنا السر برسي كوكس . ثم أضاف الى ذلك بدهاء قائلا لها : « انك يجب أن لاتقولي انك قد اصبحت بغدادية وان تفكيرك منصرف بكليته الى سعادة العراق ورفاهيته ، فان ذلك مع صحته سيقلل من اهمية ماتقولينه في لندن وسوف تقل فائدته لنا » .

ثم عاد النقيب الى موضوع الاستفتاء فقال : ان الذين عارضوا الانكليز فيه هم رجال لاسمعة لهم ولا شرف ، وأشار الى احدهم فوصفه بأنه مجنون وليس له من المكانة الاجتماعية الا قليلا ، كما أشار الى رجل آخر منهم فوصفه بأنه لايمت الى اشراف البلد بصلة . ثم تطرق الى الشيعة فأخذ يذمهم ذما قبيحا اذ قال : ان ابرز صفة تميزهم هي الخفة ، فهم انفسهم قتلوا الحسين الذى يعبدونه الآن كما يعبدون الله . فالتقلب

والوثنية تجتمعان فيهم ، فاياك ان تعتمدي عليهم[٣٦] .

وذكرت المس بيل للنقيب : ان لديها قائمة كاملة باسماء الذين قادوا التحريكات المناوئة للانكليز ، وقالت ان ستة او سبعة منهم تقرر اعتقالهم . فرغب النقيب في رؤية القائمة فأخرجت المس بيل مسودة اولية غير كاملة لها ، لانها لم تكن في تلك الساعة تحمل القائمة النهائية . وكان في مقدمة الاسماء أربعة هم : سعيد النقشبندي وعبدالوهاب النائب وجعفر ابو التمن وحمدي الباچچي[٣٧] . وأشارت المس بيل الى اثنين منهم هما النقشبندي والنائب ، فوصفتهما بانهما أشد ضررا من غيرهما لانهما من ذوي السمعة الكبيرة ، ولهذا تقرر أن يكونا من جملة المعتقلين . وقد وافق النقيب على اعتقال الجميع ماعدا هذين الرجلين حيث قال للمس بيل : « كلا ، لا يمكنكم حبسهما ولا نفيهما لأن الفضيحة ستكون بالغة الاثر . لكني لو كنت متيقنا من تأييد الكولونيل ويلسون لعملي لبعثت عليهما وأعربت لهما عن استنكاري لسيرهما ، اني على علم بأنهما مندفعان بدوافع دينية ، وان الاعتبارات الدينية هي التي ستكون أسس حججهما ، واني كما لايخفى أتكلم عن جميع ماله علاقة بالدين بثقة وحجة » .

وتقول المس بيل ان أحد المناوئين للانكليز لم يكن اسمه داخلا في القائمة ، فذكره النقيب وأكد على انه محتال وماكر ، وطلب من المس بيل أن تخبر ويلسون عن لسانه بأنه لا يسمح لهذا الرجل بالبقاء في بغداد .

استغرق الحديث بين النقيب والمس بيل ساعة ونصف ، وحين استأذنت للخروج أعرب عن مودته الشخصية لها وذكرها بصداقته القديمة لها التي ترجع الى ما قبل الحرب بعدة سنوات ، ولما شكرته على ذلك طلب منها أن تعتبره بمنزلة الوالد[٣٨] .

---

(٣٦) المس بيل (المصدر السابق) ـ ص ٤٧٤ ـ ٤٧٨ .

(37) Atiyyah (op. cit.) - P. 275.

(٣٨) المس بيل (المصدر السابق) ـ ص ٤٧٩ ـ ٤٨١ .

الفصل السابع

نشأة الحركة الوطنية في بغـداد

يمكن القول ان الاستفتاء كان حافزا لنشوء مانسميه بـ « الحركة الوطنية » في العراق ، وهي الحركة التى تبناها المعارضون للحكم البريطاني واتخذوا فكرة « الاستقلال » لهم شعارا • ان الجهود التي بذلها ويلسون واعوانه في اثناء الاستفتاء لجعل العراقيين يطالبون بالحكم البريطاني المباشر أنتج رد فعل لدى المعارضين جعلهم يطالبون بالاستقلال ، كما أن المقاومة التي أبداها ويلسون وأعوانه ضد أختيار أحد انجال الشريف حسـين جعل المعارضين يصرون على هذا الاختيار ويعتبرونه رمزا لحركتهم •

مما يلفت النظر ان الافندية والملائية الذين تزعموا حركة المعارضة كانوا قبلئذ يذمون الشريف حسين وانجاله ويعدونهم مارقين عن الاسلام، غير أنهم تحولوا الى العكس من ذلك في اثناء الاستفتاءحيث صاروا من اكثر الناس حرصا على اختيار أحد انجال الشريف لعرش العراق • ان هذا يعدُّ من جملة الاغلاط السياسية التي اقترفها ويلسون في العراق • فهـو قد غفل عن المبدأ القائل : « ان المرء حريص على ما منع » • ومن الجديـر بالذكر ان كوكس الذي عاد الى العراق في خريف ١٩٢٠ أدرك أهميـة هذا المبدأ وطبقه تطبيقاً بارعاً ـ كما سنأتي اليه بتفصيل في الجزء القادم من هـذا الكتـاب •

ان بوادر الحركة الوطنية ظهرت في بداية الامر في بغداد وكربلاء ، أولاهما بتأثير الافندية ، والثانية بتأثير الشيرازي وحاشيته ولا سيما ابنه المرزا محمد رضا • ثم سرت عدوى الحركة بعدئذٍ الى المدن والمناطق الاخرى •

نحاول في هذا الفصل دراسة البوادر التي ظهرت في بغداد ، على أن

ندرس تلك التي ظهرت في كربلاء في الفصل التالي •

بداية غير موفقة :

من الجدير بالذكر انتنظيم المضابط المطالبة بالاستقلال لم يتوقف في بغداد عند انتهاء الاستفتاء ، بل ظل مستمرا ، وكان الغرض من هذه المضابط ارسالها الى سوريا لكي يطلع عليها فيصل وتنشر في الصحف الاجنبية • وقد أرسلت تلك المضابط الى سوريا فعلا بيد اثنين من الافندية هما حسن فهمي وصبيح نجيب ، كما قدمت نسخ منها الى القنصليات الامريكية والفرنسية والايرانية في بغداد[1] •

ولم يكتف الوطنيون بذلك بل حاول بعضهم دعوة الجمهور الى الاجتماع في أحد المساجد الكبيرة للاستماع الى بعض الخطب الوطنية ولاختيار مندوبين عنهم للذهاب الى سوريا أو الى اوربا ، ولكن هذا الاجتماع لم يتم عقده لان السلطة أحست به قبل وقوعه فطوقت المسجد ومنعت الدخول فيه ، كما القت القبض على ثلاثة من الافندية هم : محمود السنوي ورشيد الشبلاوي ومحمود البعقوبي ، ونفتهم الى الهند ثم الى اسطنبول[2] •

شعر الوطنيون بضرورة تنظيم أنفسهم تنظيما سريا • وفي أواخر شباط ١٩١٩ تم تنظيم حزب سري باسم « حرس الاستقلال » ، وكان المؤسسون له : جلال بابان وشاكر محمود ومحمود رامز وعارف حكمت وحسين شلال وسعيد حقي وعبدالمجيد يوسف وعبداللطيف حميد ومحي الدين السهروردي[3] •

وفي الوقت نفسه تأسس حزب سري آخر هو فرع من حزب العهد،

---

(١) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ـ بغداد ١٩٥٤ ـ ص ٨٦ ـ ٨٧ •
(٢) محمد المهدي البصير (تاريخ القضية العراقية) ـ بغداد ١٩٢٣ ـ ص ١٣٦ •
(٣) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ـ صيدا ١٩٧٢ ـ ص ٥٩ •

وقد ترأسه الشيخ سعيد النقشبندي ، وكان من أعضائه المؤسسين : أحمد عزت الاعظمي وحسن رضا وبهاء الدين سعيد ونوري فتاح وعلاء الدين النائب وأمين زكي • وكان نوري فتاح صلة الوصل بين هذا الفرع ومركز الحزب في دمشق •

لم تمر على تأسيس هذين الحزبين سوى فترة وجيزة حتى بدأ الخلاف والتنازع يظهر بينهما • يقول مهدى البصير : ان العلاقات بين الحزبين كانت سيئة جدا فطالما تبادل رجال الحزبين الشتائم حتى صار الطعن في الاخلاق والمبادىء أمرا اعتياديا عندهم ، وأخذ بعضهم يتهم الآخر بالمروق من الوطنية والخيانة للوطن ...(٤) •

اختلفت الأقوال في تعليل هذا النزاع بين الحزبين ، فهناك من يقول ان النزاع بينهما كان مبعثه بعض القضايا الشخصية(٥) • وهناك من يقول ان سبب النزاع فقرة وردت في منهاج حزب العهد في دمشق تنص على قبول مساعدة بريطانيا الفنية والاقتصادية للحصول على استقلال العراق ، وقد اعترض حزب الحرس على هذه الفقرة اذ هو يعتبر بريطانيا ذات مطامع استعمارية في العراق وهو يفضل في موضوع المساعدة أية دولة أخرى على بريطانيا(٦) •

كان العهديون يتهمون الحرسيين بأنهم من عملاء الاتراك ، بينما كان الحرسيون يتهمون العهديين بأنهم من عملاء الانكليز • وحين علم مركز حزب العهد في دمشق بهذا النزاع أرسل الى بغداد وفدا مؤلفا من جميل المدفعي وابراهيم كمال وأحمد جلميران ، وقد وصل الوفد الى بغداد في ٢ تموز ١٩١٩ ، ونزل في بيت علي البازركان • وحاول المدفعي الاصلاح

---

(٤) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ـ ص ١٤٥ •
(٥) جريدة (صدى الاحرار) الموصلية ـ في عددها الصادر في ١٩ ايار ١٩٥٣ •
(٦) محمد طاهر العمري (مقدرات العراق السياسية) ـ بغداد ١٩٢٥ ـ ج ٣ ص ٥٧ ـ ٥٨ •

بين الحزبين ووزع على البعض منهم سبعمائة باون[٧] ، غير انه لم يوفق في مهمته اذ هو لم يكد يغادر بغداد حتى عاد الحزبان الى التشاتم والنزاع من جديد • وانتهى الامر بكليهما الى الانحلال •

بذرة جديدة :

في ١٠ آب ١٩١٩ قدم علي البازركان وحسن رضا وابراهيم العثمان طلبا الى نظارة المعارف لفتح ثانوية أهلية • وذهب البازركان الى الكابتن بيز ناظر المعارف وقدم اليه الطلب ، فسأله بيز : « لماذا تطلب مدرسة أهلية ومدارس الحكومة كثيرة ؟ » فأجابه البازركان : « ان المدارس الحكومية هي مدارس ابتدائية ولا يوجد بينها مدرسة ثانوية أو اعدادية، واكثر الشباب العراقي انقطع عن الدراسة وأخذ يتسكع في الطرقات بعد أن اغلقت المدارس الثانوية التركية ، وهم الآن يترحمون على أيام العثمانيين ويودون عودتهم الى البلاد ، فاذا ما حصلت على اجازة بفتح مدرسة ثانوية استطيع أن أنقذهم من مستقبل مظلم ، هذا بالاضافة الى أن لليهود والنصارى مدارس أهلية كثيرة تجمع شبابهم »[٨].

وافقت نظارة المعارف على تأسيس المدرسة ، ونشر علي البازركان في جريدة « العرب » بيانا هذا نصه :

شكر وبشرى

سمحت لنا الحكومة البريطانية المعظمة بفتح مدرسة ثانوية تلقب بـ (المدرسة الاهلية) ، غايتها تعليم وتربية أبناءنا • فنشكر الحكومة على عواطفها ونتمنى من جميع الاهلين المعاونة على انجاز هذا المشروع • والله خير موفق ومعين •

آل بازركان

علي[٩]

---

(٧) علي البازركان (المصدر السابق) ـ ص ١٦٠ ، ١٨٢ •

(٨) المصدر السابق ـ ص ٩٢ •

(٩) جريدة (العرب) ـ في عددها الصادر في ١١ ايلول ١٩١٩ •

استؤجرت للمدرسة دار تعود الى رشيد باشا الزهاوي وهي تقع خلف جامع الوزير في محلة جديد حسن باشا واختير علي البازركان مديرا لها • وفي ٢١ تشرين الثاني أُقيمت حفلة الافتتاح شارك فيها علي البازركان ومحمد حسن كبه ومنير افندى خطيب الاعظمية وجعفر الشبيبي وكاظم الدجيلي وجميل صدقي الزهاوى وأحمد الشيخ داود وغيرهم • وفي ختام الحفلة جرى انتخاب أعضاء مجلس الادارة ، فانتخب عبدالوهاب النائب وحسن رضا وخالد الشابندر وجلال بابان وبهجت زينل وسليمان فيضي[١٠] •

بلغ عدد طلاب المدرسة سبعين ، وكان عدد مدرسيها عشرة ، وهم : صائب شوكت وعلي مظلوم وأمين زكي وجلال بابان ومكي الاورفلي ويوسف الكبير وعبدالرزاق الهاشمي وعبدالكريم الهاشمي وعبدالمجيد المبصر وطه البدري[١١] •

أخذت المدرسة الاهلية تعقد في دارها اجتماعات عامة ، في عصر كل اثنين وخميس ، وكان ظاهر الاجتماعات أدبيا هدفه الاستماع الى الخطب والقصائد في الحث على العلم وحب الوطن ، ولكنها في حقيقتها كانت سياسية وقد أُلقيت فيها قصائد حماسية تدعو الى المطالبة بحقوق الشعب والكفاح في سبيلها « بحد السيف » • وصارت المدرسة كذلك تلقن تلاميذها بعض الاناشيد الوطنية الحماسية ، فكان التلاميذ يخرجون أحيانا في جولات في شوارع بغداد أو ضواحيها وهم ينشدون تلك الاناشيد ، وكانت تلك أول مرة يسمع الجمهور فيها أناشيد حماسية مناوئة للسلطة•

---

(١٠) سليمان فيضى (في غمرة النضال) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ٢٤١ •

(١١) عبدالرزاق الهلالي (تاريخ التعليم في العراق) ـ بغداد ١٩٧٥ ـ ص ٢١٧ •

لم يعر الانكليز أي اهتمام لنشاط المدرسة في أول الامر ، بل تركوها حرة تفعل ما تشاء ، ثم تبين بعد مرور فترة من الزمن أنهم كانوا في ذلك مخطئين . تقول المس بيل عن المدوسة مانصه : « ... كان مستواها أرفع بقليل من مستوى مدارس الحكومة الابتدائية لكنها بالنسبة لسيرها كانت نسبيًا لا اعتراض عليه ، ولذلك لم تجد الحكومة بأسا من مدها بمنحة مالية عندما طلبت لها بعد ذلك . لكن أهميتها السياسية سرعان ما أصبحت اكثر من أهميتها التعليمية ، وما حل الربيع حتى كانت مقرا للوطنيين المتطرفين »(١٢) .

اعادة تاسيس الحرس :

ان النشاط الوطني الذي نما في أحضان المدرسة الاهلية شجع القائمين بها على اعادة تأسيس حزب « حرس الاستقلال » من جديد . وقد تأسس الحزب فعلا في أواخر ١٩١٩ ، وأصبحت المدرسة مقرا له ، وصار يعقد جلساته السرية فيها .

الملاحظ ان الحزب كان في طور تأسيسه الاول مؤلفا من الافندية وحدهم ، ولكنه عند تأسيسه في المرة الثانية أصبح ذا طابع شعبي عام حيث فتح بابه على مصراعيها لكل من يريد الدخول فيه من التجار ورجال الدين والكسبة ، ولا سيما من الشيعة . وكان من بين الذين انتموا اليه السيد محمد الصدر وهو من ملالي الكاظمية ، والشيخ باقر الشبيبي وهو من أدباء النجف ، وكان لهذين الرجلين أثرهما في توثيق العلاقة بين الحزب وطائفة الشيعة . وفي أوائل ١٩٢٠ عاد جعفر أبو التمن من ايران، وكان قد سافر اليها في صيف ١٩١٩ ، فانتمى الى حزب الحرس . وكان انتماؤه ذا أهمية في توثيق علاقة الحزب بأسواق بغداد لما له من نفوذ فيها .

---

(١٢) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٤٢٤ .

وصادف في ذلك الحين أن تأسست في بغداد جمعية ثقافية باسم « جمعية الشبيبة الجعفرية » ، كان من أعضائها : محمد حسن كبه وصادق البصام وصادق حبه ومحمد الشماع وكاظم الشماع ومحمد مرزا وباقر سركشيك وعبدالرزاق الازري وعبدالعزيز القطان وصادق الشهربانلي وجعفر حمندي وذيبان الغبان ورؤوف البحراني وسليم الحريري(١٣) • وقد استطاع حزب الحرس أن يجتذب اليه أعضاء هذه الجمعية ، فانضموا الى الحزب حيث ألفوا فيه جناح الشباب ، وأخذ هذا الجناح ينمو بانضمام شبان آخرين اليه كسامي خونده وقاسم العلوي وغيرهما • وقد صار لهؤلاء الشبان دور ملحوظ في أحداث رمضان التي سنأتي الى ذكرها في فصل قادم اذ كانوا يطبعون منشورات الحزب بالجيلاتين ويلصقونها على الجدران ، كما كانوا يندسون بين الناس في المقاهي والاسواق والمجالس يبثون بينهم الاشاعات المطلوبة ويحرضونهم على التجمع عند الحاجة •

بين بغداد والفرات

في أوائل آذار ١٩٢٠ انتمى السيد هادي زوين ، وهو من وجهاء الجعارة وسادتها ، الى حزب الحرس • ومنذ ذلك الحين أخذ هذا الرجل يتردد بين بغداد والنجف حيث صار واسطة الاتصال بين حزب الحرس والفرات الاوسط علاوة على باقر الشبيبي •

وفي شهر نيسان ١٩٢٠ كانت الحركة الوطنية قد نضجت في الفرات الاوسط ، وجرى الاستعداد من قبل الكثيرين من رؤساء العشائر لحضور زيارة منتصف شعبان في كربلاء للاتفاق على خطة للعمل • وجاء السيد

---

(١٣) نقلا عن رسالة غير مطبوعة لعبدالرزاق الدراجي نال بها شهادة الماجستير من قسم التاريخ في كلية الآداب ، وموضوعها : (جعفر ابو التمن) ، وهي رسالة قيمة ومن المؤسف أن صاحبها مات بعد نيله الشهادة بمدة وجيزة • نرجو من وزارة الاعلام طبع هذه الرسالة لاهميتها •

هادي زوين الى بغداد لدعوة البغداديين لارسال مندوب عنهم الى كربلا(١٤) • وفي ٢٢ نيسان عُقد في دار حمدي باشا بابان اجتماع حضره السيد هادي زوين وجعفر أبو التمن والسيد محمد الصدر ويوسف السويدي ورفعت الجادرجي وفؤاد الدفتري وأحمد الشيخ داود وسعيد النقشبندي وعبدالوهاب النائب ، كما حضره من الشبيبة جلال بابان وصادق حبه وصادق الشهربانلي • وقد بسط السيد هادي في الاجتماع حالة الفرات الاوسط واستعداد الرؤساء والعلماء للعمل ، وطلب من البغداديين تحديد موقفهم من ذلك ، فأجابه جعفر أبو التمن بأن البغداديين مستعدون للعمل بمقدار ما يبديه علماء الفرات ورؤساؤه من معاضدتهم ، ثم أردف يقول انه عازم على السفر الى كربلاء لحضور زيارة منتصف شعبان • فوافق الحاضرون على رأيه وقرروا أن يكون مندوبا عنهم للاتفاق مع الشيرازي والرؤساء •

وفي ٢ أيار سافر أبو التمن الى كربلا بصحبة السيد هادي زوين ، فقابل الشيرازي كما حضر الاجتماع الكبير الذي عُقد هناك • وبعد انفضاض الاجتماع سافر أبو التمن مع السيد هادي الى النجف فقابل فيها بعض العلماء والرؤساء ، ثم عاد الى بغداد •

كان «الانتداب» قد أُعلن في بغداد في أثناء غياب أبو التمن عنها ، ولما عاد أبو التمن اليها وجد فيها الاستياء من « الانتداب » شديداً • وفي ٩ أيار عُقد اجتماع ثاني في بيت حمدي بابان حضره الذين حضروا الاجتماع الأول ، وقد تحدث أبو التمن فيه عما وجده من تصميم على العمل لدى العلماء والرؤساء في الفرات الأوسط • فقرر الحاضرون المباشرة بنشر الدعوة في بغداد الى انشاء الحكومة الوطنية • وفي اليوم التالي عقدت الهيئة

(١٤) نقلا عن أوراق علي البازركان • واني اشكر حسان علي البازركان على اعارته اياي تلك الاوراق •

التنفيذية لحزب الحرس اجتماعاً قررت فيه استغلال شهر رمضان الذي كان قريباً للقيام بتظاهرات سياسية تحت ستار الحفلات الدينية (١٥) .

وفي ١٣ أيار عقد اجتماع آخر في بيت فؤاد الدفترى حضره بعض البغداديين من ذوى الميول التركية ،وهم : فتاح باشا وأحمد أوراق وعبدالله صبري والحاج دلي البيمباشي ونجيب أفندي وفؤاد أفندي مدير السنية ومراد بك سليمان وصالح بك قائمقام الرديف ومصطفى بك الاطرش ومدحت بك وقاسم راجي وغيرهم. وقد قرروا في الاجتماع رفض الانتداب البريطاني وطلب الانتداب التركي أو الاستقلال التام . واقترحوا تنظيم أنفسهم في جمعية سموها " فداء الوطن " (١٦) . ولكن هذا الاجتماع لم يكد ينفض حتى وصل خبره الى الاستخبارات البريطانية ، والظاهر أن أحد الحاضرين كان عيناً للانكليز فيه فقدم لهم تقريراً بأسماء الحاضرين وما جرى في الاجتماع من مداولات .

اعلان الانتداب :

كانت مقررات سان ريمو قد أعلنت في أوربا في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ ، حيث قضت بأن يكون العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي . وقد وصلت هذه المقررات الى ويلسون في ١ أيار ، فأوعز ويلسون بنشرها في العراق كما أصدر معها بلاغاً عاماً يشرح للناس فيه معنى الانتداب ويحببه الى قلوبهم .

لايسعنا المجال نقل البلاغ كله ، ونكتفي بنقل الجزء المهم منه . فقد أشار البلاغ في البداية الى الغاية « النبيلة » التي تسعى نحوها بريطانيا في انتدابها على العراق ، وذكر ماقاساه العراق من الظلم وسوء الادارة في القرون الماضية ، وكيف أن بريطانيا انما قبلت أن تقوم بمهمة الوصاية

---

(١٥) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) - ص ١٤٢ - ١٤٤ .
(16) Atiyyah (IRAQ) - Beirut 1973 - P. 315 - 316.

عليه من أجل أن ترشده الى ما فيه نفعه وخيره • ثم قال البلاغ ما نصه :

« لبلوغ هذه الغاية لاينبغي أن تقتصر مساعي الوصي على الاعتناء بترقية البلاد الموصى بها ترقية مادية فقط ، بل انه يترتب على الدولة الوصية أن تجعل نفسها ذلك الحارس العاقل النبيه ، البعيد النظر ، الساهر على مصلحة البلاد ، فيأخذ بيد شعبها ويسير به نحو الرقي ، ويدربه تدريباً يجعله صالحاً للجلوس في مصاف شعوب العالم ••• بيد أن الاصلاح والتجديد ، وان كانا لا يتمان بيوم واحد ، فانه لا يعسر القيام بهما مع شعب ذكي كالشعب العراقي السريع الادراك والتعلم ، الغيور على السعي وراء الانتفاع من نتائج العلم • فقد بدت علائم الانتعاش والنهوض في كل مكان ، واستتب الأمن مكان الاضطراب ، وتحولت الاراضي المقفرة الى صروح خصبة زاهية ، وأصبح الفقير آمنا جور القوي وبغيه ، وأمسى الغني يتنعم بسلم وطمأنينة بثروته ••• وكما يستبشر الوصي ويفرح بنمو القاصر الموصى به حين يبلغ سن الرشد ويصبح رجلاً حراً مستقلاً ، كذلك تستبشر الدولة الوصية وتبتهج عندما ترى المعاهد السياسية آخذة بالرقي والتقدم حتى تصبح حرة مستقلة قوية الدعائم ثابتة الاركان • وهنالك الدليل الواضح على نجاح العمل الذي شرع به ، وهو الاساس الثابت الذي يبنى عليه الاعتماد المتبادل والصداقة الدائمة » (١٧) •

كان ويلسون يظن أنه بمثل هذا الكلام المعسول سيقنع العراقيين بنفع الانتداب لهم ، وهذا يدل على جهله بالطبيعة البشرية • فان الكلام مهما كان معسولاً لايمكن أن يؤثر في العقل البشري الا اذا كان العقل مستعداً للتأثر به ، أما اذا كان العقل غير مستعد فان الكلام قد يؤدي الى عكس المطلوب منه • وهذا هو ما حدث فعلاً عند نشر البلاغ في جريدة

---

(١٧) جريدة (العرب) ـ في عددها الصادر في ١٣ أيار ١٩٢٠ •

« العرب » ، فان الناس أخذوا يعلنون تذمرهم واستياءهم من الانتداب قائلين : « هل نحن أطفال لكي نحتاج الى وصي يرعى شؤوننا » . وانتشر بين التلاميذ في المدارس نشيد يتضمن البيتين التاليين :

الحماية والوصاية كلها معنى الأسر
وعلى العيش بذل أبداً لانصطبر

يعلل ويلسون هذا الاستياء من الانتداب بأنه موحى به من قبل فئة صغيرة من الطموحين الميالين الى الانتقاد ، وان هذه الفئة قد تلقت تشجيعاً على ذلك من بعض الضباط البريطانيين العاملين في حكومة دمشق . ثم يقول ويلسون : ان لفظة « الانتداب » لم تكن مستحسنة في نظر العرب لانها تعني السيطرة أو ما يشبه ذلك ، ولو استعمل تعبير « الائتمان » بدلاً عنها لأمكن تحاشي بعض اعتراضات العرب (١٨) .

يحسب ويلسون ان استبدال كلمة بأخرى يكفي لجعل الناس يرضون بالانتداب . وما درى ان الامر أعمق من ذلك . فلو جيء بأجمل الكلمات وأروعها لما تغيرت نظرة الناس الى الانتداب شيئاً ، فما دامت عقولهم مشحونة بالعداء للانكليز فلابد أن يرتابوا وينفروا من أي شيء يصدر عنهم مهما كان اسمه أو شكله . وقد صدق الشاعر العربي حين قال :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساويا

(18) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 252.

الفصل الثامن

نشأة الحركة الوطنية في كربلاء

نشأت الحركة الوطنية في كربلاء ، مثلما نشأت في بغداد ، على أثر الاستفتاء . وكان لولبها وقطب رحاها المرزا محمد رضا ، وكان أبوه يؤيده في ذلك .

أسس المرزا محمد رضا في كربلا جمعية سرية بأسم « الجمعية الاسلامية » انتمى اليها عدد من رؤساء كربلا وسادتها كان من بينهم : هبة الدين الشهرستاني وحسين القزويني وعبدالوهاب الوهاب وعبدالكريم العواد وعمر العلوان وعثمان العلوان وطليفح الحسون وعبدالمهدي القنبر ومحمد علي أبو الحب [١] . وكان هدف الجمعية رفض الحكم الانكليزي والمطالبة باستقلال العراق واختيار ملك مسلم له . وقد أصدر الشيرازي فتواه المشهورة لتأييد هذه الجمعية وهذا نصها : « ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين » [٢] .

كان أهل كربلاء كأهل بغداد منقسمين الى فريقين : موالين للسلطة ومناوئين لها . وكان علماء كربلا منقسمين كذلك ولكن الموالين منهم لم يعلنوا ولاءهم جهاراً خشية سوء السمعة . فقد ورد في أحد التقارير الانكليزية السرية التي كتبت بعدئذ أن عدداً كبيراً من علماء كربلا أعربوا للحاكم السياسي عن نفورهم من حركات المرزا محمد رضا ورفضهم

---

(١) عبدالرزاق الوهاب (كربلاء في التاريخ) - بغداد ١٩٣٥ - ج٣ ص ٢٥ .

(٢) الغريب ان كل المؤلفين الذين كتبوا عن ثورة العشرين أجمعوا على ان هذه الفتوى صدرت بمناسبة الاستفتاء ، وهذا خطأ واضح لا ادري كيف غفلوا عنه مع العلم ان تاريخ الفتوى مسجل عليها بخط الشيرازي نفسه وهو ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ - وهو يوافق ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩ م - أي أنها صدرت بعد انتهاء الاستفتاء .

الاشتراك فيها (٣) .

لما صدرت فتوى الشيرازي أيدها سبعة عشر من علماء كربلاء ووضعوا أختامهم عليها ، ثم أُرسلت نسخ منها الى بعض مدن وعشائر الفرات الاوسط (٤) وكان الغرض من ذلك ترويج الدعاية للجمعية الاسلامية ومنع الناس من قبول الحكم البريطاني وحثهم على المطالبة بالاستقلال .

من الممكن القول ان فتوى الشيرازي كانت عاملاً مهماً في تطوير الوعي السياسي في العراق ، فهي قد جعلت الدين والوطنية في اطار واحد ، وهذا أمر جديد لم يكن الناس يألفونه من قبل . وبذا أصبح الوطني متديناً والمتدين وطنياً . وانتشر بين الناس الحديث المنسوب الى النبي وهو « حب الوطن من الايمان » ، وصار شعاراً للحركة الوطنية الجديدة .

الشكوى الى امريكا :

في ١٣ شباط ١٩١٩ ـ أي بعد صدور الفتوى بعشرين يوماً ـ كتب الشيرازي كتابا بالفارسية يشكو فيه من تعسف السلطة الانكليزية في العراق ، وأرسله سراً الى ايران لتقديمه الى الوزير المفوض الامريكي في طهران . وفيما يلي ترجمته العربية :

تحظى بخدمة جناب الأجل سفير دولة أمريكا المتحدة في طهران المحترم .

بعد الاحترام اللائق لزمنا ان نحرر لكم في هذه الآونة على سبيل الايجاز وذلك نظراً الى ما أملته حكومة الولايات المتحدة من الشروط المعروفة التي قدمها رئيس جمهوريتها لاحقاق الحقوق وتقرير المصاير قد رأينا أن نراجع حكومة الولايات المتحدة بتوسطكم ونستعين بها في تأييد حقوقنا بتشكيل دولة عربية ، ولا يخفاكم ان كل أمة مطوقة بالقوات العسكرية

(3) Atiyyah (IRAQ) - Beirut 1973 - P. 336.

(٤) عبدالرزاق الوهاب (المصدر السابق) ـ ج٣ ص ٤٥ ـ ٤٧ .

المحتلة من كل الجوانب لاتجد امامها مجالا حرا للتعبير عن ارائها في الحرية والاستقلال ، أما حرية الرأي المزعومة في هذا العهد فلا يطمئن اليها الناس لهذا خشي اكثر الاهالي أن يعلنوا رغائبهم ويكشفوا عما في ضمائرهم ، واذا ظهر منهم خلاف ذلك فانه لاشك منبعث عـن الظروف القاسية المحيطة بهذه البلاد ، لذلك رأى الشعب أن يستعين بحكومة الولايات المتحدة على المطالبة بحقوقه وانجازها . ١٢ جمادى الاول سنة ١٣٣٧ .

محمد تقي الحائري الشيرازي

وفي الوقت نفسه كتب الشيرازي بالتضامن مع الشيخ فتح الله الاصفهاني، الذي يليه في المنزلة الدينية ، كتاباً موجهاً الى الرئيس الامريكي وددرو ويلسون . وفيما يلي ترجمته العربية .

الى حضرة رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية .

ابتهجت الشعوب جميعها بالغاية المقصودة من الاشتراك في هـذه الحروب الاوربية من منح الأمم المظلومةحقوقها وافساح المجال لاستمتاعها بالاستقلال حسب الشروط المذاعة عنكم . وبما أنكم كنتم صاحب المبدأ في هذا المشروع ، مشروع السعادة والسلام العام ، فلا بد أن تكونوا الملجأ في رفع الموانع عنه ، وحيث وجد مانع قوي يمنع من اظهار رغائب كثير مـن العراقيين على حقيقتها بالرغم مما أظهرته الدولة البريطانية من رغبتها في ابداء آرائهم ، فرغبة العراقيين جميعهم والرأي السائد بما أنهم أمة مسلمة أن تكون حرية قانونية واختيار دولة جديدة عربية مستقلة اسلامية وملك مسلم مقيد بمجلس وطني . وأما الكلام في أمر الحماية فان رفضها او الموافقة عليها يعود الى رأي المجلس الوطني بعد الانتهاء من مؤتمر الصلح ، فالأمل منا حيث أننا مسؤولون عن العراقيين في بث آمالهم وازالة الموانع عن اظهار رغائبهم بما يكون كافياً ليطلع الرأي العام على حقيقة الغاية التـي طلبتموها في الحرية التامة ويكون لكم الذكر الخالد في التاريخ ومدنيته الحديثة .

شيخ الشريعة الاصفهاني — محمد تقي الحائري الشيرازي

نفـي واعـادة :

ان نشاط المرزا محمد رضا وأعوانه في كـــربلا أخاف الســـلطة الانكليزية مما دفعها الى القيام باجراء حسبته رادعاً • ففي ٢ آب ١٩١٩ القت القبض على ستة أشخاص من أهل كربلا وسفرتهم الى بغداد بغية نفيهم الى الهند ، وهم : عمر العلوان وعبدالكريم العواد وطليفح الحسون ومحمد علي أبو الحب والسيد محمد مهدي المولوي والســـيد محـــمد علي الطباطبـائي •

أرسل الشيرازي الى ويلسون في ٥ آب كتاباً يحتج فيه على تسفيرهم ويطلب منه اخلاء سبيلهم حيث وصفهم بأنهم لم يفعلوا شيئاً سوى القيام بالمطالبة السلمية بحقوق البلاد المشروعة • فأجابه ويلسون بكتاب هذانصه :

حضرة آية الله العظمى حجة الاسلام المرزة محمد تقي الحائري الشيرازي دامت بركاته •

لي الشرف أن أعرض لكم أنه وصلنا كتابكم المؤرخ ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ تذكرون بكل أسف أن الاعمال التي أقدمت عليها حكومة بريطانيا العظمى لاجراء واجباتوظائفها ، ولحفظ أحكام القوانين والانظمة، أوجبت استياء وتشويش العلماء الاعلام دامت بركاتهم في كربلا • وكنت أعتقد ان تجاريب الاربع سنوات الماضية قد أثبتت لدى حضرتكم ومتعلقيكم بان الحكومة البريطانية اعتنت بصيانة وسلامة العتبات المقدسة اكثر من أية دولة أخرى •

كانت كربلا منذ مدة طويلة بؤرة للاغتشاشات والثورات بين الاهالي والحكومة ، وكما لايخفاكم بأن هذه الثورات كانت تحدث اضراراً وخسائر وتلفيات كثيرة من قبل الجنود التركية على الاهالي والمدينة ، ولا سيما ان شرف العلم والعلماء كان غير مصون في تلك العصور مما أدى الى تيقـظ الحكومة البريطانية واهتمامها بمثـــل هذه الاحوال المخالفة للعـــادات البريطانيـــة •

لقد حصلت لنا اطلاعات كافية في مدة الاثنى عشر شهراً الماضية تثبت ان بعض الاشخاص في كربلا يقومون بتشويش الاذهان ، وينشرون اخباراً غير مرضية ، وغايتهم من ذلك تشويش أفكار الناس ضد الحكومة البريطانية • وكنت منتظراً من مدة طويلة انتهاء هذه الاشاعات الغير مرضية بعد اعلان الصلح ولكني ألاحظ ان الأمر قد انعكس وان بعض الجاهلين قد زادت جسارتهم وكثر سعيهم في تشويش الناس • فلذا لاحظت أن من الواجب القبض على بعض الافراد • وان الاشخاص الذين قبض عليهم هم أربعة من أهالي المدينة الذين لم تكن لهم أية علاقة معكم ولا مع العلماء الاعلام والروضات المطهرة • والاثنان اللذان هما من السادة ، وان لم يكونا من ذوي الاهمية ، الا انهما كانا ينشران الاشاعات الكاذبة ضد الانكليز ، وهو باعث لتشويش أفكار الأهالي • ونظراً لاقداماتكم فقد عزمنا على تسريح السيد محمد علي الطباطبائي وارساله الى سامراء على أن يسكن هناك ولا يخرج منها بدون اجازة منا • فنرجوكم اشعاره بهذا الأمر تحريرياً عند وصول كتابنا هذا اليكم مع اخباره بان يبقى هناك ساكتاً وان لا يتدخل في أمور الناس ، واذا تخلف عن التقيد بهذا الامر فأننا بكمال حريتنا ننفيه عن هذه المملكة الى محل لايتمكن فيه من احداث أي تشويش • أما السيد محمد مهدي المولوي فان له اليد الطولى في تشويش أفكار العموم ، وبما أنه هندي الاصل فقد استحسنا ارساله الى وطنه الاصلي حيث يعيش بكمال الحرية لأنه لايمكن ابقاؤه في كربلا حيث وجوده موجب لعدم استراحة الناس فيها •

لنا وثيق الرجاء ان بعض الاشخاص في كربلا قد انتبهوا واحترزوا من بعض أعمالهم التي توجب عليهم المسؤولية • ان حكومة بريطانيا ترغب في اعطاء جميع الناس الرفاهية التامة ، لكنها لاتود أن يستعمل بعض الاشخاص هذه الحرية والرفاهية لاغراض تولد الاغتشاشات والتشويشات بين الناس • وقد قدمت هذه الرسالة بواسطة النواب محمد حسين خان ،

المعروف بالخدمة لدينا ، وفي الحقيقة أنه الرجل الوحيد الذي نعتمد عليه، وقد زودته ببعض معلومات شفهية ليعرضها على حضرتكم والسلام •

لفتننت كولونيل اي • تي • ولسن
القائم بأعمال الحاكم الملكي العام في العراق(٥)

عندما وصل هذا الكتاب الى الشيرازي تألم كثيراً وأعلن عن عزمه على الهجرة الى ايران لكي يفتي من هناك بالجهاد ضد الانكليز • ولما انتشر خبر عزمه على الهجرة أخذت الرسائل ترد اليه من الكاظمية والنجف وغيرهما يبدي أصحابها عزمهم على الهجرة معه • وفيما يلي ننقل احدى تلك الرسائل :

الى مقامكم الروحاني المقدس نرفع خلوصنا ونقدم واجب احترامنا •

ياآية الله الكبرى ان حادث كربلاء المقدسة أقام قيامة العلماء وكدر خواطر الفقهاء ، أدمى القلوب وأبكى العيون ، كيف لا وانه اعتداء على مقام الاسلام ، وتوهين بمنازل العلماء الاعلام ، ومس لكرامة أهل البيت عليهم السلام ، واستهانة بالشريعة ، وتحقير للشيعة • ياحجة الاسلام ، لم يبلغنا خبر هجرتكم الا" وصممنا على اتباعكم والسير على منهاجكم فلا تطيب لنا بعدكم دار ولا يكون لكافة أهل العلم قرار ، فآمرونا فاننا ممتثلون طوع أمركم ورهن اشارتكم ، فقد حرم والله علينا البقاء في هذه الديار التي أكلها الظلم ، فكبر علينا أن نرى أنفسنا أذلاء تحت رحمة الاستبداد وسلطة الاستعباد ، فالهجرة أولى والحركة الى مواطن العمل أحرى •

التواقيع :

سعيد كمال الدين ، محمد باقر الشبيبي ،محمد الشيخ يوسف ، سيد حسين كمال الدين ، عبدالرضا السوداني ، سيد أحمد الصافي ، سيد سعد جريو (٦) •

لم يطل الأمر بالمبعدين سوى أربعة أشهر • فقد وجد ويلسون ان

(٥) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ــ صيدا ١٩٧٢ ــ ص ٩٠ ــ ٩٢ •

(٦) عبدالرزاق الوهاب (المصدر السابق) ــ ج٣ ص ٨٥ •

من المصلحة استرضاء الشيرازي فأوعز باعادتهم ، كما أنه أرسل مبلغاً كبيراً من المال الى الشيرازي بيد معتمده محمد حسين خان الكابولي • وقد رفض الشيرازي قبول المبلغ غير أنه كتب الى ويلسون رسالة مجاملة ، فأجابه ويلسون برسالة شكره فيها وأشار الى التقدم المادي الذي حصل في العراق خلال السنتين او الثلاث الماضية ، وشمول الهدوء والسكينة في أنحاء البلاد بصورة لم يسبق لها مثيل • وطلب منه ان يساعد الحكومة في ذلك [٧] •

كانت عودة المبعدين الى كربلا في يوم ٢ كانون الأول ١٩١٩ ، فاستقبلوا فيها استقبالاً رائعاً • وقد ظن ويلسون أنه هدأ الوضع باعادتهم ، وما درى انه زاده اشتعالاً • فانهم أصبحوا في نظر الناس أبطالاً وطنيين يشار اليهم بالبنان ، وبهذا صاروا قدوة لغيرهم اذ أخذ كل شخص يحاول أن يكون وطنياً مثلهم لكي ينال السمعة التي حصلوا عليها • تقول المس بيل في ذلك ما نصه : « ولكن أولئك المشبوهين أطلق سراحهم بكفالة المرزا محمد تقي نفسه ، فعادوا في الحال الى سيرتهم الاولى • وبهذا فقد شجع الحادث حبك الدسائس بدلاً من ايقافها عند حدها » •وتضيف المس بيل الى ذلك قائلة : « وفي أوائل آذار ١٩٢٠ قيل ان المرزا محمد تقي الشيرازي أصدر فتوى يحرم فيها توظف المسلمين في الادارة البريطانية • وكتب الحاكم السياسي في الديوانية يقول ان جثة أحد أفراد الشبانة لم يسمح بدفنها حسب الاصول الشيعية المتبعة ، وان الاستقالات من خدمة الحكومة تزداد يوماً بعد يوم ••• » [٨] •

المعاهدة البريطانية الايرانية :

كان كوكس منذ أواخر ١٩١٨ يسعى في طهران لعقد معاهدة بين بريطانيا وايران ، وقد استمرت مفاوضاته من أجلها تسعة أشهر ، وكان

---

(٧) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ص ٩٢ ـ ٩٣ •
(٨) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٤٤١ •

رئيس الوزارة الايرانية « وثوق الدولة » ميالاً لعقدها بينما كان الشعب الايراني معادياً لها ومتذمراً منها •

كان من الطبيعي أن يسري عدوى التذمر من المعاهدة الى كربلا ، وذلك لسببين أولهما : ان كربلا كانت تضم جالية ايرانية كبيرة ، ولابد أن تتحسس هذه الجالية بأحداث ايران وتتأثر بها • والثاني : ان انتقال المرجعية الدينية الى الشيرازي وهو يسكن كربلا جعل هذه البلدة مقصداً للكثير من الزوار والطلبة الايرانيين ،وهذا يؤدي طبعاً الى ازدياد تأثرها بأحداث ايران •

في نيسان ١٩١٩ دعا الشيرازي الشيخ فتح الله الاصفهاني والسيد اسماعيل الصدر الى اجتماع في بيته للمداولة في أمر المعاهدة • وقد ُعقد الاجتماع في ١١ منه ، وبعد المداولة قرر الثلاثة ارسال برقية الى وثوق الدولة يطلبون منه الامتناع عن عقد المعاهدة • وفي ما يلي ترجمة البرقية :

مقام منيع رئاسة الوزراء العظام دام تأييدهم •

بعد تقديم الأدعية الخالصة نعلمكم أن الكتب العديدة التي وردت من ايران تنبيء عن أنكم عقدتم مع الانكليز معاهدة خشي منها من راعى العواقب ذهاب استقلال ايران ، فأوجب ذلك اضطرابنا نحن خدام الشريعة المطهرة • ونحن من جهة لا نتصور أن عاقبة هذا الأمر تخفى على جنابكم العالي ، أو أنكم والعياذ بالله رضيتم بان تكونوا في عهد رئاستكم للوزارة خاتمة لاستقلال ايران ، ومن جهة أخرى نرى أن هذه المعاهدة صريحة في محو استقلال ايران • ان رجال ايران في الماضي كان لهم أشد المحافظة والاحتياط على استقلال البلاد الاسلامية ويتحرزون من كل ما يشم منه رائحة تمس شرف الممالك الايرانية • فان كنتم قد اتخذتم وسيلة لدرء تلك العواقب فلا بد أن تطلعونا عليها ليطمئن بالنا ويهدأ جميع المسلمين الذين هم في اضطراب شديد ، والا ّ تصدينا للتخلص من هذه المعاهدة المشؤومة بكل ما يمكننا من القوي حتى يظهر للعالم بأسره أن المسلمين يستطيعون أن يكسروا طوق العبودية والرقية ولا يصبرون على الذل

والهوان . والأمل انكم لاترضون بعبودية المسلمين للأجانب وتسعون لما نسعى نحن اليه والسلام .

التواقيع : شيخ الشريعة اصفهاني غروي ، الاحقر اسماعيل الصدر ، الاحقر محمد تقي الشيرازي (٩) .

تولى الشيخ محمد الخالصي مهمة ارسال البرقية الى طهران سراً حيث كلف بها أحد تجار الكاظمية وهو الشيخ هاشم پوستفروش فحملها هذا الى كرمانشاه ومن هناك أبرقها الى طهران . ولكن البرقية لم تؤثر في رئيس الوزارة الايرانية شيئا .. فقد تم عقد المعاهدة في ٩ آب ١٩١٩ ، وفي مساء ٢٠ منه أقامت بلدية كربلا حفلة فخمة في ساحة الميدان ابتهاجاً بعقد المعاهدة أنفقت عليها نحو ألف روبية ، وخطب فيها رجل مصري كان موظفا لدى الانكليز اسمه حماد خيري (١٠) .

اشتدت نقمة الايرانيين على المعاهدة بعد عقدها ، وكان ابن الشيرازي من اكثر الناس نقمة عليها . واضطر وثوق الدولة الى الاستقالة في ربيع ١٩٢٠ ، وقد ألغيت المعاهدة بعدئذٍ .

المرزا محمد البوشهري :

قرر ويلسون في ايلول ١٩١٩ نقل الميجر بوفل من كربلا الى طويريج وعين بدلا عنه في كربلا رجلا من أصل ايراني اسمه المرزا محمد البوشهري (١١) . وقد باشر هذا الرجل في وظيفته الجديدة في ١٤ أيلول.

---

(٩) نقلا عن كتاب (بطل الاسلام) المخطوط للشيخ محمد الخالصي .
(١٠) عبدالرزاق الوهاب (المصدر السابق) ـ ص ٦٠ .
(١١) ان هذا الرجل هو الذي عرف فيما بعد باسم محمد أحمد المحامي ، وكان قبل الحرب موظفا في القنصلية البريطانية في بوشهر ، وفي أثناء الحرب عين في سلك القضاء في البصرة ، ومنها نقل الى كربلاء ، وقد منحه الانكليز لقب « خان بهادور » ، فصار اسمه : « المرزا محمد خان بهادور » .

كان ويلسون يقصد من تعيين البوشهري كسب رضا الشيرازي وأهل كربلا ، ولكن النتيجة الفعلية كانت على العكس مما أراد • حدثني البوشهري ـ وكنت قد زرته في البصرة قبيل وفاته في ربيع ١٩٧٢ ـ فقال انه انجز في أثناء حكمه في كربلاء كثيراً من المشاريع العمرانية والثقافية ، فكانت هذه المشاريع سبباً لاغضاب الكثيرين من أهل كربلا • وروى لي البوشهري أنه زار الشيرازي في أحد الايام فأخذ الشيرازي يلومه على أعماله وقال له : ان الانكليز انما عينوك حاكماً في كربلا لكونك شيعياً اذ أرادوا بذلك استرضاء الناس ، ولكن تبين أخيراً ان الناس غير راضين عنك • ثم أخذ الشيرازي يعدد مساوءه وهي أربعة :

(١) انه جلب الماء الى البلدة بالأنابيب ، (٢) انه فتح مدارس لتعليم اللغة الانكليزية ، (٣) انه فتح مدارس للبنات ، (٤) وأخيراً جاء بالكهرباء وهي مغلفة بشحم الخنزير •

لست واثقاً من صحة هذه الرواية التي حدثني البوشهري بها ، واعتقد ان الشيرازي كان أرفع شأناً واكثر تعقلا من أن يتفوه بمثل هذه الاقوال التي نسبها البوشهري اليه • ولكني مع ذلك لا أستبعد ان تثير أعمال البوشهري غضب الكثيرين من الناس في كربلا ، فتلك عادة الناس دائماً حين يأتيهم أمر جديد لم يألفوه من قبل ، فهم لابد أن يستنكروه ويتقولوا عليه الاقاويل ، وربما قاوموه وحاربوه •

ومن الطريف أن اذكر هنا ان أحد الكربلائيين عندما سألته عن البوشهري أخذ يقدح فيه وقال عنه انه كان يتظاهر بالتشيع بينما هو في حقيقته عدو للشيعة ، انه عوضي أي من العوضية الذين يسكنون في جنوب ايران وهم من الخوارج « لعنهم الله » !

الفصل التاسع

الفرات الاوسط

وفكرة الثـورة المسـلحة

ان رجال الحركة الوطنية في بغداد وكربلا لم يكونوا في بداية أمرهم يفكرون في القيام بثورة مسلحة على الانكليز ، بل كان تفكيرهم متجهاً الى المطالبة السلمية بتحقيق ما وعدهم به الانكليز من الحرية والاستقلال • الواقع ان فكرة الثورة المسلحة لم تظهر الا لدى بعض سادة العشـــائر ورؤسائها في الفرات الاوسط ، وخاصة في المشخاب ، فهم أول من نادوا بها ، ثم صارت دعوتهم تنتشر في المناطق الأخرى شيئاً فشيئاً مما أدى أخيراً الى اندلاع شرارة الثورة في الرميثة •

خصائص الفرات الاوسط :

تميز عشائر الفرات الأوسط بخصائص يندر أن نراها مجتمعة في عشائر العراق الأخرى ، وفي رأيي ان هذه الخصائص هي التي جعلت تلك العشائر تتبنى فكرة الثورة المسلحة قبل الآخرين ، كما أنها هي التي جعلتها تضطلع بالعبء الاكبر للثورة بعدئذ • وسنحاول فيما يلي ذكر أهم تلك الخصائص بايجاز :

اولا : ان الفرات الاوسط هو « المدخل » الثاني للعراق بعد منطقة الجزيرة بالنسبة للقبائل البدوية القادمة من الصحراء ، ولهذا فان عشائره لا تزال تحافظ على الكثير من القيم البدوية من حيث الاعتزاز بالنسب والكرامة الشخصية وشدة التمسك بالعصبية القبلية والدخالة والاباء والثأر وما أشـــبه [1] •

---

(١) علي الوردي (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي) ـ بغداد ١٩٦٥ ـ ص ١٦٠ •

ثانيا : ان الفرات الاوسط كان منذ صدر الاسلام ، ومازال حتى الآن ، مركز التشيع في العالم الاسلامي • فقد كانت الكوفة المركز الاول للتشيع كما هو معروف ،ثم انتقل المركز الى بغداد لفترة قصيرة عاد بعدها الى النجف في القرن الخامس الهجري ، وفي العهد المنولي أصبحت الحلة مركز التشيع ، ثم انتقل منها الى كربلاء، وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي انتقل الى النجف مرة أخرى وبقي فيها • ويجب أن لا ننسى ما في التراث الشيعي من نزعة قوية الى التفلسف والجدل والنقد السياسي • ولهذا أصبح رؤساء الفرات الأوسط اكثر من غيرهم ثقافة ومقدرة على الجدل وانهماكاً في السياسة • فهم لكثرة ترددهم على العتبات المقدسة والأوساط الدينية لابد أن يقتبسوا منها تلك النزعة قليلا أو كثيراً •

ثالثا : في اواخر القرن الثامن عشر حدث في الفرات الاوسط تغير جغرافي كان له أثره الكبير في حياته الاجتماعية ، هو شق نهر الهندية ، فقد تحولت مياه الفرات من مجراها القديم المار بالحلة والديوانية الى المجرى الجديد ، ولهذا اضطرت العشائر القاطنة على المجرى القديم الى الهجرة عنه والانتقال الى الاراضي التي توفرت فيها المياه أخيراً • وقد أدى هذا الانتقال الى حدوث نزاع هائل بين العشائر حول الاراضي ، فصارت كل عشيرة تحاول الاستحواذ على الاراضي الجيدة بقوة سلاحها ، فكان ذلك سبباً اضافياً لتدعيم القيم البدوية في تلك العشائر وتنمية مقدرتها على القتال •

رابعا : ان منطقة من الاراضي الجديدة التي تحول اليها الفرات مؤخراً اختصت بزراعة الرز ، وصارت من جراء ذلك من أغنى المناطق الزراعية في الدولة العثمانية كلها [٢] • وتشمل هذه المنطقة الاراضي التي تقع الى الجنوب من النجف والى الشرق منها أو ما يسمى الآن بالمشخاب والشامية • وقد ورد ذكر هذه المنطقة في أحد التقارير البريطانية لعام

---

(٢) آيرلاند (العراق) ـ ترجمة جعفر خياط ـ بيروت ١٩٤٩ ـ ص ١٨٤ •

١٩١٨ حيث وصفها التقرير بانها « حديقة العراق »[٣] • فهي تنتج نحو أربعين بالمائه من مجموع انتاج الرز في العراق • ومن الجدير بالذكـــر ان للرز اهمية خاصة بالمقارنة الى غيره من الحبوب اذ هو ذو قيمة نقدية كبيرة ، وقد أدى ذلك الى ظهور عدد غير قليل من الرؤساء في هذه المنطقة يملكون ثروات كبيرة مما جعلهم قادرين على التفكير في السياسة وعلى الاشتغال فيها • والواقع ان كثيرا من هؤلاء الرؤساء كانوا قبل الحرب من انصار الحركة القومية التى اضطلع بها السيد طالب النقيب في البصرة[٤]•

خامسا : تعيش بين عشائر الفرات الاوسط عائلات علوية مشهورة تلقب بـ « السادة » وهي تجمع بين الرئاسة والقدسية • ان السادة فـــي الواقع موجودون في جميع الارياف الشيعية في العراق ، وهم مقدسون في نظر العشائر ولهم وظيفتهم الاجتماعية[٥] ، ولكن الفرات الاوسط يتميز بكثرة السادة فيه وبأن بعضهم يملكون الاراضي الواسعة والثروات الكبيرة علاوة على مكانتهم الاجتماعية العالية • والظاهر ا ن السبب في كثرة السادة في الفرات الاوسط هو ما حدث فيه من نزاع هائل على الاراضي ، فان هذا النزاع يجعل المجتمع في حاجة شديدة الى السادة لكي يقوموا بوظيفتهم في ايقاف القتال والتوسط في الصلح بين العشائر المتحاربة • فان مـــن وظائف السيد في الريف أنه يقف بين الصفوف عندما ينشب القتال بين العشائر ، رافعا يده ، فتضطر العشائر الى وقف القتال احتراما له ، ويحاول السيد بعدئذ أن يتوسط في الصلح بين الفريقين ، وتكون لكلمته وزنها في هذا الشأن •

سنرى عند قيام الثورة ان السادة كان لهم دور فعال فيها ، وقد اشترك

---

(٣) عبدالله الفياض (الثورة العراقية الكبرى) ـ بغـــداد ١٩٧٤ ـ ص ٣٠٧ (حاشية) •

(٤) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ـ بغـــداد ١٩٥٢ ـ ص ٥٥٧ ـ ٥٥٨ •

(٥) علي الوردي (المصدر السابق) ـ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ •

فيها عدد كبير منهم • فهم لما لهم من مكانة دينية مضطرون أن يستجيبوا قبل غيرهم لدعوة الجهاد في سبيل الله ، والا فانهم يفقدون مكانتهم الدينية في نظر العشائر •

بداية الدعوة :

اتفقت الآراء على أن أول من نادى بالثورة المسلحة في الفرات الاوسط هو السيد علوان الياسري ، وان أول من أيده في ذلك هو السيد محمد رضا الصافي • ويحدثنا جعفر الخليلي عن ذلك فيقول ما نصه :

« لقد لقي المرحوم السيد محمد رضا الصافي المرحوم السيد علوان الياسري في أبو صخير ، وكان الصافي يتردد عليها لمعالجة شؤون بستان له هناك ، فألفى السيد علون غاضباً يكاد ينفجر من الغيظ ، ولم يكن السبب غير ان السيد علوان قد شهد بعينيه كيف أهان حاكم أبو صخير الانكليزي العسكري رجلا من الوجوه حين طرده من أمامه ذليلا [٦] ، فخرج السيد علوان وهو أشد ما يكون انفعالا • وقد أفاض للسيد محمد رضا بأسباب انفعاله وأسمعه الشيء الكثير من كرهه للانكليز وحكومتهم ، فبادله السيد محمد رضا الرأي ، وتحدثا طويلا ، وتطرقا في أحاديثهما الى ان الخلاص من الانكليز لايتم الا بالعمل وان الاهتداء الى كيفية النهوض بالعمل لايتم في هذا الموقف على قارعة الطريق • وافترقا على أن يجتمعا في النجف وعلى أن يتذاكرا مليا مع الجماعة الآخرين لايجاد المنفذ الذي يلجون منه للحرية ويتخلصون من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم••• »[٧].

لدينا رواية أخرى عن هذا الالتقاء الذى جرى في أبو صخير بين

(٦) كان حاكم أبو صخير حينذاك هو الكابتن لايل ، ويقال ان الاهانة كانت موجهة الى السيد علوان نفسه ، ولكن عبدالحميد الياسري وهو ابن السيد علوان ينكر ذلك انكاراً باتاً •

(٧) فراتي ـ (على هامش الثورة العراقية الكبرى) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ١٠١ ـ ١٠٢ •

السيد علوان الياسري والسيد محمد رضا الصافي ، وجدتها في مذكرات السيد محمد أمين الصافي ـ وهو أخو السيد محمد رضا الصافي ـ ولابد أنه سمعها من أخيه ، وهذا نصها :

« حينما اشتد ضغط الانكليز في أيام الاحتلال ، وكان السيد محمد رضا تضطره أملاكه الى الاتصال بالحكومة في أبي صخير والديوانية ، وكان يلتقي هناك بمعظم زعماء الفرات الاوسط والكل منهم متأثر من الوضع السيء والمعاملة الخشنة التي تعاملهم بها حكومة الاحتلال مما لم يألفها العرب • وكان ممن اجتمع به في أبي صخير السيد علوان الياسرى ، وكان كلاهما متأثرين أشد التأثر من الوضع السيء الذي أهان كرامة الزعماء ••• وقد ذكر السيد محمد رضا للسيد علوان ان الوقت قد حان للعمل والتضحية لاستخلاص البلاد من الانكليز ، فراقت الفكرة للسيد علوان • وتضامنا هناك على العمل • وبعدها جاء السيد علوان الى النجف وقصد السيد محمد رضا في داره ، وبعد لقائهما اتفقا على توسعة الفكرة ونشر الحركة واقناع من يجدون فيه اللياقة ، وأول من وقع عليه اختيارهم الحجة الشيخ عبدالكريم الجزائري فدُعي الى دار السيد محمد رضا واجتمع اليهم سوية ، وبعد مناقشة الأمر من جميع نواحيه اتفق معهم الشيخ عبدالكريم • وهكذا نبتت الفكرة وأحكمت الدعاية ، فابتدأت المطالبة السلمية ثم الدموية والثورة ، الى آخره ••• (٨) » •

لاندري على وجه اليقين متى حدث الالتقاء بين الياسري والصافي ، ويرجع في ظني أنه حدث في ربيع ١٩١٩ • وقد أخذ الياسري منذ ذلك الحين يبث دعوته الثورية بين شيوخ العشائر ، والمعروف عنه أنه كان ذا دهاء ومقدرة على الكلام المقنع • وصارت الدعوة تنمو بمرور الايام !

---

(٨) نقلا عن مذكرات السيد محمد أمين الصافي المخطوطة • واني اشكر السيد محمود الصافي لاعارته اياي جزءا من هذه المذكرات •

السيد قاطع العوادي :

يقول جعفر الخليلي ان أول من انضم الى دعوة الياسري رجلان أحدهما من السادة هو قاطع العوادي ، والثاني من الشيوخ هو شعلان الجبر رئيس آل ابراهيم . فالعوادي كان لديه استعداد كبير لقبول فكرة العمل ضد الانكليز وقد ظل يحارب الانكليز الى جانب الاتراك الى آخر مرحلة من مراحل الحرب . أما شعلان الجبر فكانت له علاقة قوية مع الياسري(٩) .

ويحدثنا قاطع العوادي عن بداية انضمامه الى الدعوة فيقول : « لما وضعت الحرب أوزارها بواسطة الهدنة اجتمعت شخصياً مع المرحوم حجة الاسلام المرزا محمد تقي الشيرازي ، وكان ذلك بعد توفر العلائق القوية معه ، فحصلت معه مفاوضة بشأن ايجاد حركة ثورية ضد حكومة الاحتلال ، وسافرت الى النجف الأشرف للاطلاع على الرأي العام هناك ، واجتمعت مع الشيخ جواد الجواهري والشيخ عبدالكريم الجزائري، فوجدت الفكرة الثورية سائدة في أذهان العموم ، وقد دُعيت الى مأدبة في بيت السيد ابراهيم الجصاني وصادفت عنده السيد سعيد كمال الدين ، ونوه عنه السيد ابراهيم بكلمة هي : ان هذا السيد نظيرك في الوطنية . فقرت نفسي لديه وتفاوضت معه في شيء من المذاكرات ، وقد ذكر لي ان في النجف جماعة من المشايخ يشتغلون لتلك الغاية ، وسألت عنهم فأجاب أنهم السيد نور الياسري والسيد علوان والسيد محسن أبو طبيخ والشيخ عبدالواحد الحاج سكر ، ولما اجتمعت بهم وجدت فكرة الثورة ضد حكومة الاحتلال لغاية استقلال العراق في الحكم الذاتي محققاً عند الجميع ، والكل عامل لها ... (١٠) » .

السيد نور الياسري :

كان السيد نور الياسري من أوائل الذين انضموا الى دعوة الثورة ،

---

(٩) فراتي (المصدر السابق) ـ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(١٠) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩ .

وهو ابن عم السيد علوان الياسري ولكنه اكبر منه سنا . والمعروف عنه انه كان ذا قدسية لدى العشائر قلما نالها أحد غيره ، قيل أن سفنه كانت اذا مرت بالجبايش هرع الناس اليها للتبرك بها ، وقد ينذرون لها النذور أو يطلونها بالحناء كما يفعلون بالمراقد المقدسة . وقيل كذلك ان الملاحين اعتادوا ان يردفوا اسم السيد نور مع اسم الله عندما تتعرض سفنهم للخطر حيث يهزجون قائلين : « جدمنا الله ونور عليها ! » . وقد سمى بعض أهل المشخاب أولادهم باسم « عبد نور » تيمناً به (١١) .

وفي الوقت الذي كانت فيه العشائر تقدس السيد نور كان الانكليز ينظرون اليه نظرة ازدراء وانتقاص . كتب عنه الكابتن لايل حيث اعترف بأنه اكثر من غيره من السادة قدسية لدى العشائر ، ولكنه مع ذلك يذمه ذماً قبيحاً اذ يصفه قائلا : « ... انه صبي قصير سمين ، يناهز السبعين من عمره،برميل فارغ ، تستقر النظارات على أنفه بشكل مائل ، ينطق بسيماء الحكمة الغامضة حيث يأتي بالتفاهات طيلة ساعة ، تلك التفاهات التي يعتبرها أتباعه دليلاً على التفكير العميق » . ثم يذكر لايل قصة ذات مغزى عن السيد نور هي : أنه كان في أحد الأيام جالساً في مضيفه يحيط به كثير من الشيوخ الكبار والمتملقين الاذلاء ، وهو يبقبق عليهم بتفاهاته التي يعجبون بها ، فدخل الى المضيف طفل في الرابعة من عمره ، وتقدم نحو السيد نور واضعاً ذراعيه حول رقبته ، فتوفز السيد غاضباً وقال بحدة : « من أنت ؟ » ، فأجابه الطفل وهو يلثغ : « ابنك » ، وأسرع خادم المضيف الى ازاحة الطفل عن السيد نور حالا . ويعلق لايل على هذه القصة قائلاً : ان هذا السيد الكبير الجليل لديه أربع زوجات طبعاً ، وله كذلك كما حدثني به أحد الثقات تسع وثلاثون جارية » (١٢) .

---

(١١) عبدالشهيد الياسري (البطولة في ثورة العشرين) ـ النجف ١٩٦٦ ـ ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ (حاشية) .

(12) Lyell (Ins And Outs of Mesopotamia) - London 1923 - P. 143 - 144.

لاحاجة بنا الى القول ان هذا الازدراء الذي كان يكنه لايل وغيره من الانكليز للسيد نور قد أضر بهم ضرراً كبيراً ، فهم يقيسون قيمة الرجل بمقياس ثقافتهم التي جاؤوا بها من بلادهم ، وما دروا ان قيمة الرجل ينبغي أن تقاس بمقياس الثقافة الاجتماعية التي يعيش فيها • فرب رجل هو في نظر قومه من أعظم الناس بينما هو في نظر الآخرين سخيفاً • ولابد أن تؤدي هذه النظرة من الآخرين الى الضرر بهم لأنهم لايستطيعون أن يفهموا بها الناس أو يعرفوا كيف يسوسونهم •

اتضح للانكليز عند قيام الثورة ان هذا السيد الذي ازدروا به كان له أكبر الأثر في حث العشائر على الثورة وفي توحيد كلمتها (١٣) • يُروى ان بعض افراد العشائر كانوا في بداية الثورة يتساءلون قائلين : « هل صحيح ان العلماء والسيد نور يقولون بالجهاد ؟ » • معنى هذا ان العشائر كانوا يعتبرون كلمة السيد نور من حيث قوة تأثيرها عليهم كالفتوى التي يصدرها المجتهدون •

عبدالواحد الحاج سكر :

كان عبدالواحد من أوائل الذين انضموا الى دعوة الثورة أيضاً ، وهو يأتي بعد السيد نور في الاهمية عند قيام الثورة •

يُعد عبدالواحد حسب الاعراف العشائرية المتداولة الرئيس الاكبر لعشيرة آل فتلة ، ذلك لأنه كان الابن الاكبر للحاج سكر الذي كان بدوره الابن الأكبر لفرعون ، وكان فرعون في زمانه هو الرئيس المتفق عليه لآل فتلة •

حدثني أحد المطلعين ان عبدالواحد كان أرفع مكانة في عشيرة آل فتله من أعمامه على الرغم من أنهم اكبر منه سناً • فاذا رفع راية الحرب تابعه آل فتله أكثر مما يتابعون أعمامه ، وقوله هو النافذ لدى العشيرة في معظم الأحيان •

---

(13) Mann (Administrator In the Making) - London 1921 - P. 292.

من الاخطاء التي اقترفها الانكليز في سياستهم العشائرية أنهم لم يراعوا هذه التقاليد في وراثة المشيخة العشائرية ، ولهذا رأيناهم يوثقون علاقتهم بمجبل الفرعون وأخيه مزهر ، ظناً منهم أنهم بذلك يسيطرون على آل فتلة وما دروا ان من الافضل لهم ان يوثقوا علاقتهم بعبدالواحد .

كان عبدالواحد في الواقع قوي الشخصية ذا شجاعة ودهاء ، وكان بالاضافة الى ذلك متديناً كثير التهجد في صلاته ، قيل انه كان يقضي في صلاته أحياناً أربع ساعات . ويقال أيضاً انه كان بالرغم من تهجده وكثرة صلاته لا يتردد أن يأمر بسفك الدماء اذا اقتضت التقاليد العشائرية ذلك . فهو عابد متهجد من جهة ، وشيخ عشائري من الجهة الأخرى ، وليس هناك تناقض في نظره بين الأمرين . فقد كانت تلك هي القيم السائدة في تلك الأيام ، وما زالت باقية لدى الكثيرين حتى يومنا هذا .

كان عبدالواحد يحمل للانكليز بغضاً شديداً ، وظل يبغضهم حتى آخر يوم من حياته . ويعزو السيد علوان الياسري هذا البغض – كما رواه عنه وداي العطية – الى النزاع الذي حصل بين عبدالواحد وأفراد عشيرته حول الاراضي المسماة « راك الحصوة » ، وقد وقف الانكليز الى جانب الافراد . ويقول السيد علوان في ذلك : « ان الاراضي المذكورة المتنازع عليها بين الحاج عبدالواحد وأفراد عشيرته قسم منها يعود الى الحاج عبدالواحد والقسم الآخر يعود الى أفراد عشيرته ، الا ان الحاج عبدالواحد أراد الاستيلاء على الجميع فامتنعت عليه عشيرته ، وقد ساعدهم المستر جفرس مستشار لواء الديوانية آنذاك عند خروجه مع هيئة الذرعة في المشخاب ، وقد سجل عموم الاراضي المتنازع عليها باسم أفراد عشيرة آل فتلة وحرم الحاج عبدالواحد منها حتى من حقه الخاص المعروف لدى الجميع ، فلذا ترى الحاج عبدالواحد شديد الكره والبغض للانكليز ... » (١٤) .

---

(١٤) وداي العطية (تاريخ الديوانية) – النجف ١٩٥٤ – ص ١٦٦ (حاشية) .

من الجدير بالذكر ان المستر جفرس تولى وظيفته في الديوانية عقب انتهاء الثورة ، والمظنون انه انما وقف في تسجيل الاراضي ضد مصلحة عبدالواحد نكاية به وانتقاماً لما قام به عبدالواحد في الثورةمن دور رئيسي. ومهما كان الحال فان النزاع بين عبدالواحد وأفراد عشيرته بدأ منذ عام ١٩١٣ ـ كما أشرنا اليه في الجزء الثالث من هذا الكتاب (١٥) . والمظنون ان الانكليز وقفوا الى جانب الافراد ضد عبدالواحد منذ بداية حكمهم في المشخاب .

ايفاد الشبيبي :

في ظهر يوم من أيام تموز ١٩١٩ اجتمع في سرداب آل شلاش في النجف ثلاثة من أعمدة الدعوة ، وهم السيد علوان الياسري والسيد نور وعبدالواحد الحاج سكر ، وتداولوا في ضرورة ارسال مضابط الى الملك حسين في الحجاز يذكرون فيها أنهم اختاروا أحد أنجاله لعرش العراق ولكن السلطة الانكليزية تعارض في ذلك ، وهم لذلك يطلبون مساعدته في تحقيق هذا الهدف . وبعد أن اتفق رأي الثلاثة على ذلك تساءلوا عن الشخص المناسب الذي يمكن الوثوق به لحمل تلك المضابط الى الملك حسين . وهنا اقترح محسن شلاش اسم الشيخ رضا الشبيبي ، وكان جاراً له ، ووصفه بأنه خير من يقوم بهذه المهمة ، فوافق الثلاثة على هذا الاقتراح ، وتبرع كل منهم بأربعين ليرة لنفقات الشبيبي في رحلته (١٦) .

أعدت المضابط كما ينبغي ، ووقع عليها بالاضافة الى الذين ذكرناهم أشخاص آخرون من كربلا والنجف وغيرهما ، كما كتب الشيرازي رسالة شخصية منه الى الملك حسين . وقد أُخفيت المضابط في جلد مصحف صنعه عبدالحميد زاهد الكتبي . وغادر الشبيبي النجف في أواخر تموز ،

---

(١٥) علي الوردي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) ـ بغداد ١٩٧٢ ـ ج٣ ص ١٩٧ .

(١٦) حدثني بذلك عبدالحميد الياسري وكان حاضرا مع ابيه في ذلك الاجتماع السردابي .

فاتجه أولا الى الشطرة اذ كان له فيها أقرباء • وهناك تبرع أحد اثرياء الشطرة بنفقات حج للشيخ ابراهيم الاطيمش ، وهو من أقرباء الشبيبي ، لكي يرافقه في رحلته ويكون مؤنساً له في الطريق •

رحل الشبيبي مع رفيقه الأطيمش من الزبير في أوائل شهر آب ١٩١٩ بصحبة قافلة بدوية • واستغرقت رحلته عبر الصحراء شهراً واحداً تقريباً • وعند وصوله الى مكة قابل الملك حسين وقدم له المضابط مع رسالة الشيرازي • ويقول الشبيبي ان الملك كان يتضرم غيرة على العرب وقضيتهم ، وقد بدرت منه بوادر تدل على تزعزع ثقته بالحلفاء الذين انضم اليهم في الحرب وقاتل الاتراك الى جانبهم (١٧) •

أرسل الملك حسين المضابط الى ابنه فيصل الذي كان يومذاك في باريس يحضر مؤتمر الصلح ، وطلب منه الدفاع عن حقوق العراق(١٨) • كما أنه كتب جوابا على رسالة الشيرازي هذا نصه :

الديوان الهاشمي   بسم الله الرحمن الرحيم   الحسين بن علي

الحمد لله وحده   (ختم)

من الحسين بن علي الى الجهبذ الافضل والحبر الأكمل مولانا الشيخ محمد تقي الشيرازي •

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وانه في أهنأ الساعات تلقينا محرركم الكريم وطيه صور افاداتكم للجنة وعلم مآل الجميع • واني بعنايته تعالى سأبذل كل ما في الجهد لحصول رغائبكم وكيف لا أقول ذلك وانها هي احدى أساسات الاعمال التي ارتكبنا من جهتها التهلكة فكونوا مطمأنين بالله سبحانه وتعالى بأننا على ما تؤملون • أما الفوز برغائبكم بل رغائبي فيكم التي هي قرة عيني أو ترك الدينا وما فيها • والله يتولانا بتوفيقه فانه يخلق ما يشاء ويختار • وسلامي عليكم كافة ورحمة الله وبركاته •

---

(١٧) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ـ صيدا ١٩٧٢ ـ ص ٩٤ •

(١٨) مجلة (العربي) الكويتية ـ في عددها الصادر في شباط ١٩٧٢ •

٢٤ ذي الحجة الحرام ١٣٣٧ [١٩] .

مكث الشبيبي في مكة أربعين يوما ، ثم غادرها بالقطار متجهاً الى دمشق . وكانت سكة القطار حينذاك مخربة في كثير من المواضع من جراء الحرب وقد استغرقت رحلة الشبيبي بالقطار نحو خمسة وعشرين يوماً مع العلم أنها كانت قبل الحرب لاتستغرق سوى ثلاثة ايام . وعندما وصل الشبيبي الى دمشق التقى بالعراقيين الذين كانوا هنالك ، كما اجتمع بفيصل على أثر عودته من باريس وقد أبلغه فيصل بوصول المضابط اليه أثناء انعقاد مؤتمر الصلح .

وفي ٨ آذار ١٩٢٠ عندما قرر العراقيون في دمشق اعلان استقلال العراق ومبايعة عبدالله ملكاً عليه ، كان الشبيبي من جملة المشاركين في هذا الأمر . ومن الجدير بالذكر ان الشبيبي كان الشيعي الوحيد بينهم كما أنه كان الوحيد الذي يعرف علماء الفرات الأوسط وشيوخ عشائره معرفة وثيقة . ولهذا تولى مهمة الاتصال بأولئك العلماء والشيوخ لاخبارهم بنبأ استقلال العراق ومبايعة عبدالله . فكتب الرسائل الى بعضهم كما وجه الى بعضهم الآخر بطاقات فيها شعر يحثهم به على الثورة . وقد أُرسلت تلك الرسائل والبطاقات الى الفرات الأوسط بواسطة سعاة من البدو . ويقال ان أحد السادة المعروفين عندما وصلته البطاقة المرسلة اليه أخبر بها الميجر ديلي [٢٠] .

لم يغادر الشبيبي دمشق الا بعد انتهاء الثورة في العراق ، فعاد الى الوطن عن طريق بادية الشام بصحبة بعض الضباط العراقيين العائدين . واستغرقت رحلته خمسة وعشرين يوماً . وعند وصوله الى بغداد ذهب لمقابلة المس بيل ، وقد أشارت المس بيل الى ذلك في رسالة لها الى والدها مؤرخة في ٤ كانون الأول ١٩٢٠ حيث قالت مانصه :

---

(١٩) عبدالرزاق الوهاب (كربلاء في التاريخ) ـ بغداد ١٩٣٥ ـ ص ٧٥ .

(٢٠) وداي العطية (المصدر السابق) ـ ص ١٣٦ .

« جاء لزيارتي رجل ممتع جداً ، هو محمد رضا الشبيبي • انـي عرفته في عام ١٩١٨ ثم ذهب فجأة في نوبة غضب (لا أدري لماذا) الى الحجاز وسوريا ، وهناك كتب في الصحف المحلية مقالات عنيفة ضـد البريطانيين شجب فيها الطريقة التي نحكم بها هذه البلاد • ويخيل لي أنه يشعر بالخيبه الشديدة لما وجده من هدوء السوريين تحت الاحتلال الفرنسي ، فان شجبه للسوريين يعد شهادة حقيقية للنجاح الذي نالـه الفرنسيون هناك وهو أكبر مما كنت أتوقعه • وعلى أي حال فان محمد رضا قد عاد ليقول انه توصل الى قرار بأن ما نعمله هنا هو الصواب • انه رجل مشهور ذو قلم رائع • واذا عمل معنا بنزاهة مجازفاً بسمعته لـدى المتهورين فانه قد يكون ذا قيمة (٢١)» •

اجتماع سري في النجف :

في نيسان ١٩٢٠ انتهز السيد علون الياسري فرصة زيارة المبعث التي تحل في ٢٧ رجب ، وقد وافق ذلك في ١٦ نيسان ، فدعا الى الاجتماع في داره في النجف عدداً من رجال الدين ورؤساء العشائر ، كما دعـا المرزا محمد رضا الشيرازي •

جرى الاجتماع في السر ليلاً ، وقام السيد حسين كمال الدين بارشاد المدعوين الى الدار واحداً بعد الآخر تحت جنح الظلام (٢٢) • ولما اكتمل عقد المدعوين طرحت عليهم فكرة القيام بالثورة المسلحة على الانكليز • وكانت تلك أول مرة تطرح فيها مثل هذه الفكرة على جمع من رجال الدين ورؤساء العشائر ، فجرى حولها نقاش حيث أيدها فريق من الحاضرين ، وعارضها فريق آخر •

كان على رأس المعارضين للثورة خيون العبيـد ، وكان رأيـه ان الثورة يصعب القيام بها في الوقت الحاضر لان العراقيين مختلفون وليسوا على رأي واحد • وضرب خيون على ذلك مثلاً بعشائر المنتفق والغراف

---

(21) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, P. 189.

(٢٢) فراتي (المصدر السابق) ــ ص ٢١ •

الذين هو منهم ، وذكر كيف أن الحزازات والمحاسدات والدسائس أدت بهم الى التنازع والفوضى فصار كل فريق منهم يفوز في حركة لابد أن يثير الحسد في الفريق الآخر ويجعله يفعل المنكرات لكي يجر الفوز كله أو بعضه اليه (٢٣) •

يبدو أن كلام خيون كان له أثره في الحاضرين • وقد تم الاتفاق بينهم أخيراً على تأجيل القيام بالثورة في الوقت الحاضر ، وعلى العمل في التمهيد لها عن طريق التوعية الوطنية والدينية ، حتى اذا صار الناس مستعدين للثورة آن الأوان للقيام بها •

يقول الشيخ علي الشرقي ، وكان من جملة الحاضرين في ذلك الاجتماع ، ان الموافقة تمت بينهم بالاجماع على البدء بما يشبه حركة العصيان المدني ، ولهذا قرروا الأمور التالية :

اولاً : تأسيس جمعية باسم الجامعة الاسلامية مركزها كربلا ولها فروع في كل العراق ويرأسها المرزا محمد تقي الشيرازي •

ثانياً : توزيع منشور بتوقيع الشيرازي يأمر بالوحدة وجمع الشمل والتساند في كل المهام •

ثالثاً : جعل يوم الجمعة يوم الشعب تُعطل فيه المكاسب ويُترك البيع والشراء ، وتُنصب المنابر في الساحات العامة ليتبارى الخطباء فوقها بما يستلزم الاثارة والتحضير (٢٤) •

ليس لدينا علم بما جرى من نتائج هذا الاجتماع ، كل ما نعرفه في هذا الصدد ان الخطيب الحسيني المعروف السيد صالح الحلي أخذ يدعو في الكاظمية وبغداد الى وجوب تعطيل الاشغال في يوم الجمعة ، ولا ندري هل كانت تلك الدعوة من نتائج ذلك الاجتماع أم أن السيد صالح قام بها من تلقاء نفسه •

---

(٢٣) المصدر السابق – ص ٢٢ – ٢٣ •

(٢٤) علي الشرقي (الاحلام) – بغداد ١٩٦٣ – ص ١٠٨ •

كان السيد صالح قد بدأ بدعوته في اجتماع عام ُعقد في الكاظمية في ١ أيار ـ أي بعد اسبوعين من اجتماع دار الياسري في النجف ـ حيث ألقى خطبة مؤثرة دعا فيها المسلمين الى التمسك بيوم الجمعة على نحو ما يتمسك اليهود بيوم السبت ، والنصارى بيوم الاحد ، وناشدهم لماذا لايفعلون كما يفعل اليهود والنصارى ؟ وأشار الى عادة المسلمين في بغداد على تعطيل أعمالهم يوم السبت ، وقال ان هذا عار عليهم ، وأخذ يذكر فضائل يوم الجمعة وما جاء فيها من أحاديث نبوية •

صار السيد صالح يواصل دعوته في الكاظمية وبغداد ، فتأثر بها الكثير من الناس ، وأخذت الاسواق تعطل أعمالها في يوم الجمعة ، وظلت تفعل ذلك مدة غيرقصيرة •-والمظنون ان هذه الدعوة كانت من العوامل التي حفزت الحركة الوطنية في بغداد الى اقامة الحفلات الدينية التي استفحل أمرها في شهر رمضان وأقلقت الانكليز أقلاقاً غير قليل ـ كما سنأتي اليه في فصل قادم •

موقف الشيرازي :

المعروف عن المرزا محمد تقي الشيرازي انه لم يكن يميل الى الثورة المسلحة بل كان يريد أن تبقى الحركة الوطنية سلمية تكتفي بالمطالبة بحقوق البلاد المشروعة دون اللجوء الى اشهار السلاح • حدثني أحد المتصلين به انه كان غير واثق من مقدرة العشائر على مجابهة دولة قوية كبريطانيا تملك المدافع والطائرات والجيوش الجرارة ، وكان يخشى أن تؤدي الثورة الى اراقة الدماء دون أن تنتج الفائدة المرجوة •

كان علوان الياسري وأصحابه يحاولون من جانبهم اقناع الشيرازي بمقدرة العشائر على محاربة الانكليز • ويبدو ان المرزا محمد رضا كان يؤيدهم في هذا الرأي ويحاول معهم اقناع أبيه به • وقد اتجهت جهودهم أخيراً الى انتهاز فرصة زيارة منتصف شعبان في كربلا لمفاتحة الشيرازي بالأمر •

ُتعد زيارة منتصف شعبان من أهم الزيارات في كربلا ، وتسمى

بزيارة « المحية » ، وهي توافق عند الشيعة ذكرى مولد صاحب الزمان ، وقد حلت هذه الزيارة في عام ١٩٢٠ في ٤ أيار • ولوحظ ان عدداً كبيراً من رؤساء العشائر حضروها ، كما حضرها بعض علماء النجف ، وحضرها من بغداد جعفر أبو التمن كما أشرنا اليه في فصل سابق •

عُقد اجتماع سري ليلا في دار السيد أبو القاسم الكاشاني التي كانت ملاصقة للصحن الحسيني بالقرب من باب السدرة (٢٥) ، حضره السيد نور الياسري وجعفر أبو التمن وعبدالكريم الجزائري وعلوان الياسري وقاطع العوادي ومحسن أبو طبيخ وهادي زوين ومحمد رضا الصافي وعبدالواحد الحاج سكر وشعلان الجبر ومجبل الفرعون وعبادي الحسين ومرزوق العواد وشعلان العطية وسعدون الرسن وعلوان الحاج سعدون وهبة الدين الشهرستاني وعبدالوهاب الوهاب وحسين القزويني وعمر العلوان ومهدي القنبر وطليفح الحسونورشيد المسرهد وعبدالكريم العواد وغيرهم • وقد تداول المجتمعون في أمر القيام بالثورة المسلحة ، نحصل اختلاف في الرأي بينهم ، اذ كان بعضهم يرى ان الوقت لم يحن للقيام بالثورة وان الانكليز قادرون على قمع الثورة بسهولة من غير أن يكون للبلاد منها أي نفع • وقد تم الاتفاق بينهم اخيراً على مفاتحة الشيرازي في هذه القضية وأخذ رأيه فيها • واختاروا خمسة منهم لمقابلة الشيرازي هم : عبدالكريم الجزائري وجعفر أبو التمن ونور الياسري وعلوان الياسري وعبدالواحد الحاج سكر •

ذهب هؤلاء الخمسة الى الشيرازي في داره ، وفاتحوه في الأمر ، فقال لهم : « ان الحمل ثقيل وأخشى ان لا تكون للعشائر قابلية المحاربة مع الجيوش المحتلة » • فأكدوا له أن العشائر لها المقدرة التامة على القيام بالثورة ، فقال لهم « أخشى ان يختل النظام ويُفقد الامن فتكون البلاد في فوضى ، وانتم تعلمون ان حفظ الأمن أهم من الثورة بل أوجب منها »•

---

(٢٥) مجلة (رسالة الشرق) الكربلائية ــ في عددها الصادر في رجب ١٣٧٣ هـ •

فأجابوه بأنهم قادرون على حفظ الأمن والنظام ، وان الثورة لابد منها ، وسوف يبذلون مافي وسعهم لحفظ النظام وتوفير راحة العموم . ولما وجد الشيرازي انهم قد ضايقوه من كل جانب لم ير بدا من القول « اذا كانت هذه نياتكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم » (٢٦) .

عندما خرجوا من عند الشيرازي خرج ابنه المرزا محمد رضا معهم وأقنعهم بان مؤدى قول والده هو افتاء بالثورة على الانكليز (٢٧) . وفي الليلة التالية عقد اجتماع آخر في دار السيد نور الياسري في محلة السلالمة (٢٨) حضره الذين شاركوا في الاجتماع الاول ، وبعد المداولة اتفقوا على الاستمرار في مطالبة الانكليز بالاستقلال بالطريقة السلمية ، فأذا أصر الانكليز على رفض مطاليبهم وعاندوا في ذلك فان العشائر تلجأ عندئذ الى القيام بالثورة المسلحة . ولما انفض الاجتماع ذهبوا جميعا الى ضريح الحسين فأقسموا بالقرآن على انجاز ما اتفقوا عليه ، ومن حنث في يمينه فهو ضال آثم . وقد قام بتحليفهم السيد عبدالوهاب الوهاب واحـــداً بعـد الآخـر (٢٩) .

---

(٢٦) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ــ ص ٩٩ ــ ١٠٠ .
(٢٧) حسن الاسدي (ثورة النجف) ــ بغداد ١٩٧٥ ــ ص ٣٨٢ .
(٢٨) مجلة (رسالة الشرق) الكربلائية ــ في عددها الصادر في رجب ١٣٧٣ هـ .
(٢٩) عبدالرزاق الوهاب (المصدر السابق) ــ ص ١٠٢ .

الفصل العاشر

احداث دير الزور

ان اندلاع الثورة المسلحة في الرميثة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ سبقته أمور أربعة يمكن اعتبارها عوامل ممهدة له هي : (١) أحداث دير الزور ، (٢) واقعة تلعفر ، (٣) أحداث رمضان في بغداد ، (٤) نفي ابن الشيرازي . وسندرس في هذا الفصل أحداث دير الزور على أن ندرس الأمور الأخرى في الفصول التالية .

بداية احداث الدير[١]:

كان لواء الدير في أواخر العهد التركي ملحقاً بالعاصمة اسطنبول مباشرة ، ولما انسحب الاتراك منه على أثر عقد الهدنة في ٣١ تشرين الاول ١٩١٨ أصبح خالياً من أية سلطة مدنية ، فنشأت في بلدة الدير سلطة محلية مؤلفة من رؤساء المحلات وصارت تحكم البلدة بمقتضى الاعراف العشائرية . وبعد فترة وجيزة حين سمع رؤساء البلدة بقيام الحكومة العربية في دمشق قرروا الانضمام اليها وأرسلوا اليها مضبطة يطلبون بها ذلك ، فاستجابت الحكومة لطلبهم وعينت مرعي باشا الملاح متصرفاً للدير ، وأردفته بالمقدم علي رضا العسكري ، كما أرسلت معه مفرزة هجانة من عقيل بقيادة الشريف علي بن ناصر .

سارت الأمور في أول الامر سيراً حسناً ،ثم أخذ التذمر ينتشر في البلدة شيئاً فشيئاً . وفي رأي طاهر العمري ان هذا التذمر نشأ من سوء سلوك الشريف علي بن ناصر ورجاله في البلدة [٢] . والمظنون ان هناك

---

(١) يطلق اسم « الدير » على دير الزور احيانا وسوف نستعمل هذا الاسم في هذا الفصل للاختصار .

(٢) محمد طاهر العمري (مقدرات العراق السياسية) – بغداد ١٩٢٥ – ج٣ ص ٣٣٦ .

سبباً أخر للتدمر أعمق من ذلك هو ما حل بالبلدة آنذاك من ضائقة اقتصادية • ومن الجدير بالذكر ان الدير كانت قبلئذٍ مركزاً تجارياً مهماً لوقوعها على الطريق الرئيس الذي يربط بين العراق وسوريا وتركيا، فلما انتهت الحرب انقطع هذا الطريق وتعطلت الاعمال والحرف المرتبطة به • وفي الوقت نفسه وصلت الى الديريين أخبار مبالغ فيها عما حصل في العراق من ازدهار اقتصادي وتضخم نقدي ، فصار الديريون يقارنون حالهم بما سمعوا من أحوال العراق ، وبدأوا يتذمرون ويعلنون عن رغبتهم في الانفصال عن حكومة سوريا والانضمام الى حكومة العراق •

اجتمع رؤساء البلدة سرا ونظموا مضبطة طالبوا فيها بادخال بلدتهم تحت الحكم البريطاني ثم ارسلوا المضبطة الى حاكم عانه السياسي راجين منه الاسراع في احتلال البلدة من قبل القوات البريطانية • وكذلك أرسلوا رئيس بلديتهم الحاج فاضل آلى بغداد ، وقد زار الحاج فاضل النقيب الكيلاني ، فقال له النقيب : « أي ولدي ، أن أحسن ماتعملونه هو أن تستظلوا بظل الحكومة البريطانية ، لان البريطانيين معروفون في العالم أجمع بالعدل والانصاف •• »(٣) •

وفي أوائل كانون الاول ١٩١٨ أرسل الانكليز الكابتن كارفر ومعه بضع سيارات ومصفحات بغية احتلال الدير • وحين وصل كارفر الى البلدة طلب من المتصرف مرعي باشا تسليمها اليه ، فاستغرب مرعي باشا من هذا الطلب وقال انه لم يتلق من حكومته أمرا بهذا الشأن • وبعد مداولة بسيطة بين الرجلين قررا الذهاب الى حلب للاحتكام الى حاكمها العسكري شكري باشا الايوبي • ولما ذهبا الى حلب وعرضا القضية على شكري باشا قضى هذا بأن ينضم الدير الى منطقة النفوذ البريطاني مؤقتا الى أن يصدر مؤتمر الصلح مقرراته القطعية في هذا الموضوع • وعلى هذا انسحب الموظفون العرب من الدير وحل محلهم الموظفون البريطانيون •

---

(٣) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٤٧٤ •

استرجاع الدير :

في صيف ١٩١٩ قرر المركز العام لحزب العهد العراقي في دمشق استرجاع الدير من قبضة الانكليز لكي يتخذها منطلقا لايقاد الثورة في العراق • ولهذا سعى المركز لدى حكومة دمشق لتعيين رمضان شلاش حاكما عسكريا في الرقة ، وهي بلدة تقع على الفرات في شمال الدير ، لكي يعمل من هناك على استرجاع الدير • وفي ١٩ ايلول غادر رمضان حلب متوجها الى الرقة لتسلم وظيفته •

كان رمضان ضابطاً متخرجاً من مدرسة العشائر في اسطنبول ، وهو ابن رئيس عشيرة ألبو سراي التي تسكن في شمال الدير • ولما تسلم وظيفته في الرقة أخذ يتنقل بين العشائر المحيطة بالدير يحث رؤساءها على تنظيم مضابط يطلبون فيها الانضمام مرة أخرى الى الحكومة العربية • وقد استطاع رمضان أن يحصل على مضابط بهذا المعنى من رؤساء الدير نفسها ، وأعلن هؤلاء الرؤساء أنهم ندموا على ما فعلوا سابقا في انضمامهم الى منطقة النفوذ البريطاني •

وفي أوائل كانون الاول ١٩١٩ كان رمضان قد انتهى من اعداد خطته لاسترجاع الدير ، فزحف نحوها بقوة عشائرية تقدر بخمسمائة رجل كان بعضهم على ظهور الخيل والبعض الآخر على ظهور الابل • وفي فجر ١١ منه دخلت طلائع القوة الى الدير من الجنوب ، وصاروا ينهبون المستشفى والسراي وكنيسة الارمن ، كما كسرو الخزانة الحديدية واستولوا على مافيها من نقود ، ثم أضرموا النار في مستودع البانزين فانطلق اللهيب منه بشكل هائل أدى الى وقوع نحو تسعين اصابة[٤] • وقد حاول بعض افراد العشائر نهب بيوت البلدة وأسواقها ولكن الرؤساء منعوهم من ذلك[٥] •

كان حاكم الدير يومذاك الكابتن جامبير ، وهو الذى حل محل

---

(4) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 231.

(٥) محمد طاهر العمري (المصدر السابق) ـ ج٣ ص ٢٤١ •

الكابتن كارفر ، وقد اضطر لقلة ما لديه من قوة أن ينسحب الى الثكنة التي تقع في شمال البلدة ، وتحصن فيها هو وجنوده • وأخذ المهاجمون يطلقون النار على الثكنة حتى تمكنوا من اسكات الرشاشات المنصوبة على سطحها • ثم اجتمع رؤساء البلدة في دار رئيس البلدية ، وأرسلوا الى الكابتن چامبير يطلبون منه الحضور اليهم ، فلبى چامبير طلبهم مضطرا لنفاد ما لديه من ماء وطعام • وتقول المس بيل : ان الرؤساء كانوا في حالة هياج شديد وأظهروا له عداءا مفعما بالتعصب ، وأخذوا يهددونه بالقتل هو وأصحابه ، وربما كانوا على وشك قتله مع أصحابه ولكن الذي منعهم من ذلك ظهور طائرتين في الجو • وأخذت الطائرتان تطلقان نيران رشاشاتهما على البلدة • فغير الرؤساء لهجتهم حالا ورجوا من چامبير أن يعمل على ايقاف القصف (٦) •

وفي عصر ذلك اليوم وصل رمضان شلاش مع بقية قواته الى الدير ، فاستدعى اليه چامبير وأبقاه مع أصحابه رهائن عنده وأخذت العشائر من بعد ذلك تتهافت على الدير معلنة تأييدها لرمضان وانضمامها الى حركته •

شعر رمضان أنه أصبح بما لديه من قوات عشائرية كثيرة قادرا على احتلال البوكمال ، فأرسل اليها قوة بقيادة أخ له ، ولم تجد هذه القوة صعوبة في احتلال البلدة ، اذ ان الانكليز انسحبوا منها حالما سمعوا بتقدم العشائر نحوها • ولكن احتلال البلدة لم يدم طويلا لان أفراد العشائر اسرعوا الى نهب السراي وخزائنه حالما دخلوا البلدة ، فادى ذلك الى نشوب خصام بينهم • وقد تمكن الانكليز من اعادة الكرة على البو كمال حيث استرجعوها بسهولة ، وكان ذلك في ٢١ كانون الاول ١٩١٩(٧) •

كان الامير فيصل يومذاك في باريس ، وحين علم بما جرى في الدير أرسل الى نائبه الامير زيد في دمشق برقية هذا نصها :

---

(٦) المس بيل (المصدر السابق) ـ ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ •
(٧) محمد طاهر العمري (المصدر السابق) ـ ج٣ ص ٣٤٤ •

« شاع ان جماعة بأمرة رمضان شلاش مع عجمي السعدون هاجمت دير الزور زاعمة انها تعمل بموجب الاوامر التى تلقتها من الحكومة العربية فنحن هنا نصرح بأن هذه الاهانة الموجهة ضد حليفتنا بريطانيا العظمى وضد مصلحة الامة العربية هي مخالفة للاتفاق الموقت بين الحلفاء والمعمول به من السنة الماضية وان هذا الاعتداء هو بدون علم الحكومة العربية وموظفيها ، ونصرح أيضا بان المسؤولين عن هذا العمل وكل من يلحق بهم أو ينضم اليهم هم من الثوار وسيجازون جزاء العصاة ، وقد اتخذت التدابير اللازمة لاعادة النظام وتوقيف المعتدين » .

وفي الوقت نفسه أبرق فيصل الى رئيس اركان حرب الامبراطورية البريطانية فى لندن يقول بأن الحكومة العربية لاعلم لها بما جرى في دير الزور وانه يعتقد بان الذى جرى كان من صنع عجمي السعدون وجماعته خدمة للاتراك[٨] .

وأرسل جعفر العسكرى الذي حل محل شكري الايوبي في منصب الحاكم العسكرى لحلب رجلين من عنده الى الدير للتفاهم مع الانكليز هما : مرافقه توفيق الدملوجي ومدير شرطة حلب رؤوف الكبيسي . وقد وصل هذان الرجلان الى البلدة في ٢١ كانون الاول ١٩١٩ ، وقابلا الكابتن چامبير وسلما اليه كتابا من جعفر العسكرى يعرب فيه عن أسفه الشديد لما حدث ويقول ان ذلك جرى بغير علمه أو علم الحكومة العربية بدمشق . وقد ذكر رؤوف الكبيسي للكابتن چامبير بأنه يحمل تعليمات بتنحية رمضان شلاش عن منصبه وارساله موقوفا الى حلب[٩] . ويقول العمرى ان الكبيسي كان يتظاهر بذلك أمام چامبير بينما كان في السر يحث رمضان على المثابرة في حركته[١٠] .

وفي ٢٣ منه ألقت الطائرات البريطانية على الدير منشورات تتضمن

(٨) امين سعيد (الثورة العربية الكبرى) – القاهرة – ج٢ ص ١١٤ .
(9) Wilson (op. cit.) - vol. 2, P. 288.

(١٠) محمد طاهر العمري (المصدر السابق) – ج٣ ص ٣٤٦ .

برقية فيصل التي أرسلها الى زيد في شجب حركة رمضان شلاش ، كما تضمن تهديداً بقصف البلدة اذا لم يطلق سراح چامبير وأصحابه في خلال ٤٨ ساعة . وكان لهذا التهديد أثره حيث أطلق سراحهم جميعا في ٢٥ منه ، ووصلوا الى البوكمال سالمين .

استفحال النزاع :

كان المهديون في سوريا تجاه رمضان شلاش فريقين ، فريق لا يرضى بأعماله باعتبار أنها تسيء الى العلاقة الحسنة التي كانت قائمة بين العرب والانكليز ، وفريق يرضى عنها ويشجعها . وربما كان هناك فريق ثالث هو من طراز رؤوف الكيسي اذ كان يتبرأ منها علناً ويشجعها سراً .

وعلى أي حال فقد ظل رمضان شلاش دائباً على التحرش بالانكليز ومهاجمتهم بكل وسيلة ممكنة كما صار يحرض العشائر على قطع الطرق وأشاعة الفوضى في منطقة النفوذ البريطاني حول عانة والبوكمال . وفي ١١ كانون الثاني ١٩٢٠ هاجمت جماعة من عشيرة العقيدات بلدة البوكمال ، وصاروا ينهبون بيوت الاشخاص المعروفين بولائهم للانكليز ، ثم انسحبوا منها بعد أن قُتل أحد رؤسائهم محمد الدندل . ويزعم الانكليز ان المهاجمين تحرشوا بالنساء وانتهكوا حرمات بعضهن ، وهذا زعم يصعب تصديقه لما عُرف عن العشائر العربية من صيانة لحرمة المرأة .

اضطرت حكومة دمشق الى عزل رمضان شلاش على أثر هذه الواقعة، وعينت مولود مخلص في مكانه . وقد وصل مولود الى الدير في ١٧ كانون الثاني ومعه مرافقه أمين العمري ، كما وصل بعدئذٍ تحسين العسكري ليتولى منصب مدير الشرطة فيها . ومما يلفت النظر ان مولود سار على نفس الخطة التي كان رمضان يسير عليها في معاداة الانكليز واثارة العشائر عليهم ، وهو لم يكتف بذلك بل صار يكاتب العشائر العراقية يحرضها على الثورة ضد الحكم البريطاني . يقول ويلسون في مذكراته : « ... كان مولود يعمل بكل نشاط في بث الدعاية المعادية لنا على نحو ما فعل سلفه . وصارت رسائله تصل الى شيوخ العشائر في العراق جنوباً حتى العمارة .

والظاهر انه كان مزوداً بمبالغ كبيرة من المال ، وهي المبالغ التي كانت تقدمها الحكومة البريطانية بلا شك ، فصار يوزعها على رؤساء العشائر الذين ظن أنهم قادرون على اثارة الاضطراب في منطقة نفوذنا • وان سكوتنا عن هذه الاعمال أدى الى توهين الولاء لدى أنصارنا اذ هم لم يستطيعوا أن يفهموا لماذا لا تحسم الحكومة البريطانية في الحال مشكلة خصم تافه مثل مولود وحفنة من النهابين من أتباعه ... »(11) •

كان مؤتمر الصلح في فرساي قد قرر جعل نهر الخابور الحد الفاصل بين العراق وسوريا • وفي ٢٤ كانون الثاني احتلت قوات بريطانية بلدة الصالحية ثم تقدمت نحو الميادين بغية احتلالها بدعوى ان هاتين داخلتان ضمن حدود العراق حسب قرار مؤتمر الصلح • وحين وصل خبر احتلال الصالحية الى الدير اضطرب أهلها والعشائر المحيطة بها ، وجاؤوا الى مولود مخلص يطلبون منه اتخاذ التدابير اللازمة لمنع تقدم الانكليز ، فأظهر مولود لهم انه لا يسلم شبراً واحداً من أراضي اللواء الى الانكليز حتى لو كلفه الأمر تضحية حياته ، وطلب منهم الفداء في سبيل الوطن ، فأجابوه بأنهم مستعدون لتضحية كل غالي في سبيل الوطن وأقسموا على ذلك أيماناً مغلظة(١٢) •

أعلن مولود مخلص « الجهاد » على الكفار • ونظم شاعر دير الزور محمد الفراتي قصيدة طويلة يخاطب بها فيصل ويمدحه ويذم الانكليز ، وهذه بعض أبيات منها :

انهض ورو العوالي من عداك دما
واستخدم السيف والقرطاس والقلما
يابن الحسين وأنت اليوم ناصره
لم نلق الاك سيفاً صارماً خذما

---

(11) Wilson (. op. cit.) - vol. 2, P. 226 - 227.

(١٢) محمد طاهر العمري (المصدر السابق) – ج٣ ص ٣٥٩ •

يا فيصل الحق لا تصغي لهم أذناً
فصوتهم يورث المصغي لهم صمما
بعض الطباع لها من جنسها مثل
لا تأمن الذئب كي يرعى لك الغنما
سل الجزيرة سل مصراً وسل عدناً
سل الهنود سل الافغان والعجما
فأنت يا أرض مجي نحوهم ضرماً
ويا سماء أمطري في أرضهم نقما

كان لدى مولود في الدير قوة نظامية من الخيالة تُقدر بـ ٩٠ جندي و ١٠٠ دركي ، ومن المشاة ما بين ٤٠ و ٥٠ دركي ، مع مدفعين صحراويين ورشاشتين من طراز فيكرس • وقد استطاع رؤوساء الديـر تجنيد ٤٠٠ محارب من أهل البلدة ، وكان هناك بالاضافة الى ذلك عدد كبير من أفراد العشائر المجاورة جاؤوا للمشاركة في « الجهاد » •

وغادر « المجاهدون » الدير في مساء ٣١ كانون الثاني متجهين نحو بلدة الميادين بغية الدفاع عنها وقد عُين أمين العمري قائداً لجبهة الميادين كما عُين سليم الجراح قائداً عسكرياً للمجاهدين من أهل الدير •

وصارت العشائر تشن الغارات على معسكرات الانكليز في الصالحية والبوكمال ليلاً ، وتغنم منها بعض الخيل والتجهيزات ، كما أخذت تشن الغارات نهاراً على طرق المواصلات بين الصالحية والقائم • وكان أكثرهم حماساً في ذلك مشرف الدندل أحد رؤوساء العقيدات اذ كان يريد الأخذ بثأر أخيه محمد الدندل • وكان يساعده في ذلك البطل المشهور محمد الهامة الذي أبدى في غاراته المتواصلة على المعسكرات الانكليزية شجاعة لا تضاهى • وقد بلغت الجرأة بالعشائر أنهم صاروا يهاجمون المعسكرات الانكليزية في كل ليلة تقريبا ، وربما توغلوا في غاراتهم الى داخل البوكمال فينهبون الاطعمة من المستودعات العسكرية دون أن يظهر أحد

من الحامية لاستخلاصها من أيديهم[١٣] .

نفد صبر الانكليز ازاء هذه التحديات. وفي ٢٠ شباط أبرقت الحكومة البريطانية الى الحكومة العربية في دمشق تقول لها انها تعتبرها مسؤولة عن أي اعتداء يقع على الحدود الموقتة من قبل العشائر أو القوات التابعة لمولود مخلص ، وان المنحة المالية المخصصة للحكومة العربية سيكون دفعها منوطاً بقدرة الحكومة على فرض الأمن في البلاد . وفي الوقت نفسه أرسل القائد البريطاني العام في العراق الى مولود مخلص رسالة تتضمن مزيجاً من الترضية والتهديد ، قال فيها : انه أوعز الى جيشه بعدم مهاجمة الميادين على الرغم من وقوعها في داخل حدود منطقته رغبة في المحافظة على السلم والصداقة بين الحكومتين العربية والبريطانية ، ولكن الميادين ستُهاجم من الجو حالما تقع أية غارة على معسكراتنا أو قوافلنا من قبل العشائر او الجنود التابعين لكم ، واذا أُطلقت النار على أية طائرة بريطانية فانها سترد على هذا العمل العدواني بالنار والقنابل . وتقول المس بيل : ان هذه التهديدات لم يكن لها أي تأثير حيث ظل العرب يهاجموننا على نحو ما كانوا يفعلون من قبل[١٤] .

بين مولود ورمضان :

عندما كان النزاع على أشده بين العرب والانكليز في منطقة الدير كتب مولود مخلص الى حزب العهد العراقي في دمشق وحلب يطلب منه ارسال العراقيين الموجودين في سوريا الى الدير ليشاركوا في الجهاد ، واتهم من يرفض ذلك منهم بالخيانة الوطنية[١٥] . فاستجاب لهذا الطلب عدد من العراقيين قدر عدد الضباط منهم بين ٣٠ و ٤٠ ، وعدد الجنود بما يزيد على ٢٥٠ [١٦] .

---

(١٣) المصدر السابق ـ ج٣ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٩ .
(١٤) المس بيل (المصدر السابق) ـ ص ٤١٥ .
(١٥) محمد طاهر العمري (المصدر السابق) ـ ج٣ ص ٣٦٥ .
(١٦) محمد المهدي البصير (تاريخ القضية العراقية) ـ بغداد ١٩٢٣ ـ ص ١٢٥ .

يقول العمري : ان هذا أول خطأ اقترفه مولود مخلص في أعماله في الدير ، ذلك لأن العراقيين الذين جاؤوا الى دير الزور كانوا يظنون أن مولود لديه كنز من الذهب سينفقه عليهم ، ثم صار اكثرهم حملاً ثقيلاً على مولود دون أن يقوموا بأي عمل ، وشرعوا يقومون ببعض الافعال الشائنة في الدير ، وعمد بعضهم الى نهب المسافرين بحجة أنهم يهربون الذهب ، مما أدى الى نفور الديريين منهم وانتشار الدعاية السيئة ضدهم[17] .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان تهريب الذهب من سوريا الى العراق كان يجري في تلك الايام على نطاق واسع ، وكان التجار والمهربون يجنون من ذلك أرباحاً مفرطة . وقد اضطرت حكومة دمشق الى فرض عقوبة على المهربين بتبديل ذهبهم الى الجنيهات المصرية الورقية مع استحصال عشرة بالمائة منهم كغرامة نقدية . وفي ذات يوم من أواخر شباط ١٩٢٠ وصلت الى الدير سيارة قادمة من سوريا وهي تحمل مبلغاً كبيراً من الذهب قُدر بسبعين ألف ليرة عثمانية ، فألقت الشرطة القبض عليها . فكان هذا ايذاناً بنشوب خصام شديد بين مولود مخلص والعشائر ، فقد كانت العشائر تريد توزيع الذهب على « المجاهدين » بينما كان مولود يريد اعادة المبلغ الى اصحابه مع فرض العقوبة عليهم حسب القانون .

وحدث في تلك الآونة أن عاد رمضان شلاش الى الدير بصفته الشخصية ، فانضم الى العشائر في المطالبة بالذهب . ولوحظ ان العراقيين انقسموا اذ ذاك الى فريقين ، أحدهما وقف الى جانب مولود والآخر وقف الى جانب رمضان . ويقول العمري : ان الوقاحة بلغت برمضان ومن تابعه من العراقيين أنهم أرادوا قتل مولود وتنصيب رمضان مكانه ، وكادوا يفعلون ذلك لو لم يتدخل بعض المخلصين من العراقيين ويحولوا دونه[18] .

راجع أصحاب الذهب حكومة دمشق ، واستطاعوا أن

---

(١٧) محمد طاهر العمري (المصدر السابق) – ج٣ ص ٣٦٥–٣٦٦ .
(١٨) المصدر السابق – ج٣ ص ٣٧١ .

يحصلوا منها على اذن باعادة ذهبهم اليهم بعد أخذ الغرامة النقديه منه • وقد اشتد النزاع بين مولود ورمضان على أثر ذلك • وحاول مولود استرضاء رمضان بأن دفع له مبلغ ثلاثة آلاف ليرة ، فلم ينفع فيه • حدث مرة ان رمضان أرسل نفراً من رجاله لتخريب خط التلفون ووسائل المواصلات بين الدير وجبهة الحرب في الميادين ، فاضطر مولود ان يمنعه مع عشائره من المشاركة في الجبهة ، كما منعه من دخول الدير (١٩) •

يبدو أن رمضان كان حانقاً على مولود لاعتقاده بأنه سلب السلطة منه، ولهذا صار يسعى نحو ازاحة مولود من السلطة والحلول محله فيها • يقول العمري في وصف رمضان : انه ضعيف الثقافة حقود يحب الفخفخة والدسائس وحريص على منفعته الشخصية(٢٠) • ولا حاجة بنا الى القول ان هذا الوصف يمثل وجهة نظر مولود مخلص وأعوانه في رمضان شلاش ، ولا شك ان لرمضان وأعوانه وجهة نظر أخرى في مولود ، فكل فريق منهما لابد أن ينسب جميع المحاسن الى نفسه ويلصق المساوىء بخصمه ـ كما هو ديدن البشر دائماً •

وصل علي جودت الأيوبي الى الدير في تلك الآونة ، فوجد الخلاف بين مولود ورمضان كاد يبلغ حداً لا تحمد عقباه • يقول الأيوبي في مذكراته « فبذلنا أقصى الجهد لاصلاح ذات البين فلم ننجح • فارتأينا ابعاد رمضان شلاش عن المنطقة أولا ولكنه كان مصراً على البقاء فيها ، ولا يريد الانفكاك عنها ، فاضطررنا الى الاستعانة بالملك فيصل ، وأعلمناه بالوضع السائد في منطقة دير الزور ، والتمسنا من جلالته باسم المصلحة العامة أن يستدعي رمضان شلاش الى الشام حالاً وأن يبقيه فيها مدة مناسبة ان أمكن ذلك ، كما اقترحنا على جلالته أن يستدعي مولود مخلص الذي أنجز من الاعمال الوطنية ما يشكر عليها ، وان يعين محله متصرفاً مدنياً لتنظيم الادارة التي

---

(١٩) تحسين العسكري (الثورة العربيسة الكبرى) ـ النجف ١٩٣٨ ـ ج ٢ ص ٥٣ ـ ٥٥ •

(٢٠) محمد طاهر العمري (المصدر السابق) ـ ج٣ ص ٣٤٢ •

تحتاج اليها المنطقة ، فأجاب فيصل التماسنا فوراً »[٢١] .

ومن الطرائف التي تُروى في هذا الشأن ان أحد شعراء العشـــائر نظم أبياتاً من الشعر يتهكم فيها على رمضان شلاش . نذكرها فيما يلي كما رواها لي مالك فتيان الراوي :

لعيون الخشـــمه مـــن زنده[٢٢]
نحـــارب مـــن هـــين للنـــده

يواعـــدنا وشـــي ما عنـــده
طـــوب وطيـــارة مـا عنـــده
غـــير الكذب وتحـــريك الشـــر

حدود جديدة :

في أوائل آذار ١٩٢٠ كتب فيصل الى اللنبي في القاهرة يذكر له ان الحدود الحالية بين العراق وسوريا غير طبيعية لأنها تقسم العشائر الساكنة حولها الى قسمين مما يؤدي الى وقوع القلاقل وسوء التفاهم ، واقترح عليه تأليف لجنة مختلطة من اعضاء عرب وبريطانيـين لتعيـين حدود أخرى مناسبة . فأبرق اللنبي بهذا الاقتراح الى لندن ، فعاد الجواب اليه يأذن له بالموافقة على الاقتراح . وأبرق اللنبي بالموافقة الى الكولونيل ليجمن الذي كان يومذاك حاكماً عسكرياً على منطقة الفرات الاعلى .

أبرق ليجمن الى مولود مخلص في الدير يطلب منه ارسال وفد عربي لتعيين الحدود الجديدة . وقد تشكل الوفد من علـي جـــودت الأيوبي وتحسين علي . ولم يستطع مولود أن يشترك في الوفد لابتلائه بمرض الزحار . وفي ٥ أيار اجتمع الوفدان العربي والبريطاني في قرية « عشارة » التي تقع على بعد ١٥ ميلاً من مصب الخابور جنوباً ، وبعد

---

(٢١) علي جودت (ذكريات) ـ بيروت ١٩٦٧ ـ ص ٩٤ .

(٢٢) كان رمضان قد أجريت له عملية تجميل في أنفه فنقلت قطعة من جلد ذراعه الى أنفه . والى هذا يشير الشاعر حين يصف رمضان بأن « خشمه من زنده » .

المداولة قرروا ان تكون الحدود الجديدة عند « كرد درناج » وهي تقع على الفرات بالقرب من قرية القائم وتبعد عن عانة شمالاً بخمسين ميلاً . وبهذا أصبحت البوكمال والصالحية والميادين ضمن حدود سوريا ، وخرجت من حوزة العراق .

ولما تم تعيين الحدود بهذا الشكل عُين عبدالرزاق منير قائمقاماً لألبوكمال ، كما أُعدت مفرزة من الجيش العربي مؤلفة من سرية خيالة نظامية ومدفع صحراء ورشاشين ، بغية الذهاب الى البوكمال لتسلمها من القوات الانكليزية . وقد وصلت المفرزة الى ألبوكمال في عصر ١١ أيار ، كما وصل اليها في الوقت نفسه قائمقامها الجديد عبدالرزاق منير وعلي جودت الأيوبي وتحسين علي وتحسين العسكرى .

كانت المفرزة عند اقترابها من بلدة ألبوكمال رافعة الاعلام العربية وتنشد الاناشيد الوطنية ، وقد خرج أهل البلدة لاستقبالها والترحيب بها ، فاغتاظ من ذلك ليجمن وبعث الى المفرزة يقول انه لا يريد أن يغادر البلدة اذا دخلت المفرزة العربية بهذه الصورة . فذهب اليه علي جودت وتحسين علي واتفقا معه على أن تخرج الحامية الانكليزية أولا ثم تدخل المفرزة العربية بعدئذ[٢٣] . وقد جرى الامر على الطريقة المتفق عليها ، ثم رُفع العلم العربي فوق بناية السراي ، وانطلقت الاهازيج تملأ الفضاء[٢٤] . ولكن الحامية الانكليزية لم تكد تخرج من ألبوكمال حتى هاجمتها بعض العشائر بقيادة مشرف الدندل ، وظلت تهاجمها حتى وصولها الى عانة .

قوبل تعيين الحدود الجديدة بارتياح بالغ في سوريا ، واعتبره العرب نصراً لهم . وكتبت وزارة الخارجية السورية الى اللنبي تعرب عن شكر الامة السورية وأمتنانها ، وتقول ان اخلاء الجنود البريطانيين

---

(٢٣) المصدر السابق ـ ص ٩٥ .
(٢٤) تحسين العسكري (المصدر السابق) ـ ج٢ ص ٨٤ .

لألبوكمال سيعتبره السوريون دليلاً على حسن النية والصداقة لـــدى الحكومة البريطانية تجاه العـــرب •

فهد البطيخ :

ان فهد البطيخ من رؤساء عشيرة شمر طوقة شبه البدوية التي تسكن على ضفة دجلة اليسرى بـين الصـويرة والعزيزية ، وكان في العهـــد التركي مشهوراً بالشجاعة والمقدرة على قطع الطرق ، وظل كذلك في عهد الاحتلال الانكليزي • وقد ألقى الانكليز القبض عليه في أيلول ١٩١٩ واعتقلوه في البصرة نحو ستة أشهر ثم أطلقوا سراحه • وفي شهر آذار ١٩٢٠ استطاع أن يهرب الى الدير ، ومن هناك ذهب الى دمشق برفقــة تحسين العسكري ، فقابل الملك فيصل وأنعم عليه الملك برتبة مقدم شرف• ثم عاد فهد من بعد ذلك الى الدير •

اتفق فهد مع مولود مخلص على تأليف عصابة من أفراد العشائر لشن الغارات على القوافل الانكليزية فيما بين تكريت والموصل • وقـد تألفت العصابة من ثلاثمائة محارب • وانضم اليها محمد فتيان الراوي الذي كان قبلئذٍ اماماً في الجيش العربي في حلب •

غادرت العصابة الدير متجهة نحو الشرقاط ، وحين وصلت الى مقربة منها وجدت قطيعاً ضخماً من الغنم لمتعهد عسكري ، فهاجمته وغنمت منه عدداً كبيراً من الغنم قُدر بستة آلاف رأس(٢٥) • ثم اتجهت مـــن بعد ذلك نحو تكريت حيث التحق بها أربعة رجال من أهلها • وفي ٢٤ أيار وصلت العصابة الى محطة البلاليج التي تقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من جنوب الشرقاط ، وهناك شاهد فهد البطيخ بضعة عمال يعملون في تصليح سكة الحديد ، فطلب منهم تحت تهديد السلاح أن يقلعوا مسامير السكة بآلاتهم مع ابقاء السكة على وضعها • وقد قام العمال بما أمرهم به فهد خوفاً منه • وفي الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم وصل قطار

---

(٢٥) المصدر السابق ـ ص ٩٠ •

عسكري ، فلما مر على السكة المقلوعة انحرف في سيره ثم تدهور نحو وادي قريب يسمى « وادي أم غربة » ، وعند هذا انطلق فهد ورجاله نحو القطار يمطرونه بوابل من نيران بنادقهم ، فاشتعلت النار في مرجل القاطرة ، وصارت القاطرة تجري واللهب مندلع منها .

يدعي الانكليز ان القطار كان خالياً من الركاب تقريباً . أما المصادر العربية فتؤكد على أن القطار كان يحمل عدداً من الضباط والجنود ، وقد قتلوا جميعا واستحوذ الثوار على أسلحتهم وتجهيزاتهم(٢٦) .

حين علمت الحكومة العربية في دمشق بحادثة القطار كتبت الى ويلسون في بغداد تبدي أسفها على ما وقع وتتنصل منه تنصلا تاما وتقول انها ستتخذ كل التدابير الممكنة لمنع وقوع مثل هذه الحركات ، كما أنها استدعت رمضان شلاش الى دمشق(٢٧) .

يبدو ان الحكومة العربية لم تكن قادرة على تحقيق ما وعدت به ويلسون . فان النصر الذي ناله فهد البطيخ ، والغنائم التي كسبها ، جعلت اسمه لامعاً بين العشائر في منطقة الجزيرة كلها ، وصار الكثير من رؤساء العشائر وأفرادها يودون الاقتداء به في شن الغارات على الانكليز ونيل المغانم !

نجرس وعاكوب :

ان نجرس الگعود من رؤساء الدليم ، وكان شديد العداء للانكليز حتى وصفه هالدين بقوله : ان نجرس أشد خصومنا في الفرات الأعلى اثارة للمتاعب وأبرعهم في التملص(٢٨) . وهناك قولان في تعليل هذا العداء من نجرس للانكليز ، أحدهما انه كان بينه وبين علي السليمان منافسة على رئاسة الدليم ، ولما كان علي موالياً للانكليز صار نجرس

(٢٦) تحسين العسكري (المصدر السابق) — ج٢ ص ٩١ ، ١٦٢ .
(٢٧) المس بيل المصدر السابق) — ص ٤٢١ .
(28) Haldane (Insurrection In Mesopotamia) - Edinburgh 1922 P. 44.

بطبيعة الحال معادياً لهم • والثاني ان نجرس كان له ثأر مع الانكليز لأن ليجمن كان قد قتل أخاً له اسمه صبار •

اتفق نجرس مع مشرف الدندل من رؤساء العقيدات ، والمغير بن عفان الشرجي رئيس عشيرة ألبو محل ، وبعض رؤساء ألبونمر والجغايفة، وأخذوا يشنون الغارات على القوافل بين الشرقاط وحمام العليل ، وظفروا ببعض الغنائم منها •

استطاع الانكليز أن يجتذبوا اليهم عاگوب رئيس عشيرة ألبوحمد ، وكان هذا قبلئذ معادياً لهم يشن عليهم الغارات ، ولكنهم منحوه اراضي بخمة في منطقة القيارة ، كما خصصوا له مرتبا شهريا قدره ألفا روبية ، وطلبوا منه لقاء ذلك حراسة الطريق بين القيارة وحمام العليل •

أخذ عاگوب يتصدى لنجرس الگعود وأصحابه ، وتمكن من استعادة بعض الغنائم منهم ، ولما وصل خبر ذلك الى أهل الموصل والى العشائر المعادية للانكليز استاؤوا منه ، وأرسل حزب العهد في الموصل رجلاً اسمه سعيد العبد الى عاگوب ليعاتبه على تعاونه مع الانكليز بعدما كان وطنياً ثائراً ، فنفى عاگوب عن نفسه تهمة التعاون مع الانكليز ، ودافع عن نفسه قائلا بأن له عداوة سابقة مع نجرس الگعود ومع الجغايفة والعقيدات ، وان هؤلاء كانوا قد أغاروا عليه من قبل • ورفض عاگوب ان يعيد اليهم الغنائم التي أخذها منهم ولكنه وعد بأن يتعاون مع الثوار في المستقبل(٢٩) •

تاثير الاحداث :

ان احداث الدير والغارات على طريق الموصل التي تحدثنا عنها آنفا ، بالاضافة الى واقعة تلعفر التي ستتحدث عنها في الفصل التالي ، كان لها أثرها البالغ في الرأي العام العراقي وخاصة في الموصل وبغداد والفرات

---

(٢٩) قحطان أحمد عبوش التلعفري (ثورة تلعفر) ـ بغداد ١٩٦٦ ـ ص ١٣٨ ـ ١٤٠ •

الاوسط • فقد أخذت الاخبار المبالغ فيها والاشاعات تروج بين الناس حول قوة العرب وضعف الانكليز تجاههم • وكانت الجرائد ولا سيما جريدة « العقاب » ، تضرب على هذا الوتر الحساس فتثير في الناس الحماس الديني الممزوج بالوطنية والقومية •

تقول المس بيل : « ان استعداد الادارة البريطانية للنزول عند رغبة الحكومة العربية ، والانصياع الى أي مقترح ينبعث منه أمل معقول في تطمين ادعاءاتها في الفرات قد أسقطته من الحساب جمعية العهد العراقية ووكلاؤها حيث لاحظت صعوبتنا الواضحة في المحافظة على خط مواصلاتنا الطويل ضد هجمات القوات غير النظامية عليه • ثم اعتبرت موقفنا الاسترضائي المسالم دليلاً على ضعفنا العسكري ، وعلى هذه الشاكلة كان موقفنا هذا شيئاً محفزاً وليس مهدئاً لها • وكانت كتابات الصحافة السورية المحلية عن المناوشات التي جرت معنا ، مهما كانت لهجتها غير معقولة ، تقابل بالتصديق من الجميع • فقد كتبت تقول : ان الجيش البريطاني طُرد من دير الزور ، وان القوات العربية قد أجبرته على اخلاء ألبوكمال ، وانه ينتظر الضربة الأخيرة التي سوف تنزل به في عانة على يد الامير عبدالله وقوته التي لا تقهر • وفي الوقت الذي كانت هذه الاشاعات تتردد في مقاهي بغداد بدأ العمل في البادية » (٣٠) •

ويقول هالدين تعليقاً على سقوط دير الزور في أيدي العرب : ان سقوط هذه البلدة أصبح دعاية رائعة بين عشائر الفرات الأوسط ، وقد صار واضحاً في ذهن البعض ان الثورة العراقية آتية لاريب فيها • فان قبيلة مستضعفة كالعقيدات التي لا تتمتع بشهرة حربية كبيرة استطاعت ان تطرد الانكليز من دير الزور فكم يكون من السهل اذن على عشائر الفرات الاوسط التي اشتهرت بقوة الشكيمة أن تقوم بالعمل نفسه • وينقل هالدين عن فهد الهذال انه قال : اذا لم تعيدوا احتلال دير الزور فانكم

---

(٣٠) المس بيل (المصدر السابق) ـ ص ٤١٧ ـ ٤١٨ •

سوف تواجهون في الفرات الاوسط ثورة خلال ستة أشهر »[٣١] .

ويذهب ويلسون الى مثل هذا الرأي حول التأثير الذي أحدثته أحداث الدير على الرأي العام في بغداد ، حيث يقول : ان تقلص حدودنا المستمر في الفرات الاعلى ، والغارات على تلعفر وطريق الموصل ، قوى الاعتقاد السائد لدى الناس بان وضعنا العسكري ليس في مقدوره ضبط العشائر في حالة قيامها بالثورة . ففي أوائل شهر حزيران أعطانا علي السليمان تحذيراً خطيراً ، وهذا الرجل يعد من أكثر مؤيدينا ثباتاً بين شيوخ العشائر بالقرب من بغداد . وفي الوقت نفسه أعطانا مثل هذا التحذير شيخ مشائخ عنزة ، وهو الذي أعطى أذناً صماء للدعاية الثورية الموجهة اليه ، فهو أعلن بجدية اننا اذا لم نحصل على بعض الانتصارات الساحقة فانه لايستطيع ان يعطي جواباً مقنعاً لأفراد عشيرته ... [٣٢] .

---

(31) Haldane (op. cit.) - P. 83-84.

(32) Wilson (op. cit.) - vol. 2, P. 254 - 255

الفصل الحادي عشر

واقعة تلعفر

على أثر تتويج فيصل في دمشق في ٨ آذار ١٩٢٠ شعر العراقيون في سوريا أن بقاءهم فيها أصبح غير مرغوب فيه وأنهم يجب أن يقوموا بعمل جدي للعودة الى بلادهم، فاجتمع نفر منهم وقرروا مقابلة الملك فيصل للتداول معه في هذه المشكلة ، واختاروا من بينهم ثلاثة لمقابلة الملك هم : علي جودت الايوبي وجميل المدفعي وثابت عبدالنور .

يروي الأيوبي في مذكراته انهم عند اجتماعهم بالملك قالوا له : اننا التحقنا بثورة الملك حسين في الحجاز فحاربنا وضحينا حتى وصلنا الى سوريا وكانا أمل في أن نحصل على أهدافنا ، ثم تبين لنا مع الأسف ان الحلفاء الذين آزرناهم في أحلك أيامهم قد تنكروا لنا واقتسموا بلادنا ، أما نحن فصرنا لا ملجأ لنا ولا مأوى ، وبدأنا نشعر بأننا غرباء غير مرغوب فيهم . ولهذه الاسباب قررنا الذهاب الى دير الزور لمحاربة الانكليز الذين نكثوا بعهودهم للعرب ، فاما ان ننجح في مسعانا أو نموت دونه . فأخذ الملك فيصل يناقشهم في هذا الأمر حيث ذكر لهم صعوبة قيامهم بمحاربة دولة قوية كبريطانيا ، وطلب منهم التريث لكي لا يضطرهم الموقف الى مواجهة عدوين قويين في آن واحد ، اي بريطانيا وفرنسا . فرد عليه الثلاثة قائلين له ان الروس والاتراك مستعدون لمساعدة أية حركة مناوئة لبريطانيا وان من الممكن الحصول على المال والسلاح منهم ، وطلبوا منه أن يمدهم هو أيضاً بالمال والسلاح وأن يسمح لأخيه زيد بالذهاب معهم ليكون رمزاً للثورة . وبعد أخذ ورد وافق الملك فيصل على امدادهم غير أنه امتنع عن ارسال زيد معهم لأن ذلك يعني اشهار الحرب على الانكليز بينما هو في وضع لايساعده على معاداتهم في الوقت الحاضر(١) .

---

(١) علي جودت (ذكريات) ـ بيروت ١٩٦٧ ـ ص ٩٠ـ٩٢ .

قدم لهم فيصل منحة قدرها ثلاثة آلاف جنيه مصري ، وذهبوا هم الى أحد المخازن العسكرية التي كانت تحت حراسة جنودهم ، فأخذوا منها سراً مقداراً كافياً من الاسلحة والعتاد ، وأرسلوها بالعربات الى دير الزور •

تجمع في الدير عدد غير قليل من العراقيين علاوة على من كان فيها سابقا • وأخذوا يستعدون لشن هجوم على العراق • وذهب أمين العمري الى ماردين عبر الحدود التركية • فاتصل هناك بأحد القادة الاتراك اسمه كنعان بك ، وكان للعمري معرفة قديمة به ، طالباً منه المعونة ، فأعطاه هذا مائة صندوق من العتاد والاسلحة الخفيفة وخمسمائة قنبلة • وقد طلب العمري من الاتراك مدفعين جبليين ، فوعده الاتراك بهما ولكنهم عدلوا عن وعدهم أخيراً عندما تبين ان العراقيين يريدون الاحتفاظ بالموصل وغير مستعدين لاعطائها الى الاتراك [٢] •

اعداد الحملة :

وصل الى الدير في تلك الأيام رجل موصلي اسمه عبدالحميد الدبوني ، وهو من الضباط القدماء وكان قبل قدومه الى الدير موظفاً لدى الانكليز في تلعفر برتبة معاون حاكم سياسي ولكنه اختلف معهم فاستقال من الوظيفة والتجأ الى الدير • وروى لي أحد المطلعين من أهل تلعفر ان سبب استقالة الدبوني من وظيفته هو أن ليجمن اتهمه بالاختلاس وعامله بفضاضته المعهودة •

أخذ الدبوني يحرض العراقيين في الدير على مهاجمة تلعفر ، وأوضح لهم سهولة احتلالها لما له من معرفة وثيقة برؤساء تلعفر ، ووصف أولئك الرؤساء بأنهم ميالون كل الميل للثورة على الانكليز • وقد اقتنع العراقيون بهذا الرأي • وفي أوائل أيار ١٩٢٠ بدأ اعداد الحملة لمهاجمة تلعفر • يقول الأيوبي في هذا الشأن ما نصه :

---

(٢) تحسين العسكري (الثورة العربية الكبرى) - النجف ١٩٣٨ - ج٢ ص ٩٢ •

« ... رأينا الجواسيس الانكليز في دير الزور يسرحون ويمرحون ، وقد كثر عددهم ، وكنا نشعر بأنهم في حركة دائمة ونشاط مستمر حريصين على ايصال أخبارنا وحركاتنا الى ضباط الاستخبارات الانكليز في الفرات ، لذلك ولأجل تضليل هؤلاء أظهرنا بأننا نهيىء أنفسنا للهجوم على عانة ، وقد استأجرنا فعلاً شخاتير (قوارب) ووضعنا فيها بعض الارزاق وقلنا لبعض الجنود والمتطوعين أننا قريباً نتحرك بالقوة بواسطة النهر نحو الجنوب ، وطلبنا أن يكتموا الأمر حتى نفاجيء الانكليز بالحركة . كنا نشيع أمثال هذه الاخبار ليتأكد الجواسيس من أن الحركة متجهة نحو الجنوب . هذا ولم نغفل عن اعداد (مطارات) الماء للجنود بواسطة السمكرية من السوق في دير الزور لأنها كانت ضرورية لهم في الصحراء ... »[٣] .

وصلت أخبار الحملة الى الانكليز ، وأسرعوا هم من جانبهم الى ابلاغ الملك فيصل بذلك وهددوه وأنذروه بأنه يجب أن يتدخل لايقاف الحملة ، فأرسل الملك الى الايوبي يطلب منه الحضور حالاً الى حلب لمقابلته . وحين ذهب الايوبي اليه قال له الملك : ان الانكليز مستاؤون من وجودكم في دير الزور ، وهم يهددوننا بوخامة العاقبة اذا لم تكفوا عن هذه الاعمال ، فرد عليه الايوبي قائلاً بأن العراقيين في الدير مصممون على القيام بالحملة ولا يمكن ان يتراجعوا عنها . ولما رأى الملك اصرار الأيوبي على القيام بالحملة وافق عليها مشترطاً ان يقوم العراقيون بها على مسؤوليتهم لكي لايحرجوا موقفه مع الانكليز ، وطلب منهم أن لا يستعملوا المدافع فيها لان استعمالها يدل على موافقة الحكومة السورية عليها . فأكد الأيوبي له انهم لن يستعملوا المدافع كما أنهم سوف يبذلون جهدهم للتظاهر بان الحكومة السورية لا دخل لها في أعمالهم[٤] .

تحرك الحملة :

أُعدّت للحمله عشرون عربة من عربات النقل التي تجرها الخيول،

---

(٣) علي جودت (المصدر السابق) - ص ٩٧ - ٩٨ .
(٤) المصدر السابق - ص ٩٨ - ٩٩ .

وكانت كل عربة تكفي لحمل ثمانية جنود مع معداتهم ، وفي ٢٢ أيار تحركت الحملة بقيادة جميل المدفعي ، وكان في مقدمتها جندي يحمل علم الثورة العربية كُتب عليه عبارة : « الموت أو استقلال العراق » . وسارت الحملة في محاذاة نهر الخابور خارج الحدود العراقية ، وقد التحقت بها جماعات من عشيرة العقيدات والبكارة وغيرها . وفي ٢٦ منه وصلت الحملة الى الفدغمي ، وهناك تم تنظيم الحملة الى اربع سرايا ، ونيطت قيادتها بالضباط التالية اسماؤهم : فائق حسني الكردي ، محمود أديب البغدادي ، سليم الجراح الموصلي ، محمد علي الموصلي . وتقرر اطلاق اسم « عسكر الشريف » على الحملة ليكون ذلك بمثابة دعاية لها في أوساط العشائر وأهل المدن .

وفي ٢٨ أيار وصلت الحملة الى مضارب عشائر شمر ، وكانت هذه العشائر يومذاك تسكن بالقرب من نصيبين داخل الحدود التركية ، وطلب ضباط الحملة من الشيوخ أن ينظموا اليها ، فأبدى بعضهم تردداً في ذلك ، ولكن عجيل الياور انبرى للكلام وأخذ يحاول اقناع الشيوخ بتأييد الحملة حيث قال لهم : « ان هؤلاء الذين اتوا يستنجدون بكم لكل واحد منهم عائلة وله أولاد في العراق ، وهم مصرون أن يمشوا الى الانكليز غير خائفين ولا وجلين ، وكل واحد فادي بحياته لاجل تخليص الديار من العدو ، وأنا لا أرى من شيمة العرب أن تتردد في معاونتهم بل الشيمة تدعو الى اسعافهم وانجادهم والمحاربة في صفوفهم لتخليص البلاد ، فأما أنا وعشيرتي فستروننا معهم منذ الغد ، فمن يود الاشتراك معنا فليشترك ، والذي يتأخر ولا يريد الاشتراك في هذه الحرب فهو حر في أمره » .

وقد أثر هذا الكلام في الشيوخ ، وتم الاتفاق بينهم على أن ينضم عجيل الياور الى الحملة بكل عشيرته وينضم الآخرون كل واحد منهم بعدد معين من عشيرته ، وهم مشهل الفارس وحاجم بن العاصي ومدلول بن العاصي وبنيان الشلاش ومبرد بن مناور السوكي ومحمد

القسفيري[٥] .

وبعد أن انضم هؤلاء الى الحملة تحركت نحو الجنوب باتجاه تلعفر. وفي الطريق انضمت اليها جماعات أخرى من الجبور وطي وغيرها .

اجتماع في تلعفر :

في صباح ١ حزيران ١٩٢٠ وصلت الحملة الى موضع خنيزيرة الذي يقع الى الشرق من جبل سنجار وهناك عقد رؤساء العشائر الملتحقون بالحملة مؤتمراً قرروا فيه ارسال وفد منهم الى تلعفر للتأكد من استعداد رؤسائها للتعاون معهم عند الوصول اليها . وقد وقع الاختيار على عبدالحميد الدبوني للذهاب الى تلعفر على أن يصحبه رجلان من العشائر أحدهما شمري والثاني جبوري .

غادر هؤلاء الثلاثة خنيزيرة متوجهين الى تلعفر ، وكانوا يحملون معهم رسالة من رؤساء الحملة معنونة الى رؤساء تلعفر يخبرونهم فيها بأن قوة ثورية من الشريف حسين زعيم الأمة الاسلامية والعربية جاءت لتحرير الموصل من الانكليز وهم يعلنونها حركة ثورية عامة للانقاذ ويرغبون قبل أن يتوغلوا نحو الموصل أن يتأكدوا من موقف تلعفر وعشائرها من الحركة ويأخذوا المواثيق منهم في حالة تأييدهم لها ، وهم ينتظرون الجواب على يد الوفد المرسل اليهم .

وصل الوفد الى تلعفر في ساعة متأخرة من مساء ٢ حزيران – وهو يوافق ١٥ رمضان – فذهب توا الى بيت السيد عبدالله أغا رئيس عشيرة السادة ، وسلمه الرسالة . فدعا هذا اليه رؤساء البلدة الآخرين ، وكان الرؤساء في تلك الساعة يقظين كعادتهم في ليالي رمضان . وحين حضروا كاشفهم السيد عبدالله أغا بالامر ، ثم تكلم الدبوني معهم طالباً منهم ان يقوموا بالثورة قبل وصول « عسكر الشريف » اليهم ، فان ذلك سيكون شرفاً عظيماً لهم وخير جواب لرؤساء العشائر الذين أوفدوه اليهم .

---

(٥) قحطان احمد عبوش التلعفري (ثورة تلعفر) – بغداد ١٩٦٩ – ص ١٧١ .

اقترح بعض الرؤساء استشارة الضابط جميل محمد الخليل في الأمر، وكان هذا الرجل مستخدما لدى الانكليز في تلعفر قائداً للدرك وهم يثقون به ، فأرسلو اليه يدعونه اليهم ، وحين حضر اليهم أخذه الدبوني الى جانب من المجلس وكان صديقاً له ، وأخذ يحاول اقناعه بالاشتراك مع رؤساء تلعفر في الثورة على الانكليز ، فاقتنع جميل ووافق على الاشتراك في الثورة(٦) .

وقد روى جميل الخليل فيما بعد قصة انضمامه الى الثورة حيث قال ما نصه : « كنت قائد الدرك عند القوة الانكليزية في تلعفر ، وحينما علمت بمجيء حميد الدبوني بالقرب من قلعة تلعفر ، خرجت وتواجهت معه ، وكلمني عن أن الانكليز قد استولوا على الموصل بغير حق ولا حرب ولا سيما أنهم دخلوها بعد عقد الهدنة ويريد الاتراك استردادها فلم يتمكنوا ، وان السوريين بعد أن استقلوا هيمنوا على جميع وظائف الدولة ونحن بقينا هناك من غير عمل . وفكرنا بأننا يجب أن نتحرك ضد الانكليز لنأخذ استقلالنا ... » (٧) .

الميجر بارلو يتخبط :

لم يكد الاجتماع في بيت السيد عبدالله أغا ينفض حتى وصل خبره الى حاكم تلعفر السياسي الميجر بارلو ، ويقال ان اثنين من الرؤساء الذين حضروه أسرعا باخبار بارلو عنه فور خروجهما منه .

وعند طلوع الشمس علم جميل الخليل بأن الميجر بارلو وصل اليه خبر الاجتماع ، فأدرك انه أصبح في خطر ، وأسرع الى الهرب من تلعفر ، وأرسل في الوقت نفسه دركياً الى الدبوني يطلب منه أن يهرب من البلدة ويلتحق به في قرية قبك التي تقع على بعد عشرة كيلومترات من شمال تلعفر .

---

(٦) المصدر السابق ـ ص ١٩٦ .
(٧) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ـ بغداد ١٩٥٤ ـ ص ١٨٥ .

يبدو أن الميجر بارلو لم يصدق خبر الاجتماع ، وربما كان واثقاً من ولاء رؤساء البلدة له واستبعد ان يتآمروا عليه • ومما يدل على ذلك أنه كان لديه ثلاث مصفحات في القلعة ، فأرسلها الى الموصل صباحاً • ثم أرسل يستدعي رؤساء البلدة للحضور عنده في السراي • وحين اجتمعوا عنده في دائرته قال مخاطباً السيد عبدالله أغا : « في هذه الليلة قد جرى اجتماع في دارك وحضر الاجتماع كل من عبدالحميد الدبوني وجميل خليل والاغوات ، وبحسب المعلومات التي وردتني انكم تنوون القيام بالثورة ضد الحكومة البريطانية على حساب الشريف » • فأجابه السيد عبدالله أغا بان الذين أخبروه بهذا الاجتماع لابد أنهم أناس مشاغبون ويريدون جلب عواطفكم تجاههم • فقال بارلو : « لو كنت أصدق أقوال المخبرين لما كنت اجتمع بك لكي أريد أن أسمع رأيك بهذا الخصوص ••• » ، فقال السيد عبدالله : « ان الوضع كما تسمعون عن مجيء الشريف ، ونحن نسمع الأخبار ايضاً ولكن لا نعلم درجة صحتها ••• واذا كنت تعتقد بخطورة الوضع فاطلب قوة من الموصل للدفاع عن تلعفر » • وأخذ بارلو من بعد ذلك يلاطف الرؤساء قائلا: «منذ استلامنا الحكم في هذه المنطقة دائماً نود مساعدتكم ونعتبركم من أخلص أصدقائنا الذين نعتمد عليهم ، والذي أريده منكم مساعدتنا عند الحاجة » • ثم قال أيضا : « والذي أرجوه منكم الآن عند سماعكم أخباراً تمس أمن هذه المنطقة أن تخبروني عنها وعن قوة جميل المدفعي وقوة الشريف » • فأجابه السيد عبدالله أغا : « طالما الأمر كذلك يجب عليك أن تخبرنا وتتصل بنا عن اجراءاتك في الداخل وفي الخارج حتى نكون على علم بها ولكي نتمكن من السير في أمورنا بقوة صحيحة على ضوئها بحيث لا تتصادم أفكارنا ، واذا أردت أن نجلب قوتنا من الخارج الذين هم الآن في القرى مشغولون في الحصاد » • فأجاب بارلو : « اننا الآن لسنا بحاجة أن نعيد قوة عشيرة الاعافرة الى تلعفر ونمنعهم من أشغالهم وحصادهم ويجب علينا أن ننتظر اليوم وغداً لنكون على بصيرة من الأحداث والأخبار ••• » •

وعند انتهاء الجلسة قال بارلو : « سوف نجتمع للمذاكرة عندما يستوجب الوضع ذلك » (٨) .

وفي عصر ذلك اليوم علم بارلو بوجود تجمع عشائري في قبك فأراد التحقق من ذلك بنفسه ، فغادر تلعفر برفقة رجل واحد من الدرك فوصل الى قبك بعد الغروب بساعة ، ونزل في خيمة السيد سليمان أغا ، فوجد هناك أحد رؤساء عشيرة الكركرية فسأله عن سبب وجوده هو وعشيرته في قبك . فأجابه الرئيس : « سمعنا بوجود شريف وثورة ، وجئنا نفتش عنهم ، وليس لدينا عتاد فنرجو يا سيدي تزويدنا بذلك » . فقال له بارلو : « ليس لدي عتاد لأني أرسلته كله الى الموصل ، ولم يبق لدي سوى صندوق واحد وهو قديم ، فأرسل غداً رجلاً لأعطيه عشرين مشطاً » (٩) .

وبعد فترة قصيرة وصل الى قبك رجال من تلعفر ، ولاحظ بارلو من حركاتهم أنهم غير وديين تجاهه وأنهم يضمرون له الشر . فخرج من الخيمة متظاهراً بأنه يريد البحث عن فرسه ، ولم يكد يبتعد بضع خطوات حتى أخذ يجري مسرعاً .. فحاول بعضهم اللحاق به ، فأطلق عليهم رصاصتين من بندقيته واختفى عن الانظار حيث توغل في بعض الأخاديد بين الصخور والادغال .

وحين علم عبدالحميد الدبوني بهرب بارلو أعلن عن جائزة قدرها خمسون ليرة ذهب لمن يأتي به حياً . فقام بالبحث عنه بعض الخيالة دون جدوى ، غير أنهم أدركوا مرافقه الدركي ، فسلبوه ملابسه وفرسه وسلاحه ، وضربوه ، ثم جاؤوا به الى الدبوني وجميل الخليل ، فأوعزا باطلاق سرحه (١٠) .

---

(٨) محمد يونس السيد عبدالله (أهمية تلعفر) ــ الموصل ١٩٧٧٦ ــ ص ٢٧ ــ ٢٩ .
(٦) قحطان أحمد عبوش التلعفري (المصدر السابق) ــ ص ٢٠٩ .
(١٠) المصدر السابق ــ ص ٢٠٩ ــ ٢١١ .

احتلال تلعفر :

ان الذي جرى في قبك كان بمثابة اعلان الثورة على الانكليز • وقد أدركت العشائر في قبك أنهم أصبحوا في موقف لايمكن التراجع عنه وأنهم يجب أن يستمروا في الثورة الى النهاية فعقدوا مؤتمراً حضره الدبوني والخليل ، وقرروا احتلال تلعفر ، ثم شرعوا بالزحف نحوها في ضوء القمر بغية الوصول اليها فجراً •

كانت الحامية الانكليزية في تلعفر مؤلفة من ثلاثة جنود بريطانيين وسبعين دركيا محلياً يرأسهم ضابط موصلي برتبة ملازم اسمه محمد علي النعلبند ، وكانوا جميعاً بأمرة ضابط بريطاني برتبة كابتن اسمه ستيوارت • وكانوا متحصنين في « القلعة » وهي هضبة مرتفعة تقع في وسط البلدة يحيط بها وادي يفصلها عن محلات البلدة من الجهات الأربع •

وصل الثوار الى تلعفر فجراً وأخذوا يهاجمون القلعة ، فأسرع الجنود البريطانيون الثلاثة الى سطح السراي الواقع في شمال القلعة ، فأحاطوا السطح بأكياس الرمل وصاروا يطلقون الرصاص على الثوار من رشاش كان لديهم • وكذلك التجأ الدرك المحليون الى سطح ثكنة الشرطة التي تقع في الجنوب الغربي من القلعة ، وأخذوا يطلقون النار من بنادقهم، وكان معهم الملازم محمد علي النعلبند ، ثم انضم اليه الكابتن ستيوارت •

لم يستمر تبادل النار بين الدرك والثوار طويلاً ، ذلك لأن الملازم محمد علي النعلبند استطاع أن يجد غفلة من الكابتن ستيوارت فأطلق عليه النار وقتله حالاً • وعند هذا اعلن الدرك انضمامهم الى الثورة مع النعلبند • ولما شاع الخبر في البلدة أعلن أهلها انضمامهم الى الثورة كذلك •

ظل الجنود البريطانيون الثلاثة صامدين على سطح السراي يطلقون النار من رشاشهم • ولكن الثوار تمكنوا من الصعود الى القلعة من خلال بعض المنعطفات والدروب التي لم تكن في مجال مرمى الرشاش ، فاحتلوا الأبنية فيها ونهبوها نهباً ذريعاً •

وقد تمكن الثوار من التسلل الى داخل السراي بالرغم من الرشاش المنصوب فوقه . وكانت في احدى غرفه خزانة تحتوي على مبلغ كبير من النقود ، فحطم الثوار باب الغرفة ودخلوها يريدون نهب الخزانة . فأسرع اليهم عبدالحميد الدبوني وأخذ يخاطبهم بالعربية تارة ، وبالتركية تارة ، وبالكردية تارة ، حيث ناشدهم أن يتركوا المال الى حين وصول عسكر الشريف ليتولى انفاقه على الجهاد ، وكذلك جاء اليهم السيد علي أغا وهو من رؤساء البلدة راجيا منهم الابتعاد عن الخزانة ، فلم يسمع كلامهما أحد . وعند هذا انبرى الشيخ صالح أحمد الخضير رئيس الجحيش فصرخ فيهم قائلا ما معناه : « لقد تجمعتم تريدون المال وهو ملك الشريف ، ومن العار عليكم أن تسببوا قتالاً أو جدلاً بينكم ، ولا يزال الرشاش الانكليزي فوق رؤوسنا يطلق الرصاص » . قال هذا ثم لملم عباءته وسحب خنجره وأخذ يصعد الدرج المؤدي الى السطح المنصوب عليه الرشاش قاصداً قتل الجنود ، ولكنه لم يكد يظهر رأسه في أعلى الدرج حتى أصابته رصاصة خر على أثرها مضرجا بدمائه .

لم يردعهم مقتل الشيخ صالح بل ظلوا على تكالبهم يريدون الاستحواذ على الخزانة . فاضطر الدبوني أن يأتي بالعالم الديني السيد سعيد أفندي ، وهو رجل يحترمه الجميع ، فأوقفه عند باب الغرفة لحراستها . وأخذ هذا الرجل يتلو بعض الآيات القرانية والاحاديث النبوية المناسبة ، وطلب من الناس التفرق ، فاستجابوا لطلبه ... (١١) .

وفي تلك الآونة كان بعض الخيالة قادمين من احدى القرى للالتحاق بالثوار في تلعفر ، وحين وصلوا الى بعد ميلين منها أبصروا بالميجر بارلو يمشي متجهاً نحو تلعفر ، فأمسكوا به وأخذوا منه بندقيته ومسدسه وخاتمه ، ثم أركبوه على فرس وساروا به نحو البلدة . وبينما هم في الطريق بلغهم مقتل الشيخ صالح أحمد الخضير . ولما وصلوا الى مقربة من البلدة شاهدوا قافلة من السيارات الانكليزية متوجهة نحوها ، كما

---

(١١) المصدر السابق _ ص ٢٢٢ _ ٢٢٤ .

شاهدوا طائرة في الجو . وأراد بارلوا أن يفر منهم عند رؤيته السيارات والطائرة فقفز من على ظهـــر فرســـه وأسرع نحـــوها ملوحا بيده . فصوب عليه أحدهم بندقيته وهو يقول : «يا لثارات صالح أحمد الخضير» وأرداه قتيلا . ثم سحبوا جثته الى بقعة منخفضة من الارض فتركوهـا هنالك ، وواصلوا سيرهم نحو تلعفر(١٢) .

معركة السيارات :

عندما اقترب الظهر في ذلك اليوم ساد في تلعفر هدوء يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة ، ولم يكن يسمع آنذاك سوى طلقات الرصاص من الرشاش المنصوب فوق سطح السراي بين الحين والآخر . وبدأ الناس يتهامسون متسائلين : لماذا لم يصل عسكر الشريف حتى الآن ؟ وبدأ بعضهم يتقولون بأن الدبوني خدعهم وأوقعهم في ورطة كبيرة وان قوة انكليزية لابد قادمة الى تلعفر لتنتقم من الاهالي . وأرسل أحـــد الرؤساء الى الدبوني ينصحه بالاختفاء عن الانظار ويحذره من احتمال قيام مؤامرة عليه من قبل بعض الاهالي لاحتجازه . فاضطر الدبوني الى الخروج من تلعفر والالتجاء الى مزار يعرف بـ « مزار ملا جاسم » يقع على تل في طريق سنجار . فجلس هناك منفردا ينتظر وصول عسكر الشريف بفارغ الصبر .

لم يطل انتظار الدبوني على التل ، اذ سرعان ما وصل الى المكان عدد من الخيالة من اتباع عجيل الياور ، ثم وصلت بعد قليل طلائـــع عسكر الشريف ، فانضم الدبوني اليهم ، وساروا جميعا نحو تلعفر . وعندما بلغوها استقبلهم رجال البلدة باطلاق النار وبالتهليل والتكبير ، والنساء بالزغاريد .

أول صعوبة واجهت الثوار عند دخولهم البلدة هي في تحصـــن الجنود البريطانيين الثلاثة فوق سطح السراي ومعهم الرشاش يطلقون

(١٢) المصدر السابق ـ ص ٢٣٣ .

منه النار • فتقدم أحد ضباط الحملة ، وكان يحمل معه قبلتين يدويتين فقذف بهما على سطح السراي ، فانفجرتا هنالك وأحدثتا دويا مرعبـــا • وتطايرت أشلاء الجنود الثلاثة في الهواء من شدة الانفجار • ويقال ان فخذ احدهم سقط الى ارض القلعة على مرأى من الحاضرين(١٣) •

وفي هذا الوقت وصلت قافلة السيارات الانكليزية وهي مؤلفة من مصفحتين وبضع حاملات للجنود وسيارة واحدة اعتيادية ، وأخذت تسير في الطريق الضيق الذى يؤدي الى القلعة ، وكان الثوار قد أستعدوا لها ووضعوا الاحجار في الطريق ، ثم أطلقوا رصاصهم على السيارة الاولى فأعطبوها • وبذلك أصبحت القافلة كلها كأنها واقعة في فخ لعدم مقدرتها على الاستدارة في ذلك الطريق الضيق • وصار الرصاص ينهمر عليها من كل مكان كأنه المطر •

نشبت معركة ضارية بين الثوار وجنود القافلـة ، فـــكان الثوار يهاجمون السيارات وهم شاهرون خناجرهم ومسدساتهم وبنادقهم • وقد شاركت النساء في المعركة اذ كن يضربن السيارات بالاحجار ويصحن : « لقد ظهر دين محمد ! » ولم ينج من جنود القافلة سوى اثنين كانا من الهنود المسلمين وصارا يستغيثان : « دخيل دخيل مسلمان مسلمان » ، فأمســـك بهما الثوار وأودعوهما في السجن • وعمد احد الجنـــــود على احراق نفسه حيث صب البنزين على جسمه وأشعل النار فيـه ، والظاهر أنه كان من الهنود الذين يحرقون موتاهم ، وهو قد أحرق نفسه عندما عرف مصيره المحتوم فارتفعت ألسنة اللهب تلتهمه وتلتهـم بعض السيارات القريبة منه(١٤) •

كانت احدى المصفحتين قد تمكنت من الفرار ، فجرى وراءها بعض الخيالة ، وقفز أحدهم من على ظهر فرسه الى سطح المصفحة واستطاع ان يقتل أحد ركابها ، غير أنه سقط الى الارض فأصيب في رجله ، وحمله

---

(١٣) محمد يونس السيد عبدالله (المصدر السابق) ـ ص ٤٨ •
(١٤) قحطان أحمد عبوش التلعفري (المصدر السابق) ـ ص ٢٣٩ •

أصحابه . وظل الخيالة يطاردونها حتى استطاعوا تعطيلها ، وخرج ركابها وهم شاهرون مسدساتهم يطلقون النار منها ، فقُتلوا جميعا . وشوهد عجيل الياور آنذاك وبيده رمح طويل يطعن به كل جندي يخرج من المصفحة ، وذلك أخذاً بثاره من الانكليز(١٥) .

وصول عسكر الشريف :

لم تكد تنتهي معركة السيارات في تلعفر حتى وصل الخبر الى البلدة بقرب وصول عسكر الشريف اليها ، فخرج الناس لاستقباله على طول الطريق المؤدي الى القلعة . وجاء العسكر وهو في عرباته العشرين ، وكان أحد ضباطه وهو عمر الكركوكلي قد لبس عقالا وملابس عربية متظاهرا بانه الامير زيد بن الشريف حسين . وقد صدق أهل تلعفر ذلك . وأخذوا يهتفون له بالتركية قائلين : « پيغمبر قوقسي كاليور ، مكة قوقسي كاليور » ، ومعناه : أنهم يشمون رائحة النبي ورائحة مكة . وصاروا يرشون الماء على العسكر من سطوح دورهم ، وعج الفضاء بطلقات الرصاص وزغردة النساء(١٦) .

أوعز جميل المدفعي بانزال العلم البريطاني من فوق السراي ، وبرفع العلم العربي مكانه ، ثم أمر بتسلم محتوى الخزانة ، فتسلمه محمود السنوي ومحمود أديب . وكان المبلغ نحو ٧٥ ألف روبية و ١٥٠ ليرة ذهب ، وقيل غير ذلك . وقد دفع المدفعي من هذا المبلغ رواتب ضباط الحملة وجنودها ، كما دفع ٣٠٠ روبية لرجل من أهل تلعفر لانه كان قبل الثورة بشهر قد دفع الى الحكومة قسطا بألف روبية لالتزامه سوق الحيوانات . أما باقي المبلغ فقد احتفظ المدفعي به لحكومة دير الزور(١٧) .

وفي صباح اليوم التالي ـ أي في ٥ حزيران ١٩٢٠ ـ عقد المدفعي اجتماعا في دار رئيس البلدية الحاج يونس افندي ، حضره ضباط الحملة

---

(١٥) المصدر السابق ـ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤ .
(١٦) المصدر السابق ـ ص ٢٤٧ .
(١٧) المصدر السابق ـ ص ٢٤٩ .

ورؤساء العشائر • وتقرر في الاجتماع ابقاء الحاج يونس رئيسا للبلدية ، وتعيين جميل الخليل قائمقاما للبلدة • ثم بدأ المجتمعون يتداولون في أمر توسيع نطاق الحملة والهجوم على الموصل ، واتفقوا على الاتصال بحزب العهد في الموصل لاستطلاع رأيه في تعيين الموعد المناسب للهجوم • وكتبوا بهذا المعنى كتابا أرسلوه مع جاسم عجراوي ، كما كتبوا كتابا آخر الى الحاكم السياسي في الموصل الكولونيل نولدر ينذرونه به • وفيما يلي نص الكتاب الاول الموجه الى حزب العهد :

سلام واحترام

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نخبركم ونبشركم بأنه قد دخلنا تلعفر بدون ضائعات من طرفنا ، وأسرنا اثنتي عشر سيارة (أوتوموبيل) منهم أربعة مدرعات وثمانية رشاشات ، وأسقطنا طيارة ، وقتلنا ماينوف عن المائة من جنود الانكليز ، وقد اجتمعت واشتركت معنا عشائر شمر والجبور والكركرية والجحيش وأهالي تلعفر ، وستجتمع غدا معنا أغوات وأهالي سنجار • ان شاء الله غدا او بعد غد سندخل الموصل فعليه يلزم عليكم ان تستعدوا لترتيب الامور الداخلية ، ويلزم عليكم أن تقوموا لمدافعة الوطن وطرد الانكليز وتوحدون الحركة معنا وتجرون اللازم مثل ماعملوا أهالي تلعفر والدير وألبو كمال • ثانيا : يلزم احضار محلات لاجل اسكان العسكر والعربات والمجاهدين • ثالثا : تكتبون مكاتيب الى العشائر من العرب والاكراد في طرفي الدجلة من شعبة العهد ومن قبل حاجي محمد النجيفي والشيخ سليم وغيرهم أيضا من أصحاب النفوذ • والنصر من عند الله ، والسلام على الاحرار العاملين •

١٧ رمضان ١٣٣٨ — قائد الجيوش العراقية الشمالية

جميل

اما الكتاب الثاني الموجه الى الكولونيل نولدر فهذا نصه :

نحن باسم جميع أهالي العراق نخطركم بلزوم خروجكم من ديارنا وتسليم العراق لمليكنا صاحب الجلالة عبدالله الاول ابن جلالة الشريف

حسين حسب عهودكم التي كانت أساس التحالف معنا ، وان لم تخرجوا فمع كل الاسف سنخرجكم بحد سيوفنا لاننا لانقبل أن نعيش مستعبدين ، وستكونون أنتم المسببين والمسؤولين عن سفك الدماء بيننا وبينكم ، هـذا ونؤمل منكم الجواب العاجل بخصوص تخلية بلادنا • • والسلام على من اتبع الهدى •

قائد جيش العراق الملي الشمالي

جميل

عاد الجواب من معتمد حزب العهد في الموصل ومضمونه : أنهـم مستعدون للثورة ، وانهم سيثورون في ليلة الاربعاء في الساعة السادسة غروبية ـ وهي توافق ٨ حزيران ـ وهم يطلبون من عسكر الشريف أن يهاجم الموصل في تلك الليلة ، وان لايتأخر عنها ، لكي يكون الهجوم على الانكليز من جبهتين •

وكذلك عاد الجواب من الكولونيل نولدر ، وفيه اشارات تهكمية واضحة على النحو التالي : « تعلمون انني حاكم عسكري وليس للعسكريين حق البت في مثل هذه الامور دون مراجعة حكومتهم ، ولهذا السبب فاني سأنقل مضمون خطابكم الى حكومتي فان هي أمرتني بالتخلي عن هـذه الديار فعلت ، وان لم تأمرني بذلك فسأبقى بانتظاركم ريثما تخرجوننا بقوتكم »[١٨] •

الفرح بالنصر :

المفروض في التحركات العسكرية أن تجرى في منتهى الكتمان لكي تكون مباغتة للعدو • ويبدو ان قادة الحملة والوطنيين في الموصل لم يعملوا بهذه القاعدة • فلقد اشتد الحماس لدى البعض من أهل الموصل حينما بلغتهم أخبار النصر في تلعفر ، وصاروا يتفوهون بعبارات تـدل على ان الثورة قريبة وان الانكليز سيخرجون من الموصل في خلال يومين ، وقال

---

(١٨) المصدر السابق ـ ص ٢٦١ ـ ٢٦٤ •

بعضهم : « انتظروا ما بعد رمضان وسوف ترون ما يقع »[١٩] . أضف الى ذلك أن حزب العهد في الموصل أصدر في ٦ حزيران منشورا ذكر فيه ان الانكليز على وشك الخروج من الموصل وأكد لليهود والنصارى ان ذلك سوف ينفعهم[٢٠] .

كان الكولونيل نولدر على علم بما يجري في البلدة، ولما جاءه الانذار من المدفعي أيقن أن الخطر قريب فأخذ يستعد لمواجهته . انه أصدر أوامره الى الاهالي بوجوب تسليم كل مالديهم من اسلحة الى الحكومة حتى السيف والخنجر ، وأحاط البلدة بالاسلاك الشائكة ، ومنع الدخول الى البلدة او الخروج منها ليلا ، كما أمر باطلاق الرصاص على من يقترب من أسوار البلدة ليلا ، فقُتل من جراء ذلك عدد من رعاة الجاموس والحطابين الذين كانوا يجهلون أمر المنع[٢١] .

وفي ٧ حزيران استدعى الكولونيل نولدر اليه عشرين من وجهاء الموصل وصار يهددهم بضرب البلدة عند حصول أية حركة مخلة بالامن، وطلب منهم أن يخبروه عن أسماء قادة الحركة . فانكر بعض الوجهاء أنهم يعلمون شيئاً عن الحركة وقادتها ، بينما ذكر آخرون أسماء بعض الاشخاص ووصفوهم بـ « المشاغبين » وطلبوا انزال أشد العقوبات بهم بلا هوادة أو رحمة . وبعد خروج الوجهاء من عنده أرسل الشرطة الى عدد من البيوت لتحريها ، وأمر بالقاء القبض على بعض أصحابها والقائهم في السجن .

ومن الجدير بالذكر ان الحماس لم يكن منحصرا في بلدة الموصل وحدها ، بل شمل المنطقة كلها تقريبا . فان النصر الذى ناله الثوار في تلعفر جعل كثيرا من عشائر المنطقة ينضمون الى الثورة تباعا . وأخذ

---

(19) Haldane (Insurruction In Mesopotomia) - Edinburgh 1922 - P. 42 - 43.

(٢٠) تحسين العسكري (المصدر السابق) — ج ٢ ص ١٣٣ .

(٢١) قحطان أحمد عبوش التلعفري (المصدر السابق) — ص٢٨٣—٢٨٤.

فريق منهم يهاجم القوافل والمخازن الانكليزية ، كما أن فريقا آخر هاجم القرى اليزيدية والمسيحية • وقد أدى ذلك الى تكاثر الغنائم لدى العشائر الثائرة الامر الذى شجع عشائر أخرى على الانضمام الى الثورة •

هزيمة العشائر :

في صباح ٧ حزيران تحركت الحملة من تلعفر بقيادة جميل المدفعي متجهة الى الموصل ومعها جموع من العشائر قُدر عدد أفرادها بما يزيد على الالف • وقد رافق الحملة أيضا عالم تلعفر الديني محمد سعيد أفندى وهو يحمل علما أبيض اللون ومعه نفر من رجال الدين وهم يحثون الناس على الجهاد في سبيل الله •

كانت العشائر تسير في المقدمة ، وفي صباح ٨ منه وصلت العشائر الى قرية أبو كدور التي تبعد عن الموصل بنحو خمسين كيلومترا • وهناك التقت بطلائع القوات الانكليزية التي كانت مؤلفة من ثمانين خيالا ومدفعين وبعض الرشاشات بقيادة الكابتن كاون • ويقال ان الكابتن كاون حين شاهد جموع العشائر وهي تملأ الأرض هاله الأمر وقرر الاستسلام ، ولكن رجلا من حاشيته اسمه خليل السيفاوي نصحه بالصمود وباستعمال المدافع ضد العشائر اذ قال له : ان العشائر لا تثبت أمام المدافع وانها تهرب عند سماع هديرها • فاتبع كاون نصيحة السيفاوي وأمر باطلاق القنابل ، وصادف في تلك الساعة ظهور طائرتين في الجو أخذتا تمطران العشائر بنيرانها • فأدى ذلك الى شيوع الرعب والذعر في صفوف العشائر ، ولاذوا بأذيال الفرار[٢٢] • وكان في مقدمة الفارين أهل تلعفر حيث أخذ بعضهم يصيح بالتركية : « قاجه ، قاجه » أي انهزم انهزم[٢٣] •

لم يصمد في المعركة سوى نفر من الرؤساء ، وحاول بعضهم الهجوم ولكنهم تراجعوا لشعورهم بعدم الجدوى • وقيل أن السيد عبدالله أغا أخذ يستنجد بقومه وينخوهم مذكراً اياهم بأصحاب الرسول الذين كانوا

---

(٢٢) المصدر السابق ـ ص ٢٩٠ •
(٢٣) علي جودت (المصدر السابق) ـ ص ١٢١ •

يضحون بأرواحهم لاعلاء كلمة الله ، وقال لهم : « نحن من ذريتهم ، وهذا اليوم كيومهم حيث نحارب أعداء ديننا والمقتول منا شهيد » ، ثم تقدم الى الامام فلم يتابعه أحد • وقد نجى هو من الموت باعجوبة(٢٤) •

ولما شاهد جميل المدفعي الهزيمة المنكرة التي حلت بالعشائر أسرع هو من جانبه الى الانسحاب مع قواته النظامية دون أن يباشر قتالا • وأخذ يحث السير باتجاه دير الزور ، وحينما اقترب من تلعفر أرسل اليها عبدالحميد الدبوني مع مفرزة من الجنود لانزال العلم العربي من فوق السراي واحراق مركز القيادة والسيارات الباقية • ويُروى ان بعض الافراد من أهل تلعفر عندما شاهدوا هؤلاء يعودون الى البلدة أخذوا يسخرون منهم ويتهكمون عليهم قائلين : « مكةنن يوخلري كاليور » ، أي أنهم يشمون براز مكة(٢٥) •

مصير تلعفر :

عاد أهل تلعفر الى بلدتهم في ٨ حزيران قاصدين اخلاءها والفرار بأهليهم الى تركيا خوفاً من انتقام الانكليز • وصاروا يخفون أموالهم في الجدران أو تحت الأرض وفي السراديب ، ثم حملوا ما خف حمله وغلا ثمنه وخرجوا من البلدة متوجهين نحو الحدود الشمالية ، وقد امتلأت الطرق بهم وبغيرهم من أبناء العشائر الذين اشتركوا في الحركة • وأخذت الطائرات الانكليزية تلاحقهم حيناً بعد آخر لتلقي عليهم القنابل •

وفي ٩ منه دخلت الى تلعفر طلائع القوات الانكليزية بقيادة الكابتن كاون ، فلم تجد فيها من السكان سوى الموظفين والقاضي أحمد أفندي الديوجي وبعض المسنين من النساء والرجال • وفي اليوم التالي دخلت بقية القوات الانكليزية بقيادة الكولونيل ساريل • وقد أمر ساريل بهدم دور بعض رؤساء البلدة بالديناميت ، كما أباح لجنوده نهب البلدة لمدة

---

(٢٤) محمد يونس السيد عبدالله (المصدر السابق) ـ ص ٥٢ •
(٢٥) حدثني بذلك غير واحد من الرواة •

ثلاثة أيام ، وأخذ هؤلاء يفعلون ما يشاؤون انتقاما ولهوا ، وصاروا يشعلون النار في الدور التي ينهبونها ، فارتفعت السنة اللهب في أنحاء البلدة . وقتل الجنود بعض الابرياء تشفياً من البلدة ، وشوهدت القطط والكلاب تجري في الطرقات مذعورة من الحرائق(٢٦) .

وبعد أيام قليلة استبدل الانكليز قواتهم العسكرية بقوات محلية من الدرك ، ثم أعلنوا الأمان للناس حيث سمحوا لهم بالعودة الى تلعفر ما عدا من اشترك منهم في قتل الضباط والجنود البريطانيين . واشتهر في ذلك الحين رجل اسمه عليوي كان فراشاً في دار الحاكم سابقا وأصبح الآن يهدد العائدين ويأخذ الرشوة منهم لقاء السكوت عنهم ، فكان لا يتردد أن يختلق التهمة لاي شخص لا يرضيه ، وجمع بذلك ثروة ونشأ له نفوذ بين الناس حيث صاروا يطلقون عليه اسم « علي أغا » ويقومون له احتراماً حين يمر بهم أو يدخل مجالسهم .

وكان هناك موظف هندي اسمه « مستر لوب » كان قد جرح في بداية المعركة والتجأ الى دار أحد الرؤساء فأجاره ، فلما عاد الانكليز الى البلدة صار يدلهم على دور الرؤساء الذين ساهموا في الحركة لهدمها وحرقها . وأخذ أيضا يوجه الاهانات الى العائدين ويسخر منهم قائلا : « أين الشريف ؟ » . ومر ذات يوم على جماعة من أهل تلعفر جالسين في الطريق قرب دورهم فلم يقم أحد منهم لاحترامه فاغتاظ من ذلك وتقدم نحو أحدهم وأمره بالقيام ثم وضع طرف عصاه بين عينيه وقال : « لو كان الشريف لنهضت ! » . وفي حفلة غذاء أقامها معاون الحاكم السياسي الجديد لرؤساء البلدة قام مستر لوب بتمثيل دور الشريف استهزاءاً به حيث ركب حماراً وعلق على جنبيه بعض الخراطيش وأخذ يزغرد وينادي : « جاء الشريف ... »(٢٧) .

وفي ٢٠ آب ١٩٢٠ ذكرت جريدة « الموصل » تقول ان الهيئة

---

(٢٦) قحطان احمد عبوش التلعفري (المصدرالسابق) ــ ص ٢١١ــ٢١٢.
(٢٧) المصدر السابق ــ ص ٣٣٢ ــ ص ٣٣٢ ــ ٣٣٦ .

الادارية لقضاء تلعفر اجتمعت في ٩ منه ورفعت مذكرة الى معاون الحاكم السياسي تعرب فيها عن : أولا نفورهم من الطريقة البربرية التي قتل بها حاكمهم المحترم الميجر بارلو ، ثانيا رغبتهم في ابلاغ أقارب الفقيد مشاطرتهم الاسى على فقده ، ثالثا القبول بالاكتتاب الذي سيجمع قريبا وتخصيص المبلغ لاقامة نصب على ضريح الفقيد تنقش عليه عبارات تذكارية من جانب الهيئة الادارية .

وقد وقع على هذه المذكرة ـ حسبما ذكرت الجريدة ـ مديُر المال سعيد أفندي والقاضي أحمد أفندي الديوجي . ويقول سعيد الديوجي نقلاً عن أبيه انه لم يعلم بهذه المذكرة وانها نشرت بدون علمه حيث نشرها سليم البنا الذي كان مترجماً لدى معاون الحاكم السياسي(٢٨) .

الوضع في الموصل :

في ٩ حزيران اعتقلت الشرطة بعض الوطنيين ، بينما اختفى البعض الآخر منهم أو فر الى القرى . وساد الموصل من بعد ذلك جو من الارهاب ورفع الموالون للانكليز رؤوسهم عالياً وصاروا يتحدثون عن قوة الانكليز وضعف العرب وكيف أن التلعفريين غرر بهم أفراد قلائل ودفعوهم الى القيام بتلك الحركة الطائشة التي أضرت بهم وجعلتهم عرضة لنقمة الانكليز(٢٩) .

ويعطينا محمد طاهر العمري في كتابه « مقدرات العراق السياسية » نموذجاً للوجهاء الذين اعتادوا على التزلف للسلطة وامدادها بالاخبار في تلك الايام ، وهو يقول عنهم ان فيهم بعض الشخصيات البارزة ، ويصف طريقة تزلفهم بأن أحدهم يذهب الى سكرتير الحاكم البريطاني يرجو منه أن يعرض على الحاكم قبول حضوره ، ثم يجلس في احدى الغرف ينتظر الاذن بالدخول ، فاذا صدر الاذن له دخل على الحاكم وبدأ الحديث معه

---

(٢٨) المصدر السابق ـ ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

(٢٩) علي جودت (المصدر السابق) ـ ص ١٢٥ .

بمقدمة « باردة » ينتقل فيها من موضوع الى اخر ، حتى اذا خلا له الجو مع الحاكم وانفرد معه ، قال له : « يا صاحب ! أنتم غرباء عن هذه البلاد ولم تحتكوا بأهاليها ولم تعرفوها بقدر ما نعرفها نحن أشرافها ، وقد قضينا عمرنا فيها ورأينا انواع الانقلابات والتطورات على عهد الاتراك ، فـــاذا أردتم أن ترتاحوا من حركات هؤلاء ـ يقصد بهم الوطنيين ـ فأبعدوا فلاناً وفلاناً ، واسجنوا فلاناً وفلاناً ، فان الباقين من رفقائهم وأتباعهم يخشـــون العاقبة ولا يحركون ساكناً بعد ذلك. ولكن أتعلم ايها الصاحب ان لبعض أعيان البلدة أيضا يداً بهذه الحركات وان فلاناً من وجوه البلدة كان أمس قد ذهب الى دار فلان وتكلموا كذا وكذا ، وقرروا كذا وكذا وكذا .....

ويعطينا العمري نموذجاً آخر للوجهاء الموالين للسلطة في تلك الايام، وهم الذين اعتادوا على التصدر في المجالس والتفوه بما يضعف عزيمة الوطنيين ، حيث يقولون لهم : « هل أنتم مجانين ؟ من يستطيع منا أن يقف أمام دولة بريطانيا العظمى فيطالب بحقوق البلاد ؟! أما تعلمون ان بريطانيا العظمى طود من الاطواد لا يستطيع الضعيف مثلنا ان يزعزع ذلك الطود العظيم ! » .

ثم يقول العمري : ان هناك زمرة أخرى من أهل الموصل يمكـــن تسميتها بـ « زمرة المساكين » وهي التي تتألف من الاشخاص الذين لانفع لهم ولا ضرر منهم للبلاد ، فديدنهم أن يقولـــوا : « يابا ! أنا أش عليّ ! انا رجل كاسب ومستور ، أروح وأجي بدربي ، ولا أتداخل بكل شيء ، كل من يأخذ أمي أسميه عمي » (٣٠) .

تبادل رسائل :

عندما وصل المدفعي الى الدير مع الحملة أرسل الى حزب العهد في الموصل رسالة يبرر فيها انسحابه من المعركة ويضع اللوم فيها على غيره. وهذا بعض ما ورد فيها :

---

(٣٠) محمد طاهر العمري (مقدرات العراق السياسية) ـ بغداد ١٩٢٥ ـ ج٣ ص ١١١ـ١١٧ .

لشعبة العهد العراقي في الموصل :

سلام واحترام : وبعد لابد وانكم سمعتم صورة الحركات التي جرت بأطرافكم ، وأسباب الانسحاب كان عن اهانة أهل تلعفر وابراهيم اليوسف من الجحيش وغيرهم من الخائنين الذين خابروا الانكليز عن قوتنا وعن امالتهم لهم ، ولما تعرض الانكليز علينا لم يعاوننا أحد من الأعافرة واكثر العشائر الا القليل ، والكثيرون فروا الى بيوتهم . ولما رأينا الحالة هكذا رجعنا من التويم الى تلعفر لندافع هناك ، ولكن لما رأيت في تلعفر أيضا ما بقي ولا فرد وكلهم أخذوا عائلاتهم وفروا . ومن جهة ثانية حمو شرو قطع لنا الطريق من عين الغزال بعد أن دخل علينا وأرسل لنا هيئة ترجو قبول دخالته . اضطرينا ان نترك تلعفر ونرجع الى الفدغمي بعد أن حرقنا المدرعات والاتومبيلات والقشلة وما فيها . وما ندري ماذا جرى عندكم في الليلة الموعودة . ولله الحمد في عودتنا لم يحصل علينا أقل ضرر ، أما عشائر شمر والجبور والكركرية وغيرهم فمع كل الاسف كانوا قد التهوا بالغنائم وبيعها وايصالها لبيوتهم ...

١٨ حزيران ١٩٢٠ قائد الجيش العراقي الشمالي
جميل محمد

وفي الوقت الذي كتب فيه المدفعي هذه الرسالة الى حزب العهد في الموصل كان رؤوف الغلامي معتمد الحزب فيها يكتب من جانبه رسالة الى المركز العام لحزب العهد يبدي فيها تألمه مما حدث ويشير الى الاضرار التي أصابت الموصليين والتلعفريين والكثير من العشائر وأهل القرى ، ويقول ان الموصليين كانوا ينتظرون هجوم الحملة على الموصل في الموعد المحدد الذي اتفقوا عليه لكي يثوروا هم من جانبهم ، وهم كادوا يرون الظفر محققاً ، ويلمسونه لمس اليد ، ولكنهم صدموا بالخيبة حين سمعوا بانسحاب الحملة السريع الى دير الزور . ثم يقول أيضاً : أن قوة الثوار كانت أكثر من قوة الانكليز ولكنها كانت تعوزها المدافع ، وقد كان من الواجب أن تزود

الحملة بالسلاح الكافي قبل مجيئها الى تلعفر لكي لا تؤدي الى الاضرار التي وقعت • وفي الختام طلب الغلامي في رسالته اعداد حملة جديدة للغارة على أطراف الموصل أو على طريق بغداد ، لما في ذلك من فوائد أقلهـــا استعادة الحماس الذي خمد • وطلب كذلك ان يكون حزب العهـــد في الموصل على علم بحركات الحملة الجديدة لكي يكون على بصيرة مـــن أمـــره •

حين وصلت رسالة الغلامي هذه الى المركز العام أجاب عليها بما مضمونه ان الحملة لم يكن القصد منها احتلال الموصل بل كان هدفها ان تقوم بحرب العصابات لارهاق الحكومة المحتلة وتعجيزها ، وهي قد قامت بمهمتها خير قيام من حيث الاضرار الكبيرة التي أوقعتها بالانكليز في الرجال والمعدات • ثم ذكر المركز : أنهم لا يستطيعون أخبار الموصل بما ينوون فعلـــه في المستقبل حذراً من الوطنيين الكاذبين الذين يتسللون في صفوف المهديين للتجسس عليهم [٣١] •

حملة اخرى :

أعد العراقيون في الدير حملة جديدة بغية الاغـــارة على الشرقاط ونواحيها ، ونيطت قيادتها بجميل الخليل ، واشترك فيها محمد علي النعلبند وداود سلمان الجنابي ورؤوف الشهواني ومحمد علي الحجازي وغيرهم • وقد جهزت الحملة بالرشاشات الثلاثة التي غنمت من تلعفر [٣٢] ، كمـا ذهب محمود نديم السنوي الى اورفة للحصول على اسلحة أخرى مـــن الاتراك ، وعاد ومعه كمية من الاسلحة والعتاد والقنابل اليدوية محملة على الجمال[٣٣] •

تحركت الحملة من الدير في ١ تموز ١٩٢٠ ، وتوجهت نحـــو شمال جبل سنجار، ثم انحدرت الى الجنوب حيث وصلت الى موضع يقع الى

---

(٣١) قحطان احمد عبوش التلعفري (المصدرالسابق) ــ ص ٣٣٨ــ٣٤٤•
(٣٢ المصدر السابق ــ ص ٣٤٧ •
(٣٣) علي جودت (المصدر السابق) ــ ص ١٣١ •

الشرو منه يدعى « عين الشبابيط » ، وهناك وجدت قطيعاً من الغنم يقدر عدده بألف وخمسمائة رأس ، فاستولت عليه ، ولكن تجاراً من الموصل جاؤوا يقولون لقادة الحملة : « هل أنتم أتيتم لسلبنا أم لقتل اعدائنا » . فأجابهم جميل الخليل بأنهم جاؤوا لقتل الاعداء . وعند هذا أقسم التجار بأن الغنم تعود لهم وليس للانكليز أية علاقة بها ، فأمر جميل باعادة الغنم اليهم قائلاً لرجاله : « ايها الاخوان اعطوا أموالهم فنحن لا نريد المال بل نريد خدمة الوطن ! » (٣٤) .

ثم تحركت الحملة من بعد ذلك نحو الشرقاط ، وفي ٢٠ تموز وصلت الجرناف التي تقع في شمالها . وهناك واجهت قوة انكليزية فنشبت معركة بينهما .. وتختلف المصادر العربية عن المصادر الانكليزية في وصف ما جرى في تلك المعركة اختلافاً كبيراً .

تقول المصادر العربية ان القوة الانكليزية كانت مؤلفة من أربع سيارات مصفحة ورتل يبلغ عدد أفراده نحو ألف من المشاة والخيالة ، وقد قاتل العرب هذه القوة قتالاً مستميتاً حتى اضطروها الى التراجع بعد أن كبدوها بعض الخسائر وغنموا منها . ولم يخسروا من جانبهم سوى حصان واحد (٣٥) .

أما المصادر الانكليزية فتقول : ان القوة الانكليزية كانت تتألف من خمسين جندياً فقط وهي بقيادة الكولونيل روبرتسن ، ثم التحق بها بعدئذ عشرون جندياً على رأسهم عريف ، بينما كان العرب يبلغ عددهم ثلاثمائة. وقد اضطرت القوة الانكليزية في بداية الأمر الى الانسحاب البطيء ، ولكنها كرت بمعاونة العريف والعشرين جندياً الذين كانوا معه ، فهزمت العرب وكبدتهم خسائر قدرت بأربعين قتيلاً . أما خسارة القوة الانكليزية فكانت مقتل ضابطين هنديين وتسعة جنود هنود ، وجرح ثلاثة هنود (٣٦) .

---

(٣٤) قحطان احمد عبوش التلعفري (المصدر السابق) — ص ٢٤٩ .
(٣٥) علي جودت (المصدر السابق) — ص ١٢٨ — ١٢٩
(36) Haldane (op. cit.) - P. 44.

الفصل الثاني عشر

احداث رمضان في بغداد

شهدت بغداد في رمضان من عام ١٩٢٠ أحداثاً ذات أهمية بالغة من الناحية الاجتماعية ، ومن أهم ما تميزت به تلك الاحداث اشتداد التقارب بين السنة والشيعة .

ومن الجدير بالذكر ان بغداد تختلف عن اكثر المدن العراقية بكونها يسكنها السنة والشيعة في محلات متجاورة ، وهي كانت كذلك منذ بداية تأسيسها ، ولهذا كان تاريخها زاخراً بالصراع الطائفي ، وقد ظهر ذلك بوضوح في العهد العباسي حين كانت المعارك الدامية تنشب بين المحلات بين كل حين وآخر ...

أدرك قادة الحركة الوطنية في عام ١٩٢٠ ان حركتهم لن يكتب لها النجاح مالم يتم فيها التقارب والوئام بين الطائفتين على وجه من الوجوه . نجد في منهاج حزب الحرس مادة هذا نصها : « يجب على الجمعية أن تبدأ قبل كل شيء بتوحيد كلمة العراقيين على اختلاف مللهم ونحلهم وأن تبذل أقصى ما يمكن من المجهودات للقضاء على كل بواعث الافتراق في الدين والمذهب »[١] .

الواقع ان قادة الحركة الوطنية نجحوا في مسعاهم نجاحا كبيرا ، وقد أشارت المس بيل الى ذلك اذ قالت ما نصه : « فقد وضحت للوطنيين خلال مدة من الزمن الحاجة الى تكوين جبهة متحدة من الطائفتين الاسلاميتين ، وتغلبت المساعي بصورة موقتة على التعصب الشديد الذي يفرق بين الطائفتين السنية والشيعية . ثم ظهرت أول أعراض هذا التقارب في صيف ١٩١٩ عندما حضر السنة اجتماعين دينيين عُقدا لتأبين المجتهد السيد

---

(١) محمد المهدي البصير (تاريخ القضية العراقية) ـ بغداد ١٩٢٣ ـ ص ١٣٨ .

محمد كاظم اليزدي • لكن الأهمية السياسية لهذا التقارب لم تظهر بصورة جلية الا في شهر رمضان الذي بدأ في ١٩ مايس ١٩٢٠ ... »[٢] •

المولد التعزية :

تميزت أحداث رمضان باقامة حفلات دينية تجمع بين المولد النبوي على الطريقة السنية ومجلس التعزية الحسينية على الطريقة الشيعية، وهي التي يمكن أن نطلق عليها اسم « المولد التعزية » • وكانت هذه الحفلات العجيبة تقام في مساجد السنة والشيعة على التعاقب ـ الأمر الذي لم تشهد بغداد مثيلا له من قبل ! •

يواجهنا هنا سؤال : من هو المبدع لهذه الفكرة ، أي فكرة اقامة « المولد التعزية » ، وأول من نادى بها ؟ •

لدينا في الجواب على هذا السؤال قولان أحدهما للشيخ كاظم الدجيلي ، والثاني للشيخ مهدي البصير • ففي رأي الدجيلي ان هذه الفكرة نشأت على أثر الدعوة التي قام بها السيد صالح الحلي لتعطيل الاعمال في يوم الجمعة على نحو ما ذكرناه في فصل سابق ، فقد أراد السيد صالح أن تكون الدعوة عامة يشارك فيها الشيعة والسنة معاً ، وهو قد أعلن في الاجتماع الذي عُقد في صحن الكاظمية في ١ أيار ١٩٢٠ أنه سيذهب في الجمعة القادمة الى جامع السيد سلطان علي لكي يخطب في أهل السنة مثلما خطب في الشيعة ، وعندما حل يوم الجمعة في ٣ منه هرع الناس من الطائفتين الى ذلك الجامع فامتلأت ساحة الجامع بهم كما امتلأ الطريق المحاذي له حتى كاد ينقطع المرور لشدة الزحام ، ولكن السيد صالح لم يحضر ، وقيل انه خاف من السلطة ، ولما يئس الناس من حضوره تفرقوا خائبين • ويقول الدجيلي تعليقا على ذلك : « بيد أن هذه الفكرة التي غرسها هذا السيد اللبيب أخذت تنمو وتتوسع أسبوعا بعد

---

(٢) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ •

أسبوع لان القوم شرعوا يقيمون في كل جمعة بعد صلاة الظهر في أحد الجوامع مع احتفال التلاوة قصة المولد النبوى ومأتما لقراءة مناقب سبط النبي الامام الحسين بن علي • فكانت هذه الحركة المباركة جامعة للسنة والشيعة بصورة ودية لم تتفق في القرون الاسلامية الماضية »(٣) •

أما الشيخ مهدي البصير فهو ينسب ابتداع فكرة « المولد التعزية » الى نفسه • فهو قد كان في عهد الاحتلال يسكن الحلة ويمتهن قراءة التعزية الحسينية مع أبيه ، وفي ربيع ١٩٢٠ أصيب بمرض من أمراض الحساسية فصارت تعتريه نوبات من العطاس الشديد بين الحين والآخر ، فاضطر الى المجيء الى بغداد للمعالجة بصحبة أخيه عبدالحسين ، وقد وصل الى الكاظمية في مساء ٦ أيار ونزل في ضيافة السيد محمد الصدر الذي كان على معرفة سابقة به • ويقول البصير : انه أخذ يتحدث مع السيد محمد في موضوع اثارة الشعور الوطني بين الناس عن طريق الحفلات الدينية التى تجمع بين المولد والتعزية ، فسأله السيد محمد : « ومن يقوم بذلك ؟ » فأجابه البصير أنه هو الذى يقوم بذلك • فوعده السيد محمد بأنه سيناقش هذا الموضوع مع زملائه في اللجنة التنفيذية لحزب الحرس(٤) •

يبدو لي ان هذين القولين كليهما صحيحان وان أحدهما يكمل الآخر • يجب ان لاننسى ان الشيخ مهدي البصير وصل الى الكاظمية بعد ثلاثة أيام من اجتماع السيد سلطان علي ، ولابد أنه وجد أهل الكاظمية مشغولين بالحديث عنه وعن مشروع السيد صالح بوجه عام ، ومن المحتمل انه استلهم فكرة « المولد التعزية » من الجو الفكرى الذى كان سائدا في المجتمع آنذاك •

---

(٣) كاظم الدجيلي (أحداث ثورة العشرين) ـ بغداد ١٩٧٣ ـ ص ١٧ •

(٤) جريدة (اليقظة) ـ في عددها الصادر في ١ تموز ٩٥٧ • وانظر كذلك : جريدة (الجمهورية) ـ في عددها الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٦٩ •

معنى هذا ان السيد صالح الحلي وضع البذرة دون قصد منه ، وجاء الشيخ مهدى البصير على أثره فاهتم بها وربطها بالحركة الوطنية • ولعل من المناسب أن نذكر في هذا الصدد ان كلاً من السيد صالح والشيخ مهدى كان قارئا للتعزية الحسينية ـ أي « روضخون » حسب التعبير الشائع[٥] ـ ومن شأن قارىء التعزية انه قادر على قراءة المولد أيضا •

بداية الحفلات :

أول حفلة من حفلات « المولد التعزية » أقيمت في يوم الجمعة ١٤ أيار ١٩٢٠ ، في جامع القبلانية الذى يقع في سوق البزازين • وقد اجتمع فيها جمهور غفير من السنة والشيعة ، وألقى أحد وعاظ السنة خطبة الجمعة ، ثم أعقبه الشيخ مهدى البصير فتلا المولد النبوي ومقتل الحسين معـــا •

ولما حل شهر رمضان في ١٩ أيار[٦] تقرر أن تقام الحفلات القادمة في المساء عقب فترة الافطار • وقد اقيمت أول حفلة رمضانية في جامع الميدان في مساء الخميس ٢٠ أيار ، وطُبعت لها بطاقات على الشكل التالي التالي :

« ان اهالي محلة الميدان يتقدمون الى حضرتكم بالدعوة للحضور في الحفلة التى يقيمونها ليلة الجمعة القادمة في جامع الميدان للتبرك بتلاوة منقبة المولد النبوي الكريم مشفوعة بذكرى مقتل سيدنا الحسين عليه السلام »[٧] •

---

(٥) « الروضخون » كلمة فارسية معناها قاريء الروضة ، والمقصود بالروضة كتاب قديم في مقتل الحسين اسمه « روضة الشهداء » •

(٦) حل رمضان عند الشيعة في ٢٠ أيار ، فقد جرت العادة أن يشاهد الشيعة هلال الشهر بعد أهل السنة بيوم واحد في الغالب • ولهذا اسباب لا مجال هنا لذكرها ، وقد استعملت في هذا الفصل التاريخ السني لأنه التاريخ المستعمل في الجرائد والوثائق الرسمية ، فارجو ان يعذرني الشيعة في ذلك •

(٧) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ـ ص ١٤٧ •

كانت حفلة جامع الميدان ناجحة الى حد كبير ، فقد اكتضت ساحة الجامع على سعتها بالناس حتى قُدر عددهم بنحو عشرة آلاف ، وتوالى الخطباء والشعراء على المنبر فذكروا جهاد النبي ومقتل الحسين ودعوا الى وجوب الاتحاد بين المسلمين • فقوطعت خطبهم وقصائدهم بالهتاف والتصفيق الشديد •

وفي مساء الاحد ٢٣ منه أقيمت حفلة ثالثة في جامع الحيدرخانة ، وكانت اكثر حضورا من حفلة الميدان وأشد حماسا وهتافا وخطب فيها جميل رمزى القبطان وعبدالرحمن خضر ومهدى البصير ومصطفى الطرابلسي ، كما ألقى عبدالرحمن البناء قصيدة • وعندما أوشكت الحفلة على الانتهاء نهض من بين الحاضرين شاب كان موظفا في دائرة الاوقاف اسمه عيسى عبدالقادر الريزلي ، ولم يكن اسمه داخلا في منهاج الحفلة ، فألقى قصيدة من أربعة وعشرين بيتا دعا فيها الى الاتحاد بين المسلمين وأشار الى عدم وجود فروق أساسية بين السني والشيعي ، أو بين الزيدى والوهابي وختم قصيدته بالبيتين التاليين :

وبعد أقول للجاسوس منا
تجسس ما استطعت الحاضرينا
وبلغ من تريد فقد بنينا
لاستقلالنا الأس المتينا(٨)

يبدو أن السلطة وجدت في هذه القصيدة اكثر مما يمكن تحمله ، او لعلها أرادت أن تجعل من الشاعر وهو موظف لديها عبرة لغيره ، فأوعزت بالقبض عليه • وقد تم القبض عليه في عصر اليوم التالي ، واحتجز في دائرة الشرطة التى كانت يومذاك في خان دله •

حادث مثير :

عندما بلغ حزب الحرس نبأ القبض على عيسى عبدالقادر الريزلي

---

(٨) محمد طاهر العمري (مقدرات العراق السياسية) ـ بغداد ١٩٢٥ ـ ج ٣ ص ٤٢٣ـ٤٢٤ •

أرادوا استغلال الفرصة للقيام بمظاهرة احتجاجية ضد الانكليز . فلم تكد تنتهي فترة الافطار في مساء ذلك اليوم حتى خرج المنادون في الاسواق والمقاهي يصيحون « شنو گعدتكم وعيسى حبسوه گوموا اجتماع اسلامى عمومي في جامع الحيدرخانه » . فهب الناس عند سماعهم ذلك ، وصاروا يتجهون نحو جامع الحيدرخانه ، وجاءت جماعات من بعض المحلات البعيدة وهي تدق طبولها وتهوس قائلة : « الدين يامحمد والموت بالجهنم »[٩] . فامتلأت ساحة الجامع بالناس ، وفاضوا الى الشارع العام ، وامتنع المرور في الشارع لشدة الزحام .

خشيت السلطة من مغبة هذا التظاهر ، فأرسلت عددا من الجنود لحراسة دوائرها ودور قوادها وكبار موظفيها ، كما وجهت أربع سيارات مصفحة لارهاب الجمهور فأوقفت احداها أمام جامع الحيدرخانه وأرسلت الاخريات لحراسة الجسرين .

وحين جاءت السيارة الى مقربة من جامع الحيدرخانه أخذ الجمهور يصفر لها استهزاءا بها ، ويقذفها بالاحجار . وظهر من بين الجمهور رجل أخرس وبيده مطرقة كان يحملها لانه كان نجارا متجولا ، فتقدم نحو السيارة بغية الهجوم عليها بمطرقته ، فحرك السائق السيارة تحريكا مفاجئا جعل الرجل يسقط على الارض ، فمرت عجلات السيارة على ساقيه ، فحمله الجمهور الى المستشفى وهو ينزف دما غزيرا ، وقد مات في المستشفى في ساعة متأخرة من الليل .

ظل الجمهور محتشداً في الجامع وفي الشارع المحاذي له ، وارتقى علي البازركان منبر الجامع وطلب من الحاضرين اختيار خمسة عشر مندوباً للسعي لاطلاق سراح الريزلي ، وأخرج قائمة بأسماء المرشحين وأخذ يتلوها على الحاضرين اسماً اسماً ، فصاروا يهتفون لكل اسم دلالة على موافقتهم عليه ، وهم : محمد الصدر ، يوسف السويدي ، أبو القاسم

---

(٩) كاظم الدجيلي (المصدر السابق) ـ ص ٢٢ .

الكاشاني ، عبدالوهاب النائب ، سعيد النقشبندي ، عبدالكريم الحيدري ، محمد مصطفى الخليل ، عبدالرحمن الحيدرى ، فؤاد الدفتري ، رفعت الجادرجي ، أحمد الشيخ داود ، ياسين الخضيري ، احمد الظاهر ، جعفر أبو التمن ، علي البازركان •

وبعد الانتهاء من التصويت طلب البازركان من الجمهور ان يحضروا صباح الغد للاجتماع بالمندوبين ، كما رجاهم أن يعطلوا أعمالهم مادام الريزلي في الحبس • ولما بدأ الجمهور بالتفرق ظهرت أمامهم في الشارع سيارة تحمل حاكم بغداد العسكري الكولونيل بلفور ، فأخذ الجمهور يقذفها بالاحجار على نحو ما فعل بالسيارة الاولى ، فأصيب بلفور بحجارة في وجهه وسال منه الدم ، فأمر مرافقه بأن يطلق الرشاش في الهواء ارهاباً للجمهور ، ولم تكد أصوات الطلقات تلعلع في الفضاء حتى صار الناس يتراكضون هاربين وقد سادهم الرعب ، فلم يبق في الشارع منهم أحد • يقول كاظم الدجيلي : انهم « خارت قواهم وراحوا يركضون بدون شعور يعثر بعضهم ببعض حتى ان الجادة الجديدة الكبرى على سعتها ضاقت بهم فكنت تراهم يدهدون (أي يدحرجون) الكراسي وتخوت القهوات التي وضعت بلصق الجدران كما يدهدي الصبيان الكرة بعصيهم » (١٠) •

حدثني عبدالهادي الظاهر الذي كان من جملة الذين حضروا الحادثة : ان بعض الحاضرين في الجامع قرروا عدم مغادرته مخافة أن تقبض عليهم الشرطة ، وظلوا فيه حتى الصباح ، أما البعض الآخر ، وكان عبدالهادي من بينهم ، فقد جازفوا وخرجوا من الجامع في ساعة متأخرة من الليل ، وساروا متسللين في الطرقات ، حتى وصلوا بيوتهم مرهقين •

شهيد الوطن :

في صباح اليوم التالي انتشر بين الناس خبر موت الاخرس في

---

(١٠) المصدر السابق ـ ص ٢٦ •

المستشفى ، وقد قرر حزب الحرس أن يجعل من تشييع جنازته مظاهرة وطنية كبرى يتحدى بها السلطة . فخرج طه لطفي البدري محاسب المدرسة الأهلية وهو لابس سواداً ويحمل بيده علماً اسود ، وأخذ يطوف في الاسواق والشوارع يدعو الناس الى التجمع في جامع الحيدرخانة (١١)، لتشييع جنازة الاخرس الذي أطلق عليه لقب « شهيد الوطن » .

بدأ التشييع عقب صلاة الظهر ، وشارك فيه جمهور كبير قُدّر عدده بما يزيد على الثلاثة آلاف . وسارت الجنازة تحف بها الاعلام السود ويتقدمها موكب على شاكلة المواكب الحسينية وهم يلطمون صدورهم ويهزجون قائلين : « ماج عرش الله وتزلزل ، على الشهيد الماتغسّل » . وتوجه المشيعون نحو جامع الشيخ عبدالقادر ، ثم ساروا بعدئذٍ نحو القنصلية الامريكية الواقعة على النهر قريباً من الجامع ، ثم عبروا جسر مود ، ومروا بعلاوي الحلة وسوق الجديد ومقاهي عقيل ومحلة الجعيفر . ومن هناك اتجهوا نحو مقبرة الشيخ جنيد حيث دفنوا جثمان « الشهيد » فيها (١٢) .

ومما يلفت النظر ان السلطة لم تتدخل في سير الجنازة ، بل أرسلت كوكبة من الفرسان يسيرون أمام موكب التشييع ، وكذلك حلقت ثلاث طائرات فوق الموكب ، والظاهر ان القصد من ذلك ارهاب الجمهور لكي لا يقوم بعمل من أعمال العنف .

ومن الجدير بالذكر في هذا الشأن ان الرواة اختلفوا في ماهية هذا « الشهيد » فمنهم من قال انه من سكنة محلة الحيدرخانة اسمه عبدالكريم رشيد النجار (١٣) ، ومنهم من قال انه من أهل الحويزة كان يعمل نجاراً في محلة الفضل واسمه عبدعلي بن عبدالرحيم (١٤) ، ومنهم

---

(١١) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ـ بغداد ١٩٥٤ ـ ص ١١٤ .
(١٢) كاظم الدجيلي (المصدر السابق) ـ ص ٢٦ـ٢٧ .
(١٣) علي البازركان (المصدر السابق) ـ ص ١٠٧ .
(١٤) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ـ صيدا ١٩٧٢ ـ ص ٦٥ .

من قال انه من أهل كربلا واسمه عبدعلي بن الحاج رحيم[١٥] ، ومنهم من قال انه من سكنة محلة الست هدية واسمه رشيد الملا شكر[١٦] . وقد تعرفت مؤخراً على سائق سيارة في بغداد يدعي بأنه ابن أخي « الشهيد » وان « الشهيد » اسمه سلمان شكر ومن سكنة محلة الست هدية .

يبدو ان كل جماعة تريد أن تنسب الاخرس اليها فخاراً به ، ولو أنه كان قد مات ميتة شائنة لتبرأ الجميع منه ونسبته كل جماعة الى خصومها. وذلك ديدن الناس في كل زمان ومكان !

مقابلة بلفور :

في صباح اليوم الذي جرى فيه التشييع كان بلفور قد كتب الى جعفر أبو التمن وعلي البازركان وأحمد الشيخ داود ومهدي البصير يطلب منهم الحضور لمقابلته في الساعة الرابعة من بعد الظهر . وفي الساعة المعينة ذهب هؤلاء الأربعة الى مقر بلفور وهو يقع في الجناح الجنوبي من القشلة ، فلما دخلوا عليه وجدوه جالساً خلف منضدة طويلة وقد جلس وراءه عبدالمجيد الشاوي رئيس بلدية بغداد واثنان من الضباط البريطانيين ، وكان أمام بلفور على المنضدة سوط من الجلد وصحن فيه مسحوق أبيض ولفافة من القطن الطبي ، فكان بلفور يأخذ شيئاً من القطن فيغمسه في المسحوق ثم يضعه على جرح في وجهه وهو الجرح الذي أصابه من حجارة الجمهور بالأمس .

أمرهم بلفور بالجلوس على كراسي أمامه وأخذ يخاطبهم قائلاً : « الآن أحضرتكم لأبلغكم عن أعمالنا » . ثم التفت نحو أحمد الشيخ داود فقال له : « أنت ياشيخ أحمد ، الآن أصبحت وطني بعد أن كنت موظفا عندنا في الاوقاف فسرقت أثمان الشموع فطردناك على أثرها ، والآن لسانك أصبح طويلاً علينا . ان لسانك يحتاج الى قطع » . فأجابه أحمد : « أنا لم أعمل أي شيء حتى تقطعوا لساني » ، فصاح به بلفور : « اسكت ! » .

---

(١٥) سلمان هادي الطعمة (تراث كربلا) ـ النجف ١٩٦٤ ـ ص ٢٨٨ .
(١٦) جريدة (الجمهورية) ـ في عددها الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٦٩ .

ثم التفت نحو مهدي البصير فقال : « وأنت ايها الأعمى ... من أين أتيت ؟ » ، فأجابه البصير : « جئت من الحلة » . فسأله بلفور : « لأي سبب جئت » . ولما أجابه البصير بأنه جاء لغرض الاستشفاء قال له : « ان هواء بغداد متعفن ، الآن ارجع الى الحلة ، هواءها أنقى من هواء بغداد » . ثم التفت بلفور نحو علي البازركان وقال : « يا علي البازركان ، نحن الآن قررنا نفيك وابعادك الى هنجام ، ولكن السيد عبد الرحمن أفندي تكفلك وتعهد لي على أنك تترك هذه الأعمال المهيجة للافكار والمقلقة لراحة الأهلين » . فقال البازركان : انه لا يقبل كفالة النقيب وانه انما يسير على مبدأ بناءاً على وعود البريطانيين للعرب ... فانتهره بلفور طالباً منه السكوت . ثم أشار اليهم جميعاً بالخروج ، فخرجوا .

وعندما خرجوا من دائرة بلفور لاحظوا باخرة راسيةعندشاطيء النهر، فظن أحمد الشيخ داود ان هذه الباخرة قد أحضرت لنقلهم الى المنفى وقال: « ان الحاكم لم يقل لنا اذهبوا الى دوركم لان الباخرة واقفة امام شاطيء السراي من أجلنا » . فأمسك أبو التمن بذيل جبته وجره قائلا : « أمش يا شيخ ! » .

كان الجمهور قد تجمع في القشلة والشوارع المحيطة بها لتحية الرجال الاربعة عند خروجهم . ولما لمحهم خارجين هتف بحياتهم وحياة الاستقلال ، ثم حملهم على الاعناق حتى أوصلهم الى الشارع العام(١٧) .

رسالة الشيرازي :

كتب جعفر أبو التمن على أثر خروجه من مقابلة بلفور رسالة الى المرزا تقي الشيرازي في كربلاء يستنجد به . وهذا نصها :

من بغداد ٧ رمضان ١٣٣٨ الى كربلاء المشرفة

بسم الله وبه نستعين

سيدي الاعظم حجة الاسلام وآية الله في الأنام شيخنا المرزى محمد تقي الشيرازي دام ظله العالي

---

(١٧) علي البازركان (المصدر السابق) ــ ص ١١٥ــ١١٦ .

بعد تقبيل يديكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هو أنه قبل يومين حدث في بغداد من الشعائر الاسلامية ما أوجب أن تغير منه الحكومة ، فاستمرت المظاهرات الاسلامية هذين اليومين حتى أن الحكومة أرسلت علي الحقير وثلاثة آخرين من المسلمين فهددتنا بأن جعلتنا مسؤولين أمام كل حادثة ، وهذا التهديد في الواقع أوجب بأن أكون غير مطمأن على حياتي ، فحررت هذا المختصر مستغيثا بكم ياغياث المسلمين ، وقد أوفدت الآن لحضرتكم الشيخ محمد باقر شبيب ليعرض لحضرتكم كلما يمكن عرضه، وباعتقادي لايقدر غيره أن يحيط ويصف الاقدامات الاسلامية • فغاية آمالنا أن تمدوا يد المساعدة والمعونة • ومن الله المعونة لكم ولكافة المسلمين والسلام عليكم وعلى حجة الاسلام الشيخ محمد مهدي وجميع الافاضل والانجال ، ومنا العم والوالد وجميع اخواننا المؤمنين يقبلون يديكم والسلام •

خادمكم
محمد جعفر أبو التمن(١٨)

أرسل أبو التمن رسالته مع باقر الشبيبي ، ولما وصلت الى الشيرازي كتب هذا في جوابها رسالتين احداهما موجهة اليه شخصيا ، والثانية موجهة الى العراقيين عموما • وفيما يلي نصهما على التوالي :

الى ولدنا الانجب الاكمل محمد جعفر جلبي أعزه الله تعالى وحرسه •

بعد السلام عليكم • لايخفاكم وصلنا كتابك المشتمل على بيان الحركة الاسلامية في بغداد وزادها جلاءاً ولدنا الفاضل الأديب الشيخ الاديب محمد باقر الشبيبي وفقه الله ، فسرنا اتحاد كلمة الامة البغدادية واندفاع علمائها ووجوها وأعيانها الى المطالبة بحقوق الامة المشروعة ومقاصدها المقدسة فشكر الله سعيك ومساعي اخوانك واقرانك من

(١٨) فريق المزهر الفرعون (للحقائق الناصعة) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ١٤٤ــ١٤٥ •

الاشراف وحقق المولى آمالنا وآمال علماء حاضرتكم الذين قاموا بواجباتهم الاسلامية ، هذا واننا نوصيكم ان تراعوا في مجتمعاتكم قواعد الدين الحنيف والشرع الشريف فتظهروا أنفسكم دائما بمظهر الامة المتينة الجديرة بالاستقلال التام المنزه عن الوصاية الذميمة وأن تحفظوا حقوق مواطنيكم الكتابيين الداخلين في ذمة الاسلام وأن تستمروا على رعاية الاجانب الغرباء وتصونوا نفوسهم وأموالهم وأعراضهم محترمين كرامة شعائرهم الدينية كما أوصانا بذلك نبينا الاكرم صلى الله عليه وآله ، والسلام عليكم وعلى العلماء والاشراف والاعيان .

محمد تقي الحائري[19]

الى اخواني العراقيين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فان اخوانكم في بغداد والكاظمية قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية ، وقد قامت جماعة كبيرة بتلك المظاهرات مع المحافظة على الأمن طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق ان شاء الله بحكومة اسلامية ، وذلك بأن يرسل كل قطر وناحية الى عاصمة العراق بغداد وفدا للمطالبة بحقه متفقا مع الذين يتوجهون من أنحاء العراق عن قريب الى بغداد . فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع اخوانكم في هذا المبدأ الشريف واياكم بالاخلال بالأمن والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض فان ذلك مضر بمقاصدكم ومضيع لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم . وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ولا تنالوا أحدا منهم بسوء أبداً . وفقكم الله جميعاً لما يرضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٠ رمضان ١٣٣٨ هـ   الاحقر محمد تقي الحائري الشيرازي[20]

---

(١٩) عبدالرزاق الوهاب (كربلا في التاريخ) ـ بغداد ١٩٣٥ ـ ص ٩٦ـ٩٧ .

(٢٠) علي البازركان (المصدر السابق) ـ ص ١١٠ـ١١١ .

عاد الشبيبي الى بغداد وهو يحمل الرسالتين • وكان في صحبته السيد قاطع العوادي • فطبع حزب الحرس من الرسالة العامة نسخا كثيرة ووزعها في بغداد والكاظمية ومختلف انحاء العراق • وتقرر أن تُقرأ هذه الرسالة علانية في صحن الكاظمية عقب فترة الافطار • وفي الموعد المقرر صعد أحد سدنة المرقد الكاظمي السيد باقر سركشيك الى سطح الكشوانية التي تقع بين صحن القبلة وصحن قريش • فقرأ الرسالة بصوته الجهوري ، وأخذ يتنقل من جهة الى جهة على سطح الكشوانية لكي يسمع الرسالة اكبر عدد من الناس •

وفي اليوم التالي جاء الى الكاظمية وفد يمثل اليهود والنصارى من أهل بغداد ، فقابلوا علماء الكاظمية راجين منهم ابلاغ الشكر الى المرزا محمد تقي الشيرازي على وصاياه النبيلة بأهل الكتاب • وفي اليوم الثالث أرسل علماء الكاظمية السيد محمد الصدر ليرد الزيارة الى البطاركة والحاخامين ..[21] •

مقابلة ويلسون :

أشرنا من قبل الى اختيار خمسة عشر مندوبا في جامع الحيدرخانه للسعي لاطلاق سراح الشاعر عيسى عبدالقادر الريزلي • والظاهر ان هؤلاء المندوبين نسوا قضية الريزلي واعتبروا أنفسهم ممثلين عن الشعب للمطالبة بحقوقه العامة من الانكليز • ففي ٢٨ أيار ١٩٢٠ قدموا طلبا الى ويلسون يريدون مقابلته • فأجابهم ويلسون انه يرحب باستقبالهم في دائرته الرسمية في ٢ حزيران •

أعد ويلسون قائمة بعشرين وجيها ممن كان يظنهم يؤيدون وجهة نظره لكي يحضروا المقابلة مع المندوبين الخمسة عشر ، وهم : محمود النقيب ، داود النقيب ، عبدالمجيد الشاوي ، ساسون حسقيل ، محمود الشابندر ، جعفر عطيفة ، محمد حسن الجوهر ، عزرا مناحيم دانيل ، جميل

---

(٢١) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ١٤٦ •

صدقي الزهاوي ، عبدالحسين الجلبي ، عبدالجبار الخياط ، يهودا زلوف ، صالح الملي ، الشيخ شكر ، محمود الاطرقجي ، عبدالقادر الخضيري ، خسرو قيومجيان ، محمود الاسترابادي ، عبدالكريم الجلبي ، علي الآلوسي[٢٢] •

حين علم المندوبون باختيار هؤلاء الوجهاء لحضور المقابلة ، دعوهم للاجتماع بهم قبل موعد المقابلة في دار رفعت الچادرچي في محلة الحيدرخانه • ولما تم الاجتماع حصل الاتفاق بين الجميع على أن يكونوا جبهة واحدة وحددوا مطاليبهم التي سيقدمونها الى ويلسون بالنقاط التالية :

اولا : الاسراع في تاليف مؤتمر يمثل الامة العراقية ليعين مصيرها فيقرر شكل ادارتها في الداخل ونوع علاقاتها في الخارج •

ثانيا : منح الحرية للمطبوعات ليتمكن الشعب من الافصاح عن رغائبه وأفكاره •

ثالثا : رفع الحواجز الموضوعة على البريد والبرق بين أنحاء القطر أولا ، وبينه وبين الاقطار الاخرى ثانيا ، ليتمكن الناس من التفاهم مع بعضهم ومن الاطلاع على سير السياسة الراهنة في العالم •

وفي صباح ٢ حزيران تقاطر المندوبون الخمسة عشر مع الوجهاء العشرين الى مقر ويلسون في القشلة • ولم يتخلف منهم سوى أبو القاسم الكاشاني حيث أناب عنه عبدالهادي الحاج جواد الجلبي ، كما تخلف علي الآلوسي دون أن ينيب عنه أحداً • وكان الجمهور محتشدا في ساحة القشلة والشارع المؤدي اليها ، وهو يهتف لكل من يمر به من المندوبين • وفي الساعة العاشرة تماما وصل ويلسون يصحبه بلفور وهاول وبونهام كارتر ، فاستقبلهم الجمهور « بالصفير والشتائم » ــ على حد تعبير ويلسون في مذكراته • ويعزو ويلسون هذه الشتائم والصفير الى التلاميذ وموظفي

---

(٢٢) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ــ ص ١٦١ •

الاتراك السابقين ويقول انها كانت أول مظاهرة من نوعها وان المقصود منها أن تكون نوعا من اعلان الحرب(٢٣) .

افتتح ويلسون الجلسة بقوله ان له كلمة سيلقيها بالنيابة عنه السيد حسين أفنان ، وقام السيد حسين فألقى بالعربية كلمة مطولة فحواها : أن الحكومة البريطانية لم تنحرف قيد شبر عن وعودها السابقة ،وانها راغبة في تأسيس حكومة وطنية في العراق ، واني أردت تنفيذ ذلك في أسرع وقت ممكن . ولكن تأخيراً حصل لاسباب لم يكن في وسعنا تلافيها ، وانني أشد الناس أسفا على هذا التأخير . واني أؤكد لحضراتكم ان الافـــراد الذين يريدون تأسيس الحكومة الوطنية بصورة مستعجلة فيلجأون الى اسلوب العنف وتهييج أفكار البسطاء انما هم يجنون على وطنهم . وليعلم هؤلاء ان الحكومة قادرة على اتخاذ التدابير الرادعة ، وانها ستستعمل تلك التدابير اذا اقتضت الحالة . واني بصفتي رئيساً وقتيا للحكومة الحاضرة أحذركم ان كل تحريض على العنف سيقابل بالعزم والحزم ، واعلموا ان القوة بجانبنا ، وانني لن اتردد في الاستعانة بالسلطة العسكرية لحفظ النظام في البلاد ، وأملي ان لا أضطر الى اعادة هذه التحذيرات عليكم . انالحكومة البريطانية قد وطدت العزم على وضع نظام للحكومة العراقية المقبلة ، ولكن العراق كان تحت سيطرة حكومة اجنبية مدة مائتي عام فلا يمكن تأسيس حكومة وطنية في لحظة واحدة مهما سلمت النيات ، بل لابد من التدرج في هذا السبيل والا فالفشل مؤكد . واعتقدوا انني وجميع رجال الحكومـــة راغبون في تأسيس الحكومة . واعلموا ان مصالحنا موحدة ، وليس هناك خير يرجي من التسرع . ويسرني معرفة اقتراحاتكم وسأرفعها الى الحكومة البريطانية التي هي مهتمة كل الاهتمام بمصير العراق ، وأشـــكركم في الختام لاستماعكم أقوالي(٢٤) .

وبعد الانتهاء من القاء البيان جرى نقاش بين ويلسون والحاضرين

---

(23) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 257.

(24) Ibid - vol. 2, P. 255-257.

استمر زهاء ساعتين وقد شارك في النقاش محمد الصدر ويوسف السويدي من جانب المندوبين ، كما شارك فيه من جانب الوجهاء عبدالمجيد الشاوي وجميل صدقي الزهاوي . يقول مهدي البصير : ان بعض الوجهاء كان لهم رأي آخر يختلف عن رأي المندوبين ولكنهم وجدوا أنفسهم مضطرين الى المجاملة خوفاً من الجماهير التي كانت آنذاك في حالة هياج وتأثر(٢٥) .

فحوى ماقاله الصدر هو أن حركتهم سلمية ولا يقصد بها اثارة القلاقل ، وجل مطلبهم تأسيس حكومة وطنية حسب تصريحات الحلفاء ووعودهم وعملا بمقررات مؤتمر سان ريمو . ثم أشار الصدر الى المذكرة التي أعدوها ، فأخرجها السويدي من جيبه وقدمها الى ويلسون ثم خاطبه قائلا : ان ما ذكرتموه في كلمتكم ينطبق كل الانطباق على مطالبينا ، ولكن لماذا هذا التأخير في تحقيقها فان حياة كل فرد من الامة تتوقف على ذلك والأمن مستتب في البلاد فلا داعي هناك الى التأخير في انشاء الحكومة الوطنية التي هي مطمح أنظار الجميع . وقد أيد عبدالمجيد الشاوي وجميل صدقي الزهاوي ما قاله الصدر والسويدي . وفي الختام قال ويلسون : انه سيرفع مذكرة المندوبين الى حكومته ويحثها على الاسراع في تنفيذ السياسة المقررة للعراق ، ثم قال بان ذلك يحتاج الى مدة شهرين ، فاستكثر المندوبون هذه المدة ، وأخذ السويدي يلح على ويلسون بالاسراع في تأسيس الحكومة الوطنية عملا بمقررات سان ريمو . فرد عليه ويلسون قائلا : ان مؤتمر سان ريمو انما قرر استقلال سوريا والعراق على شرط أن تكون سوريا تحت وصاية فرنسا والعراق تحت وصاية بريطانيا . ولكن السويدي قال : « عليكم ان تشكلوا الحكومة الوطنية الآن أما الوصاية فهذه مسألة بيننا وبينكم لانه لابد وأن يكون لنا فيها رأي »(٢٦) .

وعندما انفض الاجتماع كان الجمهور واقفا ينتظر خروج المندوبين ،

---

(٢٥) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ـ ص ١٧٢ .
(٢٦) المصدر السابق ـ ص ١٧١-١٧٢ .

فلما رآهم خارجين أخذ يهتف لهم ، وركز هتافاته في الدرجة الاولى على السويدي والصدر •

ظن ويلسون ان المقابلة مع المندوبين كانت ناجحة وانه تمكن من اقناعهم وتهدئتهم • فاوعز بنشر محضر المناقشة التي جرت ، ونشرته جريدة « العراق » في عددين متعاقبين(٢٧) • وكتبت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ٧ حزيران تقول : ان المقابلة كانت ذات نتيجة جيدة جداً ، فقد أخذ ويلسون الريح من أشرعتهم بكلمته ، وكان هذا محور الاحاديث التي صار أهل السوق يتحدثون بها كما أخبرني به صديقي « فتوح » الذي يرتاد المقاهي كل يوم(٢٨) •

كانت المس بيل واهمة في قولها هذا ، وربما كان صديقها « فتوح » قد اعتاد على الاتيان بالاخبار التي تسرها ، أو أن جلاس المقهى عرفوه وصاروا يتكلمون وفق هواه • فالواقع ان الرأي العام البغدادي لم يتأثر بالمناقشة التي جرت أو لعله ازداد هياجا وحماساء وأخذ الناس يلومون محمد الصدر ويوسف السويدى لاستنادهما في المناقشة على مقررات سان ريمو، فهذه المقررات أقرت نظام الانتداب والوصاية على العراق ، وكيف يجوز لهذين المندوبين أن يستندا عليها ؟!! وقد اضطر محمد الصدر ان يكتب الى جريدة « العراق » ينفي مانسبته اليه من الاستناد على تلك المقررات ويحتج على الجريدة لنشرها ذلك •

تكاثر الحفلات :

كان ويلسون قد قرر عقب مقتل الاخرس ان يسمح للناس باقامة حفلات « المولد التعزية » بلا تحديد • فهو يقول في مذكراته : انه بعد المذاكرة مع بريسكوت مدير الشرطة ومع بلفور حاكم بغداد ، قرر عدم اتخاذ التدابير القمعية ضد الوطنيين • ويبرر ويلسون قراره هذا بقوله : « كنت أعلم اننا على وشك أن نبدأ بتشكيل حكومة محلية ، ولهذا كنت

---

(٢٧) جريدة (العراق) — في عدديها الصادرين في ٣ و ٤ حزيران ١٩٢٠ •
(28) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, P. 138.

كثير الاحجام عن حبس أو نفي أناس قد ندعو بعضهم خلال أشهر معدودة الى التعاون معنا في تشكيل الحكومة » • ولكن ويلسون يعترف في الوقت نفسه أنه اقترف بهذا القرار غلطة كبيرة(٢٩) •

أدى قرار ويلسون الى تكاثر اقامة الحفلات بشكل عجيب ، وصارت تلك الحفلات تتوالى ، تارة في جامع للسنة ، وأخرى في جامع للشيعة • ومن أهم الجوامع التي أقيمت فيها علاوة على جامع الحيدرخانه : جامع الكاظمية والاعظمية والشيخ عبدالقادر والسيد سلطان علي والاحمدي والخلاني (٣٠) •

كان حزب الحرس يشرف على تنظيم تلك الحفلات ، فاذا تقرر اقامة واحدة منها في أحد الجوامع خرج اثنان من شباب الحرس هما صادق حبه وعبدالرحمن خضر ، وركبا عربة وسارا بها في شوارع بغداد وأسواقها وهما يناديان : « هذه الليلة اجتماع عمومي في الجامع الفلاني » •

وقام عبدالمجيد كنه بدور بالغ الاهمية في هذا الشأن ، فهو قد ألف عصابة سرية من بعض مغاوير بغداد وأشقيائها هدفها حماية الحفلات ومنع اعوان السلطة من التدخل فيها •حدثني عبدالهادي الظاهر : ان عبدالمجيد كان يقف مع نفر من أعوانه في ركن مظلم من الحفلة ليراقب سيرها ولكي لايندس فيها جاسوس أو عميل يفسدها ، وكان لحضوره أثر بالغ في انتظام الحفلة لما هو معروف عنه من عنفوان وجرأة •

اشتهر من خطباء تلك الحفلات وشعرائها مهدي البصير وعبدالرزاق الهاشمي وتوفيق المختار وعثمان الموصلي وعبدالرحمن البناء ومحمد عبدالحسين(٣١) • وقد أُطلق على مهدي البصير لقب « ميرابو العراق » لشدة تأثيره على الناس • واشتهر معه ايضا شاعر شعبي من أهل الكاظمية

---

(29) Wilson (op. cit.) - vol. 2, P. 254.

(٣٠) نقلا عن أوراق علي البازركان •

(٣١) علي البازركان (المصدر السابق) ــ ص ٥٦ • •

اسمه محمد حسن الحداد ، فقد كان هذا الرجل بارعا في نظم الشعر باللهجة العامية ، وألقى في حفلات رمضان قصائد هزت الجمهور هزاً •

وقد سرت عدوى هذه الحفلات الى النجف عن طريق السيد قاطع العوادي ، فهو عندما عاد الى النجف في أواخر رمضان اتفق مع السيد علوان الياسري والشيخ عبدالكريم الجزائري على اقامة اجتماع سياسي تحت ستار التعزية الحسينية ،وطلبوا من السيد محمد الباقر الحلي ان ينظم قصيدة لهذه المناسبة(٣٢) • وقد أقيم الاجتماع في جامع الهندي • واكتظت ساحة الجامع على سعتها بالناس • واختير الشيخ محمد علي قسام ليكون قارىء التعزية فيه ، وقد صعد الحلي الى المنبر قبله لكي يقوم بتلاوة المقدمة حسبما جرت عليه العادة في مجالس التعزية ، ولكنه بدلا من أن يلقي قصيدة حزينة في رثاء الحسين ألقى قصيدة سياسية من نظمه ، ننقل منها الابيات التالية :

ياشعب كيف حمى علاك 'يرام
وبنوك بعد العز كيف تُضام
هذي الذئاب لهن فيك مسارح
فليحم منك عرينه الضرغام
هم يطلبون على العراق وصاية
عجباً فهل ابناؤه أيتام
حتى اليهود 'يوقرون وحقهم
يرعى وحق المسلمين يُضام
فليحي عبدالله فهو لشعبنا
ملك ووالده الشريف امام
وعلى الرجال العاملين تحية
وعلى حماة المسلمين سلام(٣٣)

---

(٣٢) جريدة (اليقظة) ـ في عددها الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٥٧ •
(٣٣) ابراهيم الوائلي (ثورة العشرين في الشعر العراقي) ـ بغداد ١٩٦٨ ـ ص ٦٢ •

يقال ان الحاضرين نسوا أنفسهم عند سماعهم هذه القصيدة ، فأخذوا يصفقون لها ، مع العلم ان التصفيق غير جائز في مجالس التعزية الحسينية كما هو معروف .

استفحال التقارب الطائفي :

استفحل التقارب الطائفي في النصف الثاني من رمضان بشكل لم يشهد العراق له مثيلا من قبل . وقد اتضح ذلك بوجه عام عند مجيء وفد الكاظمية لحضور حفلات بغداد اذ كان الوفد يأتي الى بغداد بعربات الترامواي وعلى رأسه السيد محمد الصدر ، فاذا قاربت العربات أول الدور من بغداد خرج لاستقبالها أهالي الجعيفر والسوامرة والتكارتة وغيرهم وهم يحملون الشموع ويهللون ويكبرون . واذا وصلت العربات الى المحطة كان في استقبالها جمهور غفير من أهل بغداد وفي مقدمتهم أحمد الشيخ داود أو غيره من علماء السنة ، فيتعانق الشيخ والسيد عناقا أخويا كرمز للتآخي بين الطائفتين ، وعند هذا يعج الجمهور بالصلاة على محمد وآل محمد !

ويحدث مثل هذا حين كان يذهب وفد الاعظمية الى الكاظمية ، أو يذهب وفد الكاظمية الى الاعظمية . وانتشر بين الناس آنذاك قول مفاده أن أبا حنيفة كان تلميذا لجعفر الصادق ونسب الناس الى أبي حنيفة قوله : « لولا السنتان لهلك النعمان » ، أي لولا السنتان اللتان قضاهما أبو حنيفة في التلمذة على جعفر الصادق لكان من الهالكين ، وهو قول لم تثبت صحته تاريخيا ولكن الناس صدقوا به لانسجامه مع روح التقارب الطائفي الذى كان سائدا .

وقد قام الملا عثمان الموصلي بدور مهم في تلك الايام ، اذ كان يتنقل بين حفلات بغداد والاعظمية والكاظمية ، فيترنم فيها بأماديح النبي وأهل بيته ، والمعروف عنه أنه كان شديد الحب لاهل البيت ينظم الشعر في مدحهم ، وكانت ترتيلاته الشجية في صحن الكاظمية من الامور التي ظل

الناس يذكرونها ويلهجون بها مدة طويلة من الزمن(٣٤) .

وحين حلت ذكرى وفاة الامام علي في ٢١ رمضان ذهب موكب من أهل الاعظمية الى الكاظمية لمشاركة أهلها في العزاء ، وأخذ الموكب الاعظمي يسير في صحن الكاظمية وهو يهزج قائلا :

ابو بكر وعمر حزنانين   عالوصي حيدر
وملائكة السما وجبرائيل   لاجله تكدّر

وقد حدث مثل هذا في الكرخ حيث تألف موكب للطم من محلتي السوامرة والتكارتة ، وذهب الى محلة الشيخ بشار لمشاركة تلك المحلة في العزاء . ويقال ان بعض اللاطمين أصيبوا في اليوم التالي بألم في صدورهم لانهم لم يتعودا على لطم الصدور من قبل .

واستمر التقارب من هذا القبيل بعدرمضان بمدةغيرقصيرة، فلما حل شهر محرم ذهب موكب من الاعظمية الى الكاظمية على منوال ماحدث في شهر رمضان ، وكانت أهزوجة الموكب في هذه المرة كما يلي :

جيت أناشدكم يا شيعة
صدگ زينب سلبوها
إي وحگ جدها وأبوها
حتى الخيام حرگوها

وكتبت جريدة « الاستقلال » في هذه المناسبة تقول : ان المآتم الحسينية اشترك فيها في هذه السنة جميع المسلمين ، فكنت تشاهد فوجا من الشيعة ومعه أفواج من أهل السنة ، كما تشاهد مشعلا للشيعة ومعه أضعافه لاهل

---

(٣٤) لم تخل حفلات صحن الكاظمية من حادث مثير يشبه ذلك الذي وقع في جامع الحيدرخانة حين سيطر الذعر على الجمهور . وكان سبب الذعر في صحن الكاظمية حدوث ازيز في أحد المصابيح الغازية فظن الناس أنه ازيز طائرة فانطلقوا هاربين حتى خلي الصحن منهم ، وقال الملا عثمان متهكما : « لا والله حصلنا استقلال ! » .

السنة • وفي اليوم العاشر من محرم ذهب الجميع الى الكاظمية للاشتراك في الواقعة(٣٥) •

قصيدة ذات دلالة :

كان السيد حبيب العبيدي الموصلي قد نظم قبل رمضان قصيدة شجب فيها مبدأ الانتداب والوصاية وتطرق من ذلك الى مدح أهل البيت وذكر أسماء الائمة الاثنى عشر واحدا بعد الآخر • وقد أصبح لهذه القصيدة أهمية كبيرة جدا في رمضان • وهي قصيدة طويلة ذات مقاطع ننقل فيما يلي بعض المقاطع منها :

ايها الغرب جئت شيئاً فـــريا ما علمنا غير الوصـــي وصيا
قسماً بالقرآن والانجيـــل ليس نرضى وصاية لقبيل
أو تسيل الدماء مثل السيول أفبعد الوصي زوج البتول
نحن نرضى بالانكليز وصيا
دون ملك العراق بين الطلول لأبــي عبدالله نجل البتول
قد أريقت دماء خـير قتيـل أفبعد الحسين سبط الرسول
نحن نرضى بالانكليز وصيا
كم امام من آل طـــه تردى دون ملك العراق قد مات وجدا
وشهيدا قضى وما نال قصــدا أفبعد الرضا وموسى المفــدى
نحن نرضى بالانكليز وصيا
يامحبي آل النبي الـكرام أيكون العراق مُلك اللئام
وهو ميراث آل خير الانام أفبعـــد الائمـة الاعـــلام
نحن نرضى بالانكليز وصيا
ما عسى أن نقول يوم الجزاء لنبي الهدى أبي الزهـــراء

---

(٣٥) جريدة (الاستقلال) ــ في عددها الصادر في ٢٨ ايلول ١٩٢٠ •

والشهيد المظلوم في كربلاء وامام الهدى في سامراء
ان رضينا بالانكليز وصيا

أنت أعمى ياغرب أم تتعامى نحن لسنا أراملا أو يتامى
لنعاني وصاية أو فطاماً لا فقهنا للكائنات نظاماً
ان رضينا بالانكليز وصيا

ما تركنا اخواننا الاتراكا وخذلناهمو وآزرناكا
شغفاً يا ابن لندن بهواكا بل لنيل استقلالنا بولاكا
فلماذا تكون فينا وصيا

لاتقل جعفرية حنفية لاتقل شافعية زيدية
جمعتنا الشريعة الاحمدية وهي تأبى الوصاية الغربية
فلماذا تكون فينا وصيا

قد سئمنا سياسة التفريق واهتدينا الى سواء الطريق
يا عدواً لنا بثوب صديق انت بين الوصي والصدّيق
لست الاّ مزوّراً أجنبيا
فلماذا تكون فينا وصيا(٣٦)

فرح الشيعة بهذه القصيدة كثيرا وأخذوا يتداولونها ويقرأونها في مجالسهم اذ اعتبروها اعترافا من أهل السنة بوصاية علي ابن ابي طالب . وشاع بين الناس يومذاك قول من قال : « ان عمر وعلي تصالحا ولم يبق بينهما أي اختلاف »(٣٧) .

وجهة نظر الانكليز :

كتب ويلسون في مذكراته حول حفلات رمضان يقول : ان العربي شديد التأثر بالكلام البليغ ، وقد صارت جماهير بغداد تستمع في تلك

---

(٣٦) محمد طاهر العمري (المصدر السابق) – ج ٣ ص ٢١٩–٢٢٢ .
(٣٧) تحسين العسكري (الثورة العربية الكبرى) – النجف ١٩٣٨ – ج ٢ ص ١٠٠ .

الحفلات الى خطابات حماسية ونداءات حارة يمتزج فيها الدين بالوطنية وهي موجهة الى الامير عبدالله تطلب أن يسرع بالقدوم الى مملكته المقدسة ، وكانت هذه الخطابات والنداءات تثير في الجماهير أشد حالات الحماس . ويقول ويلسون انه عندما سمح لتلك الحفلات بالاستمرار لم يكن يدري ماتؤدي اليه من تأثير في عشائر الفرات الاوسط . ويشير ويلسون الى أحداث دير الزور وتلعفر وطريق الموصل ، ويقول انها أعطت للناس دليلا محسوسا على ضعف قواتنا العسكرية تجاه قوة العشائر . فقد صار معلموا المدرسة الاهلية في بغداد ينشرون الشائعات المثيرة بين الناس ، مما أدى الى وقوع الاضطراب في المدينة وتعاقب اغلاق الاسواق مرة بعد مرة[٣٨] .

وقد سجلت المس بيل كذلك وجهة نظرها في هذا الشأن ، فهي تقول في رسالة لها الى ابيها مؤرخة في ١ حزيران ١٩٢٠ مانصه : « نحن في خضم هياج عنيف ، ونحن نشعر بالقلق . وليس هذا القلق لخوفنا على سلامتنا ـ فلا تفكر في هذا لحظة ـ ولكننا قلقون إذ لاندري هل نستطيع أن نخرج من رمضان من غير أن يقع اضطراب ... ان المتطرفين اتخذوا خطة من الصعب مقاومتها : وهي الاتحاد بين الشيعة والسنة ، أي وحدة الاسلام، وهم يستغلون ذلك الى أقصى الحدود . فهناك اجتماعان او ثلاثة اجتماعات تقام في كل اسبوع في المساجد للاحتفال بهذا الحدث الذى لامثيل له . فهي تقام في مساجد الشيعة أحيانا وفي مساجد السنة أحيانا أخرى ويحضرها أناس من الطائفتين معا . انها في الواقع سياسية وليست دينية ، ولا أعلم أن أحدا يعتقد بان هذا الاتحاد الزاهي سيكون دائميا . انها زاخرة بالقاء القصائد والخطب التي تمزج بين الدين والسياسة ، وكلها تدور حول فكرة العداء للكفار ....»[٣٩] .

---

(38) Wilson (op. cit.) - vol. 2, P. 253 - 254.

(39) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 137.

ومن الجدير بالذكر ان كثيرا من وجهاء بغداد ومثقفيها كانوا غير راضين في قلوبهم عن تلك الحفلات ، ولكنهم كانوا مضطرين الى حضورها والى التبرع لها خوفا من غضب الجماهير . فهم كانوا يأتون الى ويلسون او المس بيل أو غيرهما ليعربوا عن استنكارهم لتلك الحفلات وليعتذروا عن التظاهر بمناصرتها لانهم اذا امتنعوا عن ذلك اتهمهم الناس بأنهم كفار وخونة . وذكرت المس بيل في أحد تقاريرها السرية اسم واحد من هؤلاء هو سليمان فيضي . فقد قال لها هذا الرجل مانصه :

« أنتم لايمكن ان تتركوا الامور تجري على هذا المنـــوال الذى تجري عليه الآن . فان الهياج قد وصل الى درجة الخطر . وأنا أخشى كثيرا من وقوع اضطراب علني ، ليس في بغداد وحدها ، بل ربمـــا في الالوية ،لان العشائر كلها قد تأثرت به . واني أرغب كل الرغبة في تجنب ذلك من أجل مصلحتنا ومصلحتكم معاً . اني انظر الى الاجتماعات في المساجد بمقت شديد ، واعتبر بشكل خاص هذا المزج بين الدين والسياسة خطرا ، لان من المستحيل تقريبا عليّ وعلى غيري أن نقف ضده . واني وان كنت أبغض تلك الحفلات بغضا شديدا أجد نفسي مضطرا الى حضورها فلست أجرأ على الغياب عنها لوجود الضغط المسلط عليّ . وتأكدي ان هذا هو حال الكثيرين غيري . وكان من الافضل للناس أن يعقدوا اجتماعات مماثلة أو يؤسسوا نوادي للمداولة في فصل الدين عن السياسة بقـــدر الامكان . ويمكن أن أقول استطرادا ان هذا الاتحاد المتباهى به بـــين الشيعة والسنة هو من أبغض الامور الى نفسي ، ويجب أن أعتبر سيطرة الشيعة كارثة لايمكن تصورها »(٤٠) .

---

(40) Atiyyah (IRAQ) - Beirut 1978 - P. 284.

الفصل الثالث عشر

نشاط ابن الشيرازي ونفيه

عندما كانت بغداد في رمضان تعج بالاحداث على النحو الذي ذكرناه في الفصل الماضي ، كان المرزا محمد رضا ابن الشيرازي ناشطا من جانبه في تأييد تلك الاحداث وبث الدعاية لها في أوساط العشائر • يقــول ويلسون في مذكراته : انه ذهب الى الحلة بالطائرة في صباح ٣ حزيران ١٩٢٠ ، فجاء لمقابلته في دار البلدية وفد محترم من شيوخ العشائر ومن الملاكين والتجار ، وأخبروه ان ابن الشيرازي قد بذل جهودا غير قليلة لاثارة الشعور العام ضد الانتداب ، كما أن الضباط العراقيين في سوريا قد أرسلوا مكاتيب يحرضون فيها العشائر وأهل النجف على أن يحذوا حذو بغداد فيثوروا في وجه البريطانيين • ويذكر ويلسون ان كبار الشيوخ حذروه بجد قائلين ان حركات من نوع الحركات القائمة في بغداد لابد أن تنتشر اذا لم توقف عند حدها ويعاقب المحرضون عليها بشدة ••• (١)

لدينا وثيقة تدل بوضوح على مبلغ ما كان يبديه المرزا محمد رضا من نشاط وطني في رمضان ، وهذه الوثيقة عبارة عن رسالة كان قــد أرسلها اليه أحد رؤساء الغراف يعاتبه فيها لعدم اشراكه في الحــركة الوطنية ، وهذا هو نصها :

حضرة الفاضل نجل آية الله المرزا محمد تقي دام ظله •

بعد عرض ما يجب لكم اهدائه وابدائه من التحيات الصميميــة الخالصة من كل شائبة اعلم حفظك الله وأخذ بناصرك ان الذى أنتم عليه من السعي المتواصل وراء جمع كلمة المسلمين ولم شعثهم وانذارهم بالخطر المحدق بهم مما يسر كل موحد ، ولا حاجة الى المدح والتقريض والتشجيع

(1) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 258.

لان ذلك من واجباتكم الدينية نظرا لمقامكم ، ولكن مع الاسف الى الآن لم تراجعونا بشيء من ذلك اذ الغاية واحدة والمنفعة مشتركة ولكنا عذرناكم لكثرة مشغوليتكم بهذا العبء الثقيل الذي أُلقي على عاتقكم لهذا حررنا لكم هذا الكتاب قياما بالواجب • مولاي بالاختصار أقول لك ان قطرنا أعني (الغراف) قد صفق تصفيقة واحدة لنصرتكم مهما كلفه ذلك من بذل نفوس ونفيس ، فقط يوجد بطرفنا بعض من أهل اليبوسة الذين لاتنهضهم الى مساعدتنا والانضمام الينا الا الصراحة من والدك سلمه الله بذلك • لذلك قدمنا اليك معتمدنا الشيخ مهدي الغريباوي لهذه الغاية وعليه التفصيل • هذا ونقبل أيادي مولانا آية الله على الاسلام والمسلمين • ودمتم موفقين •

٢٢ رمضان سنة ١٣٣٨ •

الداعي	الداعي
محمد صالح شكارة	عبدالمحسن نجل محمدالياسين[٢]

قصة مفتعلة :

كان الانكليز يعتقدون ان الشيرازي لم يكن راضيا عن أعمال ابنه وان الكثير من علماء كربلاء لم يكونوا راضين عنها أيضا ولكنهم لم يجرأوا على الجهر بمعارضتهم لها خوفا من الجماهير • كتب معاون الحاكم السياسي في كربلا المرزا محمد البوشهري الى رئيسه في الحلة الميجر بولي يقول: أن كثيراً من علماء كربلاء كالشيخ محمد حسين المازندراني والسيد حسن الطباطبائي والسيد عبدالحسين الطباطبائي والسيد محمد مهدي الطباطبائي أعربوا له عن نفورهم من حركات المرزا محمد رضا ورفضهم الاشتراك فيها[٣]•

(٢) عبدالرزاق الوهاب (كربلا في التاريخ) ــ بغداد ١٩٣٥ ــ ج صه ٣٨ــ٣٩ •

(3) Atiyyah (IRAQ) - Beirut 1973 - P. 336.

ويقول ويلسون في مذكراته : ان منشورات عديدة كانت متداولة بين العشائر وهي تحمل تواقيع مزورة للمرزا محمد تقي الشيرازي - يقصد ان ابنه هو الذي زورها عليه - وقد حاولت غير مرة أن أحصل من الشيرازي على اعلان يتبرأ بها من تلك المنشورات ولكنه لم يكن يملك الشجاعة أو ربما القناعة لان يفعل ذلك(٤) •

وكان الانكليز بالاضافة الى ذلك يعتقدون بان الشيرازي لم يكن راضيا عما كان يجري في بغداد من مظاهر التقارب بين السنة والشيعة • وقد ذكر المرزا محمد البوشهري قصة لتأييد ذلك نقلها عنه الكابتن لايل، وخلاصتها : ان اثنين من علماء كربلاء ذهبا الى بغداد في رمضان للمشاركة في حفلات التقارب ، فدخلا الى جوامع السنة واستُقبلا فيها بالاحترام البالغ وقد قبّل الناس أيديهما ، ولما وصل خبرهما الى الشيرازي في كربلاء أرسل اليهما يستدعيهما اليه ، وعند حضورهما في مجلس الشيرازي كانا يظنان أنه سيهنؤهما على عملهما ، فصارا يتحدثان باسهاب عما شاهداه في بغداد من مظاهر التقارب الطائفي ، وعن جهودهما في تأييد هذا التقارب• وكان الشيرازي يستمع اليهما وهو ساكت متظاهرا بالرضا عنهما لكي يتماديا في الحديث ، حتى اذا انتهيا من حديثهما تغيرت سحنته ، وانقلب من الرضا الى السخط فجأة ، ثم قال لهما معنفاً : « انتم المسلمون الحقيقيون لم تكتفوا بمعاشرة أولئك السنيين أولاد الكلاب بل دخلتم مساجدهم أيضا• وفوق ذلك انتم من البلدة المقدسة كربلاء ، ومعروفون بذلك ، فقد جلبتم العار على مرقدي العباس والحسين • ان كل واحد منكما سينال ثلاثمائة جلدة ، وهذا علاوة على الندم الذى سيحل بكما » • ويقول المرزا محمد البوشهرى ان الشيرازي أمر فعلا بجلدهما في المجلس على مشهد من الحاضرين(٥) •

---

(4) Wilson (op. cit.) - vol. 2, P. 290.

(5) Lyell (Ins and Outo of Mesopotamia) - London 1923 - P. 105-106.

الواقع اني استبعد حدوث مثل هذه القصة ، ويخيل لي ان المرزا محمد اختلقها تحببا للانكليز • وقد سألت الكثيرين ممن عرفوا الشيرازي وخالطوه فأجمعوا على تكذيب القصة وقالوا ان الشيرازي كان من أشد الناس تأييداً للتقارب الطائفي الذي حصل في بغداد وقد دلت على ذلك رسائله وتوجيهاته التي أرسلها الى مختلف أنحاء العراق في ذلك الحين •

ابن الشيرازي والقومية العربية :

كان ابن الشيرازي علاوة على نشاطه الوطني مؤيدا للقومية العربية• ولم يكن هذا بالامر الغريب لان القوميين والمتدينين كانوا في تلك الايام يشعرون بأنهم جبهة واحدة تجاه عدو مشترك ـ كما اشرنا اليه في فصل سابق •

ننقل فيما يلي نص رسالتين بهذا المعنى ، احداهما كتبها الشيرازي الى الامير فيصل في سوريا ، والاخرى كتبها ابن الشيرازي الى الامير علي في الحجاز :

الى حضرة صاحب السمو الامير فيصل نجل جلالة ملك العرب خلد الله ذكره وملكه •

بعد الدعاء لدوام عزكم وبقاء مجدكم نبدي لكم اننا لازلنا نسمع انباء تفاديكم العظيم في سبيل احياء الجامعة العربية التي هي عنوان المجد الاسلامي ذلك المجد الرفيع الذي رفع قواعده أجدادك الطاهرون وحمى حوزته أسلافك الماضون ، فحيا الله نخوتكم الهاشمية وغيرتكم الاسلامية وأدامكم ملكاً تقر به عيون المسلمين وتفخر به أئمة الدين • هذا ولايخفاكم ما تكابده الامة العراقية المظلومة في كل لحظة من أنواع الظلم الفاحش وألوان الحكم الغاشم مضافا الى الاستهانة بمكانتها التاريخية والازدراء بتقاليدها الاسلامية ومازالت تئن من التحكم الباطل والاعتداء على حقوقها المشروعة ، وقد بلغ الظلم مبلغا لايجوز معه الصبر ، وحيث ان هذا المحيط العراقي مضغوط عليه كل الضغط من كل الجهات حتى انه لايمكنه رفع صوته مباشرة الى الامم التي ترأف بالضعيف وتشفق عليه رحمة ، فقد

اعتمدنا الشيخ محمد باقر الشبيبي ليوقفكم على الاعمال القاسية الجارية في العراق ويكشف لكم عن المظالم التى مازالت تستعملها حكومة الاحتلال ، فترفعوها الى الصحافة الحرة في كل انحاء العالم وتظهروها صريحة الى الحكومات الاوربية والاميركانية حتى تتمكن بواسطتها من تحصيل مقاصدنا العالية وتيقنوا ان السكوت عن الضيم أمر لايستطيع العراقيون تحمله ، فساعدوا اخوانكم الذين اعتمدوكم للمطالبة باستقلال بلادهم ولا تجعلوا سبيلا للتشبث الاجنبي كيفما كان وامتداد نفوذهم الى هذه الديار الاسلامية. ودوموا مؤيدين ظافرين .

٧ رمضان ١٣٣٨ محمد تقي الحائري الشيرازي(٦)

الى حضرة صاحب السمو الملكي الامير علي ولي عهد السلطنة العربية حفظه الله .

بعد الثناء على ذاتكم الكريمة المحترمة والدعاء لبقاء العرش الهاشمي واستمرار حياته فانه أصل حياة الامة العربية ومادة وجودها ، نبدي الى سموكم اننا مازلنا ولم نزل نتوسل الى الله تعالى أن يعيد شرف الامة الاسلامية الى نصابه الاول على ايدي رجال النهضة الحديثة الذين كونوا في هذه الظروف الحرجة دولة أصبحت موضع اعجاب الدول الكبرى ومحط آمال الشعوب العربية التى ما فتئت تنظر الى ماضيها السعيد وتتشوق الى حضارتها القديمة .

ياسمو ولي العهد ، لاشك انكم جاهدتم في سبيل الامة العربية جهادا قدّره حق قدره كل عربي صميم ، فالشعب العربي في كل انحاء المعمورة مدين لكم بتفاديكم العجيب لانقاذكم اياه من أشراك الظلم والاستعباد ومخالب العتو والاستبداد . ياسمو ولي العهد ، ان القطر العراقي كسائر الاقطار العربية التي بايعت جلالة الملك أبيكم ، وأزيدكم أنه اكثر تحمسا في سبيل الاستقلال التام ، وأشد نعرة قومية ، واقرب الى الوحدة العربية ،

---

(٦) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) - بغداد ١٩٥٢ - ص ٩٢ .

وذلك لانه مسكون بشعب عربي بحت ليس فيه دخيل يُخشى شره ، وها هو اليوم ينتظر بفروغ الصبر أن يسمع صدى دفاعكم عنه ، فقد أكله الظلم ، ونخر عظامه الاستبداد • ولا يخفى على سموكم ما لاقاه العراقيون منذ بدء الاحتلال الى هذا اليوم من المصائب العظيمة والخطوب الجسيمة ، وتحملوا من المظالم والاعتسافات في سبيل انتخاب أحد أخويكم الاميرين عبدالله وزيد ما لايمكن سرده لكم ، ولا ريب في أنكم تدركون ان موقف العراقيين إزاء الحكومة المحتلة ملؤه المخاوف والاخطار ، لذلك يصعب عليهم مباشرة رفع أصواتهم الى مؤتمر الصلح وعصبة الامم والى الصحافة الحـــرة والحكومات الديمقراطية ، ومن أجل ذلك كله فقد انتدب أبي والعلماء والزعماء حضرة الفاضل الشيخ محمد باقر الشبيبي ليفيدكم شفاها عمـا ينبغي عمله بالفعل لانقاذ هذه البلاد الطاهرة التي عاث فيها اعداء الاسلام فسادا وضيقوا الخناق على اخوانكم الذين أبكاهم التحكم الغريب والظلم العجيب • ومن جراء أفاعيل حكومة الاحتلال ، التي اعتدت ظلما وعدوانا على الاماكن المقدسة مقامات أجدادكم الطاهرين وأهانت مراكز العلماء الروحانيين ، صمم جماعة العلماء الاعلام على مغادرة هذه البلاد الى بلاد فارس ، فقد كبر عليهم أن يروا تحقير المسلمين وازدراءهم من أعدائهم ، نعم كبر عليهم أن يروا الاعلام الصليبية تخفق على البلاد العربية • فالله الله في العراق وانتشاله من مهاوي الحيف والجور • والسلام عليـكم ودوموا مؤيدين •

٧ رمضان ١٣٣٨   محمد رضا نجل آية الله الحائري (٧)

حمل الشيخ باقر الشبيبي هاتين الرسالتين ، وسافر بهما الى النجف بغية التوجه منها الى الحجاز وسوريا ، كما فعل أخوه الشيخ رضا في العام السابق • ويبدو ان نشوب الثورة في الفرات الاوسط جعله يفضل البقاء في النجف وعدم السفر • وظلت الرسالتان بلا ارسال •

---

(٧) المصدر السابق ـ ص ٩٣ ـ ٩٤ •

اختيار مندوبين :

في ٣ حزيران ١٩٢٠ ـ وهو يوافق ١٦ رمضان ١٣٣٨ هـ ـ اجتمع عدد كبير من وجهاء كربلاء ورؤسائها وقرروا ان يفعلوا مثلما فعل أهل بغداد من اختيار مندوبين عنهم لمقابلة السلطة • وبعد المداولة تم الاتفاق على اختيار سبعة مندوبين هم : المرزا عبدالحسين الشيرازي والشيخ محمد الخالصي والسيد محمد علي الطباطبائي والشيخ صدر الدين المازندراني والسيد عبدالوهاب الوهاب والشيخ محمد حسن أبو المحاسن وعمر العلوان• ونظم الحاضرون مضبطة في ذلك وقعوا عليها ، وكتب عليها الشيرازي هذه العبارة : « صحيح نافع مفيد ان شاء الله تعالى »[٨] •

وفي ٥ منه عقد اجتماع مثل هذا في النجف حضره وجهاء النجف ورؤساؤها كما حضره رؤساء العشائر القريبة ، وتم اختيار ستة مندوبين هم : الشيخ جواد الجواهري والشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي والسيد نور الياسري والسيد علوان الياسري ومحسن شلاش • وحين بلغ الشيرازي أمر هذا الاختيار كتب الى كل من هؤلاء المندوبين الستة رسالة يشجعهم بها على المطالبة بحقوق البلاد • وفيما يلي نموذج من تلك الرسائل وهي التي أرسلها الشيرازي الى السيد نور الياسري :

بسم الله ولله الحمد

جناب نخبة الاشراف الاماجد السيد نور آل المرحوم السيد عزيز نصره الله وأيده وأرشده وسدده آمين •

بعد السلام عليك وعلى كافة من حولك من اخواننا المؤمنين • لايخفى بلغنا مع كمال السرور انتخاب أهل قطرك لك لتكون عنهم مندوبا للمطالبة بحقوقهم المشروعة في بغداد وهذا انتخاب في محله واطمئنان في أهله لان شرفك وديانتك واسلاميتك يقتضي لك ذلك فاللازم عليك أن تجيب الى ذلك بأسرع وقت لعل الله ببركة الاسلام وشرف اجدادك الطاهرين أن يجعل

---

(٨) المصدر السابق ـ ص ١١٠ •

الفرج بناصيتك انشاء الله ودم مؤيدا • حرر يوم ١٥ رمضان •

الاحقر محمد تقي الحائري(٩)

لانعرف ماذا فعل مندوبو كربلاء بعدما تم اختيارهم ، أما مندوبو النجف فقد اجتمعوا في ٧ حزيران ، ثم اجتمعوا مرة أخرى في ٩ منه ، وكتبوا مذكرة الى حاكم الشامية السياسي الميجر نوربري يطلبون فيها مقابلته كما ذكروا فيها أنهم يطالبون بتحقيق الوعود التى أعطاها الحلفاء لهم ولا سيما الحكومة البريطانية المعظمة ، وقالوا ان الامة العراقية قد طال انتظارها لتحقيق تلك الوعود ورأت أن السكوت عن المطالبة بحقوقها الصريحة لايجوز بوجه من الوجوه ولا يحسن بالامة التى عرفت في نفسها الكفاءة على تسلم أزمة البلاد وادارة شؤونها السياسية والاقتصادية أن تغض النظر عن المجاهرة بمقاصدها الغالية ورغائبها السامية •

حمل السيد علوان الياسري هذه المذكرة الى الميجر نوربري ، وقابله في الكوفة ، فحدد نوربري موعداً لمقابلة المندوبين في ١٤ حزيران في الساعة الثانية والنصف صباحا حسب التوقيت الغروبي • ولكنه قبل أن يحين موعد المقابلة كتب اليهم يقول انه متأسف لالغاء الموعد ، وذكر انه قد أرسل مطاليبهم الى فخامة الحاكم العام ــ أي الى ويلسون ــ ببغداد وسوف يخبرهم بجوابه عند وصوله •

ساء المندوبين هذا الالغاء واعتبروه نوعا من المماطلة والتسويف ، وكتبوا الى نوربري رسالة قالوا فيها ما نصه : « بهذا الجواب ومثله لانستطيع رفع سوء التفاهم الواقع بين الشعب والحكومة ، فنأمل من حضرتكم أن تجعلوا كتابنا مستمسكا للمطالبة بالجواب حتى يحسن ظن الامة بالحكومة فان الشعب ينتظر منكم الجواب » •

وصل جواب ويلسون أخيرا ، وهو مؤرخ في ١٦ حزيران ، يقول فيه : ان الحكومة البريطانية قررت تكليف السر برسي كوكس بتشكيل

---

(٩) عبدالشهيد الياسري (البطولة في ثورة العشرين) ــ النجف ١٩٦٦ ــ ص ١٤٤ ــ ١٤٦ •

حكومة وطنية في العراق وان كوكس سيأتي الى العراق في الخريف ويعمل على اقامة مجلس شورى برئاسة رجل عربي وعلى اقامة مؤتمر عراقي يمثل جميع أهالي العراق ويُنتخب اعضاؤه باختيارهم • وذكر ويلسون في جوابه ان بيانا بهذا المعنى سينشر قريبا(١٠) •

خطاب مثير في كربلا :

في مساء ٢٥ رمضان عقد اجتماع كبير في صحن الحسين ألقى فيه الشيخ محسن أبو الحب قصيدة وطنية من نظم الشاعر محمد حسن أبو المحاسن كان مطلعها :

وثق العراق بزاهر استقباله   والشعب متفـــق على استقلالــه

وأعقبه عمر العلوان بخطاب حماسي شديد(١١) • وفي مساء اليوم التالي عقد اجتماع آخر في صحن العباس ألقى فيه الشيخ محمد الخالصي خطابا مثيرا تحدى به الانكليز وكان له دوي في كربلاء • وهو خطاب طويل نقتطف منه ما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم • ولاتهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ••• ايها السادة ان الله قد وصفكم بكتابه بصفتين بأنكم الاعلون •••• وحكم على من هذه صفته أن لايهن ولا يحزن ، كذلك انتم في كتاب الله ، وقد جاءتكم بريطانيا بخيلها ورجلها وعزمها وشكيمتها تقول : انتم الادنون ونحن الاعلون لذلك يجب أن نكون قيمـــين على شؤونكم وادارتكم وأموالكم وانفسكم ••• هكذا أرادت بكم تلك الدولة القاسية التي لاترى غيرها في العالم وتحسب صنوف البشر عبيدا أرقـــاء مذللين ••• وانتم واقفون بين بريطانيا وبين خالقها : خالقها يصفكم بصفة الاعلين ، والمخلوق يصفكم بصفة الادنين ، فان قبلتم صفة المخلوقين ذللتم وخزيتم وأصابتكم الدناءة واشتريتم بعد ذلك مرضاة المخلوق بســـخط

---

(١٠) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ــ ص ١١٥ــ١١٧ •
(١١) مجلة (رسالة الشرق) الكربلائية ــ في عددها الصادر في ١٥ شعبان ١٣٧٣ هـ •

الخالق ... تُنصب بريطانيا عليكم قيماً دوليا وهي الولي وهي القيم ، فهل أنتم مجانين حتى تفتقروا الى الولي والى القيم ؟! (هتافات وصراخات عالية : لا ، لا ، لسنا مجانين ، لانريد بريطانيا قيماً ولا ولياً) ... المـــوت أدنى لك يابريطانيا من أن نذل لك ونخزى .. فالله الله ، مصارعنا أهون علينا من ذلنا وخضوعنا لسلطان القاهر الملك الجبار . ان صاحب القبر هو سيد أهل الاباء الذي علّم شيعته ومواليه كيف يموتون تحت ظـــلال السيوف في سبيل العز والشرف ... نحن لانريد حرباً مع بريطانيا ولا مع أحد غيرها من الناس ، ولكن الدولة التي تعتدى علينا نقاومها بأرواحنا ونفوسنا . واذا كانت بريطانيا وخيلها وخيلاؤها بلغت من القـــوة مالا نستطيع اخضاعها فان لنا من الشيمة وثبات الجأش وطلب الشرف والسؤدد عزما يسوقنا الى ازهاق نفوسنا والتخلص من سلطان الطغاة .. اذا لـــم نغلب بريطانيا فسوف لاتغلبنا ونحن أحياء بل ستدوس على أجداثنا ونحن مستشهدون في سبيل الله والعز والشرف (هتافات : الله اكبر ، الى ساحات العز والجهاد ايها المسلمون والموت للانكليز) ... فتمسكوا يا اخواني بعرى الايمان وانصروا الله ينصركم ، فانتم بين اثنتين : بين أن تعيشوا عبيدا أذلاء أو تموتوا أحرارا أعزاء ، فاي الحالين تختارون ؟! (صراخ : لانختار الا العز والموت !) .. سادتي ، مهلا مهلا ، ثبتكم الله وقوى عزمكم وأخضع لكم عدوكم الجبار ، أن امامنا عقبات لايذللها الا العزم الصـــادق والايمان الصريح فهل أنتم على ذلك ؟! (أصوات : نعم ، نعم !) ... ان أضعفكم جسما واكبركم سنا وأقواكم عزما وأصرحكم ايمانا هما الامامان المتبعان المرزا وأبي وهما قد بذلا أنفسهما بعزم راسخ وايمان صادق ، فهل تبخلون بأنفسكم بعدهما ؟! (هتافات متتالية : نفديهما بأنفسنا ، نفديهما بأنفسنا وأموالنا وأولادنا) . جزاكم الله عن انفسكم خيرا وثبت عزمكم وأبقى بأيديكم بلادكم ودفع عنكم عدوكم الذى يريد بكم السوء . وانني من فوق هذا المنبر أصرخ ببريطانيا قائلا : أحسني ولا تبغي بنا ســـوءاً وايأسي من أن نذل لك وارجعي من حيث أتيت ، فان لم يكن لنا سلاح فصدورنا ورؤوسنا تستقبل جميع ما لديك من معدات . أدام الله حياة الامة

العراقية وقادتها وعلماءها العاملين والآيين الشيرازي والخالصي • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » •

يقول الشيخ محمد الخالصي في مذكراته : ان الحماس اشتد بالحاضرين وكثر البكاء بينهم وعلت الضجة وقطع بعض الرؤساء رباط عقالهم بسيفه ايذانا بأنه مستميت في سبيل الدفاع عن العراق ، ثم انفض الاجتماع والرؤساء جميعا متأهبون مستعدون للحرب عازمون على الموت في سبيل حفظ حقوق العراق ان أصر الانكليز على غصبها(١٢) •

على أثر انتهاء هذا الاجتماع عُقد اجتماع في دار الشيرازي حضره الشيرازي وحاشيته من العلماء ، فجرى بينهم نقاش واختلاف في الرأي ، اذ كان فريق منهم لايوافقون على هذه الشدة التى استعملها الشيخ محمد الخالصي في خطابه ، وكان في مقدمة هؤلاء السيد هبة الدين الشهرستاني ، فقد كان يخشى أن يفور الدم الانكليزي فيقضي على الحركة الوطنية وهي في مهدها ، وكان رأيه ان العراقيين ليس لديهم من القوة ما يقابلون به الجيوش الانكليزية وأسلحتها • فرد عليه الشيخ محمد الخالصي قائلا : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » •••

حادث في الحلة :

في اليوم الاخير من شهر رمضان ظهرت على الجدران في سوق الحلة اعلانات تدعو الناس الى القيام في وجه الحكومة وتحمل حملة شعواء على جميع المتصلين بالانكليز(١٣) • وفي اليوم الثاني من عيد الفطر ــ وهو يوافق ١٩ حزيران ١٩٢٠ ــ خرج منادي ينادي في طرقات الحلة وأسواقها قائلا : « في هذه الليلة اجتماع عمومي في الجامع الكبير لسماع مكتوب آية الله الشيرازي » • وقد حصل الاجتماع في الوقت المعين ، وارتقى المنبر الشيخ محمد الشهيب وأخذ يتلو رسالة وردت اليه من الشيرازي وهي

(١٢) نقلا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة •

(١٣) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ــ ترجمة جعفر الخياط ص ٤٤٢ •

تدعو العراقيين الى المطالبة بحقوقهم المشروعة بالطرق السلمية[١٤] • ولما أتم الشيخ محمد تلاوة الرسالة تابع على المنبر محمد الشيخ عبدالحسين ورؤوف الامين وخطيب السنة عبدالسلام الحافظ ، فألقوا كلمات حماسية طالبوا فيها باستقلال العراق ونادوا بالامير عبدالله ملكا عليه •

حين بلغ الميجر بولي خبر الاجتماع في الجامع أوعز الى خيري الهنداوي ، الذى كان حينذاك موظفاً في الادارة الانكليزية فى الحلة ، بأن يذهب الى الجامع ويتكلم مع المجتمعين لتهدئتهم • ولكن هذا الرجل عند وصوله الى الجامع نسي نفسه والمهمة التى كلفه الميجر بولي بها ـ ويقال انه كان في ذلك الوقت ثملاً ـ[١٥] فألقى على الحاضرين خطاباً وطنياً أثارهم وزاد من حماسهم •

أمر بولي بالقاء القبض على مدبري الاجتماع ، وعلى الهنداوي معهم، وهم : رؤوف الامين وعبدالسلام الحافظ وأحمد السالم وجبار علي الحساني وعلي الحمادي • وأُرسلوا جميعا بالقطار مخفورين الى البصرة ، ومنها أرسلوا بالباخرة الى جزيرة هنجام • وظلوا معتقلين في الجزيرة خمسة أشهر ، وقد مات أحدهم فيها وهو أحمد السالم[١٦] •

تقول المس بيل : ان ابعاد هؤلاء الاشخاص أدى الى زوال التوتر في منطقة الحلة ، وقد ذهب عمران الحاج سعدون ، وهو أهم رئيس من رؤساء بني حسن الساكنين في تلك المنطقة ، الى الحاكم البريطاني وهو يحمل التعهد الذى كان قد وقعه بالاكراه ، فمزقه أمام الحاكم[١٧] •

---

(١٤) يوسف كركوش الحلي (تاريخ الحلة) ـ النجف ١٩٦٥ ـ ج ١ ص ١٧٤ •

(١٥) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ـ صيدا ١٩٧٢ ـ ص ١٠٧ •

(١٦) المصدر السابق ـ ص ١٠٧ •

(١٧) المس بيل (المصدر السابق) ـ ص ٤٤٤ •

اعتقال ابن الشيرازي :

اتضح لويلسون ان ابن الشيرازي هو منبع جميع الحركات المناوئة في منطقة الفرات الاوسط ، فقرر اعتقاله مع أعوانه ، وأصدر أوامره الى الميجر بولي بتنفيذ ذلك .

وفي ٢١ حزيران توجه الميجر بولي على رأس قوة كبيرة نحو كربلاء فوصلها مساءاً ، وصار يوزع القوة على مداخل البلدة وطرقاتها . ولما أصبح الصباح في اليوم التالي شوهدت اعلانات على الجدران مفادها : ان الغرض من جلب القوة العسكرية هو القبض على بعض الاشرار الذين يتجاوزون على الفقراء والضعفاء ، وهي لاتتعرض لاهل التقوى والصلاح، فكونوا مطمئنين . وأرسل بولي الى الشيرازي كتابا هذا نصه :

حضرة العلامة المجتهد الاكبر آية الله المرزه محمد تقي الشيرازي دام علاه .

بعد تقديم مراسيم التحية والسلام نعرض لحضرتكم ان قسما من قواتنا قد وردت الى هذه الانحاء لاجل حفظ الامن والقاء القبض على عدد من الاشرار الذين يقصدون الافساد ونهب الاموال والقاء الرعب في قلوب الاهلين ، وان قواتنا لم تتعرض للصلحاء الابرار ، فنرجو أن تطلعوا على هذه المسألة لكي يرتفع الرعب والاضطراب عنكم . وفي الختام نقدم لحضرتكم فائق الاحترام .

الميجر بولي
حاكم سياسي الحلة

عندما وصل هذا الكتاب الى الشيرازي جمع حاشيته لمشاورتهم في الامر ، وكان فيهم الشيخ مهدى الخالصي وابنه الشيخ محمد ، وبعد المداولة أوعز الشيرازي الى الشيخ محمد الخالصي بكتابة الجواب الى بولي، فكتبه الشيخ محمد . وهذا نصه :

الى حاكم سياسي الحلة الميجر بولي هداه الله .

قرأنا كتابكم وتعجبنا غاية العجب من مضمونه حيث ان جلبالعساكر

لمقابلة الاشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعة الضرورية لحياتهم من الامور غير المعقولة ولا تطابق أصول العدل والمنطق بوجه من الوجوه ، ويحتمل ان يكون الاشخاص الذين يقصدون الافادة من ايجاد الخلاف بين اهالي العراق والانكليز هم الذين غشوكم لينالوا بواسطته مقاصدهم • وفي الليلة الماضية أردت مقابلتكم لرفع الشبهة من نفوسكم كي لاتغفلوا عن هذه النكتة ولكنكم امتنعتم عن ذلك ، وان نظرياتنا في أمور المملكة أصلح وأنفع من سوق الجيوش واستعمال القوة الجبرية • وأدعوكم عجالة لابلغكم أن توسلكم بالقوة في قبال مطالب البلاد واستدعاءاتها مخالف للعدل ولادارة البلاد ، واذا امتنعتم عن المجيء في هذه المرة أيضا فتصبح وصيتي للامة بخصوص مراعاة السلم ملغاة من ذاتها ، وأترك الامة وشأنها ، وبهذه الصورة تقع مسؤولية كل نتائج السوء عليك وعلى اصحابك • وفي الختام لي الامل أن تؤثر فيك هذه النصيحة كي لايقع ما يفسد النظام والامن وكي لاتكونوا سببا لاراقة دماء الابرياء •

الاحقر

محمد تقي الحائري الشيرازي

وبعد أن انتهى الشيخ محمد الخالصي من كتابة هذا الكتاب وقرأه على الشيرازي أمر الشيرازي أن تحذف لفظة « الاحقر » من التوقيع ، وهي اللفظة التي اعتاد الشيرازي وغيره من العلماء على كتابتها قبل ذكر الاسم ، فان هذه اللفظة تُشعر بالضعف بينما هو الآن في موطن الجدال مع الخصم(١٨) •

وقبل أن ينفض المجلس وصلت الى الشيرازي من الميجر بولي أوراق استدعاء يطلب فيها حضور المرزا محمد رضا وبضعة عشر رجلا معه للمذاكرة معهم • وفي الوقت نفسه حلقت ثلاث طائرات في الجو لارهاب الاهالي • فاستشار الشيرازي حاشيته فيما يجب أن يفعل ، فانقسموا في

---

(١٨) نقلا عن كتاب مخطوط للشيخ محمد الخالصي عنوانه « بطل الاسلام » •

الرأي • وعند هذا قام الشيرازي وخرج من المجلس بعد ان اوصاهم بالامتثال لرأي الشيخ مهدى الخالصي ، ولكن الخالصي قام بدوره أيضا وخرج دون أن يبدى رأياً •

قرر الشيخ محمد الخالصي ، وكان من جملة المطلوبين ، ان يمتنع عن تسليم نفسه حيث قال : « لا أعطي بيدي اعطاء الذليل ••• » ونزل الى السرداب فاختفى فيه • أما المرزا محمد رضا فقرر الاستجابة لطلب بولي ، وحين ذهب اليه تم اعتقاله ، كما اُعتقل معه آخرون ، فأرسلوا جميعا الى جزيرة هنجام ، وهم : هادي كمونه ، محمد شاه ، عبدالكريم عواد ، عمر العلوان ، عثمان العلوان ، عبدالمهدي القنبر ، أحمد القنبر ، محمد علي الطباطبائي ، كاظم أبو أذان ، ابراهيم أبو والدة ، أحمد البير •

لم يمكث المرزا محمد رضا في هنجام سوى شهر واحد تقريبا ، فقد تشفع له شاه ايران وطلب من الانكليز أن يسمحوا له بالمجيء الى ايران، فلبى الانكليز طلب الشاه ، وسلموا المرزا الى حاكم بندر عباس في ٢٨ تموز[١٩] • ومن هناك ذهب الى طهران حيث عاش بقية حياته • أما الآخرون فقد ظلوا في هنجام الى أن صدر العفو العام في العراق في ٣٠ أيار ١٩٢١ •

غافلـون :

كان نفي ابن الشيرازي واصحابه من أهم العوامل في اندلاع الثورة ـ كما سنأتي اليه في الفصل القادم • ولكن الانكليز كانوا غافلين يظنون انهم بهذا العمل « الصارم » قد قضوا على الثورة في مهدها •

قد يصح القول ان الانكليز كانوا فى تلك الايام يعيشون فى داخل قوقعتهم الذهنية لايعرفون ماذا يجري في خارجها • فمن يقرأ مذكرات ويلسون أو غيره من رجال الحكم في العراق يحس بوضوح بما كانوا عليه حينذاك من تفكير قوقعي • يقول ويلسون فى مذكراته : « كنت

---

(١٩) جريدة (العراق) ـ في عددها الصادر في ٣١ تموز ١٩٢٠ •

خلال شهري نيسان وأيار - من عام ١٩٢٠ - قد قمت بجولات متكررة بطريق الجو الى كل مركز اداري في العراق • وقد حصلت لي محادثات طويلة مع أشخاص يمثلون كل فئة أو طائفة ، وكل قبيلة كبيرة تقريبا ، وكل لون من ألوان الرأي السياسي • فكانت الآراء التي أبديت لي في هذه اللقاءات الشخصية والجماعية معا ، والتي جرت في مراكز متباعدة كل التباعد ، تخالف بالاجماع فكرة التعجيل في تأسيس نظام دستوري •• وكانت التقارير التي ظلت ترد بعدئذ من مختلف الحكام السياسيين حتى بداية حزيران تنطق بنفس المضمون •• »[٢٠] •

ان ويلسون حين كان يجتمع بالوجهاء والرؤساء في المراكز التي زارها ، ويسألهم عن آرائهم ، لابد أن يحصل منهم على الاجوبة التي يرغب بها • فهو يعتقد أنها آراءهم الحقيقية ولا يدري انها آراء اصطنعوها لارضائه على منوال ما اعتادوا مع الحكام منذ قديم الزمان •

كتب الكابتن مان معاون الحاكم السياسي في أم البعرور رسالة الى صديقة له مؤرخة في ١٨ حزيران ١٩٢٠ أشار فيها الى انتشار الدعوة الثورية في الفرات الاوسط ، ثم استدرك يقول ان هذه الدعوة لاداعي للخوف منها لانها لايمكن أن تؤثر الا على افراد قليلين من المتذمرين • ويذكر الكابتن مان ان عشائر منطقته لم تتأثر بتلك الدعوة الا قليلا ثم يأتي بأسباب ثلاثة ليبرهن بها على ان العشائر راضية عن الحكم البريطاني ومحبة له • وهي كما يلي :

اولا : ان العشائر اصبحت تحت الحكم البريطاني اوفر انتاجاً ، وان المعارك القبلية قد زالت ، وان العشائر تدرك بان انسحابنا من العراق سيعيد الوضع الى الفوضى التي كانت سائدة في العهد التركي •

ثانيا : ان الادارة البريطانية وفرت للناس طرقاً صالحة وسككا حديدية ، وأعادت الخصوبة الى الكثير من الاراضي • وان الناس كلهم يعلمون ان بقاء الانتداب عليهم يؤدي الى استمرار هذا التقدم •

---

(20) Wilson (op. cit.) vol. 2, P. 259.

ثالثا : ان الادارة البريطانية أضعفت تعسف الشيوخ الى حد كبير فان أفقر فرد في العشيرة يستطيع الآن أن يقدم عريضة ضد شيخـــه لقاء فلوس قليلة ، وهو واثق ان شكواه سينظر فيها • ان الفلاحين لاينظرون الى شيوخهم الآن كما كانوا ينظرون اليهم في الماضي(٢١) •

مشكلة الكابتن هي كمشكلة رئيسه ويلسون اذ هو ينظر الى الدنيا من خلال قوقعته الذهنية لا يعرف غيرها • وحين نقرأ رسائله التي كتبهـا الى أهله وأصدقائه نجدها لاتختلف كثيرا عن تقارير ويلسون • فان شيوخ منطقته كانوا يأتون اليه يمدحونه ويمدحون بريطانيا العظمى ، وهـــو يفرح بما يقولون ويصدق به ، ولايدري انهم قالوا مثل ذلك في العهد التركي مئات المرات ، فهي ألفاظ اعتادوا على تكرارها دون أن تكون لها أية أهمية عملية في نظرهم •

يروي الكابتن مان في رسالة له الى امه كتبها في ١٥ كانون الاول ١٩١٩: ان شابا من يهود بغداد يعمل في الاستخبارات الانكليزيـــة زاره في أم البعرور ، وصار يتحدث اليه عن العلاقة الموجودة بين الشعب والحكومة في تلك الايام ، فقال : ان الفرد العراقي قد يدخل الى دائرة حكومية في حاجة له فتراه يطنب في الثناء على الحكومة البريطانية حيث يصفها بأنها أعظم وأفضل حكومـة في العالم ، ويأتي بالكلمـات المعسـولة يظهر بهـا اخلاصه المتفاني للحكومة وطاعته لها ، ولكنه لايكاد يخرج من باب الدائرة حتى يقول : « متى يارب تنقذنا من جور هؤلاء الكفار » • ويعلق الشاب اليهودى على ذلك قائلا : ان الكلمات ليست ذات أهمية كبيرة لدى هؤلاء الناس المداحين ، فهي تغدو وتروح على أفواههم بلا مبالاة(٢٢) •

(21) MANN (Administrator In The Making) - London 1921 - P. 286-287.

(22) Ibid, P. 183-184.

حين يروي الكابتن مان كلام هذا الشاب اليهودي يقول انه من الصعب جدا فهمه • ولعله يقصد من ذلك انه لايحب أن يصدق بهذا الكلام لان التصديق به يؤدي الى انهيار جميع القصور الزاهية التى بناها في الخيال عن حب الشعب لهم •

ومما يلفت النظر ان الشاب بعد أن انتهى من كلامه أخذ يتملق للكابتن مان على شاكلة الذين انتقدهم ، حيث قال له : اني عربي وطني بالرغم من كوني يهوديا ، واني انما أخدم الانكليز لاني أعلم ـ كما يعلم كل انسان ـ ان اقامة حكومة عربية في هذه البلاد أمر مستحيل يستحق السخرية[٢٣] • وقد صدق الكابتن مان بهذا الكلام طبعا !

من طبيعة الانسان بوجه عام انه ميال الى تصديق كل مايلائم رغبته او مصلحته • أما اذا سمع ما يخالف ذلك فانه يحاول التقليل من قيمته او يفسره بالشكل الملائم له • ان النادر من الناس هو الذي يفهم الدنيا كما هي على حقيقتها •

---

(23) Ibid, P. 184.

الفصل الرابع عشر

انطلاق شرارة الثورة

أحدث نفي ابن الشيرازي ضجة كبرى في الفرات الاوسط ، وصار محور حديث المجالس والمضائف والدواوين والمقاهي . وكتب المرزا عبدالحسين - وهو الابن الثاني للشيرازي - رسائل الى رؤساء العشائر يحثهم فيها على العمل لانقاذ أخيه وأصحابه ، وقال لهم عن لسان أبيه : « هذا اليوم يومكم ! » .

اجتماع عشائري :

قرر السيد علوان الياسري وعبدالواحد الحاج سكر وأصحابهما عقد اجتماع عام يحضره رؤساء الفرات الاوسط للمداولة في الامر ، ووقع اختيارهم على مضيف السيد محسن أبو طبيخ ليكون محل الاجتماع ، وأرسلوا اليه يطلبون منه اعداد طعام العشاء للذين سيحضرون الاجتماع ولكن السيد محسن رفض تلبية الطلب وقال : « ان مضائف المشخاب كثيرة فلماذا يختار رؤساء آل فتلة مضيفه دون غيره ؟ أيريدون أن يكفروه مع السلطة لتصب عليه جام غضبها ؟ لهذا فانه يرفض عقد الاجتماع في محله »[1] .

تقرر أخيرا عقد الاجتماع في مضيف عبدالكاظم الحاج سكر في المشخاب . وفي ١١ شوال ١٣٣٨ هـ - الموافق لـ ٢٨ حزيران ١٩٢٠ م - تم عقد الاجتماع هنالك ، وحضره من الرؤساء : علوان الياسري وعبدالواحد الحاج سكر ومحسن أبو طبيخ وعبد زيد ومحمد العبطان وهنين الحنون وهادي المقوطر وعلوان الحاج سعدون وشعلان الجبر وهادي زوين ومرزوق العواد و وداي العطية وسلمان الظاهر ولفتة

---

(١) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) - صيدا ١٩٧٢ - ص ١١٧ .

الشمخي ومجبل الفرعون وجري المريع ، وغيرهم ، كما حضره عبدالرحمن خضر من بغداد ، والسيد محمد الباقر من الحلة .

افتتح الاجتماع عبدالرحمن خضر حيث صعد المنبر وأخذ يتحدث للحاضرين عما يعانيه الوطنيون في بغداد من مظالم الانكليز . وعندما انتهى من حديثه صعد المنبر مكانه السيد محمد الباقر وألقى قصيدة حماسية من نظمه مؤلفة من ستة ابيات ، ننقل منها الابيات الثلاثة الاولى :

بني يعرب لاتأمنوا للعدى مكراً
خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحذرا
يريدون فيكم بالوعود مكيدة
ويبغون ان حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا
أضاليلهم في الهند والكذب في مصرا

ثم التفت السيد محمد نحو رؤساء الخزاعل وخاطبهم قائلا : يامعشر خزاعة ان لمحمد عليكم دينا يوم قال « لا نصرني ربي ان لم أنصر خزاعة » فهل تفون اليوم دينه ؟! وعند هذا قام سلمان العبطان وجرد سيفه وهزه قائلا : « عند وجهك ، أنا أخو فاطمة ! » .

وبعد هذا كتب المجتمعون عريضة موجهة الى الميجر نوربري يحتجون فيها على نفي ابن الشيرازي وأصحابه ، ويقولون :

اذا أرادت الحكومة أن تحترم عواطف العراقيين وتهدىء خواطرهم الهائجة فلتعجل باطلاقهم ، وبذلك تراعي نواميس العدل وحقوق الشعب ولا تلجئه الى الخروج من دور المطالبة السلمية الى غيره .

ثم كتب المجتمعون بالاضافة الى ذلك رسائل الى شعلان ابو الجون وغيره من رؤوساء بني حجيم في الرميثة يشرحون فيها اعمال الانكليز الجائرة واستهانتهم بحقوق العراقيين ويذكرون وجوب الثورة عليهم للتخلص من ظلمهم . وقد حمل هذه الرسائل السيد محسن الياسري ،

ولكنه وصل الى الرميثة في يوم ١ تموز - أي في اليوم الثاني من انـدلاع شرارة الثورة فيها[٢] .

محاولة نوربري :

أرسل نوربري الى مجبل الفرعون يطلب منه ان يجمع رؤساء آل فتله في مضيفه في ١ تموز للاجتماع بهم . فأجتمع الرؤساء في الموعد المعين وهم لم يكونوا يعلمون بانطلاق شرارة الثورة في اليوم السابق ، وقد حضر الاجتماع من الجانب البريطاني أربعة حكام هم : الميجر نوربري والميجر نيچول والكابتن هوبكنز والكابتن مان .

لدينا روايتان عما جرى في الاجتماع احداهما من مصدر بريطاني وهي موجزة ، والاخرى من مصدر عراقي وهي مفصلة . فقد جاء في الرواية البريطانية : ان الاجتماع لم يحضره سوى قليل من رؤساء آل فتلة ، وان عبدالواحد ألقى فيه كلمة مثيرة وجهها الى الرؤساء بدلا من توجيهها الى البريطانيين ، وان البريطانيين عندما خرجوا على أثر انتهاء الاجتماع قوبلوا من أبناء العشيرة بأصوات الاستهزاء ثم قُذف زورقهم البخاري بالاحجار . وتؤكد الرواية البريطانية ان هذه الاهانة لم تكن تلقائية بل كانت مدبرة[٣] .

أما الرواية العراقية فقد رواها فريق المزهر الفرعون وهو ابن أخ مجبل ، وكان من جملة الحاضرين في الاجتماع . وملخص ما ذكره في هذا الشأن هو أن الميجر نوربري حاول اغواء مجبل الفرعون فأخذه الى خارج المضيف منفردا وأخذ يكلمه قائلا ان الحكومة البريطانية قوية جدا وتريد توطيد الأمن لكي يتسنى لها خدمة الشعب العراقي وتدريبه على الحكم ، وهي ستخرج من البلاد حالما يتم تدريب هذا الشعب ، ثم قال له :

---

(٢) عبدالشهيد الياسري (البطولة في ثورة العشرين) - النجف ١٩٦٦ - ص ١٧١ .

(3) MANN (Administrator In The Making) - London 1921 - P. 291 - 292.

اني أتيت اليك بأمر من الحاكم العام لتعاهدنا بأن تكون معنا فتنال بذلك الجاه العظيم وتكون أول صديق لهذه الحكومة المعظمة • فأجابه مجبل : ان تاريخ آل فتلة أبيض ناصع ليس فيه خيانة واني لا أستطيع أن أخون بلادي واخواني وديني • وحين فشل نوربري في اقناع مجبل الفرعون عاد الى الرؤساء المجتمعين فتكلم معهم بمثل ما تكلم مع مجبل ، فرد عليه عبدالواحد ناطقا بلسانهم قائلا : ان لنا غاية نسعى اليها وهي الاستقلال التام • فأجابه نوربري : ان هذا سيتم بعد أن تتدربوا على الحكم الذاتي تدريجيا • فرد عليه عبدالواحد : هل التدريب هو نفي العلماء والزعماء ، فاذا كنتم صادقين في قولكم فأطلقوا سراح المرزا محمد رضا نجل آية الله الشيرازي والآخرين من أحرار كربلاء ، وثانيا أجلوا الحكام السياسيين عن الفرات واجمعوهم في بغداد ونحن نرسل مندوبين عنا للمفاوضة معكم ، وعند ذلك نصدق بوعودكم ، أما الاقوال وحدها بالجمل المعسولة والوعود الخلابة فهي ليست سوى هواء في شبك • فكان جواب نوربري له : « طيب •• سننتظر »، ثم نهض للخروج هو ومن معه • وقد حاول نوربري أخذ مجبل الفرعون معه في زورقه البخاري ، ولكن مجبل أبى • وعند هذا هوّس أفراد العشيرة الذين كانوا واقفين خارج المضيف : « هج ما حصلني ورد خالي » ، و « يا عراگ لبابك فكينا »[٤].

محاولة ديلي :

أراد الميجر ديلي أن يعمل لتهدئة الوضع في منطقته كما فعل نوربري ـ ولكن بطريقته الخاصة • أرسل الى الحاج مخيف كبير رؤساء عفك يستدعيه اليه فلما وصل اليه أمر باعتقاله وابعاده الى البصرة • واستدعى اليه كذلك شعلان العطية من كبار رؤساء الاقرع ، وأودعه السجن • وكذلك فرض ديلي الاقامة الجبرية على بعض الرؤساء كان من بينهم السيد محسن أبو طبيخ • يقول السيد محسن في مذكراته

---

(٤) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ١٦٣ ـ ١٦٤ •

المخطوطة : ان الكابتن مان هو الذي ابلغه بأمر الاقامة الجبرية ولكنه أبدى امتعاضه من هذا الأمر ووعده بأنه سيبذل جهده لاقناع ديلي بالغائه • ويصف السيد محسن الكابتن مان بأنه « لين العريكة ومعتدل في سياسته وغير راضي عن سياسة الميجر ديلي » •

ويقول السيد محسن ان ديلي أراد في تلك الأيام أن يلهي العشائر ويشغلها فأمر بحفر جدول بين هور بن نجم ونهر الفرات ، وهو الجدول الذي تم حفره أخيرا وعُرف باسم « الجدول » ، ففرض على كل شيخ أن يحضر للحفر مع عدد من أفراد عشيرته • ولكن اجتماع الشيوخ في مكان واحد من أجل الحفر أدى الى عكس ما أراده ديلي ، لانهم صاروا يتداولون فيما بينهم للاتفاق وتوحيد الكلمة ، وبدأت الهوسات المثيرة تنتشر بينهم ، فلما سمع ديلي بذلك أمر بترك الحفر وبأعادة العشائر الى مواطنها(٥) •

لجأ ديلي الى طريقة أخرى ، وهي أنه استدعى اليه خمسين من شيوخ منطقة الديوانية ، وطلب منهم تنظيم مضبطة يتبرأون فيها من الحركة الوطنية ويعلنون رغبتهم في الوصاية البريطانية • فنظم الشيوخ المضبطة وفق طلبه ، ووقعوا عليها ، وأرسلوها الى ويلسون ببغداد ، وهذا نصها :

« نحن الموقعين أدناه رؤساء قبائل العراق نظراً لما نراه من العطف من الحكومة البريطانية المعظمة على العراق ، وسيرها به الى التمدن والعمران ، وبثها روح المعارف ، هذا فضلا عن مساعدتها المالية للزراع والمعوزين ، واحترامها المعابد والمساجد والاديان ، واعطائها الحرية التامة الى الشعب العراقي لابداء رأيه ، ونحن بناء على ذلك كله ، فاننا نطلب أن تبقى أدارة العراق تحت ادارة بريطانية كما هو موجود الآن ، وعندما ينضج وتكون به حكومة فاننا نرغب أن تكون تحت الوصاية الانكليزية الى

---

(٥) نقلا عن مذكرات السيد محسن ابو طبيخ المخطوطة • واني اشكر السيد جميل ابو طبيخ لاعارته تلك المذكرات لي •

أن تتم الحكومة العراقية وتكون مقتدرة لادارة شؤونها بنفسها ، وذلك باعتراف حكومة بريطانيا • أما المشاغبون من بعض العراقيين فاننا نطلب من الحكومة المعظمة التنكيل بهم ليتخلص العراق من أراجيفهم وحركاتهم الغير مرضية بنظر العموم »[٦] •

ومما يلفت النظر ان هذه المضبطة مؤرخة في ١٥ شوال ١٣٣٨ هـ ، وهو يوافق ٢ تموز ١٩٢٠م ، أي أن تنظيمها حدث بعد يومين من اندلاع الثورة في الرميثة • ولم يكن الرؤساء الموقعون على المضبطة يعلمون بالحادثة ، أما ديلي فكان يعلم بها ولكنه يحسبها بسيطة سيُقضى عليها خلال وقت قصير ، ولم يكن يدري انها الشرارة التي ستؤدي الى اشعال نار كبرى •

كيف انطلقت الشرارة :

يقول هالدين : ان الميجر ديلي سمع في ٢٥ حزيران ان عشيرة الظوالم وهي فرع من بني حجيم رفعت راياتها مظهرة انها في حرب مع الحكومة ، وفي اليوم نفسه أخبره الملازم هيات معاون الحاكم السياسي في الرميثة بأن رئيس الظوالم شعلان ابو الجون عليه دين للحكومة مضت عليه مدة طويلة وأصبح من الواجب استحصاله وقدره ثمانمائة روبية ، فأوعز ديلي باعتقال شعلان وبارساله اليه في الديوانية[٧] •

وفي ٣٠ منه أرسل هيات الى شعلان يستدعيه للحضور الى سراي الرميثة ، فلبى شعلان الطلب وحضر الى السراي في ظهر ذلك اليوم • تقول المس بيل : ان شعلان أبدى كثيراً من الشراسة في مقابلة هيات بحيث اضطر هيات الى حجزه وتوقيفه في السراي بقصد ارساله الى الديوانية[٨] •

---

(٦) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٢٥١ •

(7) Haldane (Insurrection In Mesopotomia) - Edinburgh 1922 - P. 73 - 74.

(٨) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨ •

ولكن فريق المزهر الفرعون يذكر العكس من ذلك اذ يقول : ان هيات استقبل شعلان بالعنف والتوبيخ وأسمعه كلاماً مراً لايمكن لزعيم الظوالم أن يسمعه مهما كانت العاقبة سيئة ، فقابله شعلان بشراسة وصلابة أشد اذ قال له : « ان هذه السياسة التي تسير عليها أنت وحكومتك ستجر الدولة البريطانية الى عاقبة سيئة لاسيما وان العراقيين تتغلغل النيران في قلوبهم وتنبه عواطفهم ، فأعلم بانك في العراق لا في هندستان وان العراقيين غير الهنود »(٩) .

الواقع ـ فيما يبدو ـ ان هيات هو الذي بدأ بابداء الخشونة تجاه شعلان فرد عليه شعلان بخشونة أشد ـ على نحو ما يجري في العراق عادة . وعلى أي حال فان هيات أمر بحبس شعلان لكي يرسله الى الديوانية بقطار الليل . وعند هذا التفت شعلان نحو تابعه الذي جاء معه طالباً منه أن يخبر ابن عمه غثيث الحرجان بأنه في حاجة الى عشر ليرات عثمانية وانها يجب أن تُرسل اليه قبل موعد القطار . ولما وصل الخبر الى غثيث عرف ان شعلان في حاجة الى عشرة رجال من شجعان العشيرة بدلاً من الليرات العشر . فبعثهم حالاً ، وأسرع هؤلاء الرجال الى السراي ولم يكن فيه سوى أربعة أفراد من الشرطة ، فقتلوا اثنين منهم ، وفر الآخران، ثم فتحوا باب السجن وأخرجوا شعلان منه وعادوا به الى عشيرتهم وهم يهوسون !

كان هيات في البداية يظن ان الأمر هين ، فتناول مسدسين محشوين وأسرع صاعداً الى سطح السراي بغية مصاولة المهاجمين بهما ، ولكنه وجد الأمر اكبر مما كان يظن ، ولاحظ أن الجمهور خارج السراي في حالة تجمع وهياج ، ولمح بين المتجمهرين حول السراي رجلين يحرضان الجمهور على مهاجمة السراي ، أحدهما اسمه السيد عباس البقال اذ كان يصرخ في من حوله قائلا : « اهجموا على السراي » والثاني اسمه سامي

---

(٩) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ .

أفندي كان موظفاً عند الانكليز سابقاً وفصلوه فاشترك مع المهاجمين في اطلاق النار على السراي • وأدرك هيات ان الأمر خرج عن نطاق قدرته ، فنزل من السطح وأبرق الى الميجر ديلي في الديوانية يخبره بما جرى •

أما شعلان فهو عندما عاد الى عشيرته سالماً أيقن ان العلاقة بينه وبين الحكومة قد انقطعت نهائياً وأنه قد أعلن الحرب عليها ويجب أن يواصل الحرب حتى النهاية • فجمع أفراد عشيرته وخاطبهم قائلاً : هل انكم تقبلون خدمة العدو الكافر الذي يبغض العرب والاسلام ؟! فأجابوه : الله اكبر ! أبداً لانرضى ! وعند هذا طلب شعلان منهم أن يقتلعوا أخشاب سكة الحديد التي تمر بأراضيهم وأعلن انه مستعد أن يدفع ليرة ذهب عن كل خشبة يؤتى بها اليه • فانثال أفراد العشيرة رجالا ونساءا على أخشاب السكة يقتلعونها ، وجاؤوا بها الى مضيف شعلان •••

تلك هي بداية اندلاع الثورة • وقد قال أحد الشعراء الشعبيين في الفرات الاوسط مفاخراً بها :

الدولة تعرف عندهم خوش رسميات
مايدري العراگ شبيه زلم آفات
من راحن فجر يمشن سبع تفگات
فكتوه وتمدد ناطوره[10]

ومن الجدير بالذكر ان الكتّاب العراقيين اختلفوا حول علاقة شعلان أبو الجون بالحركة الوطنية ، كل منهم يود أن ينسبه الى جهة دون أخرى على نحو ما فعلوا مع « الشهيد » الاخرس • ففريق منهم يحاول ربط شعلان بحزب الحرس ببغداد ويقول انه كان يحضر اجتماعات الحرس وهذا هو السبب الذي جعل الميجر ديلي يغضب عليه ويأمر باعتقاله[11] . ويذهب فريق ثاني الى القول بأن شعلان كان من جملة الرؤساء الذين

(١٠) عبدالله الفياض (الثورة العراقية الكبرى) ـ بغداد ١٩٧٤ ـ ص ٢٩١ ، ٢٩٩ •

(١١) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ـ بغداد ١٩٥٤ ـ ص ١٤٦ •

حضروا زيارة منتصف شعبان في كربلاء ، وان القرار قد تم بين الرؤساء هنالك أن يقوم كل منهم بالثورة في منطقته فكان من نصيب شعلان وابن عمه غثيث أن يقوما بالثورة في منطقة السماوة[١٢] • ويذهب فريق ثالث الى أن شعلان وغثيث أو غيرهما من رؤساء بني حجيم لم يحضروا زيارة منتصف شعبان ، ولكنهم حضروا بعدئذ في النجف ، واتصل بهم عبدالواحد الحاج سكر هنالك[١٣] • وهنالك فريق رابع يرى رأياً لايرضى عنه الاكثرون ، وهو ان شعلان أبو الجون لم يقم بحركته عن سابق تصميم أو اتفاق مع أحد ، بل هو قام بها من تلقاء نفسه بدافع ظروفه الخاصة ثم انتشرت الثورة بعد ذلك بتأثير عوامل مختلفة • ويمثل هذا الرأي الشيخ علي الشرقي أبداه في مقالات نشرها في جريدة «الهاتف» النجفية • وفيما يلي نبذة مما قال في هذا الصدد :

« ••• كانت الخطة في العراق أن تكون ثورة سلمية طويلة الامد ذات عناد وصلابة ، ومفاوضات ومراوغات ، بدون قتال ••• ولم يرسم القادة من العراقيين خططاً حربية ولا رتبوا مراكز للدفاع او الهجوم ، ولكن تعسف الحكام السياسيين من الانكليز وتعنتهم جرّ الى اطلاق رصاصة الرميثة بدون سابقة من المشتغلين في القضية من أهل الحل والعقد في الحواضر والارياف المهمة • عند ذلك وقف المخلصون تجاه الأمر الواقع إذ لايمكن ترك ابطال الرميثة يصطلون بنار العدو منعزلين عن اخوانهم ، بل لابد من الاشتباك والاشتراك ••• »[١٤] •

حادثة البو حسان :

استطاع الانكليز أن يجمعوا في الرميثة قوة بلغ مجموع أفرادها ٥٢٧ رجل ، وناطوا قيادتها بالكابتن براك لانه كان أرفع الضباط

---

(١٢) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ص ١٠٠ •
(١٣) عبدالشهيد الياسري (المصدر السابق) ـ ص ١٣٨ •
(١٤) فراتي (على هامش الثورة العراقية الكبرى) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ١٦ •

الموجودين رتبة . وحين تسلم براك زمام القيادة وجد أن السراي لايكفي لايواء جنوده كلهم ، فأمر باحتلال خانين مجاورين وأنزل بعضهم فيهما .

يقول هالدين : ان هيات بلغه في ٤ تموز أن البوحسان الذين يسكنون في قرية تبعد ميلاً ونصف الميل عن الرميثة أغاروا على سوق الرميثة فنهبوه وأرهبوا السكان ، فتقرر ارسال مفرزة مؤلفة من فصيلين من الجنود الى القرية لغرض الاستكشاف . ونيطت قيادتها بالملازم ماريوت وذهب معه الملازم هيات . وقد نصح هيات صاحبه ماريوت بأن لايتقيد بالأوامر الصادرة اليه حرفياً بل عليه أن يحرق القرية قبل أن يعود الى مقره . فكلفت هذه النصيحة الطائشة ثمناً غالياً لأن احراق القرية أدى الى تأخير عودة المفرزة ، فأتاح ذلك للثوار أن يتجمعوا من كل ناحية ، حتى بلغ عددهم ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ محارب ، وهاجموا المفرزة من كل جانب وكبدوها خسائر فادحة ، إذ بلغ عدد المفقودين منها ٤٣ ، وبلغ عدد الجرحى ١٦ . ويقول هالدين : ان هذه النكسة وان كانت صغيرة أنتجت نتيجتها المعتادة إذ صارت العشائر وأهل الرميثة يعلنون عداءهم للحكومة بشكل سافر ، وأخذت النيران تُوجه نحو الخانين من جميع محلات البلدة حتى قُتل من الجنود ستة وجُرح أربعة عشر . واضطر الكابتن براك من جراء ذلك الى سحب الجنود من الخانين واعادتهم الى السراي(١٥) .

وجدتُ في مذكرات السيد محسن أبو طبيخ ما يؤيد هذا الذي ذكره هالدين حول حادثة ألبوحسان ، فهو يقول : ان العشائر المحيطة بالرميثة هاجمت البلدة ليلاً واحتلتها وضربت حصاراً على الحامية الانكليزية ، وفي صباح اليوم التالي خرجت من الرميثة قوة انكليزية الى أحدى قرى ألبوحسان وضربتها بدون سبب وبدون انذار ، فتجمعت العشائر على القوة الانكليزية والتحمت معها في معركة ضارية وأرغمتها على الانسحاب تاركة وراءها كثيراً من القتلى والجرحى ، وكثيراً من

---

(15) Haldane (op. cit.) - P. 76 - 77.

الاسلحة والعتاد • ويصف السيد محسن أبو طبيخ الملازم هيات الـذي اقترف هذا الخطأ بأنه كان معروفاً بين العشائر بخفة عقله حتى أنهم كانوا يسمونه « أبو الططو » اشارة الى قلة رزانته •

الواقع ان هذه الحادثة قوت معنوية الثوار ، وجعلتهم يثقون بمقدرتهم على قتال الانكليز • وبعد ثلاثة أيام وقعت حادثة أخرى كانت أشد أثراً في تقوية معنوية الثوار : ففي مساء ٦ تموز وصلت الى العارضيات التي تبعد بستة اميال عن شمال الرميثة قوة انكليزية بقيادة الكولونيل مفيان قاصدة انجاد حامية الرميثة • فواجهت قوة من العشائر يقدر عددها بين الثلاثة آلاف والخمسة آلاف محارب ، وكان هؤلاء كامنين لها في جداول جافة تعترض الطريق • وفي صباح اليوم التالي وقعت بين الطرفين معركة ضارية تكبدت القوة الانكليزية فيها خسائر كبيرة • وفي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر هبت عاصفة ترابية ، فانتهز الكولونيل مفيان فرصة العاصفة وتمكن من الانسحاب نحو الشمال • ولكن العشائر ظلت تطارده طيلة النهار • وفي اليوم التالي استطاعت القوة الانكليزية أن تصل الى قرية الحمزة التي تبعد عن الرميثة بثمانية عشر ميلاً • وقد بلغ عدد قتلاها ٤٨، والجرحى ١٦٧ ، وكانت تلك خسارة كبيرة بالنسبة الى مجموع القوة(١٦) •

كان هالدين حين وقعت هاتان الحادثتان في « ساري ميل » التي تقع بالقرب من كرمنشاه في ايران • فتوجه حالاً الى بغداد لكي يشرف على ادارة المعارك عن كثب • وهو يقول في كتابه : انه كان يعلم بأن أية نكسة مهما كانت صغيرة تصبح لدى العشائر ضخمة بشكل مبالغ فيه ، ولهذا فانه أبرق في ٨ تموز الى وزارة الحرب في لندن ، والى قيادة الجيش في الهند ، يطلب منهم النجدة العاجلة ، ولكن الجواب عاد اليه

---

(16) Ibid - P. 77 - 78.

بالخبر المؤسف هو أن النجدة لايمكن ارسالها اليه قبل نهاية تموز(١٧) •

أضطر هالدين أن يجري بعض التنقلات العسكرية في داخل العراق لكي يوفر جزءاً من قواته لأجل الرميثة • وتمكن أخيراً من أن يعد في الديوانية رتلا قويا ناط قيادته بالجنرال كوننغهام •

نشاط حامية الرميثة :

أبدت حامية الرميثة صموداً غير قليل تجاه الحصار الذي فرضه الثوار عليها في داخل السراي • فقد كان السراي واقعاً على ضفة النهر ، وكان الثوار يطلقون النار على الجنود الذين ينزلون الى النهر للاستقاء منه • وقد قتل من جراء ذلك ثلاثة جنود ، فاضطر قائد الحامية الكابتن براك الى حفر ثلاثة آبار في ساحة السراي لتجهيز الحامية بالماء منها • وأخذ براك بالاضافة الى ذلك يوجه مفارز من جنوده بين آونة واخرى للاغارة على سوق البلدة وخاناتها من أجل الحصول على بعض المقادير من الطعام •

وفي ٨ تموز جاءت طائرة الى الرميثة والقت فوق السراي ثلاث صناديق من العتاد ، فلم يسقط في داخل السراي سوى واحد منها ، وأدى ذلك الى قتل أسير عربي كان موجودا هنالك ، كما جرح عريف هندي • وقد سقط الصندوق الثاني في النهر ، اما الصندوق الثالث فقد سقط في احدى البساتين ، وقد أمكن الحصول على الصندوقين بعد بذل جهود شاقة(١٨) •

أبرقت الحامية الى السماوة بواسطة الراقم الشمسي تخبرها بأن الطعام لديها قليل وأنه لايكفيها الا لمدة أقصاها ١٢ تموز • فأبرقت السماوة

---

(17) Ibid - P. 79.

(18) Ibid - P. 76 - 77.

بذلك الى بغداد • وتقرر وضع خطة للحصول على الطعام من بلدة الرميثة بشكل واسع النطاق • وبناءاً على هذه الخطة توجهت من بغداد في ١٣ تموز تسع طائرات قاصفة • وكان الغرض منها قصف الرميثة بالقنابل لكي ينشغل السكان بالقصف فيتمكن جنود الحامية من الخروج الى البلدة والاستحواذ على المقادير الكافية من الطعام منها •

لقد كان ذلك اليوم في الواقع يوماً فظيعاً على سكان الرميثة ، فحينما بدأت الطائرات بالقصف عليها خرج من السراي عدد كبير من الجنود وهم يحملون الاكياس والصفائح والبطانيات ، وصاروا يملأونها بما يقع في أيديهم من مختلف أنوع الطعام • وكان يغطيهم في ذلك فصيلان من الجنود • وقد تم الاستحواذ على نصف طن من الحبوب وعلى عدد من الدجاج والغنم ، وذلك يكفي لاطعام الحامية مدة اثني عشر يوماً • ويقول هالدين : ان هذا العمل أنقذ الموقف وأتاح وقتا كافيا لرتل كونتهام لانقاذ الحامية (١٩) •

وقعت في أثناء هذا النهب العام مذبحة للاهالي بشمة ، وكان سببها ان عدداً كبيراً من سكان البلدة بينهم النساء والاطفال التجأوا الى دار للحاج عبود سلهابة بغية الاحتماء بها من قصف الطائرات ، والظاهر ان الدار كانت تتميز عن غيرها من دور البلدة بمتانتها ، فجاء اليهم الجنود ووجهوا عليهم نيران بنادقهم ورشاشاتهم ، وقتلوا منهم نحو عشرين ، حتى سالت الدماء الى خارج الدار (٢٠) •

والغريب ان هالدين حين يشير الى هذه المذبحة في كتابه يعتبرها من مظاهر النجاح الذى نالته الحامية في ذلك اليوم • فهو يقول : ان جنود

---

(19) Ibid - P. 77 - 81.

(٢٠) عبدالشهيد الياسري (المصدر السابق) ــ ص ٣٢١ •

التغطية نجحوا في عملهم كنجاح الذين جمعوا الطعام اذ هم قتلوا من سكان البلدة عشرين دون ان يتكبدوا من جانبهم أية خسارة[٢١] •

وساطة فاشلة :

اجتمع وجهاء الرميثة على أثر ما جرى في يوم ١٣ تموز وقرروا الاتصال بالانكليز وبالثوار لانقاذ بلدتهم من هذه المحنة ، وبعد المداولة وقع اختيارهم على السيد محمد السيد محمود ، وهو من السادة المحترمين في البلدة ، وطلبوا منه الذهاب الى الانكليز والى العشائر للمباحثة معهم في ذلك •

وافق السيد محمد على القيام بهذه المهمة ، واختار أن يصحبه عند ذهابه الى الانكليز سامي أفندي والسيد عباس البقال ، ولم يكن يدري أن الملازم هيات حاقد عليهما حقداً شديداً لما قاما به في يوم الهجوم على السراي •

توجه السيد محمد الى السراي بصحبة هذين الرجلين ، وهو يحمل علماً ابيض ، فأدخلوهم الى السراي عن طريق نفق تحت الارض بعد أن وضعوا عصابة على أعينهم • ولم يكد هيات يقع بصره على الرجلين حتى أصدر أمره بقتلهما حالا ، ولكنه استدرك على عجل فألغى أمر القتل والتفت نحو السيد محمد ، وكان يعرفه شخصياً ، سائلا اياه عن سبب مجيئه ؟ فأخذ السيد محمد يشكو اليه مما حل ببلدة الرميثة من نكبات ، وذكر له بوجه خاص حادثة الدار التي قُتل فيها عشرون شخصاً فيهم النساء والاطفال ، فأبدى هيات أسفه واعتذاره وقال انه لا يعلم بها ووعد بعدم تكرارها • وبعد حديث قصير قال هيات للسيد محمد : « اني ارغب أن تكون وسيطا بين الحكومة والعشائر لاجراء مفاوضات من أجل ايقاف

(21) Haldane (op. cit.) - P. 77.

القتال • فوافق السيد محمد على القيام بهذه الوساطة • وتم الاتفاق بينهما على أن يذهب السيد محمد الى رؤساء العشائر الثائرة فاذا وافقوا على ايقاف القتال ذهب هو بصحبة ضابطين بريطانيين الى الجنرال كوننغهام في الديوانية لعرض الامر عليه (٢٢) •

كان رتل الجنرال كوننغهام في ذلك الوقت في طريقه الى الرميثة قادما من الديوانية ، وفي ١٨ تموز كان معسكرا على الفرات على بعد ١٦ ميلا من الرميثة • وهناك وصل اليه السيد محمد السيد محمود يسعى للتوسط بين العشائر الثائرة والانكليز •

لدينا روايتان عما جرى في هذا الشأن ، احدهما من السيد محمد السيد محمود ، والثانية وردت في كتاب الجنرال هالدين • فالسيد محمد يروي انه عند مقابلته للقائد كوننغهام قال له القائد انه مستعد للتفاوض مع العشائر وسمح له بالذهاب اليهم للتكلم معهم ، فذهب السيد محمد اليهم واجتمع بهم ، وكان من بينهم شعلان أبو الجون وغثيث الحرجان وساجت الثويني وعبدالعباس الفرهود وناصر الحسين ومطلق الجياد • وقد حضر الاجتماع كذلك السيد جعفر أبو طبيخ والسيد عبدالعزيز أبو طبيخ • وتم الاتفاق على أن يكتب الرؤساء عريضة يضمنونها مطاليبهم وهي جلاء القوات الانكليزية ومنح العراق الاستقلال • وحمل السيد محمد العريضة الى كوننغهام • ويقول السيد محمد : ان كوننغهام حين استمع الى فحوى العريضة من المترجم أخذها من يده ورمى بها الى الأرض وداسها بحذائه ، وقال للمترجم : « أخبر السيد محمد بأني لست مأمور استقلال وانما أنا مأمور حرب • واني سأطحنهم طحناً » ، ومسح احدى يديه بالاخرى • ثم أمر بابقاء السيد محمد في المعسكر • وفي اليوم التالي أرسله الى رؤساء العشائر ليخبرهم بأن الجيش لا يريد التعرض لهم بل هو يريد الوصول

---

(٢٢) عبدالشهيد الياسري (المصدر السابق) ــ ص ٣٣١ ــ ٣٣٤ •

الى الرميثة ، وسوف تجري المفاوضة معهم هنالك • وحين وصل السيد محمد الى الرؤساء وأبلغهم بما قال كوننغهام أجابوه : « اننا سنحاربه والموعد معه في العارضيات »[٢٣] •

اما هالدين فيروي الحادثة كما يلي :

« بدا لنا خلال وقت قصير كأن العشائر القريبة من الرميثة تسعى نحو الصلح ، وذلك من جراء التقدم الذي أحرزه رتل النجدة ، وقصف الطائرات ، ونشاط الحامية • ففي ١٧ تموز سمع معاون الحاكم السياسي الملازم هيات ان رؤساء العشائر يرغبون في الاجتماع به ، وقد حصل الاجتماع فعلا حيث حضره شعلان ورئيس آخر • وكان من الواضح أنهما كانا يرغبان في الصلح ، وقيل لهما ان كل من يقاوم القوات الزاحفة نحو الرميثة سوف يُسحق • فأدى ذلك الى الاتفاق مع الملازم هيات على أنه في حالة اتباعهما نصيحته سيزور الحاكم السياسي للواء ويبذل جهده لتخفيف عقوبتهما • وقد دل عمل هيات طول الوقت على الحكمة والشجاعة • وفي اليوم التالي ذهب هيات بصحبة حارس عربي الى الجنرال كوننغهام قائد الرتل ، فوافق القائد على مقابلة الرئيسين ان هما رغبا في ذلك ، ووعد بالمحافظة على سلامتهما • ولكن المقابلة لم يمكن تدبيرها مع الاسف ، وواصل الرتل سيره »[٢٤] •

ان هاتين الروايتين مختلفتان من بعض الوجوه ، ولكننا نستطيع مع ذلك أن نجد بعض أوجه التشابه بينهما • فمن طبيعة الرواة للحوادث ان كل واحد منهم يهمل بعض التفاصيل في روايته بينما هو يؤكد أو يبالغ في تفاصيل أخرى حسبما تملي عليه عواطفه أو ميوله اللاشعورية • ولكن

---

(٢٣) المصدر السابق — ص ٣٢٤ — ٣٢٦ •

(24) Haldane (op. cit.) - P. 84.

الباحث المحايد يستطيع أن يستشف شيئاً من الحقيقة من خلال الروايات المختلفة .

معركة العارضيات الثانية :

تحرك رتل الجنرال كوننغهام من موقعه الذى كان فيه متجها نحو الرميثة ، يصحبه قطار طويل تسحبه ثلاث قاطرات وهو يحمل المؤون والعتاد والمواد الطبية . وكان سير الرتل على الجانب الايمن من نهر الفرات ، أي الجانب الغربي ، فوصل الى العارضيات في ١٩ تموز ، وهي تقع على بعد ستة أميال من الرميثة كما أسلفنا .

كانت العشائر قد أستعدت لمقاومة الرتل في العارضيات وقد بلغ عددهم نحو ٥٧٠٠ محارب ، وهم من بني زريج وألبوحسان وبني عارض والظوالم والاعاجيب[٢٥] . وقد ذهل الانكليز لما وجدوا في العشائر من استعدادات حربية متقنة . ويقول هالدين : ان هذه الاستعدادات لابد أن تكون من تدبير ضباط محترفين من بقايا الجيش العثماني ، ولا بد ان يكون هؤلاء موجودين بين العشائر يوجهونها[٢٦] . نسي هالدين ان العشائر تمارس الحروب منذ زمن بعيد ، وكثيرا ما أشتبكت في معارك ضارية مع القوات التركية ، وهي ليست اذن في حاجة الى من يعلمها فنون الحرب .

وفي الساعة الواحدة والدقيقة العاشرة من بعد ظهر ذلك اليوم ، بدأ الرتل يطلق مدافعه على الثوار ، ثم تقدم المشاة ولكنهم منوا بخسائر من جراء النيران التي وُجهت اليهم من الجانب الايسر . وبعد ثلاث ساعات ونصف بدأ الهجوم من قبل فوجين ، أحدهما مؤلف من السيك ، والثاني

---

(٢٥) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٤٦٨ .
(26) Haldane (op. cit.) - P. 85.

من المهراتا ، ولكن الهجوم لم يؤثر في الثوار شيئاً لانهم صمدوا في مواقعهم(٢٧) .

وبعد نصف ساعة من بدء الهجوم وصلت الى الرتل نجدة مؤلفة من الكركة كان هالدين قد ارسلها على عجل من الفرات الاعلى ، وهي بقيادة الكولونيل سكوت ، وكان وصول هذه النجدة في وقت مناسب جدا بالنسبة للرتل أنقذه من وضع حرج . وقد صدرت الاوامر الى الكولونيل سكوت أن يزحزح الثوار من ضفة النهر ويعبر الى الضفة الاخرى .

حل الليل دون ان يتمكن الرتل من كسب أي نصر ، واشتد القلق بالقائد كوننغهام لنفاد الماء والعتاد لديه وكثرة الجرحى ، فأبرق الى الديوانية يطلب منها قطارا محملا بالماء والعتاد والمواد الطبية . فوصل القطار في اليوم التالي .

وفي فجر اليوم الذى تلاه - أي ٢٠ تموز - عبرت ثلاث فصائل من الكركة نهر الفرات الى الجهة اليسرى منه تحت حماية الرشاشات والمدافع. يقول السيد محسن ابو طبيخ في مذكراته : ان هذا العبور هدد العشائر بالالتفاف من وراءها مما اضطرها الى الانسحاب من مواقعها تحت جنح الظلام . أما فريق المزهر الفرعون فيعزو انسحاب العشائر الى سببين : أولهما نفاد عتادهم وكثرة قتلاهم وجرحاهم ، والثاني انهم رأوا من التدبير الحربي أن يفسحوا المجال للرتل لكي يصل الى الرميثة ثم يقطعون عليه بعدئذ خط الرجعة(٢٨) .

في الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة من بعد ظهر ٢٠ تموز دخلت الخيالة الانكليزية بلدة الرميثة . ثم دخل الرتل اليها بعد ذلك ، ولكنه

---

(27) Ibid - P. 86.

(٢٨) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) - ص ٤٧٠ .

لم يمكث فيها سوى مدة قصيرة • ففي الساعة الخامسة والنصف من صباح ٢٢ تموز غادر الرتل الرميثة متجها نحو الديوانية • وكانت الحامية قد أخلت الرميثة في اليوم السابق • وقد أغارت العشائر على الرتل في الطريق ولكنها لم تنجح في غاراتها الا قليلا •

يقول هالدين : ان النصر الذي ناله كوننغهام في العارضيات أزاح عن نفسي حملا ثقيلا ، وان الهزيمة التي حلت بالثوار هنالك وقد بلغ عددهم خمسة وثلاثين ألفاً أعطتنا مهلة للتنفس كما دعمت موقف الشيوخ الذين كانوا يحاولون ضبط عشائرهم الثائرة • ويقول هالدين في تعليل اخلاء الرميثة : ان الاحتفاظ بهذه البلدة يحتاج الى قوة كبيرة مع العلم ان القوات المتوفرة لدى القيادة العامة حينذاك كانت قليلة ، ولهذا كان من الضروري سحب القوات البعيدة عن العاصمة الى مقربة منها لكي يكون في الامكان ادارتها بأمن وطمأنينة(٢٩) •

بلغت خسائر الثوار حسب رواية الثوار انفسهم خمسمائة قتيل • أما خسائر الانكليز حسب رواية الثوار فقد كانت اكثر من ثلاثة آلاف بينهم ستون ضابطا(٣٠) • أما هالدين فيقدر خسائر الانكليز بـ ٣٥ قتيلا بينهم ثلاثة ضباط بريطانيين ، و ١٥٢ جريحا بينهم ضابطان بريطانيان(٣١) •

موقف الشيرازي :

مما يجدر ذكره ان عشائر الرميثة ظلت تقاتل الانكليز وحدها نحو اسبوعين دون ان تسرع الى نجدتها أو تخفيف الضغط عنها أية عشيرة أخرى من عشائر الفرات الاوسط •وقدكان ذلك مثار ألمشديد للشيرازي في كربلاء وللمجتهدين الآخرين في النجف •

---

(29) Haldane (op. cit.) - P. 88 - 89.

(٣٠) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) — ص ٤٧١ •

(31) Haldane (op. cit.) - 87 - 88.

يقال ان الشيرازي عندما بلغته كثرة الجنائز المنقولة من الرميثة الى النجف أخذ يعلن تذمره من تقاعس العشائر الاخرى عن نجدة عشائر الرميثة ، وقد قال ذات مرة أمام بعض الرؤساء الذين زاروه في ذلك الحين : « ان مثلكم مثل جماعة وقفوا على الساحل ، فألقى أحدهم بنفسه في اليم أفلا يجب على أصحابه اِلقاء أنفسهم معه لاخراجه وانقاذه ؟ ... يجب انقاذ الغريق قبل ان يبتلعه اليم . وبما ان الذين تصادموا مع القوة غرقوا فيلزم انقاذهم أو تغرقوا معهم »(٣٢) .

قرر الشيرازي بعد مشاورة أصحابه أن يرسل وفدا عنه الى ويلسون في بغداد لمفاوضته في أمر ايقاف القتال حقناً للدماء . وقد اختار لهـــذا الغرض رجلين هما السيد هبةالدين الشهرستاني والمرزا أحمد الخراساني، وأرسل معهما رسالة الى ويلسون يعرض فيها بعض الشــروط من أجل ايقاف القتال عند حده قبل أن تنضم العشائر الاخرى اليه ، وهي : سحب القوات الانكليزية من منطقة القتال واعلان العفو العام واعادة المنفيين . فذهب الرجلان الى بغداد وهما يحملان رسالة الشيرازي ، واتصـــلا بالقنصل الايراني العام ليكون وسيطا لهما عند ويلسون ومترجما . وقـــد اهتم القنصل بالامر وذهب الى ويلسون طالبا منه تعيين موعد لمقابلة الرجلين المرسلين من قبل الشيرازي . غير ان ويلسون رفض مقابلتهمـــا وقال للقنصل : اني لا أصدق برسالة الشيرازي لانه هو الذي بذر هذه البذرة وهـــذا يوم حصادها ، كما اني لا أوافق على اطلاق سراح ابنه . فعـاد الرجلان الى كربلاء خائبين(٣٣) .

---

(٣٢) عبدالشهيد الياسري (المصدر السابق) ــ ص ١٩٣

(٣٣) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ــ ص ٣٤٧ .
وعبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ــ ص ١٢٠ .

المشهور عن الشيرازي أن له فتوى أجاز بها الثورة المسلحة تسمى بـ « الفتوى الدفاعية » ، وهذا نصها : « مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والامن ، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز عن قبول مطاليبهم » .

مما يلفت النظر في هذه الفتوى انها غير مؤرخة على الرغم من أهميتها ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخها ، فمنهم من يقول انها صدرت قبل نفي ابن الشيرازي الذى جرى في ٢٢ حزيران ١٩٢٠[٣٤] ، ومنهم من يقول انها صدرت بعد نفيه[٣٥] ، وهناك قول ثالث هو انها صدرت على أثر اندلاع الثورة في الرميثة في ٣٠ حزيران[٣٦] ، وقول رابع هو أنها صدرت في ٢٩ تموز[٣٧] ، وتشير بعض المصادر البريطانية الى أنها صدرت في ٦ آب[٣٨] .

يرجح في ظني ان الشيرازي أصدر فتواه بعدما اشتدت المعارك في الرميثة وفشلت محاولته في المفاوضة مع ويلسون . فقد أدرك حينذاك ان الافتاء بالثورة المسلحة ضروري لتشجيع العشائر على مساعدة عشائر الرميثة في القتال .

عثرت في كتاب مخطوط للشيخ محمد الخالصي ـ الذي كان حينذاك بمثابة الكاتب للشيرازي ـ ما يلقي شيئاً من الضوء على هذا الموضوع . وهذا نص ما قاله الخالصي :

« ... وكانت ترد كتب رؤساء القبائل الى آية الله الشيرازي فكان

(٣٤) عبدالله الفياض (المصدر السابق) ـ ص ٢٨٦ .
(٣٥) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ص ١٠٦ .
(٣٦) علي البازركان (المصدر السابق) ـ ص ١٤٠ .
(٣٧) مصطفى أسد خان (سيرة آل اسد خان) ـ بغداد ١٩٦٧ ـ ص ٧٧ .
(٣٨) فيليب آيرلاند (العراق) ترجمة جعفر خياط ـ بيروت ١٩٤٩ ص ٢٠٨ .

مواضبا على اتخاذ خطة السلم واخماد نار الفتنة في أجوبته ، حتى أن بعض رؤساء القبائل كتب اليه بعد القبض على ولده : ان اعمال الانكليز في القبض على ولدك قد بلغت الغاية من القسوة والظلم وهتك الحرمات فمرنا أن ندافع عن أنفسنا بالسلاح • فأرسل لي الكتاب وأمرني أن اكتب في جوابه ما ملخصه : ان ابني ومن معه أبعدوا في سبيل القضية العراقية ، فلا ينسيكم ابعادهم قضيتكم ، ولا تشتغلوا بطلب عودتهم عن المطالبة بحقوقكم ، ولا تجعلوا القبض عليهم سببا لحمل السلاح ، فتلهيكم القضايا الشخصية عن المطالب العامة ، واياكم ان تجردوا سيفا ولو رأيتموني بيد الانكليز الا أن يسوق الانكليز جيشا لمحاربتكم بسبب اصراركم على المطالبة بحقكم المنصوب ، فهناك يجب الدفاع ، ولا تذكروا فى دفاعكم الا القضية العراقية والاستقلال الناجز التام • فكتبت هذا بأمره وما زلت أكتب في أجوبة المكاتيب التى ترد من رؤساء القبائل ما يقرب من هذا ، فيوقعه ويأمرنا بارساله ، الى ان وردت عدة كتب من عدة من رؤساء القبائل يخبرون فيها بأن الانكليز ساقوا جيشا للقبض عليهم وتواروا هم عن الجيش والامر دائر بين الاستسلام للانكليز او الحرب • فأمرني أن أكتب ما ملخصه : اني قد فديت استقلال العراق بولدي ومن عزّ عليّ وأنا مستعد بأن افديه بنفسي وهي قصارى ما أملك ، أما انتم فان أصر الانكليز على غصبكم حقكم وقابلوا التماسكم بالحرب فيجب عليكم الدفاع بجميع قواكم ويحرم الرضوخ لهم والاستسلام • ولما وصلت كتبه هذه الى رؤساء القبائل صادفت ورود جيوش الانكليز الى الكوفة والحلة والهندية للتنكيل بالقبائل التي كانت تطالب الانكليز بعهودهم ووعودهم في استقلال العراق ، فالتحمت تلك القوى بالقبائل ، وانتشرت كتب آية الله الشيرازي ، ونشبت لظى الحرب بين الفريقين ووقع ما كنا نحذر ••• »[٣٩]

---

(٣٩) نقلا عن كتاب « بطل الاسلام » المخطوط •

محاولة الاصفهاني :

قام الشيخ فتح الله الاصفهاني في النجف بمحاولة آخرى للتوسط لايقاف القتال . ففي ٨ تموز كتب الاصفهاني رسالتين احداهما موجهة الى العشائر يطلب منهم ايقاف القتال وترك محاربة الحكومة ، والثانية موجهة الى ويلسون يطلب منه اعادة المنفيين واستعمال اللين مع العشائر الثائرة . وفيما يلي نص الرسالة الاولى :

بسم الله الرحمن الرحـــيم

السلام على اخواننا المؤمنين ورؤساء العشائر وزعماء القبائل ورحمة الله وبركاته .

أبدي لكم أنه بعد ما بلغنا خبر بعض المشاغبات وبعض المضادات مع الحكومة رأيناه على خلاف المصلحــة الحاضرة فاشتغلنا بمذاكرة الحكومة على التأمين التام حتى على من عُلم منه بعض التشويشات وعلى ارجاع المنفيين وعلى اصلاح ذات البين ونرجو التوفيق في ذلك . الا ان اللازم فعلا السكون وترك مضادة الحكومة وسلوك الطريق السلمية والاقتصار على مطالبة الحقوق الشرعية من غير ثورة ولا فتنة حتى نقدر على استدعاء المواد السابقة الذكر من الحكومة . واياكم ان تقابلوا الحكومة بقول أو فعل ينافي مطلوبنا ومطلوبكم وأرجو من جميعكم عدم الخروج عن هـذه الخطة انشاء الله .

٢١ شوال ١٣٣٨ شيخ الشريعة الاصفهاني(٤٠)

أما الرسالة الثانية الموجهة الى ويلسون فهي طويلة لايسع المجـــال نقلها بكاملها ، بل نكتفي بنقل جزء منها كما يلي :

---

(٤٠) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ــ ص ١١٧ .

عن النجف الاشرف

٢١ شوال سنة ١٣٣٨ الموافق ٨ تموز ١٩٢٠

حضرة صاحب الفخامة قام مقام الحاكم الملكي العام في العراق دامت معدلته •

أخذنا كتابكم المؤرخ ٢ يوليو سنة ١٩٢٠ وفهمنا مقاصدكم وما يريده القائد العام لجيوش الاحتلال • وقد أظهرتُ لكم سابقا ما يجب في لزوم اتخاذ التدابير السلمية وارجاع المنفيين واظهار الشفقة على سواد الناس من الحاضر والبادي قبل تفاقم الامر وقبل أن ينجر الى ما يخرج علاجه من مقدرتنا ••• وفي هذه المدة الطويلة قد عرفتم مسلكي : اني أطلب دائما راحة العباد وتأمين البلاد والروابط الودية بين الحكومة المعظمة والامة العراقية • والذي أقوله صداقة للحكومة وأراه طريقا وحيدا في تسكين التشويشات وحفظ الامن العام واعادة الاحوال الى سابقها أن تساعدونا وتقبلوا شفاعتنا في اطلاق سراح المنفيين واستعمال المودة مع المتظاهرين الذين نسبت اليهم التشويشات ـ يقصد الثائرين ـ لكي يسعنا التسكين ومكاتبة الجميع بالانقياد والطاعة وموافاة الحكومة متى أرادت مواجهتهم ، فاذا رأوا من الحكومة احترام الحقوق الامية ومعاملة العراقيين معاملة مودة وشفقة صار لنا كل الامل بقدرتنا على اعادة الاحوال الى سابقها وتسكين الناس من الهياج والله المستعان •

شيخ الشريعة(٤١)

لم تؤد جهود الاصفهاني الى نتيجة • فقد امتنع ويلسون عن الاجابة على رسالته كما أن العشائر الثائرة لم تتوقف عن القتال • وسارت ماكنة الزمن في سبيلها لا تلوي على شيء !

---

(٤١) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ١١٢ ـ ١١٣ •

الفصل الخامس عشر

محـــاولات ومـــكايدات

أشرنا في الفصل الماضي الى أن عشائر الرميثة ظلت تقاتل الانكليز وحدها زهاء اسبوعين دون أن تسرع الى نجدتها أية عشيرة أخرى من عشائر الفرات الاوسط • ويمكن أن نعزو سبب ذلك الى ما كان بـين عشائر الفرات الاوسط من عداوات قديمة وأحقاد وثارات ، فكانت كل عشيرة تخشى أن تشارك في الثورة فينتهز خصومها الفرصة ويتآمروا مع الانكليز للانتقام منها • وكان الحكام الانكليز يدركون ذلك فأخـــذوا يستغلونه بشتى الوسائل ، وبذلوا فيه الاموال الطائلة •

يقول ويلسون في مذكراته : « كانت المشكلة هي في ابقاء بني حسن منعزلين عن عشيرة آل فتلة المناوئة لنا ، وفي العمل على جعل الخزاعل محايدين هم وحلفاؤهم آل شبل • وقد تحقق الهدف الثاني عن طريق اجتماع عقد في أم البعرور في ٦ تموز حضره الميجر نوربرى والكابتن مان وثلاثة من شيوخ الخزاعل ، حيث تعهـد هؤلاء الشيوخ الثلاثة بالوقوف الى جانب الانكليز مقابل وعدهم بالحصول على الاراضي التي أُعطيت الى آل فتلة ظلما في أيام الاتراك »[١] •

دور الكابتن مان :

لعب معاون الحاكم السياسى في أم البعرور الكابتن مان دورا بالغ الاهمية في التفريق بين العشائر وفى عرقلة انتشار الدعوة الثورية فيها • يصف محمد علي كمال الدين هذا الحاكم بما نصه : « كـــان حـــاكم الشامية[٢] الكابتن مين يمثل الاستعمار الانكليزي خير تمثيل بما يحمل

---

(1) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 296.

(٢) ان البلدة التي تسمى اليوم بـ « الشامية » كانت يومذاك تسمى « أم البعرور » ، بينما كان اسم « الشامية » يطلق على المنطقـــة كلهـــا •

من صفات الثعلب الماكر الذى يجيد الخداع والمراوغة ، ويلبس لكل حالة لبوسها . وها نحن نستعرض تلك الاعمال العجيبة التى قام بها في المنطقة ومحاولاته اليائسة لضرب القبائل بعضها بالبعض الآخر . فكان يذهب تارة الى الخزاعل وأخرى الى اراضي مرزوق العواد ، وطورا الى هور الدخن ، حيث يحرض الشيخ خادم الغازي على القيام ضد الشيخ علوان الحاج سعدون الرئيس العمومي لقبائل بني حسن ، وكاد يفوز بمهمته لما بذله من الاموال الطائلة . وقد تمكن بمسعاه من ايقاف قبائل الشامية عن اعلان الثورة ... فكان على اتصال تام بالشيخ مرزوق العواد ، ويراجعه بصورة دائمة ، ولكن الشيخ مرزوق كان يذهب كل ليلة الى الشيخ علوان الحاج سعدون بصورة سرية ويطلعه على تحركات هذا الحاكم وأعماله ، فمثل دور الوسيط بين الطرفين ، ولولا دهاء الشيخ علوان وعظيم نفوذه على الشيخ مرزوق لكان من الجائز ان يتمكن هذا الحاكم الداهية في أقل الفروض من اقناعه على التزام جانب الحياد ... »[3] .

ويعطينا الميجر نوربرى في تقرير له وصفا آخر للكابتن مان من وجهة النظر البريطانية ، فهو يمدحه كل المدح لما أبداه من براعة في حكم منطقته وفي توثيق علاقاته مع شيوخها . ويذكر نوربرى في تقريره من اولئك الشيوخ بوجه خاص رؤساء الخزاعل سلمان الظاهر وسلمان العبطان ومحمد العبطان ، وهو يقول عن عشيرة الخزاعل بأنها فقدت مكانتها في العهد التركي ، وان ويلسون وافق على اعادتها الى مكانتها القديمة عندما تسنح الفرصة . ويذكر نوربري أيضا مرزوق العواد رئيس العوابد ويصفه بالشجاعة وبالمزاج الحاد ويقول ان صداقته مع الكابتن مان لاتقدر بثمن فقد حماه في وقت الخطر وساعده مساعدة كبيرة . وكذلك يذكر

(٣) محمد علي كمال الدين (معلومات ومشاهدات) ـ بغداد ١٩٧١ ـ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

نوربري الحاج حمود والحاج جاسم من رؤساء الحميدات ، ويشير الى الصلات الوثيقة التي كانت قائمة بينهما وبين الكابتن مان • ويقول نوربري: ان الثورة عندما اندلعت في الرميثة أخذت عدواها تسرب الى منطقـــة ام البعرور وعند هذا صار الكابتن مان يبذل جهود الابطال لمنع تسرب الثورة الى المنطقة ، فكان يتجول بين العشائر ليلا ونهارا ، لايهدأ ولا يستريح ولا يبالي بالخطر المحدق به ، وكان صديقه مرزوق العواد يرافقه فـي جولاته ، وكانا في أول الامر يتجولان بلا حماية ثم جاء له مرزوق أخيرا بحراس مسلحين من عشيرته لحمايته(٤) •

اجتماع فاشل :

كان الميجر نوربري قد طلب من بعض الرؤساء الاجتماع بهم فـي موضع يختارونه للنظر في مطاليبهم ، فاختاروا مضيف مرزوق العـــواد القريب من أم البعرور • وقد حصل الاجتماع فيه في ٥ تموز ، وحضره من الرؤساء عبدالواحد الحاج سكر وعلوان الياسري ونور اليـاسـري ومحسن ابو طبيخ وعلوان الحاج سعدون ورايح العطية وسلمان الظاهر وسلمان العبطان ومحمد العبطان وعبادي الحسين وشعلان الجبر وهنين الحنون ومجبل الفرعون وفريق المزهر الفرعون • كما حضره مـــن الجانب البريطاني الكابتن مان وحده ، وقد اعتذر عن غياب نوربرى وقال انه جاء لحضور الاجتماع بالنيابة عنه •

لوحظ ان رؤساء آل فتلة كان معهم عند قدومهم الى الاجتماع نحو مائتي مسلح من اتباعهم ، كما ان الكابتن مان كان معه ما بين أربعين وخمسين مسلحا من الشبانة والشرطة • ويشير مصدر بريطاني الى ان النية كانت متجهة الى اعتقال عبدالواحد وعلوان الياسري غير أن وجود الاتباع المسلحين

(4) MANN (Administrator In The Making) - London 1921 - P. 312 - 318.

منع من اعتقالهما[٥] . ويروي محمد علي كمال الدين ان الرؤساء كانوا على علم بتلك النية وان الذى أخبرهم عنها أحد الموظفين الذين كانوا مستخدمين لدى الانكليز وأحد وجهاء الشامية[٦] .

اختلفت الروايات حول ماجرى من نقاش بين الكابتن مان والرؤساء الحاضرين . ففريق المزهر الفرعون الذى كان من جملة الحاضرين يروي ان مان قال لهم : « أما تخافون من حكومة بريطانيا ، بريطانيا التي أخافت العالم كله وانتم تريدون الاستقلال بوقت لايساوي فيه عددكم واحدا من ألف من عدد أهالي هندستان » . فرد عليه عبدالواحد قائلا : نعم ان العراق قليل بسكانه ولكنه كثير بعزائم أهله وقوة بأس زعمائه وأحقية مطاليبه ، فالعرب ليسوا كالهنود ، وان العربي أبي الضيم اذا اعتدي عليه أصبح شعاره أما الموت أو استعادة حقه المغصوب ... فنحن لا نخاف من بريطانيا وان قوتنا أعظم من قوتها الا وهي قوة الايمان بالله ...[٧] .

ولكن هذه الرواية التي رواها فريق المزهر الفرعون لم يؤيدها بعض الذين حضروا الاجتماع واعتبروها من الاحاديث الملفقة ، وقالوا ان الذى تكلم في الاجتماع هو السيد علوان الياسري وليس عبدالواحد الحاج سكر[٨] .

أما الكابتن مان فهو يروي عن هذا الاجتماع حديثا واحدا هو أن السيد علوان الياسري خاطبه في اثناء الاجتماع قائلا : نحن عشنا قبل هذا مئات السنين في وضع بعيد جدا عن الاستقلال ولكنكم جئتم الينا أخيرا

---

(5) Ibid, P. 292.

(٦) محمد علي كمال الدين (المصدر السابق) ــ ص ١٠٢ .

(٧) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ــ بغداد ١٩٥٢ ــ ص ٢٠٠ .

(٨) فراتي (على هامش الثورة العراقية الكبرى) ــ بغداد ١٩٥٢ ــ ص ٥٢ .

فأعطيتمونا وعودا بالاستقلال • فأنتم عرضتم علينا فكرة الاستقلال في وقت نحن لم نطلبه منكم ، ولم نكن نحلم به حتى جئتم فوضعتم الفكرة في رؤوسنا والآن في كل مرة نطالبكم بالاستقلال تسجنوننا[9] •

وعلى أي حال فقد قدم الرؤساء أخيرا مطاليبهم الى مان حيث قالوا له حسب رواية فريق المزهر الفرعون : انهم تلبية لاوامر المجتهدين وعلى رأسهم آية الله الشيرازي يحرصون على محافظة الامن والنظام ولايرغبون في سفك قطرة واحدة من الدم الا اذا ارغموا على ذلك ، فاذا كانت الحكومة ترغب في السلم مثلنا فلتحقق هذه المطاليب ، وهي : (١) منح العراق الاستقلال التام ، (٢) ايقاف القتال في الرميثة حالا ، (٣) جلاء الحكام البريطانيين عن الفرات والبدء بالمفاوضات بين الحكومة وزعماء العراق في جو هادىء ، (٤) اطلاق سراح ابن الشيرازي وجميع الاحرار المسجونين والمنفيين بلا استثناء وبدون قيد أو شرط •

وحين تسلم الكابتن هذه المطاليب قال عن الاول والثاني منها انهما معقولان نوعا ما ، أما الثالث والرابع فهما غير معقولين ، ومع ذلك فهو سوف يعرض المطاليب على الميجر نوربري • ثم طلب منهم الذهاب معه الى النجف أو الكوفة لمقابلة نوربري ، فرفضوا الذهاب خوفا من الاعتقال وطلبوا أن يأتي نوربري نفسه اليهم • وانتهى الاجتماع أخيرا من غير اتفاق على رأي معين[10] •

وعندما أوشك الاجتماع على الانتهاء حدث حادث يلفت النظر ، هو ان الكابتن مان مد رجليه أمام الحاضرين فزجره السيد علوان قائلا له : « تأدب واعرف من هم الجالسون امامك » فجمع مان رجليه ولم يقل شيئاً • ويقال ان السيد علوان انما فعل ذلك لانه علم بان الكابتن كان قد وزع مبالغ

(9) MANN (op. cit.) - P. 292.

(١٠) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) — ص ٢٠٠ — ٢٠٢ •

كبيرة على بعض الشيوخ قبل حضورهم ، فاراد احباط مقصده عن طريق زجره واهانته[١١] .

ومن الطريف أن نذكر : ان الكابتن مان عندما خرج من الاجتماع تلقاه الجمهور الذي كان واقفا عند باب المضيف وهوّس في وجهه قائلا : « بس لايتعلگك بأْمريكا »[١٢] .

اعلان الثورة في المشخاب :

استقر رأي السيد علوان الياسري وعبدالواحد الحاج سكر وأصحابهما على أن يعلنوا الثورة من جانبهم لكي يضعوا العشائر الاخرى أمام الامر الواقع فتضطر هي الى اعلان الثورة تحت ضغط الرأي العام . واتفقوا فيما بينهم على ان يجمعوا مبالغ من المال لتوزيعها على العشائر المترددة ردا على ماكان يبذله الكابتن مان في هذا السبيل ، فتبرع كل من عبدالواحد الحاج سكر ونور الياسري ومحسن ابو طبيخ بستمائة ليرة ذهب ، وتبرع عبادي الحسين بثلاثمائة ، كما تبرع علوان الياسري ومجبل الفرعون بمبلغين آخرين .

يقول ويلسون في مذكراته : ان آل فتلة قدموا الى علوان الحاج سعدون رئيس بني حسن رشوة قدرها ألف ليرة[١٣] . فان صح ذلك فلابد ان تكون هذه « الرشوة » جزءا من المبلغ الذى جمعوه .

وفي ١١ تموز ١٩٢٠ اجتمع رؤساء المشخاب في مضيف عبدالواحد الحاج سكر وقرروا البدء باعلان الثورة على أن تكون أول راية ترفع للثورة راية السيد نور ، وذلك لما فيها من تأثير معنوي في أوساط العشائر . وفي اليوم التالي رُفعت الراية وانطلقت الهوسات ولعلعة الرصاص تملأ

---

(١١) حدثني بذلك عبدالحميد ابن السيد علوان الياسري .

(١٢) فراتي (المصدر السابق) ـ ص ٥٢ .

(13) Wilson (op. cit.) - vol. 2, P. 296.

الفضاء في أنحاء المشخاب ، وتقدمت جموع العشائر نحو أبو صخير لمحاصرتها .

بدأ حصار أبو صخير في ١٣ تموز ، واشتركت فيه عشائر آل فتلة والغزالات وآل شبل وآل ابراهيم . وفي اليوم التالي أرسل نوربري الى حامية أبو صخير زورقا بخاريا يحمل عددا من الجنود وبعض مواد التموين، وكانت الباخرة الحربية « فاير فلاي » تسير وراء الزورق لحمايته ، فحاولت العشائر الاستيلاء عليه ، وجرى تبادل شديد بالنيران بين الباخرة والعشائر أدى الى اصابة عدد كبير منهم . وقد وصف فريق المزهر الفرعون المعركة بقوله : « وكان أول انتصار في المشخاب أحرزه المجاهدون لنصرة دين الله وعزّ المسلمين هو انتصارهم على هذه الباخرة الحربية حيث هجموا عليها هجمة فراتية عربية واحدة ، فاضطرت الى الانسحاب خائفة منكسرة الى الكوفة بتاريخ ٢٥ او ٢٦ شوال حسبما أتخطر ، بعدما خسرت ٢٢ قتيلا ، وقد استشهد في هذه الموقعة ٢٢ شهيدا بارا من الغزالات و١١ شهيدا بارا من آل ابراهيم وجرح ٢٤ باسلا مجاهدا »[١٤] .

بدء الثورة في الشامية :

كان الميجر نوربري قد طار الى بغداد في ١٠ تموز بغية الحصول على بعض الامدادات لقواته . وقد ألح الحاحا شديدا في طلب الامدادات ، وأيده ويلسون في ذلك ، ولكن هالدين لم يلب طلبه لقلة القوات المتوافرة لديه . وعاد نوربري الى مقره في الكوفة خائبا .

أرسل نوربري الى رؤساء بني حسن يطلب أن يجتمع بهم في ١٣ تموز في موضع يقع في جنوب أبو شورة[١٥] . وفي الوقت المحدد ذهب نوربري الى الموعد وفي صحبته الكابتن أوكونر والكابتن مان ومرزوق

---

(١٤) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٢٠٤ .
(١٥) ان ابو شوره تعرف الآن باسم « العباسية » .

العواد . وكانت الثورة قد أعلنت في المشخاب في ذلك اليوم كما ذكرنا ، ولاحظ مرزوق العواد ان الوضع حوله لايدعو الى الطمأنينة وان هنـــاك تجمعات عشائرية قريبة تنذر بالخطر ، فهمس في اذن الكابتن مان ينصحه بان يغادر نوربري وأوكونر المكان على عجل . فنقل مان النصيحة الـــى صاحبيه ، فأسرع هذان الى ركوب زورقهما البخاري وسار بهما الزورق الى أبو شورة ، وحين وصلا اليها وجدا كيسين من النقود في كل واحد منهما ألف باون ذهب ، وكان هذا المبلغ قد جاء به أفراد من الشرطة لغرض اعطائه الى آل شبل عن طريق الخزاعل . فشعر نوربرى أن الوضع لايسمح بتسليم المبلغ الى الخزاعل فأرسله في الزورق البخاري الى مان بحراسـة الشرطة ، وركب هو وصاحبه أوكونر في سيارة ، واتجها بسرعة نحـــو الكوفة ، وكانت يد كل منهما على مسدسه تحسبا للطوارىء[١٦] .

أرسل عبادي الحسين رئيس آل فتلة في المهناوية الى عبدالواحـــد والسيد علوان الياسري يخبرهما ان الكابتن مان تمكن من تثبيط عزائم بعض العشائر بالاموال التي بذلها ، فأسرع هذان الى دار مرزوق العواد بغيـــة الاجتماع به ، فلم يجداه فى داره ، وقيل لهما انه في أم البعرور ، فكتبا اليه يطلبان حضوره ، فلم يحضر .

عُقد اجتماع في التاجية التى تقع على بعد اربعة اميال من جنوب أم البعرور حضره عبدالواحد وعلوان الياسري ومعظم رؤساء الشامية . وبعد المداولة قرر الحاضرون اخراج الكابتن مان من أم البعرور طوعا أو كرها . فعارض رؤساء الخزاعل هذا القرار وقالوا انهم لا يوافقون على ذلك مهما كلفهم الامر . وعند هذا نهض خادم الغازي من رؤساء بني حسن فأعلن بجرأة قائلا : « اننا تعاهدنا وتحالفنا أمام آية الله الشيرازي وفى مرقد الامام

---

(16) Mann (op. cit.) - P. 293 - 294 ' 316.

الحسين عليه السلام أن نبذل كل ما في وسعنا في سبيل قضية بلادنا وأن يكاتف بعضنا البعض ويشد بعضنا أزر الآخر ، وأن لايخون أحدنا رفيقه ، وبما أني أرى هذه أول بادرة بدرت للخيانة من بعضنا فاذا غضينا النظر عنها فمعنى ذلك القضاء على قضيتنا أولا ، وعلى نفوسنا وأموالنا وعشائرنا والعروبة ثانيا . فعليه ان الكابتن مين يجب أن يخرج من الشامية من رضاه أو بالقوة ، وأنا أول واحد يحاربه منذ الساعة ان لم يخرج »(١٧) .

وعلى أثر انتهاء الاجتماع أسرع خادم الغازي مع نفر منأتباعه الىأبو شورة ، فاستولى على مخفرها ونهب مافيه بعد أن جرد حراسه من اسلحتهم. وكانت تلك أول بادرة جدية للثورة في منطقة الشامية شجعت الآخرين على الاقتداء بها .

جهود مان الاخيرة :

أرسل نوربرى الى الكابتن مان يطلب منه الانسحاب من أم البعرور والمجيء الى الكوفة خوفا على حياته ، ولكن مان أصر على البقاء في أم البعرور اعتقادا منه أن بقاءه قد يساعد على منع الثورة من الانتشار في تلك المنطقة . أبرق نوربري الى ويلسون يطلب منه أصدار الامر الى مان بالانسحاب من أم البعرور ، فعاد الجواب من ويلسون قائلا : ان القائد العام يرغب في بقاء مان في أم البعرور بالرغم من وجود الخطر على حياته لان لبقائه تأثيرا قويا في المنطقة(١٨) .

ظل مان يواصل جهوده بالتعاون مع أصدقائه الشيوخ في مقاومة انتشار الثورة الى منطقته ، وعندما أخفق في ذلك عمد أخيرا الى القيام بعمل من أجل انقاذ حامية أبو صخير التى كانت محاصرة من قبل الثوار ، يقول نوربرى في هذا الصدد مانصه :

---

(١٧) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ــ ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .
(18) MANN (op. cit.) - P. 316.

« نأتي الآن الى آخر عمل عظيم قام به مان في حياته • ففي ١٦ تموز كان موظفو أبو صخير وحاميتها قد مضى عليهم ثلاثة أيام وهم في حالة حصار ، وقد نفدت مؤونتهم • واتضح لي بعدئذٍ أنهم فقدوا الامل بالنجاة وأيقنوا أن ليست هناك فرصة لهم لاختراق الحصار والوصول الى الكوفة • وفي الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم ، بينما كنت جالسا في الكوفة أجتر همومي تعيسا حول هذا المصير القاتم ، سمعت صوتا مألوفا لي من ضفة النهر الاخرى ، هو صوت مان • فعبرت النهر اليه بزورق بخاري (لاننا كنا قد قطعنا الجسرآنذاك) ، وقد فرحت كثيراً حينما رأيت مان مصحوبا بمرزوق العواد • وأخبرني مان أنه جاء ببعض الشروط لعقد هدنة • فبأية طاقة وبراعة استطاع مان أن يصل الى هذه النتيجة ؟ لست أدري ! يكفي أن أقول أن العرب وافقوا على ايقاف القتال لمدة أربعة ايام بشرطين : أولهما رفع بعض المطاليب لعقد الصلح الى الحاكم العام ، والثاني سحب حامية أبو صخير الى الكوفة » •

ويعلق نوربري على هذه النتيجة قائلا : انها في الواقع معجزة واضحة ، فان حامية الرميثة قد مضى عليها ثلاثة أسابيع وهي محاصرة ، وتعاني القوات الانكليزية أشد العناء لفك الحصار عنها ، ومازال أمامها أربعة ايام لكي تنجز ذلك • بينما أمكن عن طريق الدبلوماسية انقاذ حامية أبو صخير التي كنتُ قبل ساعات قليلة قد فقدت الامل في انقاذها • ان هذا اكثر مما يمكن تصديقه ![١٩]

مؤتمر الكوفة :

حصل اتفاق بين نوربري والثوار أن تجري المفاوضات لعقد الهدنة بحضور مندوبين من علماء النجف• وذهب نوربري مع رايح العطية الى النجف لاحضار مندوبي العلماء • ولما وصلا الى مدخل النجف توقف

---

(19) Ibid - P. 816 - 817.

نوربري في محطة الترامواي بينما واصل رايح العطية سيره الى بيت الشيخ فتح الله الاصفهاني • وعندما عرض رايح العطية الامر على الاصفهاني وافق هذا على ما اتفق عليه ، واختار الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري ليكونا مندوبين عنه في المفاوضات •

وصل الجزائري والجواهرى الى الكوفة في ظهر ١٧ تموز ، فالتقيا هناك بنوربري وكان معه الكابتن مان وحميد خان • ثم انتقلوا جميعا الى الجانب الآخر من النهر حيث اجتمعوا مع رؤساء العشائر وجرت المفاوضات التي انتهت بعقد الهدنة •

ذكر نوربري في تقريره ماجرى في المفاوضات باقتضاب ، ويبدو مما ذكره ان رؤساء العشائر لم يكونوا متحدين في الرأي اثناء المفاوضات ، فكان فريق منهم ميالا للانكليز بينما كان الفريق الآخر على الضد من ذلك• ويقول نوربري عن نتيجة المفاوضات : ان اصدقاء مان هم الذين انتصروا فيها ، وان المتطرفين اندحروا • ثم يذكر نوربري بعد هذا.ان من جملة الشروط التى فرضها عليه الرؤساء لقاء ضمان سلامة حامية أبو صخير هو أن يبقى مان في الكوفة فلا يعود الى مقره في أم البعرور...(٢٠) •

لدينا رواية تفصيلية عن ماجريات المفاوضات التى جرت في الكوفة رواها محمدعلي كمالالدين في كتابه ، وهو يدعي انه نقلها عن الشيخ باقر الشبيبي الذى كان حاضرا وقد سجل محضر المفاوضات بنفسه • فهو يقول : ان الجزائري والجواهرى عند بداية وصولهما الى الكوفة قال لهما الميجر نوربري ان الكابتن مان سيشرح لهما الموضوع ، وعند هذا جرت محاورة على النحو التالي :

مان : « عندما كنت في الشامية وعدت الزعماء بالتوسط لدى الميجر

---

(20) Ibid - P. 817 - 818.

بعقد هدنة ، وقد وافق الميجر على ان تكون مدتها أربعة أيام ، كما اننا سنسعى في طلب العفو العمومي عن الثائرين وارجاع بعض المنفيين » .

الجزائري : « ما هي هذه الهدنة وما صورتها ؟ ان هؤلاء الذين طالبوا بالهدنة يكذبون عليكم ولا يزالون مصرين على أعمالهم الحربية » .

مان : « هم أعطوني قرار الهدنة ولكنهم أحبوا حضوركم » .

الجزائري : « ليس لهؤلاء معكم قرار ثابت وسيخونون عهدكم ولا يمكن تأمين هدنة معهم ! » .

نوربري (بانفعال) : « نحن لا نريد منكم تأمين الهدنة بل هي قائمة فعلا ولكن الزعماء أرادوا حضوركم كشهود ».

الجزائري (بغضب) : « أنا أبين لكم الحقيقة ، وحميد خان يفسر لكم كلامي ، ان بعض هؤلاء الذين وعدوكم بالهدنة كان عندي صباحا وقد أخبرني انهم لايتركون أعمالهم ، ولو أنهم وعدوكم حقا فلا تغتروا بوعودهم » .

مان : « نحن لانريد منكم غير الحضور ، فان مطاليبنا تامة وعلى أحسن مايرام ، وحضرة الميجر يريد منكم أن تتفضلوا للاجتماع بالرؤساء » .

الجواهري : « لايمكن عقد الاجتماع الآن لشدة الحرارة ، لاسيما ونحن لم نسترح بعد من عناء السفر » .

افترقوا على أن يجتمعوا عصرا مع رؤساء العشائر في احدى البساتين على الضفة الاخرى المقابلة للكوفة . وفي الوقت المعين تم عقد الاجتماع ، وقد جرى فيه نقاش طويل على النحو التالي :

مرزوق العواد : « الحكام الانكليز يريدون هدنة بضعة أيام حتى يتمكنوا من اخراج جندهم من أبو صخير » .

علوان الياسري : « نحن لم نتعمد محاربة الحكومة البريطانية ولكنها

ألجأتنا الى هذا السبيل بعد أن رأت منا الاصرار على المطالبة بحقوقنا المشروعة واستقلالنا الكامل • لقد أطلقت بريطانيا أيدي موظفيها في استعمال الشدة والارهاب مع العراقيين ليرضخوا لوصايتها ويقبلوا باحتلالها ••• علاوة على كبرياء حكامها واستبدادهم وسحقهم لمقدسات العرب • وهم مع ذلك يجهلون أخلاقنا وطبائعنا » •

نوربري : « بيّنوا لنا مطاليبكم لنراجع بها الحاكم العام ، والحكومة سوف لاتقصر معكم » •

علوان الياسري : « نحن ممنونون من بريطانيا وليس لنا من قصد غير مفاتحتها في أمر مطاليبنا ولكننا رأينا منها الاعراض وعدم تقبلها لمطاليبنا ، ونحن الآن نقبل المذاكرة معها بشرط أن لاتتحرك قوتكم ياحضرة الميجر اثناء المذاكرة واثناء الهدنة ، لا من بغداد الى الحلة ، ولا منها الى الديوانية والرميثة ، ولا الى لواء الشامية ، بل تسكن الحركات منا جميعا ، ويتفاوض معكم مندوبونا • ولو لم نشاهد الحكومة تقوم ببعض الحركات التى تريد بواسطتها الوقيعة بالشعب العراقي وافسادمطاليبه لما اضطررنا الى هذا العمل والى ما ترون » •

نوربري : « بينوا مطاليبكم بصورة تامة ، ونحن نخابر بها الحاكم العام » •

الجزائري (يخاطب الرؤساء) : « الحكومة لاتريد الا الخير ، وليس لها قصد سيء معكم ، فلا داعي لكلامكم هذا ، وأنتم لاقدرة لكم على مقابلة الحكومة البريطانية » •

علوان الياسري : « ولكننا لانرضخ لاقل ذل ولا نقبل بأية حركة تمس بشرفنا •••• ولقد جبلنا نحن العرب على العز ، وهم مخطئون اذا كان في نيتهم اذلالنا ، فأننا نأبى الذل ونفضل الموت عليه » •

وربرى (مقاطعا الياسري) : « بينوا أموركم بغير كثرة ولا تشويش. وأنا ممنون اذ أخابر الحاكم العام » .

الجزائري (يخاطب الياسري) : « ايها السيد لماذا أنتم لاتصغون تماما والحال ان مطاليبكم موقوفة الآن على كلام الميجر ، فاسمعوا مايقول ، فان قوله عبارة عن شرف بريطانيا فوق انه معروف بالتعقل والروية » .

علوان الياسري (يواصل الكلام) : « وسيرون - يقصد الانكليز - ان شاء الله عزة العرب وأنفتهم . وأما نحن فنعرف ما تقوله يامولانا - - يقصد الجزائري - من أن الميجر صاحب شرف ، ولكننا رأينا الحكومة البريطانية لا تثبت على كلام واحد ولا تلتزم بأي قول . نعم نقبل بسفراء بعض الدول الاجنبية ، كسفير امريكا وغيره ، في التوسط بيننا وبينهم وحل المسألة العراقية واعطائنا ما نريده من المطاليب » .

الجزائرى : « لاتتكلموا مثل هذا الكلام فان الحكومة الانكليزية معظمة وهي صاحبة قول ومعرفة وتدبير » .

الجواهري : « نعم ما يقول الشيخ الجزائري ، خصوصا الميجر فهو من ذوي الشرف ، فاشرحوا الآن مطاليبكم » .

عبدالواحد : « مطاليبنا معروفة ، وهذه المسألة يقوم بها المندوبون ».

علوان الياسري : « نعم ترجع هذه المسألة الى المندوبين . ولكن يجب على الحكومة مذاكرتهم ولا تعرقل مساعيهم . والا فلماذا حجزت الحاج مخيف والشيخ شعلان العطية ، هل صنعوا شيئاً غير المطالبة بحقوقهم ؟! »

علوان الحاج سعدون : « لماذا يجبر الانكليز الناس على التوقيع على ورقتهم - يقصد مضبطة طلب الوصاية - » .

الجزائرى : « انتم سادات الشامية ورؤساؤها فلا ينبغي منكم أن

تشوشوا كلامكم بالاكثار لان ارادة الحاكم منكم ان يكون كلامكم واحدا ونهائيا » .

علوان الياسري : « نحن نريد من حكومة بريطانيا تشكيل مؤتمر عراقي حر ، ونريد منها أيضا أن لاتقف دون أعمال أعضائه كما صنعت مع المندوبين والمرشحين للانتداب ، ولماذا يقبض ديلي ممثل بريطانيا على الذين لايرضون بالتوقيع على ورقة الوصاية ويجبر الناس على ذلك . أيليق بحكومة بريطانيا أن تعمل هذه الاعمال ؟ أم هل يليق بها أن تطلق يد رجل مثل ديلي هذا الذى أذل الناس وحقرهم أشد التحقير وعمل معهم أعمالا يأنف منها كل انسان ، حتى اضطرهم الى اعلان الثورة . نعم نحن لازلنا نشكر حضرة الميجر حاكم الشامية فانه لم يضيق علينا بل أطلق لنا الحرية في المطالبة بحقوقنا ، ولكن الحكومة بشكل عام وقفت أمام مطاليب كل العراقيين . ونحن مرة قلنا لك ياحضرة الحاكم اعطونا حقوقنا ولا تلجئونا » .

الجزائري (مقاطعا) : « انتم أوقعتمونا بورطة ، وتظنون انكم أكرمتمونا في أنكم أنطتم بنا مطاليبكم ، ونحن على هذا سنكون الملتزمين بالمطالبة بحقوقكم . فالواجب يقضي أن نتوثق منكم فى القبول بكل ما نعمل بهذا الخصوص . فهلموا نجتمع معا على جانب لنعرف قبولكم بجميع ما يصدر منا من القرارات المتعلقة بمطاليبكم » .

وعند هذا اجتمعوا فى جانب واتفقوا على شروط الهدنة ثم عادوا الى الميجر نوربري ، وقال الجزائرى يخاطبه : « انتم حكومة واصحاب شرف، فيجدر بكم ان تكونوا صادقين وأن يكون وعدكم ناجزا ، ولا ينبغي لمثلكم ان توقعوا المندوبين بمثل هذه الورطة ، وان شئتم ان تتخلى عنكم وعن العشائر ولا تتدخل بخصوص هذه الامور ، فالمرجو أن تعطونا قول الشرف في مخابرة الحاكم العام على هذه المطاليب بسرعة وتعينونا على انجازها » .

آجابه نوربري قائلا : «نحن نعطيكم قولا جازما في أن كل اعمالنا هذه صادقة ، ونحن نأنف من الكذب » •

تم الاتفاق بين الفريقين أخيرا على ان تكون الهدنة لمدة اربعة أيام ابتداء من اليوم الاول من ذي القعدة ١٣٣٨ وهو يوافق ١٧ تموز ـ حيث تنسحب خلالها حامية أبو صخير الى الكوفة دون أن يصيبها أذى • وقد تعهد نوربري بمراجعة الحاكم العام ببغداد حول مطاليب الثوار وهي : (١) العفو العام عن جميع العراقيين بمن فيهم أهل الرميثة والشامية والدغارة ، (٢) توقف جميع الحركات العسكرية واصلاح سكة الحديد ونقل القوات العسكرية من مكان الى آخر ، (٣) اطلاق سراح جميع المعتقلين والمنفيين خصوصا ابن الشيرازي ، (٤) تشكيل المؤتمر العراقي[٢١] •

نقض الهدنة :

كانت حامية أبو صخير مؤلفة من مائتي رجل تقريبا • وتضم معاون الحاكم السياسى هوبكنز وموظفيه بالاضافة الى الضباط والجنود • وقد ناط الرؤساء حراسة الحامية عند انسحابها الى الكوفة بأحد رؤساء آل فتلة مزهر الفرعون • ويقال ان الرؤساء انما اختاروا هذا الرجل لحراسة الحامية لانه كان موضع اطمئنان الانكليز[٢٢] • وقد قام الرجل بالمهمة في الواقع خير قيام فكان هو واتباعه يحرسون الحامية أثناء سيرها ويكفون عنها العشائر حتى أوصلوها الى الكوفة بسلام[٢٣] • ويروى ان اتباعه هوّسوا في الطريق قائلين « يطشر هبكن بحمانا »[٢٤] ، ومعنى ذلك ان هوبكنز يستطيع أن يعمل مايشاء مادمنا نحن حماته والمدافعين عنه •

---

(٢١) محمد علي كمال الدين (المصدر السابق) ـ ص ١٠٩ ـ ١١٤ •
(٢٢) فراتي (المصدر السابق) ـ ص ٦٤ •
(٢٣) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق ـ ص ٢١٧ •
(٢٤) فراتي (المصدر السابق) ـ ص ٦٥ •

يمكن القول على أي حال ان الثوار ندموا فيما بعد على موافقتهم على انسحاب الحامية • فهي غنيمة ضخمة كان من الممكن الاستحواذ عليها بسهولة • أضف الى ذلك انهم لم يجنوا من السماح بانسحابها أية فائدة تعوضهم عنها • يقول محمدعلي كمال‌الدين « ندم الثوار كثيرا على اعطاء هذه الهدنة وتخليص حامية أبو صخير من الحصار ، بعد أن كثر عليهم النقد والتجريح من مختلف الجهات الوطنية »(٢٥) •

ومما يلفت النظر ان الهدنة لم تستمر الى نهايتها ، بل هي خُرقت من الجانبين في اليوم الثالث من انعقادها ، أي قبل يوم واحد من انتهاء أمدها • ففي ذلك اليوم شوهدت خمسة شخاتير قادمة من الكفل وهي مشحونة بالمؤونة والعتاد لغرض امداد حامية الكوفة ، وكان يحرسها ثمانية عشر جنديا معهم رشاشان • فهاجمها الثوار واستولوا عليها ونهبوها • وفي الوقت نفسه هاجم نفر من أهل الكوفة سراي الكوفة واستولوا عليه ، وكان فيه تسعة أفراد من الشرطة ، ففر هؤلاء لاجئين الى الحامية التي كانت قد تمركزت في الخانات الواقعة على ضفة النهر(٢٦) •

يمكن اعتبار ١٩ تموز ـ وهو اليوم الذى نقضت فيه الهدنة ـ بداية الحرب الجدية بين الثوار والانكليز في هذه المنطقة • فقد أيقن الثوار أنهم أصبحوا في موقف لامجال للتراجع فيه • وانطلقت صيحة الحرب في مختلف أنحاء المنطقة ، واضطر الرؤساء المترددون أن ينظموا الى الثورة تحت ضغط الرأي العام الذى كان يعد كل من لاينضم الى الثورة كافرا نصرانيا •

---

(٢٥) محمد علي كمال‌الدين (المصدر السابق) ـ ص ١١٦ •
(٢٦) المصدر السابق ـ ص ١١٦ •

الفصل السادس عشر

انتشار الثورة في الفرات الاوسط

على أثر نقض الهدنة فى الكوفة انقسمت العشائر الثائرة الى قسمين ، أحدهما نيط به محاصرة حامية الكوفة وكان مؤلفا من عشائر الغزالات وآل شبل وآل ابراهيم واتباع آل ياسر وفريق من بني حسن ، أما القسم الثاني فقد تحرك شمالا باتجاه الكفل بغية احتلالها وكان مؤلفا من آل فتلـــة والعوابد والحميدات •

لم يجد الثوار صعوبة فى احتلال الكفل ، فقد انسحب منها الانكليز حالما رأوا الثوار مقبلين عليها ، ودخلها الثوار في ٢٢ تموز ، فأبقوا فيها مائة خيال لحفظ الامن ، ثم غادروها متجهين نحو طويريج •

علوان وعمران :

ان علوان الحاج سعدون وأخاه عمران كانا قد اقتسما الرئاسة العامة لعشيرة بني حسن ، فكان علوان رئيسا لافخاذ بني حسن الساكنين بالقــرب من الكوفة ، أما عمران فكان رئيسا للافخاذ الســـاكنين بالقرب مـــن طويريج •

كان علوان قد انضم الى الثورة على أثر نقض الهدنة فى الكوفة في ١٩ تموز ، وربما فعل ذلك تحت تأثير الالف ليرة التى ُقدمت اليه من قبـل الثوار • أما عمران فظل بعيدا عن الثورة ، وكان رأيه ان العشائر العراقية لاطاقة لها بمحاربة الحكومة البريطانية التى تملك الطائرات والمدافــع والجيوش الجرارة • ولمـــا سمع عمران بأن الشيرازي أفتى بجواز الثورة المسلحـــة ذهب الى كربلاء لمقابلته ، وحين اجتمع به قال له ان العشـــائـــر ضعيفة تجاه الانكليز وان في مقدور الانكليز سحق كل ثورة تقوم بهـــا

العشائر عاجلا او آجلا ، فقال له الشيرازي ان الرؤساء الآخرين أخبروه بخلاف ذلك وقالوا انهم قادرون على محاربة الانكليز والانتصار عليهم ، فأصر عمران على وجهة نظره وكرر قوله السابق حول ضعف العشائر تجاه الانكليز • وعند هذا قال له الشيرازي : « في حالة عدم القدرة على قتال الانكليز يصبح القتال محرما من الناحية الشرعية »[1] •

عندما عاد عمران من كربلاء صمم على الحيلولة دون امتداد الثورة الى منطقته • وقيل انه أخذ يتجول بين العشائر بصحبة الكابتن جاردين لتثبيطها عن الانضمام الى الثورة[2] ـ على نحو مافعل مرزوق العواد قبله •

وعندما سقطت الكفل في أيدي الثوار في ٢٢ تموز أرسل عمران الى الثوار رسولا من السادة يخبرهم بأنهم لايجوز لهم ان يخترقوا منطقة عشيرته ليحاربوا الانكليز فيها ، وهددهم انهم ان فعلوا ذلك فهو سيتعاون مع الانكليز في مقاومتهم ، ولهذا يجب عليهم أن يعودوا الى مناطقهم ليحاربوا الانكليز فيها • فلما قابل الرسول عبدالواحد الحاج سكر رد هذا عليه قائلا : اننا نحارب الانكليز استنادا على فتوى من العلماء • وقدم له صورة من الفتوى لكي يحملها الى عمران ، ثم قال : اذا كان عمران مسلما شيعيا فهذه الفتوى أمامه ومن الواجب عليه طاعتها ، أضف الى ذلك أن اكثر عشائر بني حسن قد انضمت الينا فلماذا يتخلف هو ، أما اذا بقي مصرا على محاربتنا فان جيوشنا توكلت على الله وأعلنت الحرب على حكومة بريطانيا وهي اذن لاتخاف من عشيرة او قبيلة[3] •

---

(١) حدثني بذلك جعفر الخليلي وكان بصحبة عمران عند اجتماعه بالشيرازي •

(٢) محمد علي كمال الدين (معلومات ومشاهدات) ـ بغداد ١٩٧١ ـ ص ١٣٣ •

(٣) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ •

معركة الرارنجيه :

أدرك الانكليز ان انسحاباتهم المتتالية فى الفرات الاوسط تؤدي الى تشجيع العشائر المترددة على الالتحاق بالثورة ، وارتأى حاكم الحلة الميجر بولي ان الموقف في حاجة الى تظاهر بالقوة ، وأخذ يلح على قائد قوات الحلة الكولونيل لوكن لكي يرسل رتلا الى الكفل لهذا الغرض . وكان الحاح بولي شديدا مما اضطر الكولونيل لوكن الى الاستجابة لطلبه(٤) .

أعد الكولونيل لوكن رتلا سمي بـ « رتل مانجستر » بلغ عدد أفراده نحو ثمانمائة . وقد تحرك هذا الرتل من الحلة في ٢٣ تموز سيرا على الاقدام . وفي الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم التالي وصل الرتل الى قناة الرستمية في اراضي الرارنجية التى تبعد عن الكفل بثمانية أميال. وقرر طبيب الرتل ان الجنود في حاجة الى راحة امدها أربع وعشرون ساعة . فعسكر الرتل هناك للاستراحة .

كان ابراهيم السماوي رئيس خفاجة قد صحب الرتل ليكون دليلا له وعونا ، ولكن ضميره استيقظ في اللحظة الاخيرة ، فانتهز فرصة تمكن فيها من التغيب عن الرتل ساعتين وذهب الى عشيرته خلسة ، فاستدعى اليه رجلا من اتباعه يعتمد عليه اسمه « راضي الابقع » وأرسله مع ثلاثة رجال آخرين الى الثوار ليخبرهم بأمر الرتل ويحذرهم منه .

وصل راضي وأصحابه الى قرية بني مسلم التي تقع قرب النهر الى الغرب من الرارنجية . فوجد هناك عبدالواحد مع قوة كبيرة من الثوار ، وحين أخبره بالامر أرسل عبدالواحد الى الكفل على عجل رجلا من السادة اسمه السيد حسن العذاري لكي يطلب النجدة من الثوار المتجمعين فيها ، ولما وصل السيد حسن الى الكفل نادى بأعلى صوته : « أولاد ناصر » وهي نخوة لآل فتلة يُنادى بها عند الاستنجاد ، فهب القوم

---

(4) Haldane (Insurrection In Mesopotamia) - Edinbugh 1922 - P. 98.

يستجيبون للنجدة ، وتحركت جموعهم نحو الرارنجيه ، وهم يهوسون ، « رد مالك ملعب ويانا »(٥) .

كان الرتل معسكرا عند القناة مطمئنا لايدري ماذا يخبيء له القدر . وقبيل غروب الشمس في ٢٤ تموز فوجيء بالهجوم عليه من جهات ثلاث : جنوبا وشرقا وغربا . وكان مرزوق العواد قد أبدى في الهجوم بطولة نادرة اذ هو قام بحركة التفاف بارعة أربكت الرتل الانكليزي وأذهلته . فاضطر قائد الرتل الى الايعاز الى جنوده بالانسحاب نحو الحلة في خلال نصف ساعة . وحين بدأ الجنود بالانسحاب جفلت حيوانات الجر مما أدى الى حدوث فوضى عامة في الرتل وصارت العجلات تمرق بين الصفوف فتمزقها تمزيقا(٦) . ونشبت عند ذاك معركة ضارية بالسلاح الابيض استعمل الثوار فيها اسلحتهم التقليدية كالفالة والمكوار والخنجر ، وأبدوا فيها استبسالا وشجاعة تذكرنا بما فعل اسلافهم في صدر الاسلام .

استمرت المعركة نحو ست ساعات ، وكان القمر يومذاك في ليلته التاسعة فساعد نوره على اضاءة ساحة المعركة الى حدما . ولم يستطع النجاة من رجال الرتل الا أقل من نصفهم(٧) .

كانت غنائم الثوار كثيرة جدا من بينها ٥٢ رشاشا وعدد لايحصى من الحيوانات ومقادير كبيرة من الاعتدة والنقود والاطعمة . وصار عبدالواحد يدفع عن كل رشاش يؤتى به اليه خمس عشرة ليرة ذهب ، فتجمع لديه اربعون رشاشا . وكان بين الغنائم أيضا مدفع من عيار ١٨ رطل ، وقدّر لهذا المدفع أن تكون له أهمية كبيرة بعدئذ ـ كما سنأتي اليه .

يصف هالدين معركة الرارنجية بـ « الكارثة » ، ويقدر خسائرها بـ ٢٠ قتيلا و ٦٠ جريحا و ٣١٨ مفقودا(٨) . وهذه خسارة كبيرة جدا

(٥) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .
(6) Haldane (op. cit.) - P. 101.
(7) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 279.
(8) Haldane (op. cit.) - P. 102.

بالنسبة لقوات نظامية حديثة تجاه قوات عشائرية • وكانت خسائر الثوار قليلة نسبيا ، قدرها فريق المزهر الفرعون بـ ٨٤ قتيلاً و ١٥٨ جريحا(٩) •

يعزو هالدين سبب « الكارثة » بالدرجة الاولى الى تدخل العامل السياسي في الامور العسكرية ، مشيرا بذلك الى الاصرار الذى أبداه الميجر بولي لارسال الرتل بقصد ارهاب العشائر • فهو يقول ان الرجل العسكري قد ينسى القواعد العسكرية أو يتناساها بمجرد دخوله في الخدمة المدنية ، اذ هو يبعثر قواته معتقدا بان ليس هناك ضرر من جعل قواته ضعيفة في كل مكان ، وينسى ان القوات المعزولة تحتاج الى قوات كبيرة لانقاذها في حالة وقوع الحصار عليها(١٠) •

ويعطينا الخبير العسكري العراقي عبدالمطلب الامين تحليلا لمعركة الرارنجية يشبه من بعض الوجوه ماذكره هالدين ، فهو يقول مانصه : « تغلبت العوامل السياسية والادارية على العوامل العسكرية فكان الالحاح في ارسال هذا الرتل دون استكمال أسباب تنظيمه عاملا مهما في القضاء عليه ، وقد غادر معسكره قرب الحلة متأخرا الامر الذى أدى به الى دخول معسكر لم يحسن اختياره عند المساء ودون اتخاذ تدابير حماية كافية • والشرط الاساسي في حرب العشائر ان يتم دخول القوات الى معسكراتها ، ومن ضمن ذلك طبعا اكمال ترتيبات الحماية كافة ، قبل الظلام وكان الجنود في حالة شديدة من التعب والانهاك الى درجة ان القوة بكاملها منحت استراحة ٢٤ ساعة بالوقت الذى كان قائد الرتل وضباطه مترددين في اصدار الامر بالعودة الى الحلة • وكشف الرتل عن وجوده (وهو في المنخفض غير الصالح للتعسكر) ، بنزق قيادته ، فتكاثرت عليه الجموع من كل جانب ، فحدث فزع شديد بين الجنود فكانوا لايميزون بين عدو وصديق ••• وكانت النتيجة ماكانت »(١١) •

---

(٩) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) — ص ٢٣٢ •
(10) Haldane (op. cit.) - P. 92.

(١١) هالدين (ثورة العراق) — ترجمة فؤاد جميل — بغداد ١٩٦٥ — ص ٣٣٦ •

نتائج اجتماعية :

أن معركة الرارنجية يمكن اعتبارها نقطة تحول في ثورة العشرين وأعظم معاركها على الاطلاق ، فان الكارثة التي حلت بالانكليز فيها ، ووفرة الغنائم التي وقعت في أيدي العشائر ، أصبحت محور دعاية كبرى للثورة ، وكان من الطبيعي أن تشيع أخبارها بين الناس بشكل مبالغ فيه • وانتشرت من جراء ذلك موجة من الحماس الشديد جعلت العشائر المترددة تندفع نحو الانضمام الى الثورة واحدة بعد الاخرى • وصار من العسير على الشيخ الميال للانكليز أن يبقى ميالا تجاه الحماس المسيطر على افـــراد عشيرته •

كان عمران الحاج سعدون في الحلة عندما وقعت معركة الرارنجية ، فأرسله الانكليز الى طويريج لتهدئة الحالة فيها • وحين وصل الى البلدة وجدها في غليان شديد ، وصار الناس يتوافدون الى بيته وهم يهوسون ويصرخون مطالبين اياه بالانضمام الى الثورة • ولم يجد عمران مناصا من الاستجابة لطلبهم • فلقد رأى انه لا يستطيع أن يحتفظ بسمعته ومكانتــه اذا ظل بعيدا عن الثورة ، فأعلن انضمامه اليها •

وكان رئيس الشبانة في طويريج يومذاك رجل من اقرباء عمران اسمه عبدالمحسن من آل عباس وكان موضع ثقة الانكليز • ولكنه انقلب عليهم حالما وصلته اشارة من عمران • وقد أبقاه عمران رئيسا للشبانة وناط به أمر المحافظة على الامن والنظام في البلدة ، فقام بها خــــير قيام(١٢) •

وبلغ الحماس بمرزوق العواد فى تأييد الثورة مبلغا عظيما ، فان البطولة التي أبداها في معركة الرارنجيــة جعلت اســمه على الافــواه في كل مكان • والمعروف عن مرزوق انه كان ذا شجاعة نادرة ، كما كان ذا مقدرة على اطلاق الهوســات ، فاندفع ينصر الثورة بشجاعته وهوساتـــه

---

(١٢) فراتي (على هامش الثورة العراقية الكبرى) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ١٠٩ •

الى الدرجة القصوى • لقد انقلب مرزوق العواد في خلال وقت قصير من عدو الثورة الى واحد من أعظم أبطالها ــ وليس هذا بالأمر النادر في تاريخ الثورات والحركات الاجتماعية •

ومما زاد في شدة الحماس العام ان نفرا من السادة ورجال الدين أخذوا يتنقلون بين مضائف الشيوخ يحثونهم على الانضمام للثورة ويثيرون النخوة فيهم • حدثني السيد ابو القاسم الكاشاني ــ اثناء زيارتي له في طهران في صيف ١٩٥٧ ــ : انه كان يدخل على الشيخ في مضيفه فيثير نخوته على الطريقة البدوية ، فيقول له : « أليس من العار عليكم ان أدافع عن بلادكم وأنا من تبعة ايران ، بينما انتم من ابناء البلاد لاتدافعون عنها »• وكان كثيرا ما يستعمل في كلامه مع الشيوخ الفاظا بذيئة وشتائم عامية كأن يقول لهم مثلا : ان الانكليز سيفعلون بنسائكم كذا ، وان الرجل منكم ديوث لاغيرة له اذا لم ينهض لمقاتلة الانكليز دفاعا عن عرضه • ويقول الكاشاني ان شتائمه كثيرا ما كانت تثير النخوة فيهم وتحرك همتهم ، فيضطرون الى رفع راية القتال وتنطلق الهوسات عندئذ وبذلك يصعب عليهم التراجع لو أرادوا •

كتبت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ٢ آب تقول عن نتائج معركة الرارنجية : « لا أستطيع التكهن بما سوف يحدث • فان واقعة اخرى كواقعة رجال مانجستر ستجلب عشائر دجلة الى مشارف بغداد الجنوبية مباشرة • نحن الآن نعيش من اليد الى الفم ، أنا اعرف ، وان الوضع خطير ، وربما صار اكثر خطورة اذا حدث أقل تمرجح في الكفة »(١٣) •

الثورة في شرق الديوانية :

يجري في شرق الديوانية نهر صغير يسمى (شط الدغارة) ، وهو يتفرع من نهر الفرات على بعد ٤٢ كيلومترا من شمال الديوانية • وتقطن حول هذا النهر ثلاث عشائر كبار هي : الاقرع وعفك والبدير •

---

(13) Lady Bell (Letters of Gertrude Bell) - London 1947 - P. 401.

ان أول من ناوأ الانكليز في هذه المنطقة هو سعدون الرسن رئيس آل حمد من عشيرة الاقرع • ويقال ان هذا الرجل كان هو الرئيس الاكبر لعشيرة الاقرع أو هو كان يطمح الى ذلك ، ولكن الانكليز لم يعترفوا له بذلك بل فضلوا عليه غيره من رؤساء الاقرع • أضف الى ذلك ان سعدون كان له عداء قديم مع علوان الجحالي رئيس آل زياد ، وكان علوان هذا صديقا مقربا للميجر ديلي وموضع ثقته • فكان ذلك يسوء سعدون ويغضبه •

كان ديلي قبيل اندلاع الثورة في الرميثة قد ارسل الى سعدون يستدعيه لمقابلته في سراي الديوانية ، فلما حضر سعدون تناول ديلي ورقتين احداهما سوداء والاخرى بيضاء وقال له : « ان سلوكك مع الحكومة يشبه كثيرا هذه الورقة ـ وأشار الى الورقة السوداء ـ في حين ان سياسة الحكومة معك تشبه هذه الورقة ـ واشار الى البيضاء ـ » • فرد عليه سعدون : « ليس هذا لباسنا ياحضرة الحاكم » • فقال له ديلي : « انك تسعى لتقع في الحفرة التي يحفرها لأنفسهم بعض الرؤساء ، وأنا أريد أن أريك شيئا من بطش السلطة » • فأجابه سعدون بما فحواه : « لو كنا نريد أن نجرب بطش السلطة فينا لما هدمنا الثلاثمائة والخمسين قلعة من قلاعنا في أطراف الدغارة ، ولما سلمنا الحكومة زهاء ثلاثين ألف بندقية ، ولما أعطينا الاموال الاميرية عن طيبة خاطر » • فسمح ديلي له بالخروج على ان يعود اليه بعد ثلاثة ايام(١٤) •

حينما خرج سعدون الرسن من سراي الديوانية أخذ يتنقل بين العشائر يستنهض هممها ، ثم ذهب بعدئذ الى منطقة الرميثة ، وقد وقعت حادثة الرميثة أثناء وجوده هناك • أما علوان الجحالي فقد انتهز الفرصة وجاء الى ديلي ليحذره من حركات سعدون ويحرضه على ضربه • فاستجاب ديلي لتحريض علوان وأرسل الى بيت سعدون قوة من الشبانة

---

(١٤) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ـ صيدا ١٩٧٢ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣ •

مؤلفة من مائتي خيال ، وقد نهب هؤلاء الخيالة بيت سعدون واستولوا على حلي زوجته التى تقدر قيمتها بنحو خمسة آلاف ليرة كما أحرقوا مضيفه وعند هذا هب آل حمد للاخذ بالثأر فذهب سبعة عشر رجلا منهم الى بيت علوان الجحالي فأحرقوه وقتلوا علوان • ولما علم ديلي بالامر أرسل قوة تأديبية مؤلفة من أربعمائة خيال للانتقام من آل حمد ، فتصدى لهم آل حمد وقاتلوهم قتالا شديدا سقط فيه عدد غير قليل من الجرحى والقتلى من الفريقين •

كان هذا ايذانا باندلاع الثورة في هذه المنطقة ، غير أنها كانت في البداية محصورة في نطاق آل حمد وحدهم • وعندما عاد سعدون الرسن من الرميثة عبأ عشيرته وهاجم بهم بلدة الدغارة فاستولى على المخفر وعلى مافيه من سلاح وعتاد • وكان حاكم الدغارة الكابتن ايفانز قد تمكن من الفرار من البلدة مع من كان معه من الشبانة ، غير انه لم يستطع الوصول الى الديوانية سالما اذ قتله في الطريق جماعة من العشائر بالقرب من محطة خان الجدول •

ظل آل حمد متحملين وحدهم عبء الثورة فى تلك المنطقة زهاء عشرين يوما ، ولكن الفرج جاءهم على أثر معركة الرارنجية حينما أخذ الكثير من الشيوخ ينضمون الى الثورة • وكان أول شيخ ينهض لنصرتهم هو صلال الفاضل الملقب بـ (الموح) ، وهو من شيوخ عفك وابن أخت الحاج مخيف ، فقد جمع زملاءه شيوخ عفك وقال لهم : « ان من العار علينا ترك عشيرة الاقرع وحدها تنفرد بمحاربة الاعداء » ، وصار يذكرهم بايام السلطان عبدالمجيد حينما كانت عشيرة عفك تحارب الحكومة فجاءت الاقرع لمساعدتها وحاربت الحكومة معها • ثم ختم صلال كلامه معهم بقوله « ليس من الانصاف أن نترك الاقرع وحدهم يحاربون ... »[١٥] •

كان كلام صلال الفاضل مؤثرا فيهم فأعلنوا الثورة وهاجموا بلدة عفك واستولوا على السراي وما فيه • وقد تمكن حاكم عفك الكابتن ويب

---

(١٥) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٥٦٤ •

من الانسحاب خلسة بعد ان تفرق عنه حراسه الشبانة ، واستطاع الوصول الى الديوانية بصحبة دليل اسمه دحبوش القولچي •

لم يسكت الميجر ديلي تجاه ذلك ، فأخرج شعلان العطية من السجن، وعرض عليه أن يطلق سراحه على شرط أن يعمل لتهدئة عشيرة الاقرع• وقد وافق شعلان على ذلك ووضع ابنه موجد وأخاه جبل رهينتين لدى ديلي ضمانا لانجاز وعده • ثم أسرع الى مقر عشيرته وأخذ يسعى لاقناعهم بترك الثورة ، ونجح في ذلك الى حد غير قليل حتى ان سعدون الرسن ترك الثورة بالرغم من انه كان البادىء بها • وقد أشار الى ذلك صلال الفاضل في مذكرة له جوابية حيث قال ما نصه :

« ••• ذهبتُ الى الدغارة حيث ثوار الاكرع في الجدول ، فوجدت سعدون قد رجع من الحرب ـ يقصد أنه أنسحب من الثورة ـ وقد واجهني عند السيد عبدالحسين السيد روضان ، فقلت له : لماذا تركتم الحرب ونحن أخذنا عفك كما انتم أخذتم الدغارة • فقال لي : ان الحاج شعلان وضع ولده موجد وأخاه جبل رهينة في السجن فأطلقوا سراحه وهو في المضيف ومن أجل هذا سحبنا الثوار • فأجبته : بأنني لا اتمكن من الرجوع عن محاربة الانكليز • وفي هذا الاثناء جاءتنا رسالة من الحاج مخيف يقول فيها : اتركوا حرب الانكليز حتى نكون في رفاهية • فأرجعت الرسالة مع الحاج مشير والحاج مهدي الى القلعة • وركبت أنا وسعدون الى شعلان لنعلم رأيه • وعندما وصلنا اليه قال لي : هل تريد ياصلال أن تبقى تحارب الانكليز ؟ فأجبته : نعم لانني لم آخذ بعد حقي من حربهم • فقال لي : مثل ما تركتم أنتم الحاج مخيف فأنا أيضا أترك ولدى وأخي فتوكلوا على الله »(١٦) •

وبهذا اعلن شعلان العطية تضامنه مع عشيرة عفك في الثورة ، كما جاءت عشيرة السعيد فانضمت اليهم • وحين علم ديلي بذلك ارسل اليهم بعض السادة من أهل الديوانية ليقنعوهم بعدم الاشتراك بالثورة • وجـــاء

---

(١٦) المصدر السابق ـ ص ٥٦٥ •

السادة اليهم يقولون : « ان الحاكم يقول بأنه يعطيكم ما تريدون اذا تركتم الحرب » • فكان جوابهم : « لانريد غير خروج الانكليز من بلادنا » •

معارك القطار :

بعد انضمام عشائر عفك والاقرع الى الثورة أصبح وضع حامية الديوانية في غاية الخطورة ، فأبرق هالدين من بغداد الى الجنرال كوننغهام قائد حامية الديوانية يأمره بالانسحاب مع الحامية الى الحلة بواسطة القطار •

كان في الديوانية يومذاك ٦ قاطرات و ٢٥١ عربة فجمعت كلها في قطار واحد بلغ طوله ميلا ، وحمل فيه كل مالدى الانكليز هناك من جنود وعمال ومدافع وطعام وعتاد • وأخذ الميجر ديلي معه في القطار رهينتيه موجد الشعلان وجبل العطية ، كما أخذ معه صكبان أبو جاسم رئيس البدير •

تحرك القطار من محطة الديوانية في الساعة السادسة والنصف من صباح ٣٠ تموز • وليس في مقدورنا وصف ما جرى من صراع ضاري بين الثوار ورتل القطار في الطريق بين الديوانية والحلة ، فذلك موضوع يحتاج الى كتاب قائم بذاته • يكفي لاعطاء صورة مجملة عنه أن نقول ان القطار استغرق في قطعه الطريق أحد عشر يوما ، علما بان الطريق طوله ٨٥ كيلو مترا ، ومعنى هذا ان سير القطار كان بمعدل ٨ كيلومترات في اليوم الواحد تقريبا •

كان الثوار يعمدون الى اقتلاع قضبان السكة قبل مجيء القطار الى موضع من المواضع ، فيضطر القطار الى التوقف عند وصوله الى ذلك الموضع ، ويسرع عماله ومهندسوه الى اقتلاع القضبان التي هي وراء القطار لينصبوها من جديد أمامه • ولكن الثوار لايتركونهم يفعلون ذلك بهدوء بل يتابعون الهجوم عليهم المرة بعد المرة ، وقد تقع من جراء ذلك معركة دامية يسقط فيها الكثير من الجرحى والقتلى من الفريقين •

كان لدى الانكليز مزية امتلاكهم للمدافع كما كانت الطائرات تأتي اليهم من بغداد فتقصف جموع الثوار قصفا فظيعا • وقد يعمد الانكليز في بعض الاحيان الى ارسال مفرزة من جنودهم الى القرى القريبة لاحراقها • يقول هالدين : ان الرتل أرسل في اثناء توقفه عند خان علي الواقع على بعد تسعة اميال من الديوانية جنودا الى القرى الواقعة في جوار السكة فأحرقوها، وذلك بعد ما بلغنا ان أهل تلك القرى هم المسؤولون عما لحق بالسكة من اضرار ، أما القرى الاخرى فقد أصليناها بوابل من قذائف المدفعية(١٧) •

شارك في معارك القطار عشائر عفك والاقرع وخفاجة وآل شبل والجبور وألبو سلطان من اتباع شخير الهيمص • وكان للسيد قاطع العوادي دور كبير في تلك المعارك اذ كان يتجول بين العشائر يحثها على جهاد الكفار ويثير فيهم النخوة العربية •

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان تقاليد البداوة في النخوة كان لها أثرها في تلك المعارك • ففي الزرفية التي تبعد عن الديوانية بنحو ٤٥ كيلومترا كان الثوار قد اصيبوا بهزيمة تجاه الانكليز ، وعند هذا ظهرت امرأة « عمارية » ، هي زوجة ثعبان المهدي من رؤساء الجبور ، فحسرت القناع عن رأسها ، ودخلت بين فلول العشائر المنهزمة وصارت تثير فيهم النخوة على الطريقة البدوية ، ثم تقدمت الى الامام وبيدها فأس ، فانتفضت النخوة في نفوس العشائر وكروا على الانكليز باستماتة فأجلوهم عن مواقعهم • وقد أصيبت المرأة في اثناء ذلك بقذيفة أودت بحياتها •

وحدثت حادثة أخرى مثلها في الهاشمية حين انكسر الثوار ، وكانت البطلة في هذه المرة أم جبل العطية ، واسمها (صافية) ، وقد حسرت قناعها عن رأسها كما فعلت البطلة الاولى ، وأخذت تثير النخوة في العشائر • ولكنها لم توفق في نخوتها لان القوة الانكليزية كانت اقوى من العشائر وكانت الطائرات تسندها(١٨) •

---

(17) Haldane (op. cit.) - P. 182-183.

(١٨) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ــ ص ٢٦٠ ــ ٢٦٣ •

وهناك ناحية اخرى جديرة بالذكر أيضا هي ان الهنود المسلمين الذين كانوا من ضمن الرتل الانكليزى كانوا يعطفون سـرا على الثوار ويحاولون مساعدتهم بمقدار جهدهم • وقد لقي موجد الشعلان وجبل العطية منهم رعاية لايستهان بها •

وعلى أي حال فان مدة الاحد عشر يوما التى قضاها الرتل في طريقه الى الحلة كانت مبعث قلق شديد للقائد العام الجنرال هالدين ، فهو يقول انه باشر المعارك في فرنسا طيلة سنوات الحرب العامة ولكنه لم يعان فيها من الرهق الفكرى مثل ما عاناه خلال المدة التى كان الرتل فيها يسير في طريقه الى الحلة ، فهي كانت عليه كأنها سنوات طويلة(١٩) • ويبدو ان هالدين كان يخشى ان يحل به في بغداد مثلما حل بزميله غوردون في الخرطوم في عام ١٨٨٥ عندما هاجمه الثوار السودانيون من اتباع المهدي وقتلوه شر قتلة • فهو يقول : ان مناظر الخرطوم كانت تتراءى لي في تلك الفترة حيناً بعد حين(٢٠) •

كان ويلسون يشعر بمثل هذا القلق أيضا حيث قال في مذكراته : « لم يكن قلقي أنا أقل من قلق هالدين » • ولكن ويلسون كان ينظر الى الامر من زاوية أخرى ، فلقد كان فكره مشغولا بوضع الحكام البريطانيين المنتشرين في انحاء العراق دون أن تكون لديهم قوة كافية ، وكان يخشى ان يكون مصيرهم كمصير زملائهم الذين قتلوا في تلعفر • وهو يقول عنهم : ان صمودهم هو الذى جعلنا نعتقد أن في مقدورنا الحيلولة دون قيام ثورة عامة فى البلاد ، فكل واحد منهم كان يعادل فوجا من الجيش فى حالـــة تمكنه من الثبات في تلك الايام العصيبة(٢١) •

صكبان ابو جاسم :

كان صكبان أبو جاسم رئيسا عاما لعشيرة البدير ، وكان عند قيام

(19) Haldane (op. cit.) - P. 189.
(20)Loc cit.
(21) Wilson (op. cit.) - vol. 2, P. 281.

الثورة كبير السن ، والمعروف عنه انه وقف الى جانب الانكليز في اثناء الثورة • وهناك في تعليل ذلك قولان : احدهما أن صكبان كان له خصم في عشيره البدير ينافسه على الرئاسة العامة للعشيرة هو شعلان الشهد رئيس الفراهنة ، ولما رأى صكبان ان شعلان قد انضم الى الثورة اضطر هو من جانبه الى الوقوف الى جانب الانكليز(٢٢) • أما القول الثاني فهو ان الحاج مخيف رئيس عفك كانت له سطوة على عشيرة البدير ، ولم يجد صكبان حماية من تعسفه الا في ظل الادارة الانكليزية(٢٣) •

أشرنا في فصل سابق الى قصة صكبان مع كلب الكابتن ويب ، ولكن فريق المزهر الفرعون يروي قصة مشابهة لها جرت مع كلب الميجر ديلي ، وهي ان جماعة من رؤساء العشائر كانوا جالسين ذات يوم على شاطيء النهر في الديوانية يتحدثون ، وكان صكبان أبو جاسم أحدهم • وصادف أن مر بهم الميجر ديلي ومعه كلبه ، فرمى ديلى عصاه الى الماء وأشار الى الكلب بأن يأتي بها ، فأسرع الكلب الى النهر وعاد يحمل العصا بأسنانه • فالتفت ديلي الى صكبان وقال له : « انظر ياحاج صكبان ، ان كلبي أفهم منك وأحسن ••• » • فنظر صكبان الى أصحابه والدموع ترقرق بين جفونه(٢٤) •

لست أدري مبلغ الصحة في هذه القصة ، وربما كانت من مبالغات الرواة ، ولكني مع ذلك استطيع ان أقول أن صكبان لم يكن محبا للانكليز من صميم قلبه ، فهو كان يداريهم لارتباط مصلحته بهم ولكنه كان يحمل الحقد عليهم • حدثني مكي السيد جاسم عن السبب الذى جعل الميجر ديلي يأخذ صكبان معه في القطار عند انسحابه من الديوانية ، هو انه كان لايأمن من صكبان أن ينقلب على الانكليز عقب انسحاب الحامية من الديوانية ،

---

(٢٢) محمد علي كمال الدين (المصدر السابق) ـ ص ١٤٥ •
(٢٣) المس بيل (فصول من تاريخ العراق الحديث) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٤٤٧ •
(٢٤) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٢٥٢ •

فهو عندما اركبه معه في القطار قال له : انك عندى تعادل فرقتين من الجيش •

نكسة الحلة :

كان الثوار بعد النصر العظيم الذى نالوه في الرارنجية قد بلغ التفاؤل لديهم مبلغاً كبيرا ، وكانوا واثقين انهم سوف يحتلون الحلة بسهولة ويأسرون القائد الانكليزي فيها ويحصلون على الغنائم التى لاتحصى • ومن الطرائف التي تروى فى هذا الصدد أن أحد أفراد العشائر الذين شاركوا في الزحف نحو الحلة قال يخاطب أصحابه : « ياجماعة لا تقولون • ان حصان القائد وزوجته لي »[٢٥] •

أما الانكليز فانهم بعد الهزيمة التى حلت بهم في الرارنجية أخذوا يستعدون للدفاع عن الحلة بأقصى مالديهم من جهد ، فأعلنوا الاحكام العرفية في البلدة ، ومنعوا التجول فيها ليلا ، كما منعوا الاهالي من حيازة السلاح ، وجعلوا عقوبة ذلك الاعدام • ومنعوا من تطيير الطيارات الورقية التى يلعب بها الصبيان فوق سطوح الدور ، فقد كانوا يخشون أن تكون هذه الطيارات وسيلة مخابرة بين الاهالي والثوار[٢٦] •

وفي ٣١ تموز ١٩٢٠ بدأ هجوم الثوار على الحلة من الجهة الغربية والجنوبية ، وكان هجوما ضاريا أبدى فيه الثوار بسالة مذهلة ، وقدموا فيه من التضحيات الشيء الكثير • وقد اشتهرت في هذا الهجوم عشيرة طفيل لما أبدت فيه من استماتة منقطعة النظير ، ويقال ان السبب في ذلك هو ان هذه العشيرة كانت قبل ذلك ذات سمعة حربية واطئة لما ابدته من ضعف عندما غزتها عشيرة العوابد ، فهي تريد الآن أن تسترد سمعتها ، ولهذا كانت في مقدمة المهاجمين للحلة ، وصارت تحتل شارعا شارعا وبيتا

---

(٢٥) عبدالشهيد الياسري (البطولة في ثورة العشرين) ـ النجف ١٩٦٦ ـ ص ٢١٥ •

(26) Sinderson (Ten Thousands and One nights) - London 1973 - P. 54 - 56.

بيتا وترفع اعلامها فوق سطوح الدور ، وظلت تقاتل بضراوة حتى بعد انسحاب العشائر الاخرى من البلدة[٢٧] .

أخفق الهجوم اخفاقا تاما ، وتراجع الثوار عن الحلة . وتقدر المصادر العراقية خسائرهم بـ ٧١ قتيلا و ١٢٠ جريحا و ٢٠ أسيرا ، وكان الاسرى من عشيرة طفيل اذ هم كانوا يواصلون القتال في داخل احدى الدور فحاصرهم الانكليز وأرغموهم على الاستسلام[٢٨] .

أما المصادر الانكليزية فتقدر خسائر الثوار باكثر من ذلك ، فهي تقول ان الثوار تركوا وراءهم ١٤٩ قتيلا وهم الذين وجدت جثثهم في داخل الحلة ، وتدعي المصادر الانكليزية بالاضافة الى ذلك ان الثوار كانوا قد نقلوا تحت جنح الظلام عددا كبيرا من قتلاهم وجرحاهم . أما خسائر الانكليز فهي حسب مصادرهم طفيفة نسبيا اذ لم تتجاوز تسعة قتلى وأقل من عشرين جريحا[٢٩] .

ولم تقتصر خسائر الثوار على ما ذكرناه . فانهم عندما انسحبوا من الحلة وتوقفوا في الطهمازية ، وهي ارض مكشوفة ، فاجأتهم طائرة فأمطرتهم بالقنابل مما أدى الى قتل اثنين وعشرين رجلا منهم وجرح ثلاثين[٣٠] .

حينما بلغ الشيرازي في كربلاء خبر نكسة الثوار في الحلة اوعز الى السيد هبة الدين الشهرستاني بأن يكتب الى السيد علوان الياسري يستفسر منه عنها . فأجابه السيد علوان برسالة حاول فيها أن يخفف من فداحة النكسة ، وهذا نصها :

بعد تقبيل أيادي جناب مولانا وملاذنا آية الله الميرزا محمد تقي

---

(٢٧) فراتي (المصدر السابق) ــ ص ١١٢ .
(٢٨) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ــ ص ٢٧١ ــ ٢٢٧ .
(٢٩) جريدة (العراق) ــ في عددها الصادر في ٥ آب ١٩٢٠ .
(٣٠) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ــ ص ٢٧٣ .

الشيرازي ، جناب عمدة الصالحين وقدوة المرشدين الذى هو اسمه وفقا لمسماه هبة الدين الشهرستانى دام بقاه •

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وردنا مشرفكم المعلن ما انطوت عليه عقيدتكم من انتصار المجاهدين وحماية ثغور المسلمين ، ذلك منوط بدعائكم والارشاد بهداكم ، والذى علينا تمام الجد وبذل الجهد ومن الله نستمد التوفيق • أما حالتنا الحاضرة فكما يحب الله وتحبون ، وان مصادمة الجيش العربى مع القوة المعادية في الحلة ليست أخبارها كما بلغتكم ، وما آفة الاخبار الا رواتها وهاك حقيقتها :

مولاي • وردتنا مكاتيب من ألبو سلطان تريد الهجوم على الحلة في تلك الليلة كما ذكرتم وهي ليلة الاحد المصادف ١٥ ذي القعدة ١٣٣٨ ، وطبق خطتهم يكون هجومهم مما يليهم ويكون هجومنا مما يلينا حتى يكون الهجوم عموميا والظفر من الله • بعد هذا الترتيب نحن حشدنا للهجوم ولكن ويا للاسف ان الوضعية من ألبو سلطان تغيرت من دون أشعارنا حيث أنهم قد منعهم خبر وصول قوة الديوانية اليهم ـ يقصد حامية الديوانية التى انسحبت بالقطار ـ فتأخروا لملاقاته لسوء التفاهم الذى حصل بينهم وبين المخبر الذى اخبرهم ان القوة صارت قريبة منهم ، والامر بعكس ما جرى •

أما القوة العائدة لنا فقد هجمت هجوما عربيا وأزالت القوة العسكرية من مراكزها حتى دخلت الحلة ، الى أن أصبح الصباح واتضح لنا عدم هجوم ألبو سلطان امرنا بسحب قواتنا منصورين مؤيدين • وأما ما أشرتم اليه من الصواب من أن تأخذ القوات خلف أقدام الجيش البرى ، هذا مضر كما أشرتم ، ولكن لم تتخلف قوة عسكرية الا وهى على رمق من الحياة ، حيث ان الجيش قد أحاطت به قوة عربية تبلغ ستة عشر ألف مقاتل والآن على وشك الاضمحلال • أما قوة الديوانية ـ يقصد حامية الديوانية المنسحبة بالقطار ـ التى سارت العشائر معها ، فانها لم تجر ميلا الا وفقدت ألف قتيل ، ومن المحال أن يصل منها الى الحلة مخبر • وكذلك

الحلة عند الفراغ من تلك القوة فهي بنظر السقوط طبقا لقوة مرابطيها من العشائر المجاهدين الذين لايهمهم الا خدمة شريعة سيد المرسلين وحماية ثغور المسلمين •

عبدالواحد الحاج سكر وعبادى ومرزوك يقبلون اياديكم • وكذلك شعلان الجبر يقبل اياديكم • ودمتم مؤيدين •

٢٠ ذي القعدة ١٣٣٨ السيد علوان السيد عباس(٣١)

الجريان والزنبور :

كان عداي الجريان رئيس ألبو سلطان وعمران الزنبور رئيس بني عجيل من الرؤساء الموالين للانكليز في منطقة الحلة ، وقد اشار الى ذلك الدكتور سندرسن الذى كان طبيبا عسكريا في الحلة اثناء الثورة • فهو يقول عنهما في مذكراته : انهما كانا يزورانه كل يوم تقريبا قبل معركة الرارنجية ، في بيته تارة وفى المستشفى تارة اخرى ، ليكلماه عن الوضع المتأزم الذى كان سائدا آنذاك ، وكانا يطلبان منه ان يبلغ كلامهما الى حاكم الحلة السياسى الميجر بولي ، فهما لايحبان الذهاب بنفسيهما الى بولي لكي لاتلتصق بهما تهمة التعاون مع الانكليز ، وهما ينصحان بولي أن لاينخدع بالمظاهر الزائفة التى كان بعض الرؤساء يتظاهرون بها ليأخذوا الاسلحة منه ، فان هذه الاسلحة سوف يستخدمها الرؤساء في محاربة الانكليز • ويقول سندرسن في مذكراته أنه سأل عداي وعمران عن اسماء هؤلاء الرؤساء المخادعين ، فذكراها له ، وقام سندرسن بابلاغ بولي بتلك الاسماء(٣٢) •

كان لعداي الجريان خصم ينافسه في رئاسة البوسلطان هو شخير الهيمص ، وقد انضم شخير الى الثورة وأخلص لها • وعندما أعد الثوار خطة الهجوم على الحلة نيطت بشخير مهاجمة الحلة من الجانب الشرقي ،

---

(٣١) المصدر السابق ـ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ •
(32) Sinderson (op. cit.) - P. 47 - 48.

ولكنه لم يوفق في هجومه لان عداي الجريان وعمران الزنبور وقفا حجر عثرة في طريقه(٣٣) .

ومن الطريف ان ننقل في هذه المناسبة ما ذكره صلال الفاضل في مذكرته الجوابية عن عمران الزنبور ، وهذا نصه :

« بينما نحن فى حصار الحلة اذ جاءتنا رسالة من الشيخ عجيل السمرمد رئيس عشائر زبيد في الصويرة موجهة الي يقول فيها : اذا خرجت الى دار عمران الزنبور اياك أن تآكل شيئاً أو تشرب عندهم ماء او قهوة او لبنا حيث قد أرسل اليك عمران سما مع أحد جماعته الى وكيله ملا كاظم الذى في محله ليدسه لك . وبعد أن أطلع ابناء العشائر التى معنا على هذه الرسالة هجموا على منازل عمران فأحرقوا مضيفه وداره أما هو فكان مع الانكليز في مدينة الحلة »(٣٤) .

ما بعد الحلة :

توجهت جموع الثوار بعد معركة الحلة نحو سدة الهندية فاحتلتها بلا مقاومة في ٥ آب ، ثم توجهت بعد ذلك نحو بلدة المسيب فاحتلتها كذلك. وقد اهتم هالدين كثيرا لاحتلال هذين الموقعين المهمين من قبل الثوار ، فهو يقول فى كتابه : ان الخطر اصبح يهدد بغداد التى لم تكن آنذاك قد تم تحصينها ، وبدأ الثوار يشنون هجماتهم على سكة الحديد التى تربط الحلة بالعاصمة(٣٥) .

كانت حامية الديوانية التي انسحبت بالقطار قد وصلت الى الحلة في ٩ آب ، وكانت عند وصولها في أشد الحاجة الى الراحة ، ولكن هالدين وجد من الضروري تحريكها بسرعة لاسترداد المسيب والسدة ، فان الوضع لايسمح بالتأخير . ففي عصر اليوم نفسه تحرك من الحلة رتل بقيادة

(٣٣) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ــ ص ٢٧١ .
(٣٤) المصدر السابق ــ ص ٥٦٦ .
(35) Haldane (op. cit.) - P. 142.

الجنرال ووكر متوجها نحو المسيب ، وفى اليوم التالي تحرك رتل آخر بقيادة الكولونيل سكوت •

دافع أهل المسيب عن بلدتهم ببسالة ، وعاونهم في ذلك فريق من العشائر ، ولكنهم لم يستطيعوا الصمود تجاه الرتل الانكليزي • وقد تمكن الرتل من اعادة احتلال المسيب في ١٢ آب ، ثم توجه بعدئذ نحو السدة وجرت بينه وبين الثوار معركة ضارية انتهت بهزيمة الثوار بعد ان تكبدوا خمسين قتيلا واكثر من ثمانين جريحا(٣٦) •

بعد استرداد السدة زحفت قوة انكليزية باتجاه كربلاء ، ولكنها عند وصولها الى مقربة من نهر الحسينية تصدى لها جمع من الثوار بقيادة مرزوق العواد ، وجاءت الى الثوار نجدة من العشائر المرابطة في طويريج بقيادة عبدالكاظم الحاج سكر • وجرت معركة ضارية تكبد الفريقان فيها خسائر فادحة • وقد اضطرت القوة الانكليزية الى الانسحاب •

وقعت هذه المعركة في ١٤ آب • ولا يعيرها هالدين اهمية كبيرة فى كتابه ، فهو يقول عنها : ان رتلا انكليزيا صغيرا كان يتحرك على ضفتي نهر الحسينية ، فتصدى له عدد كبير من الثوار ، ولكنهم مُنوا بخسائر فادحة جعلتهم لايتدخلون بعدئذ في حركات الرتلين(٣٧) •

اما الثوار فقد اعتبروا تلك المعركة نصرا عظيما لهم ، ومن هوساتهم التي أطلقوها استبشارا بالنصر قولهم : « بالسيك مبربع واويهـا » و « ياللا يتگابل رديته »(٣٨) • ويروى ان امرأة من عشيرة العوابد حين رأت كثرة القتلى من رجالها في ساحة المعركة أخذت تولول وتبكي وقالت تخاطب رئيس العشيرة مرزوق العواد « انكتلت رجالي يامرزوك » ، فانتهرها على بكائها وقال لها : « هلهلي والله اذا بقيت على قيد الحياة فلن تبقى عابدية ذات زوج الا وهى ارملة » • فانبرت امرأة اخرى من العشيرة نفسهـا

(٣٦) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ــ ص ٢٧٧ •
(37) Haldane (op. cit.) - P. 147.

(٣٨) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ــ ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ •

وهوست مجاراة لرئيسها حيث قالت : « يا موت اطحن وانا الهي لك »[٣٩]. ويقال ان مرزوق العواد هو الذى اطلق هذه الهوسة[٤٠] .

جبهة الوند :

يطلق اسم « الوند » على المقاطعة الواقعة فى منتصف الطريق بين المسيب وكربلاء ، ويوجد فيها قصر او قلعة قديمة . وقد تجمع الثوار فى هذه المقاطعة بعد معركة الحسينية والسدة ، حيث جعلوها معسكرا لهم يبعثون منه الجماعة تلو الاخرى لمناوشة الانكليز في السدة وحول ناظم الحسينية .

يمكن القول أنه لم تقع أية معركة مهمة في جبهة الوند طيلة الايام الباقية من الثورة . يقول علي البازركان : « لقد مكثت في كربلا مدة طويلة من الزمن وكنت أتردد حينئذ على طويريج ونهر الوند الذى رابطت فيه العشائر المحاربة ، فلم أر أي حركات حربية مهمة اللهم الا الهوسات والاهازيج ليلا ونهارا »[٤١]. ويروي البازركان انه التقى بالسيد قاطع العوادي الذى كان يكثر من التنقل بين المحاربين في جبهات القتال ، وسأله عما شاهده فيها ، فأخذ السيد قاطع ينتقد رؤساء العشائر القائمين بالحرب في تلك الجبهات ، وقال ان كل اعمالهم هي الهوسات والدبكات واجتماعات « البصيرة » اى الاجتماعات التى يعقدها الرؤساء للمذاكرة ...[٤٢] .

يبدو ان العشائر قد أنهكتها المعارك السابقة في الرارنجية والحلة والمسيب والسدة والحسينية ، ولعلها وجدت ان قيامها بمعارك جديدة لا تنتج سوى زيادة في الضحايا ، فركنت الى الراحة ، ولكنها بقيت تتظاهر بتصميمها على القتال عن طريق الهوسات والدبكات .

---

(٣٩) تحسين العسكري (مذكراتي) ــ النجف ١٩٣٨ ــ ج ٢ ــ ص ١٨٣ .
(٤٠) فراتي (المصدر السابق) ــ ص ١٣٢ .
(٤١) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ــ بغداد ١٩٥٤ ــ ص ١٦٢ .
(٤٢) المصدر السابق ــ ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

الفصل السابع عشر

عشائر بني حچيم تواصل القتال

يطلق اسم « بني حچيم » على مجموعة كبيرة من العشائر تقطن في منطقة السماوة ، او ما يسمى الآن بـ « محافظة المثنى » ، وهي تشمل عشائر الرميثة التي انطلقت منها شرارة الثورة في ٣٠ حزيران ، كما تشمل العشائر التى تقطن الى الجنوب منها حول بلدة السماوة والخضر .

تتميز عشائر بني حچيم عن عشائر المشخاب والشامية وغيرها من عشائر الفرات الاوسط بأنها أقرب الى البداوة واكثر تمسكا بالتقاليد القبلية الموروثة وبعدا عن نعومة الحضارة وترفها . فهى تعيش على البساطة والكفاف والخشونة ، ومعظم أفرادها يعيشون على تربية الابل والغنم[1] .

تقول المس بيل في وصف بني حچيم مانصه :

« فقد كانت مجموعة قبائل بني حچيم الممتدة من الرميثة الى السماوة، وعلى طول الفرات الى الدراجي ، غير خاضعة بالمرة لاية سلطة مدنية . وعندما استولينا على السماوة في كانون الاول ١٩١٧ كانت هذه المجموعة مثالا للتفكك القبائلي . ولم تكن معظم هذه الجماعات متخاصمة بعضها مع بعض فقط بل كانت متجزئة الى أقسام يحارب بعضها بعضاً . وكانت تتحدى السلطات العثمانية مدة سنين عديدة قبل الحرب ، واذا كنا قد نجحنا في فرض بعض التهدئة هناك فان الامن لم يستتب استتبابا تاما . ومع أن جباية الواردات الحكومية كانت بمقياس أخف هنا بالنسبة لنواحي الديوانية الاخرى فان عملية تخمين الحاصلات وقياسها كانت تقاوم ، وكثيرا ما كانت تتراكم بقايا الديون الحكومية في هذه الجهات ... »[2]

---

(١) عبدالشهيد الياسري (البطولة في ثورة العشرين) ـ النجف ١٩٦٦ ـ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

(٢) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٤٤٤ .

في الوقت الذى كانت فيه جبهات الوند وطويريج والكوفة هادئة على نحو ما أشرنا اليه في الفصل السابق كانت عشائر بني حجيم تواصل القتال بلا هوادة ، وقد ظلت كذلك حتى بعد استسلام العشائر الاخرى ، وهى لم تلق سلاحها الابشروط فرضتها على الانكليز ـ كما سنأتي اليه في فصل قادم •

معركة الخضر :

الخضر قرية عشائرية صغيرة تقع على ضفة الفرات اليسرى على بعد عشرين ميلا من جنوب السماوة ، وكان فيها محطة للقطار ذات اهمية خاصة لانها كانت المحطة الوحيدة التى تجهز القطار بالماء فيما بين السماوة والناصرية ، وكانت المحطة تضم بالاضافة الى موظفيها وعمالها حامية مؤلفة من ٧٥ رجل من الشبانة بقيادة الملازم سمبسون •

كانت العشائر القاطنة بين الرميثة والسماوة قد بدأت تتحفز للانضمام للثورة منذ ٣ تموز ، أما منطقة الخضر فكانت هادئة نسبيا ، وكان مدير المحطة قد تمتع هو وموظفوه بحماية عشيرة ألبوريشه القاطنة بالقرب من المحطة وهي فخذ من الجوابر[٣] •

في ٣٠ تموز وصل الى منطقة الخضر السيد هادي المقوطر قادما من النجف وأخذ يدعو العشائر الى قتال الكفار والجهاد في سبيل الله[٤] • ومنذ ذلك الحين أخذت العشائر تخرب السكة الحديدية وخطوط التلغراف مما اضطر الانكليز الى ارسال البواخر الحربية والقطارات المدرعة لحماية السكة والخطوط •

وفي ١٠ آب بينما كانت الباخرة الحربية « غرين فلاي » تمخر النهر قادمة من السماوة جنحت في الطين على بعد خمسة اميال من الخضر •

---

(3) Haldane (Insurrection In Mesopotamia) - Edinburgh 1922 - P. 194 - 195.

(٤) آيرلاند (العراق) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٤٩ ـ ص ٢٠٨ •

فتوقفت عن السير • وقد بذل الانكليز جهودا مضنية لانقاذها دون جدوى• وانتهزت العشائر تلك الفرصة وصارت ترمي الباخرة بوابل من نيران بنادقها بلا توقف • ثم عطفت العشائر نحو المحطة وأخذت ترميها بنيران بنادقها كذلك •

أبرق الجنرال نيبان من الناصرية الى هالدين فى بغداد يخبره بأن العشائر التى تجمعت حول محطة الخضر يبلغ مجموع أفرادها الالفين ، وهو يستفهم منه هل ينجد الحامية ويساعدها على الصمود أم يأمرها بالانسحاب الى الناصرية • وكان الحاكم السياسي في المنطقة ينصح بانجاد الحامية وتقويتها ، لانه يعتقد ان انسحاب الحامية يجعل حامية السماوة في عزلة كما انه قد يؤدي الى تهديد الناصرية والى تشجيع عشائر المنتفق على الثورة • ولكن هالدين لم يصغ لنصيحته وأصدر أمره بانسحاب الحامية الى الناصرية بلا تردد(٥) •

كان في محطة الخضر آنذاك قطار عادى وقطاران مدرعان ، وكانت خطة الانسحاب أن يتحرك القطار العادى في المقدمة وهو يحمل رجال الحامية مع الموظفين والعمال على ان يتلوه القطاران المدرعان لحمايته من الخلف • وفى الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر ١٣ آب تحرك القطار من المحطة ، وكان الثوار قد اقتربوا منه يرمونه بنيران بنادقهم • يقول هالدين : « بعد دقائق قليلة ، ولسبب غير معروف اندفع القطار المدرع الاول بقوة نحو القطار العادى الذى كان أمامه فأدى ذلك الى خروج بعض عرباته عن السكة ••• وحدث من جراء ذلك اضطراب عظيم ••• فان العربات التى خرجت عن السكة وقفت حائلا دون سير القطارين المدرعين، واصبح من الضروري تركهما في المحطة • وازدحم الجنود والعمال والموظفون كلهم في عربات القطار العادي الذي غادر المحطة وحده • وقد وصل هذا القطار الى محطة اور سالما فى الساعة التاسعة والنصف مساءاً »(٦) •

---

(5) Haldane (op. cit.) - P. 196.

(6) Ibid. P. 198.

كان في احدى العربات المتروكة سبعة عشر رجلا من جنود الكركة، وكان قد أوعز اليهم بالوثوب منها للحاق برجال الحامية في القطار العادي ، غير أنهم لم ينجحوا في وثوبهم فوقعوا في أيدى الثوار وقد وجدت جماجمهم بعدئذ مرتبة في صف واحد في القرية(٧) .

حصل الثوار على غنائم كثيرة عند استيلائهم على المحطة والقطارين المدرعين ، وكان من اهم تلك الغنائم مدفع من عيار ١٣ رطل ، ولكنهم وجدوا ابرته مفقودة لان أحد الجنود أخذها معه وفر هاربا . وقد استطاع شاب من الثوار ان يظفر بالجندي ، فقتله واسترد الابرة منه ، وجاء بها الى الشيخ عزاره المعجون ، فمنحه الشيخ مكافأة نقدية(٨) .

رسالة وجوابها :

على أثر انتهاء معركة الخضر كتب اثنان من رؤساء الثوار الى الشيخ فتح الله الاصفهاني في النجف رسالة يصفان فيها انتصارهم في المعركة .

وهذا نصها :

جناب مولانا وملاذنا حضرة شيخنا حجة الاسلام شيخ الشريعة دامت بركاته على كافة الانام .

أما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أعلم حضرتكم وأبشركم من خصوص قوة العدو شرق السماوة المتحكمة في محطة سيدنا الخضر البالغة قوتها ٣٠٠ نفر بيادة فقد وقعت المصادمة من قبل بني احكيم وفرقة آل زياد يوم الخميس ويوم الجمعة رغما عن قوته المذكورة الراجلة واربعة مراكب اثنان منها أبو سلة واثنان ماطورات حربية . وأما ماطورات أبو سلة فقد أسقطنا واحد واخذنا مافيه من الجبخانة والطواب والاسلحة والثاني خربنا آلته برمي الرصاص وبقي متوسط الماء لايغرب ولا ينحدر ،

(7) Loc. cit.

(٨) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) – بغداد ١٩٥٢ – ص ٤٧٨، ٤٧٩ .

ولنا الامل بالله عزوجل أنه يسقط • ومن الريلات اثنين واحد رجع فارا الى الناصرية والثاني مدرع ألقيناه مجندل على الارض وقد أخذنا ما فيه غنائم لاتحصى من اسلحة وجبخانة ورشاشات وطوب دان واحد مع جبخانة كافية • ورأينا ابرة المدفع مخفية ، وبموجب الاخبار الموثوقة ان الابرة التقت عند عشيرة من عشيرة العبس يقال لها ألبو حاوللى ان شاء الله تعالى يكون جيد الى الاستعمال • بعد هذا نعرف حضرتكم عن ما يكون من استعمال المدافع الصالح منها والخراب • وأرسلنا ٥٠٠ خيال مع سكة الريل الى محل يقال له المكير ، فمن الخضر الى المكير جميع النقاط أخذت ، واليوم موجود الاسرى بلغ خمس وثلاثون ماعدا القتلى الذين لاحساب لهم ، وما بقي عندنا سوى قوة السماوة بقيت تحت المحاصرة ان شاء الله تعالى عن قريب نبشركم عن اتلافها • هذا ماوجب عرضه لحضرتكم ونرجو دعائكم عند مولانا امير المؤمنين عليه السلام • والسلام عليكم وعلى جميع علمائنا الكرام • وننتظر بشائركم بموفقيت اخواننا المجاهدين عشائر النجف واهاليها ونحن فى غاية التأسف لعدم الموفقية التى جعلت القوة المحصورة فى اراضي الكوفة انها باقية الى هذا اليوم مع هذا نسأل الله تعالى ان يوفق اخواننا المجاهدين على اتلاف العدو ودمتم مؤيدين الى الخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته • حرر يوم السبت ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٨ •

خادمكم رئيس آل زياد فرقة الدراوشة — رئيس آل زياد

هداد المجرم — جديع المرزوك(٩)

وبعد أيام من ارسال هذه الرسالة وصلت من الاصفهاني الى السيد هادي المقوطر الرسالة التالية :

بسم الله وله الحمد

جناب السيد الماجد الناصر المجاهد السيد هادي آل مكوطر لا زال محروسا •

بعد السلام عليك وعلى جميع المشائخ المحترمين المجاهدين المدافعين

(٩) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ـ صيدا ١٩٧٢ ـ ص ١٦١ •

معك ورحمة الله وبركاته • لا يخفاك أنه وردنا من ناحيتكم كتاب بامضاء مشايخ آل زياد حرسهم الله بحفظه • وفيه ذكر المصادمة الواقعة بينهم وبين عدو الاسلام والمسلمين شرقي السماوة والبشارة بانكسار قوته وانتصار المسلمين عليه • فسرنا والله ذلك وسئلنا الله لكم دوام النصر شرق السماوة وغربها وفي كل مكان توجهتم اليه نصراً عزيزاً في القريب العاجل انه ولي ذلك والقادر عليه • هذا وان من أهم وصاياي لك أولا أن تبذل غاية جهدك في تأليف المسلمين وجمع كلمتهم حتى تحصل المعاونة والمعاضدة وتتحقق القوة وكيف لا يتساعدوا وهم في الحقيقة أعضاء جسم واحد واني لا أرضى الا أن يكونوا كما قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم • وثانيا أن تحتفظ بآلات الحرب التي لا توجد عند العشائر كمدافع الدان وجبخانتها والقذائف والمكائن والقنابل اليدوية والفلك ذوات الماكينة والعربايين وما يتعلق بها ونحو ذلك من أسباب سرعة النقل وشدة التدبير فان ذلك أنفع للمسلمين من كل غنيمة لانه يجر غنائم كثيرة وتتبعه فتوح كبيرة وأنتم بذلك أعرف • ثم ان هذه مكاتيب ستة تصلك لفاً توصلها وتدفعها الى مشايخ آل زياد واني آمل ان كل طائفة تقوم بالدفاع الفعلي وتأيد بمثل ذلك النصر الباهر أن تعرفني هي بنفسها عما قامت به من الاعمال المشكورة لتختص منا بالدعاء ومزيد العناية من رب السماء وليزداد سروري وسرور جميع المسلمين فانهم يرتلون على الدوام آيات الثناء والدعاء لمشايخ الدهلة والعشائر المشايعة لهم في وقائع الأبيّض فشكر الله سعي الجميع وجزاهم عن الاسلام وأهله خير الجزاء • وحيث طلبتم البشائر بموفقية اخوانكم المجاهدين لدينا فستأتيكم انشاء الله جميع المنشورات المطبوعة في أفعالهم لتزيدكم سروراً وفرحاً • وأما الأرض المقدسة فقريباً تطهر من الارجاس انشاء الله • وأما أهل النجف فهم بين واقف في خطط الحرب وبين متهيء للحوق بالمحاربين ولا يبقى على الظاهر غير المعذورين والقائمين بمصالح المسلمين • هذا واني عازم أن ارسل اليك العالمين العاملين السيد محمد الخلخالي والشيخ الميرزا محمد

رضا الايرواني ليعيناك على تعميم الدعوة وتبليغ النصح وهما من العلماء الاخيار الثقات عندنا المعتمدين لدينا وعلى كل حال يكون طريقهما عليك فان شئت فاستبقهما عندك ينتفع بهما جند الاسلام بالصلاة والمسئلة والفتوى وان شئت وجهتهما الى أي مكان تريد واني تركت سبيلهما وسهلت لهما الطريق الى ما يريدان • وفي الختام أعيد سلامي لك ولجميع المجاهدين واسئل الله جل شأنه أن يؤيدهم بعونه وتوفيقه آمين بمحمد وآله الطاهرين • في ٤ ذي الحجة ١٣٣٨ • حرر عن الجاني شيخ الشريعة الاصفهاني(١٠) •

معركة البواخر :

كانت حامية السماوة مؤلفة من قسمين ، أحدهما وهو الرئيسي كان بقيادة الكولونيل هاي وقد عسكر على النهر في موضع يسمى « شاطي حسيجة » يبعد عن بلدة السماوة بنحو ميل ونصف الميل شمالا ، أما القسم الثاني فكان بقيادة الكابتن رسل وقد عسكر حول محطة القطار التي تبعد عن سور البلدة بنحو ١٨٠ مترا •

وكان الانكليز قد أخلوا بلدة السماوة ، ولهذا صارت تحكم نفسها بنفسها على الطريقة العشائرية ، فكان القسم الغربي منها يحكمه الشيخ رباط السلمان ، بينما القسم الشرقي يحكمه السيد طفار ، ويقال عن السيد طفار انه كان مؤيدا للانكليز في قلبه ولكنه كان يتظاهر بتأييد الثورة تحت تأثير الرأي العام •

عندما انسحب الانكليز من محطة الخضر في ١٣ آب أصبحت حامية السماوة بكلا قسميها مطوقة ومعزولة ، وأخذ الثوار يضيقون عليها الحصار يوما بعد يوم ، فاضطرت القيادة الانكليزية الى وضع خطة لامداد الحامية بالمؤن والاعتدة •

أعدت في الناصرية خمس بواخر لامداد الحامية المحصورة كانت

---

(١٠) عبدالله فياض (الثورة العراقية الكبرى) ـ بغداد ١٩٧٤ ــ ص ٣٤٨ •

ثلاث منها حربية هي : « غري فلاي » و « سو فلاي » و « ستون فلاي »[١١] ، واثنتان عاديتان تسحب كل منهما جنيبتين . وقد تحركت هذه القافلة النهرية من الناصرية في ٢٦ آب ١٩٢٠ متجهة نحو السماوة ، وكانت بقيادة الكابتن سفولك .

سارت القافلة بسلام حتى وصلت الى مقربة من الخضر ، وهناك بدأ الرصاص ينهمر عليها من الضفتين انهماراً شديداً . ولم تكد تجتاز الخضر حتى اندلعت النار في محرك احدى الباخرتين العاديتين مما اضطرها الى الجنوح الى الشاطىء . وعند هذا صعد الثوار الى الباخرة المعطوبة ، فجرى بينهم وبين جنودها قتال عنيف انتهى بقتل أكثرهم ، وكانت خسارة الثوار نحو مائة قتيل . وبعد انتهاء القتال نهب الثوار الباخرة والجنيبتين ثم أضرموا النار فيها[١٢] .

وفي صباح اليوم التالي انسحبت الباخرة « ستون فلاي » عائدة الى الناصرية ، أما بقية القافلة فقد واصلت السير نحو السماوة تحت وابل من نيران الثوار . وحين وصلت القافلة الى بعد ميلين من السماوة أصيبت أحدى الجنيبتين الباقيتين بعطب ، فاضطرت القافلة الى تركها طعمة للثوار ، وظلت هي تواصل السير حتى تمكنت من الوصول الى الحامية . وكان وصولها على الرغم من خسائرها الكبيرة سببا في تقوية عزائم الحامية . وقد منح الكابتن سفولك فيما بعد وسام الصليب العسكرى مكافأة له[١٣] .

ننقل فيما يلي نص رسالة بعث بها الثوار الى الشيخ فتح الله الاصفهاني يصفون فيها معركة البواخر :

لحضرة آية الله شيخ الشريعة سلمه الله تعالى .

بعد تقبيل أيادي مولانا حجة الاسلام ومرجع الخاص والعام شيخ

---

(١١) معناها على التوالي : الذبابة الشهباء والذبابة المنشارية وذبابة الحجر .

(١٢) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٤٨٨ .

(13) Haldane (op. cit.) - P. 202.

الشريعة دام ظله • ثم مولانا لا يخفاكم نبشركم بشارة عظيمة يوم الجمعة الموافق ١٢ ذي الحجة جاءتنا خمسة مراكب كبار أمهات السلة من الناصرية فاستقبلهن الاسلام وهم عشائر الجوابر جميعا وأهل الخضر الى شرقي الخضر في مكان يقال له الصافي ، فصاروا له صوبين على الفرات وثار عليهن التفك من الاسلام المذكورين والمراكب يضربن بالطواب الكبار والرشاشات ، والاسلام غير مبالين ثابتين حتى اختطفوا منهن مركبا كبيرا فيه مدافع ورشاشات وتفك وذخائر ، وقتلوا الاغلب وأسروا الباقي، والاربعة الباقيات وقف منهن واحد والعشائر محاصرته ، وحسب الظاهر تريد الى المعسكر المحاصر بالسماوة • وان شاء الله هذه الواقعة تحرك كل من لم يقم من العشائر الساكنة • بشروا المسلمين الذين عندكم • والمركب المأسور أحرقناه في النار لمّ يبقى له أثر والسلام• ١٢ ذي الحجة ١٣٣٨•

الاحقر	رئيس الجوابر	رئيس الجوابر
عبد علي الشيخ حيدر	حاج صفر العجيرب	حاج مهدي العجيرب[١٤]

معركة المحطة :

أخذ الثوار عقب معركة البواخر يشددون الحصار على حامية المحطة ، وبدأت النيران تنهمر عليها بكثافة من فوق سور السماوة ، فأصيبت صهاريج الماء بعطب مما جعل الحامية في مأزق حرج لانقطاع الماء عنها •

أوعز آمر الحامية بحفر بئر في داخل المحطة ، ولكن ماء البئر ظهر مالحاً لا يصلح للشرب ، فأرسل الآمر الى رئيسه الكولونيل هاي في شاطي حسيجة يخبره بأنه مضطر الى اخلاء المحطة اذا استمر حصاره اكثر من أربعة أيام • فتم الاتفاق بينهما على وضع خطة لانسحاب الحامية من المحطة في ٣ ايلول بالتعاون مع طائرات تأتي من بغداد •

وفي اليوم المعين شُرع بتنفيذ الخطة ، وجمع كل مافي المحطة من

(١٤) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٤٨٩ •

رجال واسلحة في قطار مدرع ، ثم تحرك القطار متجها نحو المعسكر الرئيسي في حسيجة ، غير أنه لم يكد يسير قليلا حتى توقفت القاطرة عن الحركة لعطل أصابها ، أو لعطل أصاب المحولة ، من جراء النيران الكثيفة التي كان الثوار يوجهونها عليهما . وعند هذا هجم الثوار على القطار ، فبدأت معركة تعد أشد معارك الثورة ضراوة وأكثرها خسائر من الفريقين .

أبدى الثوار استبسالا في هذه المعركة منقطع النظير ، فكانوا يهجمون على القطار غير مكترثين للموت ، واشتهر في ذلك آل حاجم الذين كانوا يتساقطون تحت النيران المنهمرة عليهم واحداً بعد الآخر[١٥] . وقد قدر عدد القتلى من الثوار بأربعمائة كان فيهم عدد من الرؤساء . أما الجرحى فلم يعرف عددهم ، ويقال ان ماء الفرات القريب من المعركة صار مصبوغا بالدم بحيث تعذر الشرب منه بضع ساعات[١٦] .

كان في القطار طبيب عسكري اسمه الكابتن بيجين ، وقد قام هذا الطبيب في أثناء المعركة بمكيدة أدت الى مقتل عدد كبير من الثوار ، وهي أنه ألقى من القطار نقودا ورقية من فئة العشر روبيات ، ولما تهافت الثوار على النقود لالتقاطها قذف عليهم قنابل يدوية مزقتهم تمزيقا[١٧] .

كانت حامية المحطة تضم حسب تقدير هالدين نحو مائة وخمسين رجلا[١٨] ، غير ان الثوار كانوا يقدرونها بما يزيد على الالفين[١٩] . وعلى أي حال فان أفراد الحامية هلكوا جميعا ولم ينج منهم سوى رجلين وقعا أسيرين في أيدي الثوار . وكانت غنائم الثوار جسيمة بينها قطار

(١٥) فراتي (على هامش الثورة العراقية الكبرى) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ١٣٧ .

(١٦) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٤٧٦ـ٤٧٧ .

(17) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 294.

(18) Haldane (op. cit.) - P. 208.

(١٩) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٤٧٥ .

مدرع[٢٠] .

أرسل السيد هادي المقوطر الى الكولونيل هاي ثلاث رسائل يدعوه الى الاستسلام ويتعهد له بعدم مس الحامية الرئيسية التى تحت أمرته بأذى . فلم يرسل هاي اليه جوابا ، وصمم على الصمود الى النهاية ، وأمر بتخفيض جراية الطعام اليومية المخصصة لجنوده الى النصف . وقد دام حصار الحامية نحو شهرين ، الى أن تم انقاذها في ١٤ تشرين الثاني – كما سنأتي اليه في حينه .

سامي النقشلي :

مما يجدر ذكره في هذا الشأن ان عددا من الضباط العراقيين من بقايا الجيش العثماني قد تطوعوا لخدمة الثورة ، فذهب واحد منهم الى ديالى هو شاكر محمود قنبر علي وكان فى صحبته سامي خوندة ، أما الآخرون فقد ذهبوا الى الفرات الاوسط وهم : حسين علوان الدوري وشاكر القرغولي ومحمود رامز واسماعيل حقي الاغا ومحمود سامي وسعيد حقي وفؤاد المدفعي وطالب الجدة وابراهيم مهدى وسامي النقشلي وزكي أمين الكردي .

اشتهر من هؤلاء الضباط اثنان لما قاما به من اعمال باهرة في الثورة ، أحدهما حسين علوان الدورى وكان مقره في الكوفة وسنأتي الى ذكر ما قام به من اعمال في حينه ، والثاني هو سامي النقشلي وقد التحق بثوار بني حجيم في منطقة السماوة والخضر .

ان سامي النقشلي ضابط بغدادي من أصل تركي ، وكان فى أثناء الحرب الاولى ضابط رشاش وقد شارك فى معركة جناق قلعة المشهورة ، وحين تطوع في الثورة انتحل لنفسه اسم « محمود التركي » خوفا من أن ينتقم الانكليز من أهله فى بغداد[٢١] . وقد اخلص للثورة وبذل فيها جهودا كبيرة ظل الثوار فى منطقة السماوة يلهجون بها مدة غير قصيرة .

---

(٢٠) جريدة (العراق) – في عددها الصادر في ٦ ايلول ١٩٢٠ .

(٢١) عبدالله فياض (المصدر السابق) – ص ٢٩٥ .

كان من جملة غنائم الثوار في منطقة السماوة مدفعان وعدد كبير من القنابل اليدوية وقنابل المدفعية • وقد تمكن النقشلي ان ينصب أحد المدفعين فوق كورة تقع في شمال بلدة السماوة لضرب المعسكر الانكليـــزي في شاطىء حسيجة ، ونصب المدفع الثاني في الجانب الآخر من النهر للغرض نفسه •

ويروي النقشلي قصة جاسوس من أصل ايراني اسمه رضا كان الانكليز قد أرسلوه ليلا مع زميل له لتخريب أحد المدفعين • وقد تمكن النقشلي من القبض عليه فعثر في حوزته على رسالة باللغة الانكليزية عليها توقيع سيد من رؤساء السماوة • لم يذكر النقشلي اسم هذا السيد ، ولكنه يقول بأن الرسالة مكتوبة بخط رجل يهودي كان موظفا في القطار ثم التجأ دخيلا الى السيد عند قيام الثورة • ولما اطلع السيد هادي المقوطر على الرسالة ارتأى أن من المصلحة العامة كتمان اسم السيد واسم اليهودي الملتجيء عنده ، على أن ينالا عقابهما في وقت آخر • أما الجاســـوس المقبوض عليه فقد تقرر قتله ، وعند هذا تناولته الايدي بالضرب حتى مات فسحبت جثته في طرقات الســـماوة لكي يكون عبرة لغـــيره مـــن الجواسيس(٢٢) •

وجد النقشلي صعوبة في تدريب أبناء العشائر على استعمال القنابل اليدوية التي كانت من جملة الغنائم ، وكانت كثيرة لديهم ، فهم كانوا يكرهون القنبلة اليدوية ويسمونها « العقرب » ويرفضون اســـتعمالها • والتجأ النقشلي أخيرا الى حيلة من أجل ترغيبهم بها ، وهي باســـتعمال القنابل في صيد السمك ، فأخذ يقذف بها الى النهر واحدة بعد الاخـــرى مما ادى الى حصولهم على سمك كثير • وعند هذا أقبلوا على اســـتعمال القنابل بشوق كبير ، واستطاع النقشلي أن يؤلف منهم فصيلا لقذف القنابل اليدوية على الانكليز(٢٣) •

---

(٢٢) محمد علي كمال‌الدين (معلومات ومشاهدات) ــ بغداد ١٩٧١ ــ ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ •
(٢٣) المصدر السابق ــ ص ٢٦٦ •

مصير « غرين فلاي » :

ان الباخرة « غرين فلاي » التي جنحت في الطين في ١٠ آب ظل بحارتها صامدين تجاه الحصار الشديد الذي سلطه الثوار عليهم • وقد حاول الانكليز تموينها بواسطة الطائرات في بعض الأحيان ، فكانت الطائرات ترمي اليهم اكياس الطعام والحاجات الاخرى ، فيسقط بعض الأكياس على الباخرة بينما يسقط البعض الآخر في الماء •

كان الثوار يواصلون رمي الباخرة بنيران بنادقهم ، كما كانوا يقذفونها بالقنابل اليدوية التي دربهم عليها سامي النقشلي • وفي ٢٢ آب تمكن احد الثوار من اسقاط احدى الطائرات التي كانت تلقي أكياس المؤن على الباخرة • وشوهد سائق الطائرة وراصدها يخوضان النهر متجهين نحو الشاطيء[٢٤] ، ولكنهما عند وصولهما اليه قبض الثوار عليها وقتلوهما[٢٥] •

في ٣٠ أيلول كتب ربان الباخرة الملازم هدجر الى حاكم الناصرية رسالة يصف فيها حالته وحالة البحارة جاء فيها قوله : « ان الطعام قضيتنا الكبرى في الباخرة ، واني آمل ان تتمكن من الصمود في حالة نجاح تدبيركم • وفي الحقيقة ان حالة البحارة حسنة جداً اذا أخذنا بنظر الاعتبار ما نعانيه جميعاً من شحة قاسية في الطعام • ان معنوياتنا ما زالت عالية وان كنا نشعر بالاكتئاب في بعض الاحيان • ان تسلم رسالتكم والاطلاع على الاحداث ساعدنا جميعاً في الواقع • قد فقدنا هندياً واحداً وأصيب بريطاني بجرح بليغ • يضاف الى ذلك وجود هندي جريح وثلاثة أو أربعة مرضى من شدة الجوع • ومنذ وجودي على ظهر الباخرة لم استطع الحصول الا على أربعة اكياس من المؤون وعلبتين من البسكيت رمتها الطائرات علينا • وهذا هو كل طعامنا طيلة الأربعة والثلاثين يوماً ، وقد حصلنا عليها

---

(٢٤) جريدة (العراق) ــ في عددها الصادر في ٢٣ ايلول ١٩٢٠ •
(25) Wilson (op, cit.) - vol. 2, P. 294.

والرصاص ينهمر علينا ، والفضل كله يعود الى الجنود الشجعان الذين تطوعوا للاتيان بها على ضئالتها • ان الرمي من الضفة اليسرى كان مستمراً طيلة هذه المدة • ولكننا في اليومين الأخيرين لم نسمع أية اطلاقة ••• أرسلوا التموين الينا بالطائرات ، وليكن كثيراً بقدر الامكان ، وان كنا لانحصل الا على ربع ما يلقى الينا • وأود أن اذكر ان المؤن يجب أن تُلقى على مؤخرة الباخرة لكي تطفو الينا منحدرة مع تيار الماء ••• لست أدري ان كان عملاؤكم ناشطين الآن ، ولكني استطعت الاتصال برجل من العشائر ، فجاء لي بقليل من الطعام ، وأعطيته بخشيشاً كثيراً ••• أود أن أكرر رغبتنا في الصمود ، ولدينا الحافز الروحي على ذلك حتى النهاية على الرغم من اننا ربما لانملك المقدرة على الصمود في الوقت الحاضر ••• »(٢٦) •

كان في الباخرة علاوة على ربانها البريطاني أربعة جنود بريطانيين وثلاثون هندياً ، وكان هؤلاء الهنود مسلمين ما عدا واحداً منهم كان من السيك • والظاهر ان الهنود نفد صبرهم أخيراً فقرروا الاستسلام للثوار آملين أن يعاملهم الثوار معاملة حسنة لكونهم مسلمين • ففي ٣ تشرين الاول خرج أحد الهنود من الباخرة وهو يحمل علماً أبيض • فقابله سامي النقشلي ، وبعد المداولة معه حصل الاتفاق على أن يستسلم الهنود كلهم الى الثوار وان يحفظ الثوار حياتهم بشرط أن يقتلوا هم من جانبهم الربان والجنود البريطانيين الاربعة • فعاد الهندي الى الباخرة وأخبر رفاقه بما تم الاتفاق عليه ، فوافقوا عليه • وتمكنوا من قتل الربان والجنود الاربعه • والمظنون انهم دسوا لهم السم في الطعام • ثم خرجوا الى الثوار مستسلمين • وقد تسلمهم السيد هادي المقوطر فأرسل بعضهم الى النجف وأبقى البعض الآخر عنده • أما الباخرة فقد نهبها الثوار ثم خربوها(٢٧) •

---

(26) Haldane (op. cit.) - P. 326 - 327.

(٢٧) محمد علي كمال الدين (المصدر السابق) ــ ص ٢٦٢ ــ ٢٦٣ •

لم يمض على استسلام الهنود سوى ثلاثة أيام حتى وصلت الى الموقع قوة انكليزية كبيرة قادمة من الناصرية • وتمكنت القوة أن تستعيد سبعة عشر آسيراً • ثم ألف الانكليز لجنة خاصة للتحقيق عما جرى على الباخرة في أيامها الاخيرة •

لم يكن الانكليز يعلمون شيئاً عن مؤامرة الهنود واستسلامهم ، وظلوا جاهلين ذلك الى النهاية ، ولكنهم اكتشفوا في الباخرة أمراً غريباً حاروا في تفسيره هو ان الباخرة لم يظهر عليها أي أثر يدل على وقوع قتال فيها ، وقد واجههم هنا سؤال مهم : لماذا قُتل البريطانيون وحدهم بينما سلم الهنود ولم ينلهم أي اذى ؟

استجوبت اللجنة كثيراً من الشهود للتوصل الى الحقيقة دون جدوى • فالهنود لم يكشفوا عن السر مخافة العقوبة ، كما أن أفراد العشائر انكروا أنهم يعرفون شيئا • يقول هالدين : « ان هناك اشاعة قوية تشير الى وجود خيانة في الحادث ولكننا بعد مرور سنة لم نعثر على أي دليل يؤيد وجود الخيانة »(٢٨) •

يبدو ان السر لم يكن يعرفه سوى شخص واحد هو سامي النقشلي ، وقد حرص هذا الرجل على كتمان السر مدة طويلة حذراً من العقوبة • ولكنه أفشاه في أواخر أيامه ، ونقله عنه محمد علي كمال الدين في كتابه • وأظن ان الانكليز ما زالوا يجهلونه !

(28) Haldane (op. cit.) - P. 225 - 226.

الفصل الثامن عشر

أحداث كربلاء في عهد الثورة

أصبحت كربلاء في عهد الثورة ذات أهمية خاصة لسببين ، أولهما وجود المرزا محمد تقي الشيرازي فيها وهو الذي كان يتولى المرجعية الدينية الكبرى لدى الشيعة آنذاك كما أسلفنا ، والثاني قربها من جبهة القتال في الوند وطويريج ولهذا كان رؤساء العشائر المشاركون في الثورة يعقدون اجتماعاتهم فيها في كثير من الاحيان • ومن الممكن القول ان كربلا أصبحت خلال فترة من الزمن بمثابة العاصمة لحكومة الثورة ، وهي الحكومة التي كانت سلطتها المعنوية تشمل جميع المدن والارياف التي دخلت في حوزة الثورة ، والتي كانت تمتد من كربلاء شمالا الى الخضر جنوباً •

يجب أنلاننسى ان المدنوالارياف التي دخلت فيحوزة الثورة كانت تحكم نفسها بنفسها بواسطة رؤسائها المحليين على الطريقة العشائرية ، ولكن السلطة النهائية في الامور العامة كانت في يد الشيرازي وحاشيته في كربلا ، ثم تحولت بعد وفاته الى الشيخ فتح الله الاصفهاني في النجف ـ كما سنأتي اليه •

ولابد لنا من أن نذكر هنا بأن عهد الثورة ـ سواء في طوره الكربلائي أو طوره النجفي ـ قد تميز بظاهرة اجتماعية تستحق التقدير هي استتباب الامن والنظام ، فلم يظهر في هذا العهد أي أثر للغزو أو قطع الطرق أو المعارك العشائرية ، كما لم يقع فيه نهب لدور الحكومة أو دور الاهالي ، وهي الامور التي تجري في العراق عادة عندما تضعف سلطة الحكومة المركزية • وكانت في بعض المدن أقليات دينية من اليهود وغيرهم ، وقد لقيت تلك الاقليات رعاية وأمناً طيلة أيام الثورة •

حدثت حادثة استثنائية واحدة ، وقد جرت في المسيب ، حيث نُهبت فيها بعض دور الأهالي • ويقال ان أحد الثوار ـ وكان نجفياً ـ غنم من احدى الدور صندوقاً مليئاً بالاحجار الكريمة ، وكان هذا الصندوق سبباً في بدء ثروته التي نمت أخيراً •

اعلان الثورة في كربلاء :

ظلت كربلا هادئة طيلة الشطر الاكبر من شهر تموز لم تحـرك ساكناً ، وكان حاكمها المرزا محمد مستمراً في أداء وظيفته على نحـو ما كان يفعل في الأيام الماضية • ولكن كربلا لم تكد تصلها أخبار معركة الرارنجية في ٢٥ تموز حتى قررت الانضمام الى الثورة •

يروي خليل عزمي قصة اعـلان الثورة في كربلا ، وكان يومـذاك كاتباً في بلديتها ، فيقول : ان رؤساء البلدة اجتمعـوا في دائـرة البلديـة واستدعوا اليهم معاون الحاكم السياسي المرزا محمد ، فلما حضر المرزا خاطبه الملا خضر أبو شويلية أحـد رؤسـاء النصاروة قائـلاً : « انـك تعلم بأن كل البلاد المجاورة لكربلا اختل نظامها وانقطعت بيننا وبينهم وسائط المخابرة فلا يسع أهالي كربلاء أن تبقى السلطة بيدك لأنها لا تريد أن تبقى متخلفة عن الواجبات الوطنية المفروضة عليهـا • لذلك يجب أن تعطي مشتملات دوائر الحكومة كافة لهيئة وطنية تنتخبها بلا تردد » • فلما سمع المرزا محمد هذا الكلام طلب منهم بكل رجاء أن يمهلوه يومين فقط ، فوافقوا على امهاله •

كان المرزا محمد يقصد من طلب هذه المهلة أن يجتمع بمحمد أمين مدير الشرطة ليستعلم منه هل هو قادر على الصمود في مركز الشرطة بمن معه من أفراد الشرطة الى أن تأتي النجدة اليه من بغداد • وقد كان مدير الشرطة شديد الاخلاص للانكليز فلما استعلم منه المرزا محمد أجابه بأنه قادر على الصمود عشرين يوماً • وعند هذا اتفق الرجلان على رفض طلب الرؤساء ، وبدأ المدير يهيىء مركز الشرطة للتحصن فيه ، فأحضر أكياس الرمل كما خزن مقادير كافية من الطعام • وأمر بحفر بئر في ساحة

المركز للاستقاء منه في حالة الحصار . ثم وقف بين أفراد الشرطة يخطب فيهم مشجعاً لهم على الصمود ، ومنّاهم بالمستقبل الباهر والمكافآت العظيمة. ولكنه لم يكد ينتهي من كلامه حتى انبرى له أحد أفراد الشرطة يتحداه بهذه الهوسة : « ما نطيعك ، ما نطيعك ، يا عبد السوجر ما نطيعك » . وأخذ الباقون يرددون الهوسة معه ، ثم اندفعوا نحو باب المركز هاربين الى بيوتهم . وحين رأى الاهالي ذلك هاجموا دار الحكومة ونهبوها .

التجأ مدير الشرطة والمرزا محمد ، وكان معهما عريف بريطاني اسمه فورد ، الى دار محمد رشيد جلبي الصافي التى كانت مجاورة لدار الحكومة . وتطوع فخري كمونة بحماية هؤلاء الثلاثة ، وأركبهم احدى العربات برفقة ابن اخيه حميد كمونة ، وسارت بهم العربة حتى أوصلتهم الى عشيرة المسعود ، فأوصلتهم هذه العشيرة الى القوات الانكليزية التى كانت مرابطة في المسيب[1] . وقد وصلوا أخيرا الى بغداد سالمين .

كان يوم اعلان الثورة فى كربلاء يوما عجيبا صاخبا ، فقد خرج الكثير من سكان البلدة من بيوتهم وهم يحملون بنادقهم وأسلحتهم الاخرى، وامتلأ الفضاء بأصوات الهوسات واطلاق الرصاص . وفى صباح اليوم التالي ـ أي في ٢٦ تموز ـ اجتمع رؤساء البلدة ووجهاؤها عند الشيرازي في داره ، وبعد مداولة طويلة تقرر تشكيل مجلسين لادارة البلدة هما « المجلس العلمي » و « المجلس الملي » . وكانت مهمة أولهما ترويج الدعاية الدينية للثورة والنظر فى القضايا المتنازع عليها التى تقع في داخل البلدة أو بين العشائر ، وقد تألف هذا المجلس من خمسة أعضاء هم : السيد هبة الدين الشهرستاني والسيد أبو القاسم الكاشاني والمرزا أحمد الخراساني والسيد حسين القزويني والمرزا عبدالحسين الشيرازي .

أما المجلس الملي فكانت مهمته الاشراف على ادارة البلدة من حيث جباية الضرائب وتعيين الموظفين والشرطة وتأمين الطرق وما أشبه . وقد

---

(١) تحسين العسكري (مذكراتي) ـ النجف ١٩٣٨ ـ ج٢ ص ١٧٩ ـ ١٨١ .

تألف هذا المجلس من سبعة عشر عضوا كان ثمانية منهم من السادة وهم : عبدالوهاب الوهاب ، أحمد الوهاب ، حسن نصر الله ، أحمد ضياء ، عبدالحسين الددة ، ابراهيم الشهرستاني ، محمد علي ثابت ، محمد حسن آل طعمة الروضخون • أما الباقون فكانوا من رؤساء المحلات وهم : عبد النبي العواد ، هادي الحسون ، علوان جار الله ، محمد الشهيب ، قمر النايف ، عبدعلي الحميري ، عبدالعزيز آل هر ، علي الحمد المنكوشي ، عزيز علوان الزنكي • وكان الشاعر محمد حسن أبو المحاسن ممثل الشيرازي في المجلس • وقد عُين خليل عزمي سكرتيرا للمجلس ، كما عين مهدي السامرائي محاسبا له ، ومحمد علي أبو الحب أمينا للصندوق ، وعبدالرزاق أفندي كاتبا •

وباشر المجلس الملي أعماله بتعيين موظفي البلدية والحراس والجباة ، كما شكل قوة من الشرطة تضم مائة من المشاة وثلاثين خيالا ، وعين سمرمد الهتيمي آمرا للشرطة الخيالة بمرتب شهري قدره مائة روبية ، وعبدالرحمن العواد آمرا للمشاة بمرتب مماثل(٢) •

رسول الدير الى الفرات :

في الوقت الذى كانت فيه الثورة تستفحل في الفرات الاوسط وتنتشر ، كان العراقيون في دير الزور يعانون الضيق الشديد على أثر سقوط حكومة دمشق في ٢٥ تموز(٣) • وقد اضطرهم الضيق ان يكتبوا الى قادة الثورة في الفرات الاوسط يطلبون منهم المعونة • فكتبوا رسالتين احداهما معنونة الى علي البازركان ، وكان يومذاك لاجئاً في النجف ، والثانية معنونة الى «السيد ميرزا الكاشاني » ولعلهم كانوا يقصدون به الشيرازي لانهم لم يكونوا يعرفون اسمه على وجه الدقة •

---

(٢) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ٢٤٩ •

(٣) من المفارقات العجيبة أن تقع معركة ميسلون التي سقطت بها حكومة سوريا العربية بعد يوم واحد من معركة الرارنجية التى انتصر بها ثوار العراق •

يقول علي البازركان حول الرسالة التي وصلته : انها كانت مرسله من علي جودت الايوبي وكانت مكتوبة بحبر مائي ومضمونها أنه يريد مني أن أبعث اليه بعشرة آلاف ليرة ذهب لكي يأتي هو بجنوده من دير الزور وهم مزودون بالرشاشات والمدافع والعتاد(٤) • اما الرسالة الثانية فهذا نصها :

دير الزور في ١٧ - ٨ - ١٩٢٠ •

لحضرة المجتهد الاكبر والوطني الغضنفر العالم الهمام والسيد الضرغام حجة الاسلام السيد ميرزا الكاشاني المحترم مد ظله •

سلام واحترام • وبعد نوجه لحضرتكم العلية فائق الاحترامات وأزكى التحيات لازلتم ذخرا للامة وحرزا لها منيعا يحق لنا العرب عامة والعراقيون خاصة ان نفتخر بكم أيها السادة الامجاد ، فانتم الرجال العظام أصحاب النفوس العالية الابية الذين سيطري التاريخ أعمالهم بمداد الذهب ويزيد ذكرهم الجميل بألسنة الامة مدى الازمان • ان المظاهرات التى قمتم فيها تجاه الانكليز في الوقت الذي قامت به الثورة قد أنتجت تاريخا حسنا في أوربا ، وان اخوتكم قد سمعت باذنيها ووعت له ، ولنا الامل القوي بالفوز والنجاح • وكان عرضت لكم من قبل من خصوص عن الوضعية الحاضرة وعن حراجة موقف سوريا ولذلك فان حركاتنا لاتدوم لان قلة المال وانقطاع الواردات من سوريا تمنعنا عن القيام بادنى عمل وانتم تقدرون مالاعمالنا من الفائدة العظيمة تجاه الامة ، ولو وجد المال لتقربنا الى جهتكم بحول الله وقوته ، وان خمود الثورة من المحقق أن تعود على الامة بالخسران • وكان حررنا لحضرتكم بأن يلزم جمع مبلغ من المال لاجل ادامة الحركات ، ولنا أمل عظيم من همتكم العلية ان لابد لحد الآن جمع قسم من هذا المال ، وقد ارسلنا لطرفكم سليمان أفندي الجنابي فهو يخبركم عن وضعيتنا الحاضرة تماما وعن جميع الاخبار فهو

---

(٤) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) - بغداد ١٩٥٤ - ص ١٦١ •

من اخواننا النشيطين الغيورين نرجو أن تعتمدوا عليه • وبالختام أسأل الله تعالى أن يشد أزر الامة ويؤيدكم ويوفقكم لخدمة الامة والبلاد • واقبلوا فائق الاحترام سيدى الافخم •

قيادة جيش العراق

الحق يعلو(٥)

أرسلت الرسالتان مع سلمان الجنابي ، فغادر سلمان دير الزور بصحبة فهد البطيخ متجها الى كربلاء عن طريق البادية • وحين وصلا الى مقربة من كربلاء خرج أهل البلدة لاستقبالهما ، وكانا يلبسان ملابس الضباط في الجيش العربي ، فقوبلا بالهوسات والاهازيج • فتوجها الى دار الشيرازي فاختليا به وسلما اليه الرسالة الخاصة به •

أحال الشيرازي الرسالة بعدئذ الى قادة الثورة ، واجتمع هؤلاء للمداولة في أمر جمع المال وارساله الى دير الزور ، وأعلن نفر منهم عن استعدادهم للتبرع بقسط من المال المطلوب • وتطوع جعفر أبو التمن وقاطع العوادي وجدوع أبو زيد لحمل المبلغ الى الدير • وأبدى محمود رامز وعارف حكمت رغبتهما في مرافقتهم • وكانوا كلهم لاجئين في كربلا في ذلك الحين • وقد بدأ جمع التبرعات فعلا ، وحين وصل الدور الى السيد محسن ابو طبيخ أبدى اعتراضه على الفكرة كلها حيث قال ما يلي :-

« أنا خسرت في هذه الثورة أموالا كثيرة غير متأسف عليها ، وأنا مستعد أن أنفق آخر فلس مما ادخره وأموالى وأملاكي ، ثم أعود لانفق أثاث داري ، أنفق كل هذا وأنا فخور ومرتاح الضمير ، غير أني لست واثقا من أخلاص أهل دير الزور لانهم من بقايا خدام العثمانيين وفضلاتهم التي تركوها عندنا ، وان الاكثر منهم اذا صح عملهم فانهم ماقاموا بهذا العمل والاشتراك مع المجاهدين الثوار الا طلبا للوظائف ، وأنا لا أشك

---

(٥) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) - ص ٢٨٣ - ٢٨٤ •

بأن الانكليز اذا طلبوهم للتوظيف لايتخلفون ناسين كل ما يمت الى الوطنية والجهاد بصلة ، وربما يحدث هذا عند وصول دراهمكم هذه اليهم فتذهب أموالكم التى تفيد الثوار المخلصين في الفرات هواء فى شبك ، وبعد هذا فأني غير واثق بنجاح دير الزور او تلعفر حسبما يدعون للاسباب التى شرحتها لكم ، ولأجل هذا لايسعني أن أقدم شيئاً من مالي لأناس لا أعترف بصدق وطنيتهم فى العمل ولا أومن باخلاصهم لاني لا أعرفهم ولم ازاملهم » • ثم أضاف أبو طبيخ قائلا : « آمروني أن أقدم أي مبلغ تريدون ،ولاي جهة تقصدون ، فانا حاضر ومستعد أن ألبي الطلب بكل شرف وفخر ، أما لهؤلاء المرتزقة فانا غير مستعد أن أقدم فلسا واحدا »(٦) •

كان لكلام السيد محسن اثره في احباط المشروع • وقد غادر سلمان الجنابي بعد هذا الى النجف حاملا معه الرسالة الموجهة الى علي البازركان • ويقول البازركان : انه عندما تسلم الرسالة من الجنابي ذهب بها الى الشيخ فتح الله الاصفهاني ، وكان حاضرا في مجلسه آنذاك السيد نور الياسري والسيد هادي زوين والسيد محمد علي بحر العلوم والشيخ جواد الجواهري • وقد أجمع الحاضرون على استحالة جمع المبلغ الذى طلبه علي جودت الايوبي ، ولكنهم قالوا : « اذا كان مرسل هذا الكتاب على جانب من الوطنية فأنه سيأتي مع جنوده للاشتراك في ثورتنا من غير أن نرسل له نقودا نحن أحوج ما نكون اليها ، ولكنه اذا جاء مع قوته نكفل اعاشتهم فقط »(٧) •

وفاة الشيرازي :

كان الشيرازي برغم شيخوخته يولي الثورة اهتماما بالغا ، وكان يرسل اليها كل ما يصله من الحقوق الشرعية ولا يبقي له منها شيئاً • حدثني أحد المطلعين أنه في بعض الاحيان كانت تتوافر لديه أكوام من

---

(٦) المصدر السابق ــ ص ٢٨٥ •

(٧) علي البازركان (المصدر السابق) ــ ص ١٦١ •

النقود مما يرسله اليه المقلدون من مختلف الجهات ، وكان أهل بيته يطلبون منه أن يبقى شيئاً لحاجات البيت فكان هو يرفض ذلك رفضا باتاً ويصر على حمل النقود كلها الى جبهات القتال .

أثرت نكسة الحلة والنكسات الاخرى التى أعقبتها على صحة الشيرازي . يروي السيد هبة الدين الشهرستاني الذى كان من المقربين اليه : ان الشيرازي دخل ذات مرة الى صحن الحسين لاداء الصلاة فيه فشهد عددا كبيرا من الجنائز التي جيء بها من جبهة القتال ، فراعه ذلك ، وظهر الألم على وجهه واضحا . وكان ذلك آخر يوم يخرج فيه الى الصلاة ، اذ انهارت صحته بعدئذ ، ولزم فراشه ، ثم مات بعد ايام قليلة(٨) .

توفى الشيرازي عند غروب الشمس في ١٧ آب ١٩٢٠ . وقد أصدر السيد هبة الدين الشهرستاني بهذه المناسبة بيانا موجها الى قادة الثورة هذا نصه :

« نعزيكم وعامة العالم الاسلامي بوفاة حجة الاسلام ورئيس العلماء الاعلام ركن النهضة العربية وروح الحركة الاسلامية الشيخ مرزا محمد تقي الشيرازي قدس الله روحه ونور ضريحه ، فقد أفلت شمس حياته القدسية عند أفول شمس الثلاثاء ثالث ذي الحجة ١٣٣٨ (ليلة الثالثة منه) بعد ماحوى ثلاثين درجة من فلك عمره الشريف في احياء العلم والدين ، وامحاء كيد الكافرين ، بيد أن الذي تتسلى به قلوب نادبيه ، قوة مباديه ، واشتداد العموم على ماكان فيه ، ولا ريب ان الاسلام حي بمن بقي بعده ، ممن ينهجون مسلكه من صحبه وجنده ، ولم نزل ولا نزال ننتظر اخباركم المنيفة وارجاعاتكم الشريفة . ٣ ذى الحجة ١٣٣٨ ـ خادم العلم والدين محمد علي الشهرستاني »(٩) .

---

(٨) حدثني بذلك السيد جواد الشهرستاني نقلا عن أبيه السيد هبة الدين .

(٩) فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

كان لموت الشيرازي صدى بالغ في العراق وايران ، فخرجت المواكب في كربلاء تلطم عليه ، وأقيمت مجالس الفاتحة له في كل مكان • وانتشرت الاشاعات بين الناس أنه لم يمت موتا طبيعيا بل من جراء سم دسه له أحد عملاء الانكليز ، وقد صدق الكثيرون بهذه الاشاعات طبعا كما هي عادتهم في مثل هذه الظروف •

ابو طبيخ متصرفا :

انحل المجلس الملي على أثر وفاة الشيرازي(١٠) ، فأدى ذلك الى انتشار الفوضى في كربلاء • والظاهر ان الاحقاد والمنافسات بين رؤساء كربلاء كانت قد خمدت في حياة الشيرازي ، فلما مات استيقظت من جديد • ولهذا ظهرت الحاجة الى تعيين رجل محترم برتبة « متصرف » لكي يشرف على شؤون الامن والنظام في كربلاء •

يقول جعفر الخليلي : « لما توفي الميرزا الشيرازي بدأ الحس بظهور الفوضى يتجسم في كربلاء بسبب تنافر بعض العناصر فيها ••• وبسبب من افراد العشائر الذين كانوا في ذهاب واياب مستمر متخذين من كربلاء ممرا بين مناطق سكناهم وساحات الحرب • فكانت تقع بعض المحاذير مابين بعض هؤلاء الثوار أو بينهم وبين سكان المدينة نفسها ، فظهرت الحاجة محسوسة الى وجود شخص ينبغي أن يعترف الجميع باحترامه ••• »(١١) •

استقر رأي الجميع على اختيار السيد محسن أبو طبيخ لمتصرفية كربلاء • ويقول السيد محسن في مذكراته المخطوطة : « لما وفق الله سبحانه وأخلي الفرات من الانكليز مدنه وقراه ، من السماوة الى المسيب، اجتمع الرؤساء في معسكر الحسينية وقرروا تشكيل حكومة وطنية موقتة

---

(١٠) مجلة (رسالة الشرق) الكربلائية ـ في عددها الخامس الصادر في ١٧ شوال ١٣٧٣ هـ •

(١١) فراتي (على هامش الثورة العراقية الكبرى) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ •

في كربلاء ورفع العلم العراقي • وقد اختاروني من بينهم للقيام بهذه المهمة وبالرغم من رغبتي في البقاء بين اخواني في ميادين القتال ، ولكني نزولا على رغبتهم قبلت ورجعت الى كربلاء ، وشكلت الحكومة الوطنيـــــة الموقتة ••• »[١٢] •

جرى تنصيب السيد محسن أبو طبيخ في ٦ تشرين الاول ١٩٢٠ ، وأقيم احتفال كبير في دار البلدية الواقعة في ساحة الميدان • وقد احتشد في الساحة جمهور غفير من الناس فيهم نحو ألف رجل من حملة البنادق • وحضر الاحتفال عدد من الرؤساء والوجهاء كان من بينهم رجال الحركة الوطنية في بغداد الذين التجأوا الى كربلاء كيوسف السويدي ومحمـد الصدر وجعفر أبو التمن وعلي البازركان ومحمود رامز وجميل قبطان وعارف حكمت وطه البدري ، كما حضر ضاري الظاهر شيـخ زوبع ، والمرزا أحمد الخراساني الذي كان مرسـلا من الشيـــخ فتح الله الاصفهاني ليمثله في الاحتفال •

وحين وصل السيد محسن الى مكان الاحتفال قوبـــل بالهتافات والزغاريد واطلاق الرصاص • وصعد علي البازركان الى سـ ـح دار البلدية حيث رفع العلم العراقي عليه ، وألقى من بعد ذلك خطبة حماسيـــة • ثم أعقبه جميل قبطان بخطبة مثلها • ثم القى خليل عزمي قصيدة من نظمه تحية للعلم كان هذا مطلعها :

بشـــراك ياكربلا قومي انظري العلما
على ربـــوعك خفاقـــا ومبتسمـــا

وانطلقت الهوسات تحيي العلم ، وهذه بعضها :

هي بـيرغنـــا هي بـيرغنـــا شـمحلاك ترفرف بيرغنـــا
ظـــل عالي ظـــل عالي لاتهـــاب طوابه ظل عالي
شرخيصـــة شرخيصـــة دونك روحي شـــرخيصة

---

(١٢) نقلا عن مذكرات السيد محسن أبو طبيخ المخطوطة •

دلتينـــــا دلتينـــــا شتآمـــر طوعك دلتينا[١٣]

ومن الطرائف التي تروى حول تنصيب أبو طبيخ ان رجـــلا من الايرانيين الساكنين في كربلاء لم يفهم فحوى ما جرى ، فهو تارة يشهـد احتفالا بقدوم فهد ابن بطيخ الى كربلاء ، وتارة أخرى يشهد احتفـــالا بتنصيب محسن أبو طبيخ ، فقال متهكما : « مرة ابن بتيخ ومرة أبو تبيخ ، وما هصلنا لا بتيخ ولا تبيخ » •

لم تدم حكومة أبو طبيخ سوى ايام معدودة فبعد ستة أيام من تنصيبه متصرفا سقطت طويريج بأيدي الانكليز فأرسلت كربلا وفدا الى الانكليز تعرض خضوعها لهم واضطر أبو طبيخ الى الفرار من كربلاء •

قطع الماء عن كربلاء :

يقول هالدين : « لما كانت كربلاء مسؤولة الى حد غير قليل عن قيام الثورة فاني رغبت في الاستيلاء على ناظم الحسينية الذى كان يبعد عـــن الفرات بمائتي ياردة لكي أجعل سكان البلدة يشعرون بعذاب الحـــرمان من الماء ••• »[١٤] •

لم تتوفر لدى هالدين القوة الكافية التي تمكنه من السيطرة علي ناظم الحسينية الا في منتصف شهر ايلول ، وعند هذا أوعز بقطع الماء عن نهر الحسينية الذى يجهز كربلاء وبساتينها بالماء • وهو يقول في ذلك ما نصه : « تحريت أخيرا عن تأثير هذا الاجراء على السكان فعلمت أنهم عمدوا الى حفر الآبار في قاع النهر ، وتمكنوا من الحصول على ماء فيه شيء مـــن الملوحة ولكنهم ضاقوا به ذرعا وقل منتوج الخضر عندهم • ان الذي اخبرني بذلك حاول أن يبالغ في وصف نتائج هذا العمل الذى قمت به ، ولـــكن

---

(١٣) تحسين العسكري (المصدر السابق) ـ ج٢ ص ١٨٥ •

(14) Haldane (Insurrection In Mesopotamia) — Edinburgh 1922. PP. 147.

هناك أسبابا قوية تحملني على الاعتقاد بأن تأثير قطع الماء عن كربلاء كان أضعف مما كنت أتوقعه • ولو طرحنا جانبا المشقات التي عاناها السكان ، فالضغط المنوي الذى نتج عن اظهار مقدرتي على حرمانهم معين الحياة كان بلا شك عظيما ••• »[١٥] •

ان ويلسون يخالف هالدين في هذا الرأي حول أهمية قطع الماء عن كربلاء ، فهو يقول في مذكراته : ان قطع الماء لم يسبب سوى القليل من المصاعب لسكان البلدة ، وليس هناك أي دليل على صحة ما قال هالدين في هذا الصدد • وينتهز ويلسون هذه المناسبة ليوجه النقد المر الى هالدين على نحو ما فعل في المناسبات الاخرى • وهو يصف هالدين بأنه يتخبط دائما في تسجيل تأثير الاحداث العسكرية على السكان المدنيين[١٦] •

---

(15) Loc. cit.

(16) Wilson (Loyalties) - London 1936 - Vol. 2, P. 301.

الفصل التاسع عشر

احداث النجف في عهد الثورة

يجب أن لاننسى ان النجف كانت اول بلدة عراقية تعلن الثورة على الانكليز ، وذلك في ربيع ١٩١٨ عندما هاجمت جماعة من النجفيين دار الحكومة وقتلت الحاكم البريطاني الكابتن مارشال ، ولكن الانكليز تمكنوا بعد حصار للنجف دام نحو اربعين يوما من القبض على معظم الذين شاركوا في الثورة ، فأعدموا أحد عشر رجلا منهم وأبعدوا الآخرين الى الهند •

يعتقد الانكليز ان العقوبة الشديدة التي أنزلت بالنجف من جراء ثورتها جعلت النجفيين غير متحمسين في تأييد ثورة العشرين عند قيامها • يقول الميجر نوربري في تقرير له : ان التجربة القاسية التى عانتها النجف في ثورتها جعلتها لاتؤيد ثورة العشرين عند قيامها ، فان أثر تلك التجربة ظل باقيا في النفوس ،ولكن عشائر المشخاب أخذت تؤثر على النجف وجذبتها الى الثورة[١] •

اعلان الثورة في النجف :

لدينا روايتان مختلفتان حول بدء اعلان الثورة في النجف في ١٩٢٠ ، احداهما لحسن الاسدي والثانية لمحمد علي كمال الدين ، وكلاهما نجفيان •

مضمون الرواية الاولى : انه لما وصلت اخبار الثورة في الرميثة الى النجف تجمهر الناس في الصحن الشريف ورفعوا الاعلام العربية ، وارتقى المنبر الشيخ محمد علي القسام الذى كان أبرز خطباء المنبر الحسيني يومذاك فألقى خطابا حماسيا أثار به الجماهير ، فتنادوا للجهاد وأنذروا الانكليز بالخروج من النجف والا اخرجوهم بالقوة ، وعند هذا جلست

---

(1) Mann (Administrator In The Making) - London 1721 - P. 817 — 818.

القوة الانكليزية عن النجف وذهبت الى الكوفة ، فتعقبها النجفيون الى الكوفة وحاصروها هنالك ... »(٢) .

أما الرواية الثانية فمضمونها : ان الانكليز انسحبوا من النجف في ليلة ٢٨ شوال ١٣٣٨ هـ ـ وهو يوافق ١٥ تموز ١٩٢٠ م ـ وذلك على أثر احساسهم بغليان الثورة في مناطق الفرات الاوسط ، فلم يبق من الحامية الانكليزية في البلدة سوى قوة رمزية مؤلفة من بضعة أفراد من الشرطة الايرانيين ومعهم حميد خان . وعلى أثر ذلك اشتد الحماس بأنصار الثورة في النجف وارادوا اعلان الثورة باحتلال دور الحكومة وطرد الموظفين منها ، ولكن رؤساء البلدة منعوا هؤلاء المتحمسين من ذلك وكبحوا جماحهم انتظارا للفرصة المناسبة فهدأ المتحمسون ولكنهم لم يستقروا كليا ، ففي ليلة ٤ ذي القعدة ذهب نفر منهم الى السراي متسللين تحت جنح الظلام فتسلقوا جدار السراي وسحبوا العلم البريطاني المرفوع فوقه فمزقوه . ولما جاء حميد خان الى السراي في صباح اليوم التالي ورأى ماجرى على العلم ، أمر برفع علم جديد في مكانه . ولكن هذا العلم الجديد جرى عليه في الليلة التالية مثلما جرى على سلفه . وفي صباح ٥ ذى القعدة ـ وهو يوافق ٢١ تموز ـ حدث في النجف حادث ادى الى اعلان الثورة فيها ، خلاصته أن احد أفراد الشرطة قتل رئيسه على مشهد من الاهالي وأعلن أنه قتله بدافع الوطنية والذود عن حرمة الاسلام . وعند هذا أسرع الصبيان والاطفال الى جثة القتيل فسحبوها متجهين بها نحو المقبرة في خارج البلدة وهم يصرخون ويهزجون . وانتهز الاهالي هذه الفرصة فانثالوا على السراي ينهبونه ، واستحوذوا على مائتي بندقية وزعوها على محلات النجف الاربع، واستولوا كذلك على دور الحكومة وأموالها ، غير أنهم احتفظوا بما وجدوه من السجلات كما حافظوا على أثاث المدرسة . وكذلك حافظوا على

---

(٢) حسن الاسدي (ثورة النجف) ـ بغداد ١٩٧٥ ـ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥ .

المستشفى . واكرموا الطبيب الهندي الذى كان يعمل فيه[٣] .

يبدو ان الرواية الثانية اقرب الى الواقع من الرواية الاولى وادعى الى التصديق بها ، لانها تخلو من نزعة التمجيد والمبالغة التى اتصفت بها الرواية الاولى .

حكومة موقتة :

صارت النجف على اثر اعلانها الثورة تحكم نفسها بنفسها على الطريقة العشائرية . والظاهر ان النجفيين وجدوا من الضروري بالاضافة الى ذلك انشاء حكومة موقتة للنظر في الشؤون العامة التى تتصل بالثورة . يقول محمدعلي كمالالدين : ان الحاجة دعت الى تشكيل حكومة موقتة في النجف لتدرأ عنها مفاسد الفوضى ، فتنادى النجفيون الى ضرورة قيام مجلسين أحدهما تشريعي والآخر تنفيذي . وقد تشكلت لجنة لهذا الغرض مؤلفة من عبدالكريم الجزائرى وجواد الجواهرى وآل النقيب ومهدي الآخوند الخراساني ومحسن شلاش وغيرهم ، وقررت اللجنة ان يكون اعضاء المجلس التنفيذي أربعة هم رؤساء المحلات الاربع في النجف ، وان يكون اعضاء المجلس التشريعي ثمانية على أن يجري انتخابهم من المحلات، من كل محلة اثنان . وقد جرى الانتخاب فعلا في ١٠ ذى الحجة ١٣٣٨ هـ ـ وهو يوافق ٢٥ آب ١٩٢٠ م ـ حيث وضعت صناديق الانتخاب في رؤوس الاسواق لكي يضع الناس فيها أوراقهم . وعند فرز الاوراق ظهر فوز سعيد كمال الدين وضياء الخرسان عن محلة الحويش ، وعباس النقيب وعلوان الخرسان عن محلة العمارة ، وعبدالجليل ناجي ومحمد جواد عجينة عن محلة البراق ، وحمود شبيل وعباس شمسة عن محلة المشراق . ويقول محمد علي : ان المجلس التشريعي لم يستمر فى عمله طويلا لوقوع الخلاف بينأعضائه من جهة ، ولعرقلة المجلس التنفيذى لاعماله من الجهة الاخرى . ففي ٢٥ ذي الحجة استقال سعيد كمال الدين

---

(٣) محمد علي كمال الدين (معلومات ومشاهدات) ـ بغداد ١٩٧١ ـ ص ٨٢ ـ ٨٤ .

من عضوية المجلس ، وبعد قليل من استقالته انحل المجلس تماما ولم يبق له أي نشاط يذكر(٤) •

في صباح ١٢ آب ظهرت طائرتان في سماء النجف وألقتا عليها مناشير تدعو النجفيين الى عدم الانضمام الى العشائر الثائرة ، وتذكر ان الحكومة البريطانية تعرف المفسدين وهي قادرة على معاقبتهم وانها ليست كالحكومة التركية التى أفسدت البلاد وأشاعت الظلم بين الاهالي بل هي حكومة عادلة رحيمة ولا تعمل الا لما فيه مصلحة البلاد •

كان جواب الاهالي على المناشير أنهم وجهوا نيران بنادقهم على الطائرتين • وفي اليوم التالي تم تجهيز ثلاثمائة متطوع للالتحاق بجبهة الحرب ، وكان في مقدمتهم كاظم آل السيد سلمان وغازي آل شربة • وقد عقد اجتماع كبير في الصحن احتفاءا بهم ثم خرج الناس لتوديعهم ومعهم الاعلام وهم يهللون ويكبرون ويطلقون الرصاص • وقد تعاقبت من بعد ذلك قوافل المتطوعين تخرج من النجف للانضمام الى الثورة واحدة بعد الاخرى(٥) •

مصير حميد خان :

ان حميد خان هو ابن خال أغا خان الثالث وينتمي الى اسرة تسكن النجف ذات جاه وثراء • وقد عينه الانكليز معاون حاكم سياسي في النجف منذ ١ آب ١٩١٧ ، وظل في وظيفته الى أن أعلنت الثورة في النجف في ٢١ تموز ١٩٢٠ ، فانسحب من السراي بهدوء وقبع في بيته لا يخرج منه •

كان لحميد خان صلات حسنة مع الكثيرين من علماء النجف ووجهائها، ويبدو ان هؤلاء كانوا يحمونه ويدرأون عنه الأذى ، ولكن هذه الحماية لا يمكن أن تدوم طويلا تجاه الحماس الشعبي الذى كان مسيطرا على النجف آنذاك • ففي أواخر تموز قرر حميد خان مغادرة النجف الى كربلاء خلسة ، فأوعز بأن تعد له عربة خاصة لنقله • وبينما كان يهم بركوب العربة

---

(٤) المصدر السابق ـ ٨٨ ـ ٨٩ •
(٥) المصدر السابق ـ ص ٨٢ ـ ٨٧ •

شاهد صادق الكتبي قادما اليه يطالبه بدين له عليه • حاول حميد خان اقناعه بارجاء المطالبة الى وقت آخر ، ولكن الكتبي أصر على تسلم مبلغ الدين نقدا في تلك اللحظة ، ولم يقبل في ذلك أي عذر • ولم يكف عن اصراره الا بعد ان جاء اليه أحد أصدقاء حميد خان ودفع مبلغ الدين عنه •

ان هذا التأخير الذى حصل لحميد خان في مغادرة النجف أدى الى تسرب خبره الى الناس في البلدة ، وشاع بينهم ان حميد خان ذاهب الى الانكليز ليعاونهم على قتال الوطنيين • وأسرع بعض المتحمسين الى العربة وأدركوها ، قبيل تحركها ، وأمسكوا بحميد خان ، وكادوا يعتدون عليه لولا أن أسرع بعض الوجهاء اليه فانقذوه من أيدي المتحمسين •

سيق حميد خان أخيرا الى طويريج ليكون تحت رقابة عمران الحاج سعدون ، فأنزله هذا في دار خاصة ومعه خادم وحارس • ولكن المتحمسين من أهل النجف لم يشاؤوا أن يتركوه ، فقد ذهب رجل منهم الى طويريج بغية قتله • ويحدثنا جعفر الخليلي عن قصة هذا الرجل عندما ذهب الى دار حميد خان في طويريج ، فهو لم يكن قد رأى حميد خان من قبل أو سبقت له معرفة به ، انما هو أراد أن يقتله تقربا الى الله وفي سبيل الوطن • فطرق الباب عليه ، وخرج حميد خان اليه يسأله عما يريد ، فأجاب الرجل : « أرني حميد خان وسترى » ، ثم اندفع الى داخل الدار شاهرا سلاحه يبحث عن حميد خان وهو لايدري انه هو الذي فتح الباب له • ولكن الحارس والخادم تمكنا من القبض عليه ، فانتزعا السلاح منه وساقاه الى عمران الحاج سعدون[٦] •

ان قصة حميد خان هذه تعطينا مثالا حيا على ماكان يجري في المجتمع النجفي يومذاك من صراع نفسي واجتماعي • فقد اشتهر عن حميد خان أثناء توليه الحكم في النجف انه كان كثير السخاء والحلم والمروءة ، وكان هناك كثيرون يحمدون فيه هذه المناقب ويكنون له التقدير البالغ[٧] •

---

(٦) جعفر الخليلي (هكذا عرفتهم) ـ بغداد ١٩٦٣ ـ ج١ ص ٤٩ـ٥٠ •
(٧) المصدر السابق ـ ج١ ص ٤٧ •

ولكن حميد خان كان في الوقت نفسه موضع ثقة الانكليز واحد اعوانهم المخلصين في العراق • ولهذا كان أهل النجف منشقين تجاهه الى فريقين : فريق يحبه لمناقبه الشخصية ، وآخر يبغضه لعلاقته الوثيقة بالانكليز • ومن الممكن القول ان هناك فريقا ثالثا هم الذين كانوا يحبون حميد خان ويبغضونه في آن واحد ، فهم كانوا يعانون صراعا نفسيا لايدرون مايفعلون •

الواقع أن هذا الصراع لم يكن مقتصرا على النجف وحدها ، بل كان عاما في مختلف مناطق العراق آنذاك • فان التقاليد القديمة كانت تتضمن مقاييس معينة في تقدير الرجال ، ثم جاء عهد الثورة يحمل مقاييس أخرى • ولابد ان يظهر التفاوت والتناقض بين هذه المقاييس وتلك • وقد ظل هذا التناقض قائما في الفترة التي تلت الثورة ، وهو أحد معالم مرحلة الانتقال التي مر بها المجتمع العراقي في حياته الجديدة •

مبايعة الاصفهاني :

على أثر موت الشيرازي في ١٧ آب ١٩٢٠ استقر الرأي في النجف على مبايعة الشيخ فتح الله الاصفهاني ليكون خليفته في الاشراف على الثورة • فعُقد اجتماع كبير في صحن النجف ، حتى امتلأ الصحن بالناس ، وجيء بالاصفهاني محمولا لكبر سنه ، فأصعد على المنبر ، ووقف الى جانبه الشيخ جواد الجواهري والسيد محمد علي بحر العلوم والسيد محمد رضا الصافي لينقلوا كلامه الى الجماهير المحتشدة • فكان الجواهري ينقل كلامه الى بحر العلوم ، وهذا بدوره ينقله الى الصافي ، وكان الصافي يعلن الكلام للناس لانه كان جهوري الصوت[٨] •

كان مما قاله الاصفهاني في خطابه : ان الشيرازي انتقل الى رحمة الله ولكن فتواه بقتال المشركين باقية فجاهدوا واجتهدوا في حفظ وطنكم العزيز وأخذ استقلالكم[٩] • ثم قال الاصفهاني : انه لعجزه عن الذهاب الى ساحة

---

(٨) نقلا عن كتاب مخطوط لعبدالرحيم محمد علي عنوانه « السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني » •

(٩) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ـ صيدا ١٩٧٢ ـ ص ٢٣٤ •

القتال فقد أناب عنه السيد أبو الحسن الاصفهاني ليقوم مقامه فيها • وعند هذا تسلم السيد أبو الحسن الراية وتوجه الى المرقد العلوي لاداء الزيارة ، ثم غادر النجف عصرا قاصدا جبهة الوند ، وكان في صحبته السيد مصطفى الكاشاني وابنه السيد أبو القاسم والسيد محمد رضا الصافي..(١٠) •

يروي عبدالرزاق الحسني ان الشيخ فتح الله الاصفهاني كان قد افتتح كلامه في صحن النجف بالكلمة المعروفة التى نطق بها أبو بكر عند وفاة النبي ، وهى : « ايها الناس من كان يعبد منكم محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت »(١١) •

وقد سألت بعض المطلعين من أهل النجف عن صحة هذه الرواية ، فاستغربوا منها واستبعدوا وقوعها ، وكان رأيهم أن ليس من المعقول أن يتمثل مجتهد شيعي في صحن النجف بكلمة منسوبة الى أبي بكر الصديق • ولكني أرى ان ذلك أمر محتمل الوقوع فى تلك الايام ، وهو دليل على قوة التقارب الطائفي الذى كان سائدا في الناس آنذاك •

معاملة الاسرى :

ان الاسرى الذين وقعوا في ايدي الثوار عقب معركة الرارنجية سيقوا الى الكفل مشيا على الاقدام تحت اشراف سرتيب المزهر الفرعون ، فوصلوا الكفل في مساء ٢٥ تموز وباتوا فيها تلك الليلة ، ثم تحركوا صباحا نحو النجف فوصلوها عصرا • وقد صدر فى النجف منشور مؤرخ في ١٢ ذى القعدة ١٣٣٨ هـ ــ وهو يوافق ٢٨ تموز ١٩٢٠ م ــ جاء فيه ما نصه :

« لقد جيء قبل أمس بالاسرى من الكفل الى النجف والكوفة ، وكان عددهم ١٤٤ منهم ٨٠ بريطانيا فيهم ضابطان و٦٦ هنديا بين مسلم ووثني وسيك • فخرج الناس لاستقبالهم • ووكل العلماء والنواب والاشراف والرؤساء بهم من يتعهدهم ويقضي حوائجهم • فزار المسلمون منهم حرم الامام ، ثم سيروا مع رفاقهم الى الكوفة في العربات ، تحرسهم ثلة من رجال

---

(١٠) نقلا عن كتاب عبدالرحيم محمد علي المخطوط •
(١١) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ــ ص ١٢١ •

الخفر الوطني • فوصلوا الى الكوفة ، واجتمعوا مع اخوانهم ، وقدمت لهم موائد الطعام ، فأكلوا وزال وجلهم وظهر سرورهم • ثم أُرسلوا الى أبي صخير (مقر الاسرى) بتمام الهدوء • فحافظ العرب على نظام الاسر وقوانينه ، وبالغوا في اكرامهم واحترامهم ، ووزعوا عليهم مبلغا من النقود ، وهيأوا لهم علب السجاير والمواد الغذائية الاوربية ، وغير ذلك مما لم يكن مباحا للاسرى في الحرب عند الدول والحكومات • فرعى الله رجال الامة الساهرين على أحترام القوانين وحرسهم للامة والوطن » •

أودع الاسرى أخيرا في خان كبير في الجعارة يعود للسيد هادي زوين • وكان محسن شلاش يتولى الاشراف والانفاق عليهم ، وجاء الى الجعارة للنظر في أمورهم ، وقد كلف السيد عبدالوهاب الصافي للاشراف عليهم بالنيابة عنه • وقد حدثني الصافي عما جرى لهم في الجعارة فقال : انهم كانوا في بداية أمرهم يبدو عليهم الرعب اذ كانوا يظنون ان الثوار سيعذبونهم أو يقتلونهم ، ولكن المعاملة الحسنة التي عوملوا بها جعلتهم يغيرون رأيهم ، فقد جُهزوا بقدور ضخمة من تلك التي تستعمل في الضيافات العشائرية والمآتم الحسينية ، كما جُهزوا بكميات كافية من اللحم والرز والسمن والحطب • فصاروا يطبخون طعامهم بأنفسهم ، ويعيشون في الخان كما يشاؤون •

ويروي السيد عبدالوهاب الصافي انه وقف يخطب في الاسرى ، وكان يترجم كلامه لهم رجل يعرف الانكليزية اسمه السيد جعفر حبل المتين ، فأخذ يشرح لهم الاسباب التي دفعت العراقيين الى الثورة ، وكيف ان الانكليز وعدوهم بالاستقلال ثم نكثوا بوعودهم ، فالعراقيون لايريدون شرا بأحد وليس لهم قصد سوى نيل حقوقهم المشروعة • وأكد للاسرى انهم سيعاملون معاملة حسنة تبعا لما يأمر به الاسلام ، وان العراقيين ليس لهم عداوة شخصية معهم ، وان المسؤولية في أسرهم تقع على عاتق الحكام الذين خدعوهم وساقوهم الى قتال الوطنيين • ويقول الصافي : انه عندما انتهى من خطابه نهض أحد الجنود البريطانيين فهتف بالانكليزية ، فردد البريطانيون هتافه ، ثم نهض نفر من الهنود فهتفوا كذلك واحدا بعد الآخر وردد أصحابهم هتافهم • ولم يكن الصافي يومذاك قد اعتاد على الهتافات

او سمع غنها ، فظن ان هتاف الأسرى يُقصد به التهديد ، ولكنه عندما ترجم له المترجم معنى الهتافات اتضح له انهم كانوا يهتفون بحياة العراق وبحياة شعبه .

لم يبق الاسرى في الحجارة سوى ثلاثة ايام ، ثم نقلوا الى النجف فأنزلوا فى بناية كبيرة تقع قرب مدخل البلدة تسمى « الشيلان »(١٢) . وقد أُلحق بهم بعدئذ الاسرى الذين وقعوا فى أيدى الثوار في منطقة السماوة وغيرها ، فبلغ مجموعهم ١٦٧ أسيرا . ولم يمت منهم طيلة مدة الاسر سوى رجل واحد وكان بريطانيا .

يصف محمد علي كمال الدين العناية بالاسرى في بناية الشيلان ، فيقول مانصه : « كان طعام الاسرى الضروري يتكون من الخبز والتمر والخيار ، أما الطعام الكمالي فيتكون من السكر والشاي ولفافات التبغ والكبريت ، ويُقدم لهم اللحم كلما تيسر وجوده في الاسواق ، كما كانت تقدم لهم قطع من الصابون كل يوم ... وكان الحراس يتولون اخراجهم في اغلب الايام الى ظاهر النجف ليرتاضوا فى الهواء الطلق ويرجعون متى أحبوا الرجوع ... ومن ألوان المعاملة الطيبة التى كان يلقاها هؤلاء الاسرى احضار مايلزمهم من الاوراق والظروف ليكتبوا اسبوعيا الى أهليهم بأخبارهم، وبعد فحص رسائلهم تُبعث الى بغداد فانكلترا . وقد وردت الاجوبة الى بعضهم من بلادهم » . ثم يقول كمال الدين : « وأثناء ذلك سعى بعض الوطنيين الى اطلاق سراح الهنود المسلمين من بين الاسرى بصفة خاصة ، ولكن الاستاذ عبدالرزاق عدوة أبى ذلك متخوفا من رمي الثورة بالتعصب الديني في حين أنها ثورة قومية وقد عرف الانكليز ذلك فشكروا الاستاذ

---

(١٢) زرتُ هذه البناية منذ عهد قريب وشاهدت على جدران بعض غرفها ما خطّه الاسرى عليها من رسوم وأسماء وعبارات مختلفة . وقد أخبرني عبدالرحيم محمد علي فيما بعد انه أخذ صوراً فوتوغرافية لها . ونحن نرجو من المسؤولين المحافظة على هذه البناية باعتبارها أثراً تاريخياً له أهميته .

عدوة على هذه العاطفة »[١٣] .

ان المعاملة الحسنة التي عومل بها الاسرى لم ترق في أعـين بعض المتزمتين واعتبروها نوعا من الكفر والالحاد . أضف الى ذلك ان بعض التهم صارت تُوجه الى محسن شلاش لانفاقه على الاسرى ، فقد شاع بين الناس انه انما ينفق على الاسرى بعد اتفاق جرى بينه وبين الانكليز وهو سيتقاضى منهم أضعاف ما أنفقه على أسراهم . وقد حدت هذه الاقاويل بمحسن شلاش الى الامتناع عن الانفاق على الاسرى ، وأصبحوا هم في حالة يرثى لها من الجوع ، وأخذوا يستجدون المارة حيث يدلون صفائحهم بالحبال من نوافذ البناية وشرفاتها ، وصار بعض الناس يشفقون عليهـم فيضعون في الصفائح ما تيسير من الخبز والتمر والفاكهة[١٤] . يقول علي البازركان : « عندما جئت النجف شاهدت اسرى الرارنجية من الانكليز والهنود ، وهم لايتجاوزون الثمانين شخصا ، وكانوا بحالة تعسة وسيئة للغاية ، فقد كانت سراويلهم بالية وقمصانهم ممزقة ، وكانوا يستجدون المارين بهم في خان الشيلان ليأخذوا سيجارة أو شايا ، فواجهتُ من اجل ذلك شيخ الشريعة والتمست منه أن يعمل على تحسين أحوالهم ، فأرسل في طلب الحاج محسن شلاش وكلمه حول تحسين أحوالهم ، وقد اجابه الحاج محسن ان أخاه رؤوف شلاش في بغداد وسيكتب له ليواجه السلطة البريطانية كي ترسل لهم المؤونة ...»[١٥] .

وجه الشيخ فتح الله الاصفهاني الى محسن شلاش كتابا يحضه على العناية بالاسرى والانفاق عليهم ، هذا نصه :

بسـم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك وثناء على اخلاصك ، وبعد فغير خفي على نباهتك ان للاسرى في الشريعة الاسلامية مكانة عالية ، فالعناية بهم فرض ، والتوجه

---

(١٣) محمد علي كمال الدين (المصدر السابق) ـ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .
(١٤) فراتي (على هامش الثورة العراقية الكبرى) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ٨٩ .
(١٥) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ـ بغداد ١٩٥٤ ـ ص ١٥٤ .

الى اكرامهم حتم • واني أوصيك أطال الله حياتك بتعهدهم على الاتصال ، وتفقد احوال صحتهم ومعاشهم ، ما داموا وديعة مقدسة ، وامانة محترمة ، فيلزمك البذل لهم ، والتوفير عليهم ، ويجب تصديك لتحقيق راحتهم اكثر من الايام الماضية ، واني قوي الامل بانك تنشط الى هذا التكليف لانه شرعي مدني انساني ، فواظب على الانفاق عليهم حتى يتعين الى نفقاتهم مورد خاص، فقد اعتمدتك وأوكلت ذلك الى عهدتك وألزمتك به ، ولا عذر لك ودم مؤيدا •

شيخ الشريعة الاصفهاني

وعند هذا عاد محسن شلاش الى الانفاق على الاسرى من جديد •

صحافة الثورة :

كانت تصدر في النجف في عهد الثورة منشورات صغيرة تتضمن أخبار معارك الثورة وانتشارها والانتصارات التى نالها الثوار • وكانت تلك المنشورات تطبع في احدى مطابع النجف ويشرف على أصدارها الشيخ باقر الشبيبي • والملاحظ انها كانت يغلب عليها طابع المبالغة والافراط ، فهى كانت تحاول وصف المعارك والانتصارات بشكل يُقصد به تقوية عزائم الثوار وتشجيع المترددين على الالتحاق بهم • ولهذا قد نجد فيها أخبارا ملفقة أو مضخمة الى حد بعيد • ننقل فيما يلي نماذج من تلك الاخبار •

ففي منشور صدر في ٥ آب نجد الخبر التالي حول معارك الحلة : « ••• ان هجمات جيش الدفاع العربي في الحلة لم تزل متتابعة بشدة فائقة جدا ، وان عدد التلفيات مجهولة الى الآن والعسكر في تعب شديد وليس له طاقة المقاومة ••• وأكدت لنا مصادر أخرى ان الميجر بولي حاكم لواء الحلة قد انتحر بعد أن امتلأ يأسا ، وذلك حين رأى فوز العرب وانتصارهم وخسائر الجند الانكليزي وانكساره ، وحوكم قائد الحركات العسكرية في بغداد وأسندت اليه القيادة العامة أغلاطا حربية وألقت على عاتقه المسؤولية فانتحر أيضا » •

وفي هذا المنشور نفسه نجد خبرا آخر حول الحالة فى بغداد هذا

نصه : « تدل الأنباء ان بغداد عائجه مائجه ويؤمل سقوطها بالعوامل الداخلية بمجرد الفراغ من الحلة ، وقد بدأ الانكليز يرتبون آثار الحصار فيها ، وان حالة السكان في قلق واضطراب ، وقد عجز الانكليز عن حفظ الامن ، ونصبوا المدافع والرشاشات في شوارعها وطرقها خلافا للقوانين الحربية • وعقدت حكومة الاحتلال في بغداد مجلسا حضره الحكام العسكريون والسياسيون ، واشتد النزاع فيما بينهم وعلت أصواتهم حتى أدى ذلك الى تضاربهم بالكراسي ، ولم تعلم نتيجة المخاصمات » •

ولم تقتصر المنشورات على اخبار الثورة بل تعدتها الى اصطناع أخبار عالمية لا أساس لها من الصحة بتاتا • ففي منشور صادر في ٣١ تموز ورد هذا الخبر : « اتصل بنا أن المانيا حشدت في وادي رهر مليون جندي ، وان حكومة الاستانة الملية أعلنت الحرب على الانكليز وأعلنت بلغاريا الحرب على اليونان • وان ايطاليا موقفها الحياد » • ثم ورد في المنشور الصادر في ٥ آب خبر آخر له صلة بالخبر السابق ، وهذا نصه : « أفادت الاخبار الاخيرة ان موقف الانكليز في الشمال حرج جدا فقد زحفت قوات مصطفى كمال باشا لمساعدة القوة العربية واسقطت الموصل وتل اعفر ، وكانت المحاربات شديدة للغاية » •

تقرر في أوائل آب أن تصدر بالاضافة الى تلك المنشورات جريدة اسبوعية لتكون الجريدة الناطقة بلسان الثورة • وفي ٦ منه صدر العدد الاول من الجريدة باسم « الفرات » وكان يحررها الشيخ باقر الشبيبي • والواقع ان هذه الجريدة لم تكن تختلف من حيث اسلوبها عن المنشورات ، اذ هي كانت مليئة بالمبالغات علاوة على المقالات النارية التى تلهب الحماس وتثير المشاعر •

ومن الطريف ان نذكر ان جريدة « الفرات » اشارت في عددها الصادر فى ٢٠ آب الى أن البلاشفة أنزلوا جيوشا كبيرة فى بلدة انزلي الواقعة على الساحل الجنوبى لبحر الخزر ، وان القوات البريطانية المرابطة في شمالي ايران قد تقهقرت أمامهم بدون محاربة ، ثم قالت الجريدة : أن الجيوش البلشفية ستصل الى العراق قريبا وستنسحب القوات البريطانية من

أمامها هنا أيضا حيث تترك البلاد حبلها على غاربها • واستخلصت الجريدة من ذلك : ان العراق أصبح في موقف حرج ، وصار من واجب العراقيين أن يقرروا خطتهم من الآن لتأمين مستقبلهم ، فهم بين أمرين : أما ان يتعاونوا مع البلاشفة على حرب الانكليز ، أو يتعاونوا مع الانكليز بعد أن يأخذوا منهم الضمانات الكافية للاستقلال •••

لم يصدر من جريدة « الفرات » سوى أربعة اعداد ، ثم توقفت عن الصدور • ولكنها في ١٧ ايلول عادت الى الصدور مرة واحدة حيث نشرت مقالة شديدة اللهجة في الرد على ويلسون سنأتي اليها فيما بعد ، وذكرت الجريدة انها تعود الى الصدور بأيجاب من الهيئة العلمية وزعماء النهضة العربية وهي تأمل بمساعدتهم انها ستكون اكبر حجما وستصدر مرتين في الاسبوع • غير انها لم تصدر بعد ذلك •

جريدة « الاستقلال » :

بعد احتجاب جريدة « الفرات » ظلت النجف من غير جريدة حتى ١ تشرين الاول ١٩٢٠ حين صدرت جريدة جديدة باسم « الاستقلال » • وكان صاحبها ورئيس تحريرها محمد عبدالحسين سركشيك الكاظمي ، ومدير شؤونها عبدالرزاق الحسني • وقد اشترك في تحريرها محمد علي كمال الدين غير أنه أغفل اسمه لاعتبارات عائلية • ويقول كمال الدين عن الجريدة : انها قامت بدراهم شاب كان لاجئا للثوار لم استطع معرفته[١٦] •

اتضح منذ البداية ان هذه الجريدة تختلف عن جريدة « الفرات » السابقة لها اختلافا كبيرا من حيث اسلوبها واتجاهها السياسي • ننقل فيما يلي نبذة مما كتبته هذه الجريدة في عددها الاول كنموذج على اسلوبها ، وكان تحت عنوان « قدوم كوكس وسياسة انكلتره في العراق » ، حيث قالت ما نصه :

« غادر كوكس العراق قبل أربعة اشهر قاصدا لندن لحل المشكلتين

---

(١٦) محمد علي كمال الدين (المصدر السابق) ـ ص ٧٩ •

السياسيتين هما معاهدة ايران واستقلال العراق ••• وصل كوكس لندن والنزاع قائم بين حزبي اسكويث القائل بتخلية بغداد والانسحاب نحـــو البصرة ، ولويد جورج الذى يرى لزوم استعمال القوة لاخماد ثورة العراقيين الاستقلالية ••• فجاء وصوله هناك بلية كبرى على لويد جورج وأنصاره لـما أذاعه من أنباء العراق وحوادثه الجديدة وقوة الحركة الوطنية فيه مما عزز جانب اسكويث المعارض وجعل آماله أقرب للتحقيق • وها قد قفـــل كوكس راجعا من لندن وسيصل قريبا البصرة (وربما وصلها) فما عساه حاملا للعراقيين ؟ وما هي البضاعة التي انتقاها لاهل العراق ؟ فان كانت مما يستطيع العراقيون أن يصنعوا منها ثوب الاستقلال ورداء الحرية ، فـــلا شك أنه قد جاء بتجارة رابحة ورفع بشخصه الى مصاف الرجال العظام وانزل بين الامة العراقية منزلا رفيعا وحل عندهم كضيف كريم ، وان كان قد أخطأ فجاء متخذا سياسة الاستبداد وخطة الاستعباد ليرغمهم على اكتساء ثوب الوصاية ذلك الثوب المرقع الخلق الذى أعده لهم لويد جورج وانصاره، فلا بأس فان الامة العراقية قد اعتمدت في نهضتها على نفسها •• ولا تقابله الا بما قابلت به سلفه ولسن • ولكن حنكته السياسية ودهاءه المعروف يقضي باتباع خطة اسكويث وتحقيق أمانيه بتخلية عاصمة البلاد بغداد والانسحاب نحو البصرة مما يفسح مجال المداولة مع الوطنيين الناهضين في تشـــكيل الحكومة الوطنية العراقية المطلوبة • ومن ينعم النظر في التبديلات التـــي حصلت حديثا في الادارة الملكية في بغداد كعزل ولسن واستلام كوكس ازمة الحكومة في البصرة واستبدال الموظفين الانكليز الملكيين بموظفين عراقيين وجعل اللغة العربية لغة الحكومة الرسمية يتوسم الخير في سياسة كوكس الجديدة ويرى من خلالها حسن العاقبة ••• » •

حين نقارن هذا الاسلوب الذى خرجت به جريدة « الاســـتقلال » بأسلوب باقر الشبيبي في جريدة «الفرات» نلاحظ انهما كانا على طرفي نقيض ، فبينما كان باقر الشبيبي يوجه الى الانكليز الشتائم المقذعة ويعدهم أظلم الامم وألعنها ويدعو الى طردهم من البلاد ، نرى جريدة « الاستقلال » تصنّف الانكليز الى حزبين أحدهما سيء والآخر حسن، وهي تعرب عن

أملها بأن يكون كوكس من الحزب الحسن وتوسم في سياسته الجديدة حسن العاقبة .

ان هذا الاسلوب لابد أن يثير الريبة فى قلوب الناس حول الجريدة وصاحبها . فقد اعتاد الناس أن يجعلوا الحماس مرادفا للوطنية ، امـــا الاعتدال فهو في نظرهم دليل على العمالة للاجنبي . ولهذا صار بعض الناس في النجف يتهامسون حول صاحب الجريدة متهمين اياه بأنه يعمـل فـي التجسس(١٧) .

أضف الى ذلك ان الجريدة نشرت في عددها الثالث الصادر في ٥ تشرين الاول مقالا تحت عنوان : « الشتاء على الابواب ـ ماذا أعددنا لتطمين حاجة الثوار في ميدان القتال ؟ » طالبت فيه بوجوب الاستعداد لتمويـــن الثوار بالالبسة التى تقيهم من البرد . فلما اطلع متصرف كربلاء السيد محسن أبو طبيخ على هذا المقال وجه الى صاحب الجريدة انذارا قال فيه مانصه : « ان مقالكم المنشور فى جريدتكم تحت عنوان (الشتاء على الابواب) مما يثبط عزم المجاهدين ويقلل من معنويتهم ، كما يعطي للعدو احساســا بضعف الثوار ، وعليه ننذركم بهذا بلزوم عدم نشر كل ما يوحي بالضعف او يدل على ذلك . التوقيع متصرف لواء كربلاء السيد محســـن ابو طبيخ »(١٨) .

وعلى أي حال ، فان الجريدة لم يصدر منها سوى ثمانية اعداد ، وقد هرب صاحبها من النجف عندما اقتربت القوات الانكليزية منها ، فذهب الى البصرة وعمل هناك في جريدة « الاوقات البصرية » .

---

(١٧) جعفر الشيخ باقر محبوبة (ماضي النجف وحاضرها) ـ النجـف ١٩٥٨ ـ ج١ ص ١٨٠ .

(١٨) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .

الفصل العشرون

احداث الكوفة في عهد الثورة

كانت للكوفة أهمية كبيرة فى عهد الثورة ، وذلك لسببين : أولهما قرب الكوفة من النجف اذ هي لاتبعد عن النجف سوى تسعة كيلومترات ، وكان بينهما خط للترامواي يشبه الذى كان بين بغداد والكاظمية • والثاني وجود حامية انكليزية كبيرة محصورة في الكوفة •

حصار الحامية :

كانت الحامية المحصورة فى الكوفة تضم نحو ٧٥٠ رجلا وهي مؤلفة من الجنود والشبانة والشرطة والموظفين ، يرأسهم الميجر نوربري • وقد بدأ الثوار بحصار الحامية في ٢١ تموز ، وناطوا أمره بعلوان الحاج سعدون رئيس بني حسن لقرب الكوفة من منطقة عشيرته •

وكان نوربري قد استعد للحصار قبل الشروع به ، فاشترى مقادير كبيرة من الحبوب والتمر والسكر والشاي والسمن والاغنام[١] • وقد ساعده على ذلك اثنان من اهل الكوفة هما سعيد حاج عمران الشكرى ومحمد جواد الدلال الحدراوي، كما ساعده أيضا علوان الحاج سعدون[٢]• وكان عذر هؤلاء أنهم لم يكونوا يعلمون بان الثورة ستمتد الى الكوفة وان حصاراً سيقع فيها • وقد أثنى هالدين على الميجر نوربري لبعد نظره في ادخار الاطعمة التى تكفي الحامية مدة طويلة[٣] •

---

(١) محمد علي كمال الدين (معلومات ومشاهدات) ـ بغداد ١٩٧١ ـ ص ١١٥ •

(٢) عبدالرسول تويج (صفحات من ثورة العشرين) ـ النجف ١٩٧٥ ـ ص ١٦ ، ١٩ •

(3) Haldane (Insurrenction In Mesopotamia) - Ediburgh 1922 . P. 141.

كانت الحامية قد تحصنت في الخانات المشرفة على النهر ، وهي خان اليزدي الكبير والخانات المجاورة له • ثم استولت الحاميـــة على الدور والاسواق المجاورة بعد أن أخرجت أصحابها منها • وكانت الباخرة الحربية « فاير فلاي » قد رست في النهر تجاه الحامية لحمايتها وهي مجهزة بمدفعين من العيار المتوسط واثنى عشر رشاشا •

وكان الثوار من جانبهم قد استعدوا للتضييق على الحامية وشـــن الغارات عليها بين الحين والآخر ، فوضعوا اكياس الرمل في الطـــرقات وشرفات الدور المقابلة للحامية ، كما نقبوا الدور بعضها على بعض لـكي يتمكنوا من التنقل بينها • وكان يساعدهم في ذلك عدد من الضباط الذين قدموا من بغداد تطوعا لخدمة الثورة ، وقد استأجروا لهم دارا في الكوفة وسكنوها •

استمر الحصار ثلاثة أشهر ، وقد نفد القمح واللحم لدى الحامية في الاسابيع الثلاثة الاخيرة من الحصار ، فصاروا يقتاتون على الرز ولحـم الخيل(٤) • اما التمور فكانت وافرة ولكن طعمها تغير • وقد بذل الانكليز خلال مدة الحصار عدة محاولات لامداد الحامية بالادوية وغيرها بواسطة الطائرات ، ولكن كثيرا من الرزم التى ألقتها الطائرات وقع في أيدى الثوار، او سقط في النهر •

صراع نفسي :

كان من ضمن الحامية المحصورة ١١٥ رجلا من العرب والايرانيين ، وهم الذين كانوا يؤلفون قوة الشبانة والشرطة • وكان العرب منهم يعانون صراعا نفسيا هو الذى سماه ويلسون بـ « الصراع بين ولائين » ، اى ولائهم لقومهم من جهة ، وولائهم للانكليز من الجهة الاخرى •

الواقع ان ابناء العشائر الذين دخلوا سلك الشبانة كانوا يعانون من هذا الصراع منذ بداية الثورة ، وربما قبلها • فقد كانت عشائرهم تبرأ

(4) Wilson (Loyalties) - London 1936 - Vol. 2, P. 297.

منهم لاستمرارهم في خدمة الانكليز • وقد وصف لنا ويلسون وسائل الضغط المسلط عليهم من الرأي العام ، اذ كان الناس يشتمونهم في الاسواق ويصفونهم بـ « الكفار » ، ويكسرون الاوعية التي يشربون بها في المقاهي علنا ، وحُرم على الذين ماتوا منهم من الدفن على الطريقة الاسلامية ، كما كان اطفالهم يُضربون في الشوارع ، وأهينت نساؤهم أو أُعدن الى اهلهن • ويقول ويلسون ان ذلك كله لم يؤثر الا على القليلين منهم ، بينما ظل معظمهم على ولائهم للانكليز(٥) •

يبدو أن بعض أفراد الشبانة الذين كانوا محصورين ضمن الحامية في الكوفة بلغ بهم الصراع النفسي حدا لم يستطيعوا تحمله وقد حدث هذا بوجه خاص عندما حل شهر محرم وأخذوا يسمعون أصوات النوح واللطم على الحسين تأتيهم في هدوء الليل من بعض أنحاء الكوفة ، فصاروا يحنون الى حضور مجالس التعزية والمواكب الحسينية • وفي ساعة متأخرة من مساء اليوم السابع من محرم ــ وهو يوافق ١ ايلول ١٩٢٠ ــ استطاع ستة عشر رجلا منهم أن يهربوا من الخان الذي كانوا محصورين فيه ، وذلك بالنزول من فوق سطحه بواسطة الحبال • وقد نجحوا في ذلك ماعدا الاخير منهم اذ انقطع به الحبل فسقط على الارض وانكسر ظهره ، وحمله رفاقه • وبينما هم يسيرون بغية الالتحاق بالثوار فوجئوا برجل من الثوار يطلق عليهم الرصاص ظنا منه أنهم من الأعداء ، فقتل واحدا منهم ، ولكنهم رفعوا أيديهم مستسلمين • فسيقوا الى مسجد الكوفة • وبعد خمسة أيام أُطلق سراحهم(٦) • ويقول علي البازركان : انه شاهد بعضهم يحضرون مجالس التعزية(٧) •

اخفاق الحصار :

بذل الثوار أقصى جهدهم في شن الغارات على الحامية ، وقد اشترك

---

(5) Ibid, Vol. 2, P. 70 , 297 - 298.

(٦) محمد علي كمال الدين (المصدر السابق) ــ ص ١٣٢ ــ ١٣٣ •

(٧) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ــ بغداد ١٩٥٤ ــ ص ١٤٤ •

معهم في ذلك نفر من أهل الكوفة كان في مقدمتهم أمين كرماشه ومحمد أبو شبع وعبدالرسول تويبح • ولكن تحصن الحامية في الخانات العالية وما كان لديها من قيادة موحدة وأسلحة متفوقة جعل الثوار يقفون فى غاراتهم عند حد معين لايستطيعون اجتيازه •

تمكن أحد الضباط المتطوعين أن يصنع لغما بطريقة بدائية مبتكرة ، وذلك أنه جاء بجزة صوف ووضع فيها كمية كبيرة من البارود مع عدد من القنابل التى كان الثوار قد غنموها من الانكليز ، ثم لف الجميع لفا محكما ، ووضع اللفة في أساس دار ملاصقة لاحد الخانات • وفي صباح ٢ آب أشعل الضابط الفتيل فانفجر اللغم العجيب ، وانكشف به جانب من الحامية ، وأخذ الثوار يمطرونها بوابل من الرصاص[٨] •

وفي يوم آخر استطاع أحد الحدادين من أهل الكوفة اسمه محمد خلف الحداد ، بالتعاون مع زملاء له ، أن يصنع قذيفة من المسامير • ثم تقدم هو وزملاؤه نحو الحامية ، ورموا قذيفتهم على احد الخانات فأحدثوا فيه بعض التخريب ، ولكن الحامية وجهت عليهم نيران الرشاشات فقتل من جراء ذلك محمد خلف ، وجرح بعض زملائه ، بينما فر الآخرون ونجوا[٩] •

وُجه اللوم على الثوار باعتبار أنهم لم يقوموا بمهاجمة الحامية كما ينبغي • وقد قال السيد قاطع العوادي على أثر زيارته للكوفة : ان الثوار لم يهاجموا الحامية المحصورة في خان اليزدي ، فقد « ردّت الاوادم » ـ يقصد تراجع الرجال ـ ولو أنهم هاجموها لانتصروا عليها[١٠] •

نال علوان الحاج سعدون النصيب الاوفى من هذا اللوم • فقد كان لهذا الرجل خصوم كثيرون يأتي في مقدمتهم أهل النجف لما كان بينهم

(٨) محمد علي كمال الدين (المصدر السابق) ـ ص ١٢٦ •
(٩) كامل سلمان الجبوري (الكوفة في ثورة العشرين) ـ النجف ١٩٧٢ ـ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ •
(١٠) علي البازركان (المصدر السابق) ـ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ •

وبين بني حسن من معارك دامية في فترة العصيان[١١] ، وقد انتهز هؤلاء الخصوم اخفاق الهجوم على الحامية فصاروا يتقولون ما شاؤوا على علوان وعشيرته ، وألصقوا به تهمة التفاهم مع الانكليز ، وانه يقبض المال منهم سرا لكي يكيد للثورة • وقد شاعت عنه هذه التهمة بين بعض العشائر لاسيما تلك التي لها عداء سابق مع بني حسن • واشتهر آنذاك بيتان من الشعر نظمته شاعرة من عشيرة العوابد تندد فيه بعلوان وتقارنه برئيسها مرزوق العواد ، همـــــا :

يا اللي تصل علـوان گل لـه	تحسب الرياسـة بيـع جْـلـة
مرزوگنا يسـرط الـــگلـــة	يمسي الكفـل يصبـح الحلـة

ومن الجدير بالذكر ان هذه التهمة التي أُلصقت بعلوان الحـــاج سعدون ظلت حديث المجالس في النجف حتى عهد متأخر • وقد حدث ذات يوم في مجلس آل شلاش أن أثير هذا الموضوع من جديد ، وكثر النقاش والجدال حوله • وكان السيد علوان الياسري حاضرا فقال حسما للجدال : « لم لا اختصر لكم الكلام وأكفيكم مؤونة الاختلاف وانا اعرف أدق شؤون الثورة العراقية ، ان الثورة العراقية لم تكن تتم على الاطلاق لولا اشتراك علوان الحاج سعدون بها واخلاصه لها ، ولم يكن بوسع أحد أن يخطو شبرا واحدا في مناطق قبائل بني حسن لو لم يكن رؤساء هذه القبائل قـد اشتركوا في الثورة وعملوا لها مخلصين »[١٢] •

قصف جامع الكوفة :

كانت الطائرات الانكليزية توالي قصف الثوار في الكوفة وحواليهـا طيلة مدة الحصار • وفي ٢٤ تموز ألقت احدى الطائرات ثلاث قنابل على جامع الكوفة الكبير ، وكان مزدحما بالناس فقتلت عدداً غير قليل منهم •

---

(١١) انظر تفصيل ذلك في الجزء الرابع من هذا الكتاب ــ الفصل السابع •
(١٢) فراتي (على هامش الثورة العراقية الكبرى) ــ بغداد ١٩٥٢ ــ ص ٦١ •

سقطت القنبلة الاولى على دكة في داخل الجامع تعرف بـ « دكة القضاء» وهي قد سميت بذلك لان الناس يعتقدون بانها الدكة التى كان الامام علي يجلس عليها للقضاء بين الناس ، ولذلك فهم يتجمعون حولها ويتبركون بها. فسقطت القنبلة عليهم فأصابت ٢٣ شخصا منهم كان من بينهم النساء والاطفال. أما القنبلة الثانية فقد سقطت على ركن من السور الخارجي ، وهدمت جزءاً منه غير أنها لم تصب أحدا(١٣) . أما القنبلة الثالثة فسقطت خارج الجامع في أول الطريق المتجه الى مسجد السهلة فأصابت امرأتين كانتا تسيران في طريقهما ، ومزقتهما تمزيقا(١٤) .

نشر قادة الثورة في جريدة « الفرات » بيانا موجهاً الى العالم يشجبون فيه هذا الفعل البربري . وأرسلوا صورا من هذا البيان الى قناصل الدول الاجنبية في بغداد ، والى سفاراتها في طهران . وقد شعر الانكليز بشناعة ما فعلوا فنشروا في جريدة « العراق » بيانا رسميا هذا نصه :

« وافت الانباء منذ بضعة ايام من مصدر ذي شأن يُعتمد عليه ان جامع علي في الكوفة يستعمله الشيوخ العصاة مركزا لاعمالهم ، وبينما كانت الطيارات محلقة فوق الكوفة أُطلقت عليها النار من الجامع ، فقابلتها الطيارات بالمثل غير عالمة انه جامع ، وألقت قنابلها في جواره . ومع ذلك ، وان كان هذا الجامع وغيره من الجوامع قد استعمله العصاة لاغراض عسكرية ، فقد صدرت الاوامر بان لاتلقى عليها القنابل حتى وان كانت مستعملة بمثابة مواقع لاطلاق النار منها على جنودنا وعلى طياراتنا »(١٥) .

تجربة المدفع :

كان من جملة الغنائم التي وقعت في أيدي الثوار عقب معركة الرارنجية مدفع من عيار ١٨ رطل . فهو كان قد سقط في قناة عميقة ، وحاول الانكليز انتشاله منها فلم يوفقوا ، فتركوه بعدما نزعوا عنه ابرته ومغلاقه

---

(١٣) محمد علي كمال الدين (المصدر السابق) ـ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .
(١٤) كامل سلمان الجبوري (المصدر السابق) ـ ص ١١٢ .
(١٥) جريدة (العراق) ـ في عددها الصادر في ٧ آب ١٩٢٠ .

الخلفي • وقد عثر الثوار عليه فيما بعد فاستولوا عليه •

حدثني من شاهد المدفع فقال انه كان كبيرا يبلغ طوله اكثر من ثلاثة أمتار • وقد شده الثوار بالحبال الى بغال أحضروها لسحبه ، وصاروا يسحبونه متوجهين به الى الكفل وهم يهوسون : « الطوب أحسن لو مكواري » • ثم واصلوا سحبه من الكفل حتى أوصلوه الى مقربة من الكوفة، فوضعوه في موضع قريب من ضفة النهر اليسرى يقع مقابل شريعة أم التبن التى تبعد عن الكوفة بنحو ميلين •

كان من بين الضباط المتطوعين ثلاثة مختصون بالمدفعية هم : حسين علوان الدورى ومحمود سامي وزكي أمين الكردي • وقد كُلف هؤلاء بفحص المدفع بغية اعادة استعماله لقصف حامية الكوفة • وعند الفحص وجد الضباط أن المدفع ينقصه بالاضافة الى المغلاق والابرة شيء ثالث هو عتلة الرمي التى تساعد على ضرب الابرة عند اطلاق المدفع • وكانت هذه العتلة قد كسرها بعض افراد العشائر واستحوذوا عليها ظنا منهم أنها مصنوعة من الذهب لانها كانت صفراء لامعة •

كان رأي الضابط حسين علوان الدوري ان من الممكن صنع المغلاق محليا ، وكذلك من الممكن الاستغناء عن العتلة بمطرقة كبيرة من مطارق الحدادين • أما الابرة فهي تصنع عادة من معدن خاص ولا توجد الا في مخازن الجيش الانكليزي في بغداد ولا بد من الاتيان بها من هناك بطريقة من الطرق • ولهذا تقرر ارسال شخص موثوق الى بغداد من أجل الحصول عليها • وقد تبرع محسن شلاش بمبلغ من الليرات لهذا الغرض •

سافر الرسول من الكوفة الى بغداد ، واتصل هناك برجال الحركة الوطنية كجعفر ابو التمن وعلي البازركان وسامى خوندة • وأخذ هؤلاء يبحثون عن رجل يساعدهم ، وتمكنوا بعد لأي من التعرف على هندى مسلم يعمل في المعسكر الانكليزي في الهنيدي اسمه « غلام شهيد » ، وكان هذا الرجل كمعظم الهنود المسلمين الذين كانوا يعملون فى خدمة الانكليز يعطفون على الثورة ويودون مساعدتها • وقد استطاع هذا الرجل أن يحصل

على الابرة اذ اختلسها من أحد مخازن الجيش الانكليزي • ونفحه علي البازركان بثلاث ليرات ذهب مكافأة له(١٦) •

كُلف بنقل الابرة الى النجف رجل له خبرة بالميكانيك واصلاح الاسلحة اسمه السيد داود السامرائي • وقد روى هذا الرجل قصة نقله الابرة في حديث له مع محرر احدى الصحف البغدادية حيث قال : « جاءني رجل يسألني : هل أنت السيد داود السامرائي ؟ فقلت : نعم • فقال : ان الوطن يحتاج الى خدماتك • فقلت : اني في خدمة الوطن حتى الموت ! فأخذني الرجل الى دار خربة في منطقة الحيدرخانه ونحن نحاذر أن يلمحنا جنود الاحتلال • وهناك كان اربعة من رجال الثورة يجلسون ، فطلبوا مني أن اقسم بالقرآن الكريم أن أخدم وطني بشرف حتى الموت فأقسمت • ثم تناولنا الطعام على الطريقة البغدادية « الخبز والملح » •••

ثم ذكر السامرائي كيف أنه وضع الابرة في داخل زجاجة واخفى الزجاجة بين لفات كثيرة من الاقمشة ، ثم وضعها في عربة مليئة بالقش ، وخرج في صحبة عربات اخرى كانت مليئة بالتبن والشعير • فوصل الى كربلاء عصرا ثم سار منها الى النجف فوصلها في منتصف الليل فوجد الجميع ينتظرونه على أحر من الجمر(١٧) •

كان حسين علوان الدوري قد أشرف على اعداد المدفع قبل وصول الابرة اليه ، وقد عاونه في ذلك حداد من أهل النجف له خبرة طويلة باصلاح البنادق اسمه « اسطه كديمي » • وقد تمكن هذا الرجل من صنع مغلاق يصلح أن يكون بديلا للمغلاق الاصلي • وعندما وصلت الابرة قام الدورى بتجربة المدفع بمحضر من الشيخ عبدالكريم الجزائرى والسيد أبو القاسم الكاشاني وعلوان الحاج سعدون • وكانت التجربة لاتخلو من مجازفة لعدم وجود عتلة الرمي • وقد اضطر الدوري أن يمسك الابرة

(١٦) علي البازركان (المصدر السابق) ـ ص ١٥٢ •
(١٧) جريدة (كل شيء) البغدادية ـ في عددها الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٦٩ •

باحدى يديه ويمسك باليد الاخرى مطرقة كبيرة من مطارق الحدادين ، وحين أهوى بالمطرقة على الابرة انطلقت النار من المدفع دليلا على نجاح التجربة • فارتفعت اصوات الحاضرين بالصلاة على محمد وآل محمد ، وتقدم علوان الحاج سعدون نحو الدوري يهنؤه على عمله ، واغرورقت عيون الجزائري والكاشاني بدموع الفرح(١٨) •

حين انتشر خبر نجاح المدفع صارت النجف تموج بالهوسات ، وأخذت البشائر تنتقل من مجلس الى مجلس مفادها أن الضباط قد نجحوا في أستخدام المدفع وان الحامية الانكليزية المحصورة فى الكوفة ستغدو شذر مذر في خلال ساعات معدودة •

أعد قادة الثورة انذارا طويلا لارساله الى قائد الحامية الميجر نوربرى يصفون فيه الانتصارات التى نالها الثوار فى معركة الرارنجية وغيرها ، ويهددونه بالمدافع الضخمة التى يملكونها ، ويطلبون اليه التسليم ، ويتعهدون له ولافراد حاميته بحسن المعاملة حسبما أمر به الدين الاسلامى • وقد وقع هذا الانذار السيد نور وعلوان الحاج سعدون ومحسن شلاش(١٩) • وحمله الى الحامية رجل يحمل علماً أبيض ولكنه لم يلق من الحامية جواباً فعاد خائباً(٢٠) •

اشاعات وهمسات :

لم تكد تمر فترة قصيرة على تجربة المدفع حتى بدأ الناس يستبطأون وقوع النصر العظيم الذي كانوا يتوقعونه من المدفع ، وأخذت الشكوك تساور نفوسهم ، وانطلقت الاشاعات تتهم الضباط بأنهم جواسيس أرسلهم الانكليز من بغداد لكي يتعاونوا مع علوان الحاج سعدون في تفشيل خطة الهجوم على حامية الكوفة • وصار الناس يتهامسون متسائلين : ما هو السر في وضع

---

(١٨) فراتي (المصدر السابق) ــ ص ٨٣ •

(١٩) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ــ بغداد ١٩٥٢ ــ ص ٢٤١ ــ ٢٤٢ •

(20) Haldane (op. cit.) - P. 188 - 189.

المدفع على بعد ميلين من حامية الكوفة ؟ ! ولماذا لم يوضع المدفع قريبا من الحامية على ضفة النهر المقابلة لها لكي ينسفها نسفا ؟!

اضطر الشيخ فتح الله الاصفهاني تجاه ضغط الرأي العام أن يرسل الى الكوفة الشيخ جواد الجواهري والحاج محسن شلاش لدراسة الامر • وقد قابل هذان الرجلان علوان الحاج سعدون وطلبا منه نقل المدفع من موضعه البعيد الى ضفة النهر المقابلة للحامية • فاعتذر علوان عن اجابة الطلب وقال ان المسألة فنية وان الضباط هم المسؤولون عنها باعتبارهم خبراء في فن المدفعية ، وبعد المداولة قرروا استدعاء الضباط الى مسجد الكوفة للاستماع الى اقوالهم • وقد أدلى الضباط بأقوالهم ومفادها ان المدفع يجب ان يكون بعيدا عن هدفه بمسافة معينة لان القنبلة التى تنطلق منه يكون مسارها على شكل قوس لاتستوعبه المسافة القصيرة ، يُضاف الى ذلك أن نقل المدفع الى الضفة المقابلة للحامية يجعله هدفا لنيران رشاشاتها كما يجعله عرضة لغارات مفارز فدائية من جنود الحامية تعبر النهر اليه خلسة لمهاجمته وتحطيمه •

كان محمود سامي أشد الضباط معارضة لنقل المدفع حتى قيل أنه بكى وقال : « اذا كنتم قد صممتم على نقل المدفع فاني أفضل أن تقتلوني قبل أن تأمروا بتقريب المدفع الى هدفه » • والظاهر ان معارضته لم تؤثر شيئا ، واضطر علوان الحاج سعدون الى الموافقة على نقل المدفع تحت ضغط الرأي العام(٢١) •

تقرر ان ينقل المدفع الى موضعه الجديد في مساء ١٧ آب • وفي صباح ذلك اليوم قام حسين علوان الدوري بتجربة للمدفع وهو في موضعه القديم• ولعله اراد ان يثبت بذلك صحة رأيه ورأي زملائه في أن هذا الموضع أفضل للمدفع من الموضع الجديد الذى سينقل اليه •

جرت التجربة بحضور نفر من وجهاء الكوفة وعلماء النجف والضباط ، فاطلق الدورى ثلاث قنابل ، وشاء القدر ان تسقط القنبلة الاولى

---

(٢١) فراتي (المصدر السابق) ــ ص ٩٦ ــ ٩٧ •

في وسط الباخرة « فاير فلاي » التي كانت راسية بالقرب من الحامية ، فاندلع منها لهيب شديد مما جعل بحارتها يلقون بأنفسهم الى النهر طلبا للنجاة • وقد أشار هالدين الى ذلك في كتابه حيث قال : « في ١٧ آب أطلق المدفع قنابله على الباخرة فلاير فلاي • فسقطت القنبلة الاولى عليها وجعلتها تحترق بشدة الى درجة خيف من حدوث انفجار في مخزن الوقود فيها وما ينتج عنه من الحاق الضرر بالحامية لقرب الباخرة منها • ولهذا جرى اغراق الباخرة برشاشات لويس عن طريق احداث ثقوب في صفائحها • وكان قائدها الباسل قد جرح قبل ذلك ، ثم اصيب بحروق ، ومات بعد يومين • كما قتل واحد من بحارة الباخرة وجرح آخر »(٢٢) •

ومن الجدير بالذكر ان الدوري نفسه قد أصيب بجراح عند اطلاق القنابل ، وذلك من جراء استخدامه كلتا يديه ، وكانت اصابته في رأسه فسال منه دم غزير ، وأسرع السيد أبو القاسم الكاشاني لاسعافه إذ أخرج من جيبه منديلاً حريرياً من المناديل اليزدية التي كان استعمالها شائعاً في تلك الايام ، وربط به رأس الدوري • وقد احتفظ الدوري فيما بعد بذلك المنديل للذكرى ، واعتاد أن يريه للناس في بعض المناسبات افتخاراً به وتدليلاً على صدق وطنيته(٢٣) •

مصير المدفع :

تم نقل المدفع الى الضفة المقابلة للحامية تحت جنح الظلام ، وكان قد أقيم له جدار لحمايته من نيران الحامية ، وفُتح في الجدار ثقب لكي تخرج منه فوهة المدفع • ونيطت حراسة المدفع بآل عيسى وهم فخذ من بني حسن مشهورون بالشجاعة •

لم يكد يتم نصب المدفع حتى بدأت الحامية تسلط عليه الانوار الكشافة ، ثم صارت تقذفه بوابل من رصاص رشاشاتها • وهب آل عيسى يدافعون عنه برصاص بنادقهم فلم ينفع ذلك شيئاً ، وصاروا يتساقطون

(22) Haldane (op. cit.) - P. 189.

(٢٣) فراتي (المصدر السابق) — ص ٩٣ •

حوله صرعى واحداً بعد الآخر[٢٤] .

المظنون ان الانكليز كان لديهم جواسيس بين الثوار يخبرونهم بأمر المدفع ، ولا نستبعد ان يكون هؤلاء الجواسيس هم الذين اطلقوا الاشاعات وهيجوا الرأي العام من أجل نقل المدفع الى موضعه الجديد . وهذا أمر لا يندر وقوعه في الثورات والانتفاضات الشعبية .

أصبح المدفع بعد انهيال الرصاص الكثير عليه عاطلا عن العمل حيث امتلأت فوهته بالرصاص وصار في حاجة الى اصلاح يستغرق عدة أيام . وأتضح للجمهور عند ذلك صواب رأي الضباط ، وارتفعت منزلتهم في نظر الناس مرة أخرى .

نُقل المدفع الى موضع بعيد ، وانكب عليه لاصلاحه السيد داود السامرائي بالتعاون مع الاسطة كديمي وآخرين . وقد تمكن هؤلاء من اصلاحه ، كما استطاعوا أن يصنعوا له عتلة بدلاً عن عتلته المفقودة . وفي ٢٨ آب كان المدفع جاهزاً للاستعمال ، فأُطلقت منه على الحامية ثلاث قنابل ، وفي اليوم التالي أُطلقت سبع قنابل ، وفي اليوم الثالث أُطلقت ٣١ قنبلة ـ بعضها صباحاً والبعض الآخر عصراً .

ونُقل الى الكوفة مدفع آخر كان في النجف من بقايا العهد التركي ، وهو صغير . وفي ٦ أيلول أخذ المدفعان يطلقان قنابلهما على الحامية معاً ، فأطلق الكبير اثنتي عشرة قنبلة والصغير أربع . وبعد يومين أطلق الكبير ثماني عشرة قنبلة والصغير ست[٢٥] .

يعترف هالدين ان مجموع ما قذف على الحامية من القنابل كان تسعين قنبلة ، وانها سببت للحامية رهقاً شديداً[٢٦] . وفي ١٧ تشرين الاول تم انقاذ الحامية على يد الرتل الانكليزي القادم من الكفل . وكانت خسائر الحامية طيلة مدة الحصار ٢٥ قتيلاً و ٢٧ جريحاً ، وتبين ان الكابتن مان كان من جملة القتلى ، وقد أسف لمقتله هالدين وجميع القادة البريطانيين.

---

(٢٤) المصدر السابق ـ ص ٩٨ ـ ٩٩ .
(٢٥) محمد علي كمال الدين (المصدر السابق) ـ ص ١٣٠ .
(26) Haldane (op. cit.) - P. 189 , 192.

الفصل الحادي والعشرون

ويلسون يعرض الصلح

انتهز ويلسون فرصة وفاة الشيرازي وانتقال المرجعية الدينية الى الشيخ فتح الله الاصفهاني فقام بمحاولة لعرض الصلح عليه • ولا ندري هل كانت محاولته هذه جدية أم كانت مكيدة منه استهدف بها شق صفوف الثوار على طريقة رفع المصاحف في صفين •

جاءت المحاولة بصورة رسالة موجهة من ويلسون الى الاصفهاني ، وهي مؤرخة في ٢٧ آب ١٩٢٠ ، وقد طبعت الحكومة نسخاً كثيرة منهـــا وألقتها من الطائرات على مختلف مناطق الثورة ، كما نشرتها في الجرائد التابعة لها في بغداد والموصل والبصرة •

وفيما يلي فحواها :

افتتح ويلسون الرسالة بتهنئة الاصفهاني على تقلده المرجعية بعد وفاة الشيرازي ، ولكنه قال بأنه جدير بالتعزية بدلاً من التهنئة نظراً للمصائب التي حلت بالعراق بسبب آراء المرحوم الشيرازي • ثم أشار ويلسون الى أن الشيرازي كان قد أوضح في مفاوضاته الأخيرة أنه يريد الصلح وتجنب سفك الدماء ، وقال ان خليفته لابد أن يشعر بمثل هذا الشعور الذي كان يحمله المرحوم • وأخذ ويلسون يطنب في مدح الحكومـة البريطانيـة وذكر انها اعتمدت في حكمها دائماً على الاركان الثلاثة وهي الرحمـــة والعدل والتسامح الديني ، وان أهل العراق استقبلوا دخول الانكليز الى بلادهم بسرور ، وكانوا كذلك مسرورين من بقاء الجيوش الانكليزيـة فيها ، ولكن بعض المفسدين والمغرضين حين رأوا تنقيص جيوشها على أثر انتهاء الحرب قاموا يشوّشون الاذهان ويخدشون الافكار ، فأدى ذلك الى الحالة الحاضرة • ثم أشار ويلسون الى فقر العشائر القائمة بالثورة وعدم وجود مصانع لديها لصنع الآلات الحربية ، وأنها اذا لم ترجع الى زراعتها

ماتت جوعاً ، بينما قوة الانكليز في ازدياد لان المراكب المحملة بالعساكر والمدافع والبنادق والرشاشات ترد كل يوم الى البصرة . وطلب ويلسون من الاصفهاني ايفاد مندوب عنه الى بغداد ليشهد بعينه وصول هذه الامدادات اليها ، وتعهد باعادة المندوب الى النجف سالماً . وتساءل ويلسون : لماذا يدوم سفك الدماء ؟! ثم قال : ان الحكومة ستعاقب بعض الرؤساء الذين ضللوا الناس وأسماؤهم معروفة ، أما غيرهم من الناس فلا خوف عليهم ومن الممكن أن يعودوا الى مواطنهم سالمين . ثم ختم ويلسون رسالته بقوله انه أناب عنه الكولونيل هاول ، ويرجو من الاصفهاني أن ينيب مندوباً عنه ، لكي يتباحث المندوبان في هذه المسائل المهمة ، « وفي الختام نبلغكم احتراماتنا الوافرة وتحياتنا الصميمية والسلام »[1] .

رفض العرض :

عندما وصلت رسالة ويلسون الى الاصفهاني استدعى اليه حاشيته ومستشاريه للمداولة في الأمر . ولما اجتمع هؤلاء عنده وعرض عليهم الرسالة انقسموا حولها الى فريقين : فريق يستحسن المفاوضة مع الانكليز ويرى ان الثوار قد نفد ما لديهم من ذخيرة وان الايمان وحده لا يكفي تجاه الجيوش الانكليزية الجرارة . أما الفريق الآخر فكان رأيه ان مفاوضة الانكليز لا فائدة منها ، وأنهم قد جربوها من قبل فلم تسفر عن نتيجة ، وان من الأفضل ان تخفق الثورة ويعرف الناس انها أخفقت بسبب نفاد السلاح والذخيرة ، وتسمع الدول احتجاجات الثوار ، فذلك خير من الرضوخ والاستسلام[2] .

كان من جملة الموافقين على المفاوضة الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي ومحسن شلاش . أما الرافضون فكان في مقدمتهم الشيخ علي المانع ويؤيده الشيخ

---

(١) جريدة (العراق) ـ في عددها الصادر في ٣١ آب ١٩٢٠ .

(٢) فراتي (على هامش الثورة العراقية الكبرى) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ١٢٣ .

باقر الشبيبي الذي اتخذ موقف الحماس الشديد وأخذ ينادي بمبدأ « لا مفاوضة قبل الجلاء » ، ويقصد به ان الانكليز اذا أرادوا المفاوضة فعليهم أن يجلوا عن العراق ويذهبوا الى الفاو ومن هناك يرسلون الينا مندوبهم للمفاوضة معنا .

اشتد الجدال بين الفريقين ، وكانت الغلبة أخيراً في جانب الرافضين . ويقال ان الشيخ علي المانع كانت له دالة قوية على الاصفهاني ، وكان الاصفهاني يصغي اليه ويتأثر بأقواله ، فكان ذلك من اسباب رجحان رأي الرافضين على رأي الموافقين .

استقر الرأي ان يكون الرد على ويلسون بشكلين ، أحدهما بشكل رسالة موجهة اليه من الاصفهاني وهي تعلن الرفض باسلوب معتدل يناسب مقام الاصفهاني ، والثاني بشكل بيان عام مكتوب باسلوب شديد اللهجة . وفيما يلي ملخص الرسالة الموجهة من الاصفهاني الى ويلسون :

يقول الاصفهاني في رسالته : انه قد استاء كثيراً من قول ويلسون بان المصائب التي حلت بالعراق كانت بسبب آراء المرحوم الشيرازي ، مع العلم ان المرحوم قد كتب مراراً الى عموم الناس يطلب منهم التزام الهدوء وبالمطالبة السلمية بالحقوق المشروعة . وعبر الاصفهاني عن استيائه بقوله يخاطب ويلسون : « فجرحتم بتلك النسبة عاطفتي خصوصاً ، وعواطف المسلمين عموماً ، وجئتم بها نكراء بلغ سيلها الزبى ، وضاقت لها حلقتا البطان » . ثم قال الاصفهاني : إنه حذّر ويلسون قبل هذا وأنذره بوجوب تدارك الأمر قبل خروج علاجه من مقدرتنا ولكن ويلسون وضع أصابعه في آذانه حذراً من الاستماع الى ذلك ، ولجأ الى استعمال الشدة بدلاً من الاستجابة للمطاليب المشروعة . ثم ذكر الاصفهاني الاركان الثلاثة التي تعتمد عليها الحكومة البريطانية حسب قول ويلسون ، وهي الرحمة والعدل والتسامح الديني ، ففنّدها واحداً بعد الآخر ، وأشار الى القتل والنفي والحرق وهتك الاعراض وقصف المساجد ومنع مأتم عزاء الحسين الاّ بالحصول على « باص » ، وغير ذلك مما لو أريد شرحه لطال . وختم الاصفهاني الرسالة بما نصه : « والأعجب انكم تطلبون

التئام هذا الصدع الذي لايجبر كسره وتقولون نحن لا نريد ان نجازي العراقيين كلهم وانما نجازي من أسماؤهم عندنا وعندكم معلومة بزعم أنهم مفسدون ، فكأن تعريف الفساد عندكم هو المطالبة بالحق ، ونحن لانعرف من أحوالهم الا انهم طالبوا بحق فمنعتموهم وأدرتم عليهم رحى الحرب الطاحنة ، فدافعوكم عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، ولو تركتموهم وحقهم ما سالت منكم ولا منهم قطرة دم • ولكنكم أنتم فتقتم هذا الفتق الذي لا يخيط بالخيوط ولا بالابر ، فانتم السبب وعليكم التبعة ، ورأينا في الأمر أن يُمنح العراقيون استقلالهم التام خالياً من كل شائبة ، عارياً عن كل قيد • أما أمر المفاوضة فلم تتضح لي غايته ، ولم أثق بحسن نهايته ، وعلى كل فهو أمر دقيق يحتاج الى جلاء فكر وتأمل • ومن الله نسأل حسن الختام »[٣] •

أما البيان العام فهو يشبه في فحواه ما جاء في رسالة الاصفهاني ، غير أنه أطول ويتميز باسلوب خطابي عنيف • والمظنون انه مكتوب بقلم الشيخ باقر الشبيبي • وفيما يلي ننقل نبذة منه كنموذج لأسلوبه ، وهذا نصها :

« ان العرب لايهمهم ملاقاة الحر والبرد ولا يبالون بجوع ولا يضطربون من قصف المدافع وصفير البنادق وصدى قنابل الطيارات • فهم مثابرون يدافعون عن حقوقهم المشروعة وأوطانهم المقدسة ونفوسهم البريئة حتى بالسلاح الاسود المعلوم ـ أي المقوار ـ يتنادبون بالمدافعة لحفظ كيانهم بثبات وحزم ، ليس معهما ملل ، ولا يتخللهما خلل ، فأن عجزت الشيوخ نابتهم الكهول ، وان فنيت الكهول أعقبتهم الشبان والصبيان ، بل وحتى النساء والاطفال ، فهم يريقون آخر قطرة من دمائهم في سبيل المحافظة على حقوقهم المشروعة الا وهو الاستقلال التام »[٤] •

---

(٣) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ـ صيدا ١٩٧٢ ـ ص ١٣١ •

(٤) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ •

وقد الصقت نسخ من هذا البيان على أبواب الصحن وأبواب المسجد الهندي والمحلات العامة • فأثار حماساً عاماً في الناس بحيث أصبح المخالف غير قادر على الجهر برأيه(٥) •

عريضة الى الدول :

عندما وصل خبر قرار رفض الصلح الذي اتخذ في النجف الى الرؤساء الذين كانوا في جبهات القتال انقسموا بدورهم الى فريقين ، فريق رضي به وأيده تأييداً قوياً ، ويتألف هذا الفريق من الرؤساء الذين كانوا أول من دعا الى الثورة المسلحه وحرّض الناس عليها ، فقد تأكد لديهم انهم هم المقصودون بـ « المفسدين » الذين ذكرهم ويلسون في رسالته ، وهم الذين سيتحملون الجزاء الذي هدد به ، ولهذا وجدوا من مصلحتهم أن تستمر الثورة سائرة في سبيلها ـ وليكن بعدئذٍ مايكون !

أما الفريق الثاني فقد امتعضوا من كون قرار الصلح قد اتخذه الاصفهاني وحاشيته في النجف دون أن يرجعوا اليهم يستشيرونهم ، فهم يرون أنفسهم يعانون ضراوة القتال ويتكبدون خسائره بينما الاصفهاني وحاشيته جالسون على منادرهم في النجف يتجادلون فيما بينهم على منوال ما يفعلون في مسائلهم الفقهية المعهودة •

حصل شيء من التلاوم والاختلاف بين هذين الفريقين ، ولكنهم اتفقوا أخيراً على تنظيم مضبطة يوقعون عليها جميعاً ويوجهونها الى الدول الحرة يشرحون فيها حالهم ويضعون اللوم في اندلاع الثورة على ضباط الانكليز ويؤكدون على أنهم لا يطلبون غير الاستقلال والحرية وهم يرجون من الدول الحرة مساعدتهم في ذلك • وقد تم تنظيم المضبطة في ١ محرم ١٣٣٩ هـ الموافق لـ ١٥ ايلول ١٩٢٠ م • وقد وقع عليها ٧٣ رئيسا وكتب عليها الاصفهاني العبارة التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم • هذه الورقة كتبت باملاء زعماء العراق ومشائخ عشائره ، وهم الموقعون عليها باسمائهم في ١ محرم سنة ١٣٣٩ • حرر عن الجاني شيخ الشريعة الاصفهاني » •

---

(٥) فراتي (المصدر السابق) ـ ص ١٢٣ •

ننقل فيما يلي نص المضبطة كاملة لأهميتها ، نقلاً عن نسخة كانت موجهة الى المفوضية الهولندية في طهران ، ولم نحذف منها سوى كلمات قليلة لم نستطع قراءتها فوضعنا مكانها نقاطاً :

الى الحكومة الهولندية المفخمة بتوسط سفارتها في طهران .

نحن الأمة العراقية كنا قبل الحرب العامة ننتظر الفرصة لأن ننال حريتنا باستقلالنا التام وحكمنا الذاتي بطريق سلمي واحتجاجات أدبية حتى احتلت العراق جيوش الدولة البريطانية فاطمئنينا اليهم بكمال السلم والمودة آملين بنجاح مقاصدنا كما أعلن بذلك أمراء الجيش ، ولما سكنت الحرب اعلنت الدول بعزمهم على تعزية الانسانية وجبران كسرها وتمهيد السلم العام بمبدأ حرية الشعوب وعصبة الأمم ، ابتدأتنا بالبشرى في المنشورات دولتا بريطانية وفرانسة وبتصميمهما على مساعدتنا في نيلنا استقلالنا التام وحكمنا الذاتي والحرية التامة النهائية ، فبقينا منتظرين ذلك حافظين لنظام السلم والأمن وان أجحفت بنا الاضرار المالية وغيرها بما لم نعهده من قبل ، وإذ طال علينا الانتظار وشاهدنا من أمراء الجيش سعيهم ضد استقلالنا وحريتنا توجهنا الى المطالبة بحقوقنا الطبيعية المشروعة ومواعيد الدولتين مطالبة أدبية قانونية فاستقبلتنا الاضطهادات المغلظة من ضباط الاحتلال بلا سبب سوى ابطال مساعينا في طلب الحقوق المشروعة ، وصاروا يسعون في تضييع حقوقنا وحريتنا بأنواع السعي ومن ذلك أنهم أبرزوا لجماعة من الأعراب أوراقاً بالخط الانكليزي زعموا أنها أوراق مالية زراعية وطلبوا توقيع الاعراب فيها فظهر بعد ذلك انها اعتراف بالوصاية للانكليز على العراق وضايقوا جماعة منا بالصراحة على هذا الاعتراف ، وانتشرت اضطهادات الضباط فينا فحبست جماعة بالحبس القاسي وسوقوا جماعات من ساداتنا وعلمائنا وأشرافنا ورؤساء قبائلنا تسويقاً قاسياً لايعرف فيه أثرهم وهجموا على منازل بعض مشائخ قبائلنا وأحرقوها وما فيها فقتلوا بعض الرجال والخيل وحيوانات كثيرة مع أن أصحاب المنازل كانوا غائبين عنها وما السبب في ذلك سوى فكرتنا في المطالبة بحقوقنا ، والبلاد والوجدان يشهدان بأن هؤلاء المنكوبين هم من ألزم الناس لخطة السكون

والمحافظة على الأمن العام ، ثم التفت الضباط الى كل من أحسوا منه المطالبة بحقوق الأمة فهددوه بأشد انواع التهديد وقاموا في تعقيب ذلك بسوق القوة العسكرية فلم يكن لنا ملجأ في حفظ دمائنا وشرفنا ونواميسنا الا أن نكون يداً واحدة في دفع الاضطهاد العسكري مع محافظتنا على السلم والتباعد عنهم مهما أمكن ولكنهم لا يتركوننا فها نحن نبعد عنهم فيتبعوننا تجول في آثارنا جيوشهم ومدافعهم وطياراتهم ، نطلب منهم تجديد السلم وعموم الأمن وتخلية سبيلنا في المطالبة بحقوقنا بالمطالبة الأدبية فلا يجيبون، نجيبهم الى الهدنة وشروطها لعلهم يهتدون فيغدرون ، نخلي سبيلهم مع أسلحتهم وقواهم فيأخذوننا على الغفلة ، وقد جرى في خلال ذلك من كثرة القتل في نسائنا وأطفالنا وقذف القنابل في معابدنا ما يبكي الانسانية والمدنية والنواميس الدينية ، كل ذلك مع سدهم علينا باب المخابرات والشكايات الى الحكومات حتى الى حكومة لندن ، وقد بلغنا قريباً انه يمكن وصول شكاياتنا وتظلمنا الى الدول وعصبة الأمم ، فها نحن نهتف بالشكاية والتظلم الى جمعية عصبة الأمم وكل الدول التي نهضت لفك الانسانية من أسر الاستعباد القاسي وانقادها من عداء الظلم الوحشي والتي صممت على تعميم العدل في البشر وتمهيد السلم والامن العام وضمنت دفع الخطر عن الأمم المطالبة بحقوقها ، فان الأمل أكيد بأن مبادىء العدل الحميدة التي تكفلت بها الدول المتمدنة لا تسمح أن تهضم حقوق الأمة العراقية مع كفايتها في الوقوف بنفسها في معترك هذه الحياة بما لديها من الثروة التجارية والزراعية والاستعداد للعمران وما لديها من المنعة والشعور الأدبي والتهيؤ لزيادة الرقي ومع حيازتها لما فوق كفايتها في الادارة ومن الرجال الذين جربهم الامتحان القانوني من الاطباء والضباط والكتاب والمأمورين والمهندسين ... ويشهد على ذلك ان الادارات الملكية الحالية كلها تدار ادارة كافية ببعض رجال العراقيين ، وفيمن لم يدخل الوظائف أضعاف ممن هم أحسن من الموظفين . فالأمل تداركنا عاجلاً بالأمن من الاضطهاد العسكري وتخلية سبيلنا ونيلنا استقلالنا الحر وتنظيمنا لأمورنا تنظيماً

سالماً من الدسائس ...[٦]

كُتبت عدة نسخ من هذه المضبطة لكي ترسل الى ايران حيث تقدم الى سفارات روسيا وأمريكا وفرنسا وهولندا وتركيا والمانيا . وكلف الشيخ محمد رضا الايرواني بحملها الى ايران . وقد سافر الشيخ محمد رضا الى ايران فعلاً ولكنه عند وصوله الى قصر شيرين خاف منها فأخفاها عند رجل يعتمد عليه هنالك . وبقيت العريضة لدى هذا الرجل الى ما بعد انتهاء الثورة . وقد تمكن السيد قاطع عند لجوئه الى ايران ان يستعيدها منه ، وقدمها الى السفارات المعنية[٧] ـ ولكن بعد فوات الأوان .

مقالة شديدة اللهجة :

في ١٧ ايلول ـ أي بعد يومين من كتابة العريضة ـ صدرت جريدة « الفرات » بعد ما كانت محتجبة وفيها مقالة شديدة اللهجة للرد على ويلسون بقلم الشيخ باقر الشبيبي . وهي مقالة طويلة جداً نكتفي بذكر بعض المقتطفات منها ، وهذا نصها :

« هون عليك يا ممثل الدولة الانكليزية ، ان الامة التي ناصبتها العداء وحكّمت فيها السيف ، فأرقت دماءها وأزهقت أرواحها ، عداءاً محضاً وتحكما صرفاً ، بلا خوف من الحق ، ولا وجل من العدل ، ستقف واياك امام محكمة التاريخ ليعلم من هو المجرم الذي أتلف النفوس وجنى على البشرية بلا رحمة ولا عطف فالويل لمن صبغ الارض بدماء الابرياء ...

« ياممثل الحكومة الانكليزية ، أنت بسياستك الرشيدة ! بسلوكك العجيب ! بحزمك الغريب ! بحصافة رأيك ! برصانة عقلك ! أنت بتدبيرك الحكيم ! أفسدت على حكومتك سياسة أجيال في الشرق كله لا في العراق وحده ، فانت وحدك المسؤول أمام الله وأمام العدل والقانون عن الجرائم التي ارتكبتها في العراق ، وعن المظالم التي أنزلتها بالامة ، حتى امتلأت

---

(٦) انظر صورة الوثيقة بالزنكغراف في كتاب فريق المزهر الفرعون (المصدر السابق) ـ مقابل ص ٣٨٤ .
(٧) المصدر السابق ـ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

فيها دوائر ظلمك ، وغصت بها زوايا جورك ••• فيا مسبب مصائب العراق، يا سفاح الانكليز ، لقد جنيت على حكومتك الموقرة جناية ما روى التاريخ نظيرها لسفاح مثلك •••

« يا ممثل الدولة الانكليزية ، أتعزي المقام الروحاني ومنك الرزية ••• ان ما نزل بالامة فمن المصائب التي هيأت أنت أسبابها • فالامة بريئة وأنت المذنب ، ألست الذي سحقت الحقوق ودست القانون ••• الله يا حضرة الحاكم العام ! كيف تطاولت الى ذلك المقام فتحاملت على عصمته وتجاوزت على كرامته غاضاً طرفك عما تركته في مهج المسلمين وأحشاء العراقيين من الجروح التي هيهات أن تلتام ••• فويل لكم يا ضباط الاحتلال • أما الرحمة وأينها منكم يا قساة ، الرحمة فضيلة تنحت عن قلوبكم ، وابتعدت عن ضمائركم • الرحمة احدى مميزات الانسانية التي لاتعرفون معناها • هي اسم عندكم ومسماها ليس عندكم ، وتشهد على ذلك قلوبكم بالقسوة ، ونياتكم بطحن العالم ••• هلم نقابل بين رحمتنا ورحمتكم فهي عندكم تبعيد الابرياء من العلماء وأولاد الفقراء والزعماء ، وتعذيب المنفيين والاسرى يئنون تحت القيود الثقيلة والاغلال المؤثرة ، قيود لا تصبر عليها أعناق الفهود ، أما عندنا فلطف بالأسير وبرّ به ، ونظر الى الاجنبي ملؤه العطف ، تتفقد شؤونه ونرعى أحواله ••• أخلاق أخذناها من شريعتنا ، وفضائل تلقيناها من مدنيتنا • فاين مدنيتكم يا أدعياء التمدن •••

« وأما عدلكم فقد تبيناه منذ تسلمتم أزمة البلاد التي أصبحت تئن من ظلمكم • فيا حضرة الحاكم العام ، لقد هدمتم هذا الركن بمقالع من السياسة التي اهلكت الحرث والنسل ، وأتت على الاخضر واليابس ، فتراب كل منطقة يشهد بأنكم سلبتم الحب حتى من منقار الطائر ، واستخرجتم المخ من العظام ، وضاعفتم الخراج أضعافاً على الزراع ، فأصبحوا يسألون الناس إلحافاً ، وأنتم تسألون فوق الجهد ، وتكلفون فوق الوسع • أهذا عدلكم ؟ ! نعم ان السجون والمنافي والديوان العرفي شهود على عدلكم ، وبراهين على صدقكم ، فاين العدل الذي تزعمون ؟

أوفيتم بوعد ؟ أو ثبتم على عهد ؟ اين البيانات الرسمية ؟ ايـن القطـــوع الدولية ؟ ...

« فيا أيها الحاكم أن الأمة قد اعتمدت في دفاعها على ثلاثة أركان : القومية والوطنية والشريعة الاسلامية . فعندها الثبات ازاء اختراع الآلات، والعناية الآلهية بدل المساعدة الخارجية ، والقناعة عوض الزراعة ، فالأمة صابرة على النزال حتى تنزلوا على حكم الحق ، مستمرة على النضـال حتى نسترد الحاكمية ... ان العرب لم يبذلوا الى الآن عشر ما أعدوه ، ولم يعملوا بعض ما يريدون أن يعملون . فقوتهم في زيادة ، وأعمالهـــم في نشاط . ها قد جاء الخريف وانتهى موسم الحصاد ، وفرغ العرب من المشاغل الزراعية ، وأقبلوا على الحرب الدفاعية ، بشوق عجيب وميـــل قوي ، فازدادت جموعهم أضعاف ما كانت ... فيا أيها الحاكم ان الأمـــة عملاً بقواعدها الانسانية واعتماداً على أصول المدنية لا تمتنع عن المفاوضات الدولية ، لكنها لاتدخل في المفاوضة معكم الا على الشروط التالية : (١) سحب الجيش من البلاد ، (٢) ارجاع المنفيين ، (٣) حضور قناصل الدول في مجلس المفاوضة . وخلاصة القول ان الامة لاتريد الا الاستقلال التام للعراق بحدوده المعروفة ، وهي لاتدخل في المفاوضـة الا علـى تلـــك الشروط »[٨] .

---

(٨) المصدر السابق ـ ص ٣٦٤ ـ ٣٧٤ .

خاتمـة القسم الاول

بين عوامل الانتشار والانهيـار

لو ألقينا نظرة عامة على ثورة العشرين لوجدنا أنها مرت في مسيرتها عبر مراحل ثلاث : أولاها تتمثل في الأحداث التي مهدت للثورة وهي الاحداث التي جرت في بغداد وكربلاء ودير الزور وتلعفر والموصل ، والثانية تتمثل في الثورة المسلحة التي انطلقت في الرميثة في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ ثم عمت منطقة الفرات الأوسط • أما الثالثة فتتمثل في انتشار الثورة في مناطق العراق الاخرى كديالى والغراف وغيرهما •

تُعد الثورة في منطقة الفرات الأوسط بمثابة العمود الفقري لثورة العشرين كلها • ففي هذه المنطقة حصلت الانتصارات الكبرى للثورة ، كما أن هذه المنطقة هي التي تحملت العبء الاكبر من التضحيات في الأنفس والأموال ، وصمدت للقتال فترة طويلة نسبياً • أما المناطق الأخرى التي انتشرت الثورة فيها بعدئذ ، فلم تكن ثورتها سوى صدى لثورة الفرات الأوسط • وقد تمكن الانكليز من القضاء عليها بسهولة وفي خلال وقت قصير ـ كما سنأتي اليه في فصول قادمة •

كان شهر تموز ١٩٢٠ شهر اندلاع الثورة المسلحة وانتشارها في الفرات الاوسط ، أما شهر آب الذي تلاه فهو الذي انتشرت فيه الثورة الى المناطق الاخرى • وقد يصح القول ان آب كان شهر النحس على الانكليز في العراق إذ هم وجدوا ان الثورة فيه كادت تعم العراق باسره • ولولا وقوف بعض الشيوخ الكبار الى جانبهم في ساعة المحنة ، لربما صار مصيرهم في العراق كمصيرهم في السودان في اثناء ثورة المهدي المعروفة •

عوامل الانتشار :

الواقع ان انتشار الثورة في آب على ذلك النطاق الواسع كان ظاهرة اجتماعية جديرة بالدراسة ، ومن المؤسف أن نرى الكتاب الذين درسوا ثورة العشرين لم يعيروا تلك الظاهرة الاهتمام الكافي • فقد ذهبوا في

تفسيرها الى أنها حدثت من جراء « وطنية » الشعب العراقي وبغضه للاستعمار ، واكتفوا بذلك • وهذا تفسير قد يصلح في مجال التوجيه للناشئة الجديدة انما هو لا يصلح في مجال البحث العلمي •

تطرقنا في الفصول السابقة بشكل متفرق الى ذكر العوامل التي أدت الى انتشار الثورة ، ونحاول الآن اعادة ذكر تلك العوامل بشكل ترتيبي موجز ، لكي تكون في ذهن القارىء صورة عامة عنها ، وهي كما يلي :

أولاً : عند اندلاع الثورة كانت القوات الانكليزية في العراق ضعيفة ومبعثرة من جراء خطأ اقترفه القائد العام الجنرال هالدين ، فادى ذلك الى تمكن الثوار من نيل انتصارات باهرة على القوات الانكليزية في بداية الأمر ، ثم صار كل نصر تناله العشائر الثائرة سبباً في تشجيع عشائر اخرى على الالتحاق بالثورة •

يجب أن لاننسى في هذا الصدد ما كان للعشائر من تراث عريق في ممارسة الحروب ، وقد دهشت القيادة الانكليزية لما وجدت فيهم من مقدرة على القتال وبراعة في وضع الخطط الحربية • يقول هالدين في تعليقه على معارك الرميثة : « من الواضح ان عقولاً بارعة كانت تدير حركاتهم ، انها عقول تعرف جيداً استعمال البندقية ، كما تعرف نقاط الضعف في جيوشنا الحديثة • وهناك قرائن تدل على حذقهم العظيم في اختيار الزمان والمكان لتهديد تجهيزات الماء لدينا وسكة الحديد وطريق السير • ومن حسن الحظ ان عتادهم كان محدوداً ، ولما كانت الاطلاقة الواحدة تكلفهم غالياً فانهم لا يعمدون الى التصويب على هدف ما لم يتيقنوا من سداد التصويب • انهم كغيرهم من أشباه البدائيين أظهروا جرأة عند تعقيبهم أية قوة منسحبة ، وقد أبدوا مهارة فائقة في اغتنام أية غلطة تقع في ترتيباتنا الحربية »[1] •

---

(1) Haldane (Insurrection In Mesopotamia) - Edinburgh 1922 - P. 89.

ثانياً : كانت العشائر العراقية تملك من البنادق والاسلحة الأخرى مقادير كبيرة جداً حصلوا عليها في الحرب الاولى من جراء ما وقع فيها من كرّ وفر بين الجيوش المتحاربة طيلة أربع سنوات • يقول ويلسون في مذكراته : « ان سكان العراق بوجه عام تمكنوا من تجهيز أنفسهم بمقادير كبيرة من الاسلحة الحديثة وأعتدتها بحيث انخفض سعر البندقية من طراز (موزر) أو (لي أنفيلد) الى خمس باونات أو أقل من ذلك ، مع العلم أنه كان قبل الحرب يتراوح بين ٢٠ و ٢٥ باون • ان البنادق التركية والانكليزية كانت تُلتقط بالآلاف من ميادين القتال ، أو تُسرق من خطوط المواصلات • وقد تراكمت الأعتدة عندهم الى حد لم يحلموا به من قبل • وأبدى أفراد العشائر شجاعة ومكراً ومثابرة في الاستحواذ على الأسلحة ••• فمن معسكر انكليزي واحد سرقوا أكثر من سبعين صندوقاً ، يحتوي كل صندوق منها على ألف خرطوشة • وقد فعلوا ذلك تحت أنوف الحراس »(٢) •

أضف الى ذلك ان النقود توافرت لدى العشائر كمثل ما توافرت الاسلحة ، وذلك من جراء التضخم النقدي وارتفاع أسعار الحبوب في عهد الاحتلال • والمعروف عن بعض قادة الثورة كالسيد نور الياسري وعبدالواحد الحاج سكر أنهم كانوا يملكون أموالا طائلة عند اندلاع الثورة ، وقد مكنهم ذلك من البذل على الثورة ومن توفير السلاح والطعام للمقاتلين من اتباعهم فترة غير قصيرة من الزمن •

ثالثا : ان الانتصارات التي نالها الثوار في الفرات الاوسط وصلت أخبارها الى مختلف أنحاء العراق بشكل مضخم مبالغ فيه • وهذا أمر طبيعي في مثل تلك الظروف • فصارت الاشاعات تنتشر بين الناس حول جسامة الغنائم التي فاز بها الثوار ، وألوف الاسرى الذين وقعوا في أيديهم • وأمست هذه الاشاعات حديث المجالس والمقاهي والدواوين والمضايف في كل مكان •

---

(2) Wilson (Loyalties) - London 1936 - Vol. 1, P. 559.

وقد صاحبت هذه الاشاعات اشاعات أخرى مفادها ان جيوشا جرارة قادمة الى العراق لنجدة الثوار ولطرد الانكليز من العراق ، وهي مؤلفة من قوات تركية بقيادة مصطفى كمال باشا ، وقوات عربية بقيادة الشريف عبدالله ، وقوات بلشفية بقيادة الجنرال « فلانسوف » • وكان الناس يصدقون بهذه الاشاعات طبعا ، وكثيرا ما تنطلق الهوسات بين الناس على أثر سماعهم اياها • ففي شهربان مثلا وصل اليها فارس مساءاً وهو مسرع ويصرخ قائلا : « بغداد سقطت » • ولم يكد هذا النبأ ينتشر في البلدة حتى انطلقت الهوسات والزغاريد واطلاقات الرصاص تملأ الفضاء ، وسهرت البلدة في تلك الليلة وهي في حالة من الهياج والابتهاج لاحد لهما[٣] • وحدث مثل هذا في طويريج حين وصل خبر مفاده ان المحمودية سقطت في أيدى الاتراك ، وان القوات الشريفية تتقدم من الرمادي[٤] • وحدثني أحد المسنين من أهل الكاظمية : أن اشاعة انتشرت في البلدة مؤداها أن جيوش الثورة قد احتلت المحمودية وهي قادمة في طريقها الى بغداد ، فخرج الناس الى باب البلدة لاستقبالها وهم يهزجون ويهوسون ، وظلوا كذلك برهة من الوقت حتى ملوا ، ثم عادوا الى بيوتهم آملين أن تأتي الجيوش الفاتحة في اليوم التالي أو بعده •

وكانت هناك اشاعات اخرى راجت بين الناس هي ان الانكليز سيجلون عن العراق قريبا بضغط من عصبة الامم أو امريكا والدول الاخرى وقد بلغت هذه الاشاعات من القوة في بعض الاحيان بحيث اضطرت الحكومة الى اصدار بيانات رسمية لتكذيبها • ولكن الناس لم يصدقوا ببيانات الحكومة ، وذلك من جراء ما اعتادوا عليه فى حياتهم الماضية من الارتياب في كل أمر يصدر من الحكومة • وقد يفسرونه بخلاف مقصود الحكومة منه •

رابعا : كانت بعض العشائر عند انضمامها الى الثورة تبتغي الفوز

---

(3) Buchanan (In The Hands of The Arabs) - London - P. 160.
(4) Haldane (op. cit.) - P. 185.

بالغنائم والفرهود أكثر من المطالبة بالحرية والاستقلال • وهذا أمر طبيعي لاداعي للعجب منه ، فان العشائر التى اعتادت على النهب والسلب خلال مئات السنين يصعب عليها أن تترك هذه العادة تحت تأثير حب « الوطن »• ومن الممكن القول ان الاشاعات التى راجت عن وفرة غنائم الثـوار في الفرات الاوسط شجعت عشائر المناطق الاخرى على الاقتداء بهم في الثورة لكي تفوز بمثل ما فازوا به من الغنائم • ولهذا رأينا بعض العشائر تعمد الى نهب البلدة التى تدخلها في اثناء الثورة • وقد حصل هذا بوجه خاص في منطقة ديالى • ولذا أطلق سكان ديالى على ايام الثورة اسم «جهجهون» ويعنون به الفوضى • ويُروى عن السيد نور الياسري انه عندما بلغته أخبار النهب الذى قامت به عشائر ديالى كتب الى رؤسائهم يؤنبهم على ذلك قائلا : ان الثورة جهاد في سبيل الله وليست ذريعة للنهب(٥) •

خامسا : كان العامل الديني من أهم العوامل في انتشار الثورة ، ان لم يكن اهمها جميعا • ونقصد بهذا العامل اتجاه الناس الى اتهام كل من لا يؤيد الثورة بأنه كافر نصراني ، والواقع ان عددا غير قليل من الشيوخ التحقوا بالثورة تحت تأثير هذا العامل اذ هم كانوا يخشـون أن تهبط منزلتهم الاجتماعية من جراء اتهام الناس لهم بالكفر والنصرانية •

ومن الجدير بالذكر ان الانسان بوجه عام لايهتم بالدين كثيرا في حياته اليومية ، فهو قد اعتاد أن يخالف أوامر الدين ونواهيه في كل يوم ولا يبالي • وقد لاحظنا ذلك بشكل واضح لدى العشائر اذ أن معظـم قيمهم الاجتماعية مخالفة لتعاليم الدين ، كالعصبية القبلية والثأر والغزو والنهب وفرض الاتاوة وغسل العار والنهوة وما أشبه • ولكنهم سرعان ما يستجيبون لنداء الدين حين يكون هذا النداء منسجما مع قيمهم ، أو تكون مخالفته مؤدية الى الحط من سمعتهم ومكانتهم الاجتماعية • فالقضية اذن ليست قضية دينية بحتة بقدر ماهي قضية اجتماعية • وتلك طبيعـة البشر في كل زمان ومكان !

---

(5) Atiyyah (Iraq) - Beirut 1973 - P. 346.

عوامل الانهيار :

في الوقت الذى كانت فيه عوامل الانتشار تعمل عملها في نشر الثورة في مختلف أنحاء العراق ـ على نحو ما ذكرناه آنفا ـ كانت هناك عوامل أخرى مضادة تعمل على اضعاف الثورة وتفكيك صفوفها ، ولا سيما في الفرات الاوسط ، حتى أدت أخيراً الى انهيارها ، وفيما يلي نذكر أهم تلك العوامل :

أولاً : كان انضمام العشائر الى الثورة طوعياً كما لا يخفى ، ولم تكن هناك قيادة موحدة من شأنها تنظيم العشائر الثائرة في خطة حربية عامة • ومن الممكن القول ان التنافس الموجود طبيعياً بين رؤساء العشائر كان مانعا من قيام القيادة الموحدة بينهم فهم لايرتضون أن يكون واحدا منهم رئيسا عليهم يأمرهم وينهاهم •

اعتادت العشائر في حروبها السابقة أن يكون لها مايسمى بـ «البصيرة» وهي ان يجتمع رؤساؤهم في مجلس ، فيتبادلون الرأي حول خطة الحرب أو ما ينشأ عنها من مشاكل طارئة • وهم قد يتوصلون الى رأي موحد فيها ، أو يتنازعون ويتجادلون • ولاحاجة بنا الى القول ان « البصيرة » لم تكن في أيام الثورة كافية لمواجهة قوات منظمة لها قيادة تسير في خططها على أحدث ما ابتكره علم الحرب من قواعد •

أشار بعض الكتاب الى وجود ما يسمى بـ « المجلس الحربي الاعلى » للثورة • وأظن ان هذا من المبالغات التى اعتاد الكتاب أن يأتوا بها لاعلاء شأن الثورة • وقد ذهب كتاب آخرون الى القول بأن المرجع الديني وحاشيته يمكن اعتبارهم المجلس الحربي الاعلى للثورة ، اذ المعروف عن الشيرازي في بداية الثورة ، ثم الاصفهاني أخيرا ، انه كان يجمع حاشيته للنظر في قضايا الثورة ومشاكلها • ولكننا يجب أن لاننسى أن حاشية المرجع الديني مؤلفة في الغالب من ملالئية لايعرفون من فن الحرب شيئا ، ولعل الرجل منهم لم يمسك أي سلاح في يده طيلة حياته • ولهذا فانهم لايفهمون من الحرب سوى ما قرأوه في كتبهم القديمة عن حرب

بدر وأُحد ، أو حرب الجمل وصفين • يقال ان حاشية الشيرازي اجتمعوا عقب سماعهم خبر اندحار الثوار في الحلة وأخذوا يتداولون في الامر ، ثم وضعوا خطة حربية ظنوا انها الخطة المثلى للانتصار فى معركة الحلة، ولما أرسلوها الى الثوار وجدها هؤلاء غير معقولة • فالثوار كانوا يجابهون الموت في جبهة القتال بينما كان أصحاب الخطة جالسين على منادرهم يتأملون !

ثانيا : ان الاموال الوفيرة التى كانت لدى بعض رؤساء العشائر لم تبق على حالها طبعا ، فهي لابد أن تتناقص شيئاً فشيئاً بمرور الايام • ولم يكن هناك مصدر خارجي يمدهم بالاموال كما اتضح أخيرا • والواقع ان بعض الرؤساء نفد لديهم المال الى حد لم يستطيعوا اطعام المحاربين من اتباعهم • ولكي يتصور القارىء حالة هؤلاء الرؤساء ننقل فيما يلي رسالة لاحدهم بعثها الى السيد هبةالدين الشهرستاني في كربلاء يشكو فيها حاله ويطلب منه المساعدة او الاذن بالانسحاب من القتال • وهذا هو نص الرسالة :

لحضرة هيبة الدين السيد محمد علي الشهرستاني دام ظله العالي •

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • المبدي نعرض لخدمتكم من خصوص السيد عباس السيد علوان قد أرسلناه لطرفكم وهو طارش من طرفنا نرجو من احسانكم ومن مساعدتكم ومن همتكم أن تلاحظون المساعي وتدفعون لنا اكراما ومساعدة مصرفا لأجل المجاهدين أو تعطون لنا رخصة بارجاع الوطن ـ يقصد العودة الى قريته ـ بحيث لنا ثلاثة أشهر بالحربية مشغولين والآن قد خلصت خرجيتنا واذا أردنا نستقرض من الناس ما يقرضونا وبقينا من غير مصارف لايخفى عليكم ويصير معلوم •

شعلان الجبر
رئيس عشيرة آل ابراهيم(٦)

---

(٦) فريق المزهر الفرعون (الحقائق الناصعة) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ٤٠٣ •

عندما انتهت الثورة وجاء فيصل الى العراق ذكر لبعض قادة الثورة أنه حينما كان ملكا في سوريا أرسل مبلغا كبيرا من المال لمساعدة الثوار ٠ وقد اختلف الرواة في تحديد المبلغ الذى ذكره فيصل ، فالسيد علوان الياسري يقول انه سبعون ألف ليرة ، وعبدالواحد الحاج سكر يقول انه ثلاثون ألف ، والسيد محسن أبو طبيخ يقول انه عشرون ألف ٠ ولكنهم أجمعوا على ان المبلغ لم يصل الى الثوار لان الاشخاص الذين كُلفوا بايصال المبلغ وضعوه في جيوبهم ٠ ويقول عبدالواحد انه يعرف أسماءهم غير أنه لم يجد حاجة الى ذكرها(٧) ٠

ثالثا : نفدت أسلحة الثوار وأعتدتهم كمثل مانفدت أموالهم ٠ وقد نشط تهريب الاسلحة الى الثوار من الكويت ومن مناطق العراق التي لم تشترك في الثورة ، ولكن أسعارها كانت عالية جدا ٠ ولم يتمكن بعض الثوار من الحصول عليها لقلة مالديهم من نقود ٠ يقول الشيخ محمد الخالصي في مذكراته : انهم كانوا في الايام الاخيرة من الثورة يشترون الخرطوشة من الرصاص بروبية واحدة في بعض الاحيان ٠ وذكر أيضا : ان المحاربين في جبهة القتال لم يكن يصيب الواحد منهم في اليوم كله سوى رغيف واحد من الخبز وقليل من التمر(٨) ٠

كان في النجف والكوفة وكربلاء صياقلة لديهم معامل صغيرة يتعاطون فيها اصلاح الاسلحة النارية وملء الخراطيش ، أشهرهم « اسطه كديمي » ٠ وكان هؤلاء في أيام الثورة يعملون فوق طاقاتهم لاصلاح بنادق الثوار ومل خراطيشهم ، ولكنهم لم يكن في مقدورهم مهما بذلوا من جهود أن يسدوا حاجة الثوار الى الاسلحة والاعتدة تجاه القوات الانكليزية التي لاتنفد أسلحتها وأعتدتها ٠

رابعا ــ كانت مناطق الثورة مفتوحة لاعوان الانكليز وجواسيسهم يجولون فيها بلا رقابة ٠ ويصدق هذا بوجه خاص على منطقة الفرات

---

(٧) المصدر السابق ــ ص ٤٠٧ ، ٥٥٦ ، ٥٨٧ ٠

(٨) نقلا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة ٠

الاوسط لوجود العتبات المقدسة فيها ، فقد كان الاعوان والجواسيس يأتون اليها بحجة « الزيارة » • يقول علي البازركان : أنه رأى في النجف أناسا جاؤوا اليها بأسم الزيارة ولكن قصدهم كان لاخذ المعلومات عن أحوال الثورة(٩) •

ولم يكن الاعوان والجواسيس يكتفون بنقل المعلومات عن الثورة الى الانكليز ، بل كانوا علاوة على ذلك يبثون الاشاعات الانهزامية في صفوف الثوار ، حيث يبالغون مثلا بذكر ضخامة الجيوش التى يعدها الانكليز لسحق الثورة ، أو يهمسون في آذان بعض المترددين من رؤساء العشائر يحثونهم على النجاة قبل فوات الأوان !

خامسا : كانت خسائر الثوار في الرجال كثيرة جدا يصعب تحملها مدة طويلة • قدّر الجنرال هالدين خسائر الثوار عقب انتهاء الثورة بـ ٨٤٥٠ رجل بين قتيل وجريح ، وذكر هالدين انه استند في تقديره هذا على عدد القتلى الذين عُثر على جثثهم ، وعلى التقارير الواردة من مختلف المصادر ، وعلى سجلات الدفن في كربلاء والنجف(١٠) •

لاحاجة بنا الى القول ان معظم هذه الخسائر كانت من نصيب الفرات الاوسط ، ومن نصيب عشائره بوجه خاص • وهي في الواقع تمثل نسبة عالية من مجموع أفراد العشائر • يروي شاهد عيان انه مر باحدى القرى القريبة من الحلة عقب المعركة التى جرت هنالك فوجد أكثر أهلها قد لبسوا السواد حزنا على من فقدوا في المعركة من أقاربهم وأهليهم • ويمكن أن نقول مثل هذا عن الكثير من القرى التى شارك أهلها في الثورة في الفرات الاوسط •

سادسا : كان بعض رؤساء العشائر الذين التحقوا بالثورة انما فعلوا ذلك مرغمين تحت تأثير ضغط الرأي العام ، إذ هم كانوا يخشون أن

---

(٩) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ـ بغداد ١٩٥٤ ـ ص ٢٠٠ •

(10) Haldane (op. cit.) - P. 331.

تلصق بهم تهمة « الكفر » كما رأينا • وقد ظل هؤلاء الى جانب الثورة في مرحلة انتصارها وانتشارها ، وربما أبدوا من الحماس في تأييدها اكثر من غيرهم • غير انهم ما كادوا يلمحون فيها بوادر الضعف والانكسار حتى بدأوا يبدلون موقفهم ويدعون الى « الحكمة » و « التعقل » والى القاء السلاح قبل فوات الاوان •

وقد اشتد نشاط هؤلاء عقب المحاولة التي قام بها ويلسون في عرض الصلح على الثوار ، فقد أخذوا يعلنون انتقادهم لموقف الرفض الذي اتخذه الاصفهاني وحاشيته ، وأعربوا عن رأيهم بأنها فرصة يجب اغتنامها لانقاذ الثورة من هزيمة محققة ، وان سد الباب نهائياً تجاه المفاوضة مع الانكليز أمر بعيد عن الحكمة ، وقالوا ان الرافضين المتكئين على وسائدهم في النجف لا يجوز لهم أن يبتوا في أمور الذين يمانسون ضراوة القتال ويتكبدون الخسائر الفادحة فيه • وقد كان لنشاط هؤلاء الانهزاميين أثره في تثبيط همم الثوار وفي شق صفوفهم •

* * *

● الملاحظ بوجه عام أن ثورة العشرين صمدت بسرعة ثم هبطت بسرعة • وسبب ذلك أنها لم تلجأ الى حرب العصابات على نحو ما فعلت أخواتها في الجزائر وكوبا وفيتنام ، بل هي اعتمدت في حربها على المجابهة العسكرية المباشرة ، وقد ساعدتها الظروف في البداية على الانتصار ، ولكنه انتصار لم يدم طويلاً ، وليس من طبيعته أن يدوم طويلاً •

● ان العشائر في هذا العصر لايمكن أن تنجح في حرب طويلة تجاه جيش منظم لديه المدافع والمصفحات والطائرات ، فان هي نجحت مرة على سبيل الصدفة فليس في مقدورها ان تنجح في كل مرة • ولهذا فان القوات الانكليزية لم تكد تصل اليها النجدات من الهند حتى بدأت تنزل الضربات القاصمة بالثورة ، وتمكنت من القضاء عليها في خلال وقت قصير •

● يواجهنا هنا سؤال : هل كان في مقدور ثورة العشرين أن تلجأ الى حرب العصابات ؟ لكي نجيب على هذا السؤال يجب أن نعلم أن هناك شروطاً يجب توفرها في حرب العصابات لكي تنجح ، أهمها اثنان : أولهما وجود مكامن للثوار يصعب على العدو الوصول اليها كالجبال أو الغابات ، والثاني ورود مساعدات متواصلة الى الثوار من مصادر خارجية او داخلية . يبدو أن ثورة العشرين لم يكن في استطاعتها توفير هذين الشرطين .

● من الاقوال المنسوبة الى نابليون : « الهزيمة يتيمة أما النصر فله ألف أب » . وهذا قول يصدق على ثورة العشرين كما يصدق على غيرها من احداث التاريخ . فان كل فريق من الذين ساهموا في الثورة حاول أن ينسب الفضل في انتصارها الى نفسه ، أما هزيمتها فقد حاول كل منهم أن يتنصل من مسؤوليتها وأن يضع اللوم فيها على غيره .

● الواقع ان ثورة العشرين في انتصارها وهزيمتها لم تخضع لارادة أحد من البشر ، بل هي جرت تبعاً للظروف التي أحاطت بها . ان الانسان في معظم أحداث التاريخ يجري وفق ما تملي عليه ظروفه كأنه الريشة في مهب الريح بينما هو يحسب انه كان في ذلك حراً مختارا .

● انتهى القسم الأول من الجزء الخامس ، ويليه القسم الثاني قريباً ـ « ان شاء الله » !

فهرس القسم الاول

* * *

وقعت في هذا القسم بعض الاخطاء المطبعية التي نامل من القارئ ان يصححها بنفسه .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ٤٢٧ لسنة ١٩٧٧

عدد النسخ = ١٢٫٠٠٠ نسخة

SOCIAL ASPECTS
Of
IRAQI MODERN HISTORY

by
Dr. **ALI WARDI**
EMERITUS PROFESSOR OF SOCIOLOGY
IN THE UNIVERSITY OF BAGHDAD

VOLUME FIVE
PART ONE

Baghdad 1977

لضخامة الجزء الخامس جعلناه قسمين ، فالقسم الاول وهو الذى بين يدي القارىء يبحث في ممهدات الثورة ثم اندلاعها في الفرات الاوسط ، اما القسم الثاني الذي نأمل ان يصدر قريبا فهو يبحث في انتشار الثورة في مناطق ديالى وكردستان والغراف وغيرها ، ثم انهيارها اخيرا ، مع بعض المناقشات والملاحق .